توضيح

نهج البلاغة

الجزء الثالث

تأليف

اية الله المجاهد

الحاج السيد محمد الحسيني الشيرازي


Princeton University Library
32101 060160726

Shirāzī, Muḥammad al-Mahdī al-Ḥusaynī

توضيح

نهج البلاغة

الجزء الثالث

سماحة آية الله العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد وآله اجمعين ،
واللعن على أعدائهم إلى يوم الدين .

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

اَبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ ؛ فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَىٰ لَطِيفِ صَنْعَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ ،

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس ، و دقائق خلقة الطيور ، و يصف الجنة

(ابتدعهم) أى المخلوقات ، و الاتيان بضمير العاقل ، تغليبا للعقلاء على غيرهم (خلقا عجيبا) يورث تعجب الانسان (من حيوان و موات) الشئ الذى لا روح فيه (و ساكن) كالجبال و ما أشبه (و ذى حركات) حيوانا كان أو انسانا أو غيرهما كالشمس و القمر و الرياح و ما أشبه .

(فأقام) سبحانه (من شواهد البيّنات) أى الأدلة الشاهدة (على لطيف صنعته) أى دقيقها (و عظيم قدرته) فان الأشياء الدقية تحتاج الى

مَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ ٱلْأَطْيَارِ ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ ٱلْأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا، مِنْ ذَوَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ ٱلتَّسْخِيرِ وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ ٱلْجَوِّ

قدرة فائقة (ما انقادت له العقول معترفة به) أى خضعت العقول معترفة بالله سبحانه (و مسلمة له) بأن للكون الها عالما قادرا لطيفا .

(و نعقت) أى صاحت (فى أسماعنا ، دلائله على وحدانيته) كناية عن وضوح الأدلة الدالة على الوحدانية ، اذ لو كان فيهما آلهة الاّ الله لفسدتا .

(و ما ذرأ) عطف على الضمير المجرور فى ((دلائله)) أى نعقت دلائل ما ذرأ ، أى ما خلق (من مختلف صور الأطيار) جمع طير (الّتى أسكنها أخاديد الأرض) جمع اخدود ، و هو الشّق الكائن فى الأرض ، فانّ كثيرا من الطّيور يسكنون فى شقوق الأرض كالعصافير و ما أشبه (و خروق) جمع خرق ، و هو الشّق (فجاجها) الفج الطريق ، و جمعه فجاج (و رواسى أعلامها) جمع راسية ، بمعنى : الشامخة و المرتفعة ، و الأعلام جمع علم ، بمعنى الجبل .

(من ذوات أجنحة) جمع جناح (مختلفة) فى الشكل و الكيفيّة (و هيئات متباينة) غير متشابهة (مصرّفة) أى يصرفها الله سبحانه (فى زمام التّسخير) و الاستخدام ، فانها لا تعمل الاّ كما قدّر الله سبحانه ، و هيّ لها من الأسباب و الأجهزة .

(و مرفرفة) أى باسطة جناحها (بأجنحتها فى مخارق الجوّ) جمع مخرق ،

ٱلْمُنْفَسِحِ ، وَٱلْفَضَاءِ ٱلْمُنْفَرِجِ . كَوَّنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي السَّمَاءِ خُفُوفاً ، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً . وَنَسَقَهَا عَلَى ٱخْتِلَافِهَا فِي ٱلْأَصَابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ . فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ لَوْنٍ

وهو الواسع من المكان ، والجو : الفضاء (المنفسح) أى الواسع (والفضاء المنفرج) أى ذو الفرجة ، وهى مقابلة للمنسد .

(كونها) أى كون الله الطّيور (بعد ان لم تكن) أى أوجدها من العدم (فى عجائب صور ظاهرة) للابصار (وركّبها فى حقاق مفاصل) حقائق جمع ((حق)) وهو مجتمع المفصلين ، ومفاصل جمع مفصل ، وهو محل اتصال عظمين (محتجبة) أى مخفية عن الأنظار فانّ الانسان لا يرى داخل بدن الطّير ، الّذى هو محلّ المفاصل والعظام .

(ومنع) سبحانه (بعضها) أى بعض أنواع الطّيور (بعبالة) هى الضّخامة وامتلاء الجسد (خلقه) أى بسبب عظم بدنه (أن يسمو فى السّماء) أى يرتفع (خفوفا) أى سرعة وخفّة .

(وجعله يدف دفيفا) بأن يحرّك جناحيه حتّى يتمكن من الطّيران ، والدّفيف مقابل الصفيف ، وهو بسط الجناحين فى حال الطّيران .

(ونسقها) أى رتّبها (علىاختلافها فى الأصابيغ) جمع اصباغ ، وهو جمع صبغ بمعنى اللّون (بلطيف قدرته ودقيق صنعته) فلكل طائر لون أو ألوان متعدّدة ، مما تجذب الأنظار ، وتلفت الأبصار .

(فمنها) أى من الطّيور (مغموس) قد غمس وأدخل (فى قالب لون)

لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ ؛ وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ.

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ ، وَسَمَا بِهِ

واحد ، كأنّ اللّون كان قالبا للطائر بلا زيادة و نقصان ، ولذا كان له لون واحد فقط (لا يشوبه غير لون ما غمس فيه) وذلك كالغراب الأسود وما أشبه.

(ومنها مغموس فى لون صبغ) اى ما يصبغ به (قد طوّق) ذلك الطائر (بخلاف) لون (ما صبغ به) سائر جسده كالحمام المطوق ، حيث انّ حوالى عنقه لون غير لون سائر جسمه.

(و من أعجبها خلقا الطّاووس الّذى اقامه فى احكم تعديل) اى عدالة الجسم و اللّون فلا اعوجاج فى جسمه ، ولا بشاعة فى لونه ، وانما وضع كل شئ موضعه (و نضّد) اى رتّب (الوانه فى احسن تنضيد) أى فى اجمل ترتيب ، خلقه سبحانه (بجناح اشرج قصبه) اى داخل بين احاد اعمدة الجناح ، فقد شبه عليه السلام اعمدة الجناح بالقصب ، والاشراج جعل بعض الأجزاء داخلا فى بعض بشكل منظّم (و) ب (ذنب أطال مسحبه) اى طول الذّنب حتّى انّه يسحب على الأرض ، فان للطّاووس ذنبا طويلا ينشره احيانا ، و يطويه احيانا (إذا درج) اى تحرك الذكر من الطّاووس (الى الانثى نشره) أى نشر ذنبه (من طيه) اى من حالة جمعه (وسما به) اى ارتفع بذنبه ، بمعنى

مُطِلاًّ عَلَىٰ رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ. يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ. يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ فِي الضِّرَابِ. أُحِيلُكَ مِنْ ذٰلِكَ عَلَىٰ مُعَايَنَةٍ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَىٰ ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ.

ارفعه (مطلا) اى مشرفا (على رأسه) كأنه يظلّله ، فصار بذلك جميلا و فى وضع جذاب .

(كأنه) اى كأن جناحه (قلع) هو شراع السفينة (دارى) منسوب الى ((دارين)) و هو بلد يصنع به الشراع (عنجه) اى جذبه فرفعه (نوتيه) اى ربان السفينة .

(يختال) اى يتكبر الطاووس (بألوانه) اى الوان ذنبه (ويميس بزيفانه) اى يتبختر بحركات ذنبه يمينا و شمالا ، فان الزيفان الحركة بتكبر (يفضى) الطّاووس الى انثاه ، اى يقترب منها لقضاء حاجته (كإفضاء الدّيكة) جمع ديك (و يؤر) اى يأتى انثاه (بملاقحة) اى افراز مادة منوية فيها (ارّ الفحول) اى مثل ملاقحة الفحل لانثاه (المغتلمة) من اغتلم اذا غلب للشهوة ، وهذا لبيان شدة شبقه بانثاه (فى الضراب) هو بمعنى لقاح الفحل لانثاه .

(احيلك) ايها السامع (من ذلك) الذى ذكرت فى امر الطاووس (على معاينة) بأن تذهب و تعاين حاله بعينيك (لا كمن يحيل على ضعيف إسناده) مما لا دليل له اسناد ضعيف ، بل له امر خارجى واضح يتمكن كل احد ان يراه بأم عينيه ، و انما اكد الامام عليه السلام فى امر تلقيح الطاووس ، لأن بعض الناس كانوا يزعمون ان الذكر تدمع عينيه فتقف الدمعة بين اجفانه فتاتى الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة .

وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ ، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ ، وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ ، ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَىٰ الدَّمْعِ ٱلْمُنْبَجِسِ ، لَمَا كَانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ ٱلْغُرَابِ ! تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ

(ولو كان) تلقيحه (كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة تسفحها) اى تصبها (مدامعه) اى عيونه ، جمع مدمع ، وهو محل الدمع (فتقف) الدمعة (فى ضفّتى) اى جانبى (جفونه) جمع جفن ، غلاف العين (وان انثاه تطعم ذلك) اى تشربه (ثمّ تبيض) الانثى بيضة تكون منشأ الفرخ (لا من لقاح فحل) وسفاده (سوى الدّمع المنبجس) اى المنفجر من عينيه .

(لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب) اى لو صح ذلك الزعم فى الطاووس لكان له مثال ، حيث زعم جمع آخر ، ان الغراب ايضا لا سفاد له ، وانما تشرب الانثى من ماء اجتمع فى قانصة الذكر ، ومطاعمة ، بمعنى الشرب ، فان هذه المادة تستعمل فى الشرب كما تستعمل فى الاكل ، قال سبحانه :((و من لم يطعمه فانه منى)) .

ثم رجع الامام عليه السلام الى ذكر بقايا عجائب الطاووس بقوله : (تخال) اى تظن ايها الناظر (قصبه) جمع قصبة ، وهى عمود الريش (مدارى) جمع ((مدرى)) وهو ما يصنع ، من حديد اوخشب ، على شكل المشط (من فضّة) وذلك لبريق القصب وبياضها وانتظامها (و) تخال (ما انبت) من الريش (عليها) اى على القصب .

(من عجيب داراته وشموسه) اى استدارته العجيبة المماثلة للشمس

خَالِصَ ٱلْعِقْيَانِ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ. فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ ٱلْأَرْضُ قُلْتَ : جَنًى جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ . وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِٱلْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ ٱلْحُلَلِ أَوْ مونِقِ عَصْبِ ٱلْيَمَنِ. وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ ، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ ٱلْمُكَلَّلِ. يَمْشِي مَشْيَ

(خالص العقيان) هو الذهب الخالص (وفلذ) جسم فلذه بمعنى القطعة (الزبرجد) الأخضر ، والتشبيه بهما لأن ريشه احمر و اخضر فى لونى الذهب الخالص و الزبرجد الأخضر .

(فان شبهته) اى ريش الطاووس (بما انبتت الأرض) اى بالأعشاب (قلت جنى) اى مجتنى (جنى) اى اقتطف (من زهرة كل ربيع) اى من كل زهرة تنبت فى الربيع ، لأن الريش فى لون الأزهار المختلفة (وان ضاهيته) اى شبهته (بالملابس) جمع ملبس بمعنى اللباس (فهو) اى الريش (كموشى الحلل) بصيغة اسم الفاعل ، اى المنقوش من الحلة ، و هى البزة اى الثوب (او مونق) اى جميل (عصب اليمن) و هو ضرب من البرود المنقوشة التى تصنع فى اليمن .

(وان شاكلته) اى شبهت الريش (بالحلى) و هى الحلية التى تلبسها المرئة للزينة (فهو) اى الريش (كفصوص) جمع فص ، و هو ما يركب فى الخاتم من زبرجد و الماس و درّ و ما اشبه (ذات الوان) لكل فص لون (قد نطقت) اى شدّت (باللّجين) اى الفضة (المكلل) اى المزين بالجواهر، فان القصب يشد بعض تلك الفصوص ببعض ، و القصب شبيه بالفضة فى بياضها ، فالقصب مكلل بالفصوص ، و الفصوص شدت بالقصب (يمشى) الطاووس (مشى

ٱلْمَرِحِ ٱلْمُخْتَالِ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ ، فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ ،وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ؛ فَإِذَا رَمَىٰ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ ٱسْتِغَاثَتِه ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ ٱلْخِلَاسِيَّةِ .وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ ، وَلَهُ فِي

المرح) اى المعجب بنفسه (المختال) اى المتكبر فى مشيته (و يتصفّح) اى يتفقد و ينظر بالرقة (ذنبه و جناحيه فيقهقه ضاحكا) تشبيه لصوته بالقهقهة (لجمال سرباله) اى لباسه (و اصابيغ) اى الوان (و شاحه) سير يجعل فيه اللؤلؤ و نحوه فتلبسه المرئه من عاتقها الى كشحها .

و الطاووس بهذا الحسن ، له رجلان قبيحتان ، و لذا اذا نظر اليهما حزن واغتم ، بما يظهر ذلك لمن نظر اليه (فاذا رمى) الطاووس (ببصره الى قوائمه) جمع قائمة ، بمعنى الرجل (زقا) اى صاح فى دهشة (معولا) الاعوال رفع الصوت بالبكاء (بصوت يكاد يبين) اى يظهر (عن استغاثته) اى طلبه ان يغاث من قبح رجله (و يشهد) ذلك الصوت (بصادق توجعه) اى تألّمه الصادق لما فى رجله من قبح (لأنّ قوائمه حمش) جمع احمش اى دقيق (كقوائم الدّيكة) جمع ديك (الخلاسية) المنسوبة الى خلاس ،وهى المتولدة بين هندية و فارسية ، فانها اقبح رجلا من الديكة العادية .

(و قد نجمت) اى ظهرت و خرجت (من ظنبوب) هو عظم حرف الساق (ساقه) اى ساق الطاووس (صيصية) هى الاصبع الطالعة فى رجل الديك و نحوه مما لا تلامس الأرض (خفية) ليست بالطويلة (و له) اى للطاووس(فى

مَوْضِعِ ٱلْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ. وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَٱلْإِبْرِيقِ ، وَمَغْرَزُهَا إِلَىٰ حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ ٱلْوَسِمَةِ ٱلْيَمَانِيَّةِ ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ ، إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ ، أَنَّ ٱلْخُضْرَةَ ٱلنَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ . وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ ٱلْقَلَمِ فِي

موضع العرف) ريش الرقبة ، وعرف الفرس شعر اطراف عنقه (قنزعة) هى الخصلة من الشعر و نحوه (خضراء) اللون (موشاة) اى منقوشة ملونة (و مخرج عنقه كالابريق) فى الهيئة و الشكل (و مغرزها) اى الموضع الذى غرز فيها العنق كأنه شئ دخل فى جسم الطاووس ، و هو المحل بين العنق و البطن ، و لذا قال : (الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية) فى اللون ، و هى نبات النيل الذى منه صبغ النيلج ، و اليمانية من افخر اقسامها .

(او) ان ذلك المحل من العنق ، فى لونه و صفاته (كحريرة) سوداء (ملبسة مرآة ذات صقال) اى ذات جلاء ، فكما يبرق مثل ذلك الحرير ، كذلك يبرق هذا الموضع من عنق الطاووس (وكأنه متلفّع) من تلفع ان يدير الانسان شيئا فوق رأسه و رقبته (بمعجر) ما تديره المرئة حول رأسها و رقبتها (اسحم) اى اسود (إلاّ انّه يخيّل لكثرة مائه) اى ماء ذلك اللون الأسود ، و المراد بريقه الشبيه ببريق الماء ، ولذا فسره عليه السلام بقوله : (و شدّة بريقه) اى لمعانه (انّ الخضرة النّاضرة) اى الزاهية (ممتزجة به) اى بذلك السواد ، فليس السواد قاتما و انما ناضرا ظريفا ، ثم اخذ الامام عليه السلام فى وصف الخط الأبيض عند محل سمع الطّاووس (و مع فتق) اى شق (سمعه) اى اذنه (خط) ابيض (كمستدق القلم) اى القلم الدقيق الذى يخط خطا دقيقا (فى

لَوْنِ ٱلْأُقْحُوَانِ . أَبْيَضُ يَقَقٌ ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ . وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ ،وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ ٱلْمَبْثُوثَةِ ،لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ ، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ .

لون الاقحوان) هو البابونج ، ابيض يشبه به الثغر لبياضه .

(ابيض يقق) اى شديد البياض (فهو) اى ذلك الخط (بـ) سبب (بياضه فى) اثناء (سواد ما هنا لك) حول رقبة الطاووس (يأتلق) اى يلمع (وقل صبغ) اى لون (إلاّ وقد اخذ منه) اى من الطاووس (بقسط) اى بنصيب وهذا كناية عن اشتمال لون الطاووس على معظم الاشكال المتعارفةالاولوية لا كلها ، كما هو واضح ، فقد احصوا ان الألوان تنوف على ثلثمائة الف لون .

(وعلاه) اى ارتفع لون الطاووس تلك الاصباغ فى الكيفية ، فلونه ازهى من الألوان الموجودة فى غيره وذلك (بكثرة صقاله) اى جلاء الوانه (وبريقه) اى لمعانه (وبصيص ديباجه) اى ضياء ريشه فقد استغير البصيص ـ وهو اول النور الذى يبتدء ضئيلا ـ لبريقه ، واستعير الديباج ـ وهو الحرير ـ لريشه (ورونقه) اى رونق لون الطاووس .

(فهو) اى لون ريشه (كالأزاهير) جمع ازهار ، جمع زهر (المبثوثة) اى المنتشرة فى الصحراء فلكل زهر لون وكيفية ، وهكذا لكل جزء من اجزاء الطاووس لون وكيفية (لم تربها) اى ما ربّت تلك الألوان الموجودة فى الطاووس (امطار ربيع) بخلاف الأزهار فانها تربية امطار الربيع (ولا شموس قيظ) اى الحرّ ،، والاتيان بشموس ـ جمع شمس ـ باعتبار ان لكل يوم شمساً

وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيشِهِ، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ! وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً،

او المراد بها اشراقات الشمس ، فان الأزهار تنظر و تزدهر بسبب الحر المصقل لألوانها .

(و قد يتحسر) الطاووس (من ريشه) اى يتكشف بسقوط جميع ريشه (و يعرى من لباسه) الجميل (فيسقط) الريش من بدن الطاووس (تترى) اى تباعا ، بعض الريش يسقط عقب بعض .

(و ينبت) الريش بعد سقوطه (تباعا) اى متتاليا ، بل فصل زمان كثير (فينحت) اى يسقط الريش (من قصبه) هى الأعمدة الريشية التى تربط الريش بجسم الطاووس (انحتات) اى مثل سقوط (اوراق الأغصان) حيث يبقى الغصن و يسقط الورق (ثم يتلاحق ناميا) ينمو الريش فى مكان الذى سقط بتلاحق و توالى (حتى يعود كهيئته قبل سقوطه) بلا زيادة او نقصان او تخالف فى الألوان .

(لا يخالف) اللون الجديد (سالف الوانه) اى الوانه السالفة (و لا يقع لون) من الألوان الجديدة (فى غير مكانه) السابق .

(و اذا تصفحت) اى نظرت بدقة (شعرة من شعرات قصبه) اى النابتة على قصب جسمه (ارتك) تلك الشعرة (حمرة و ردية) اى كالورد (و تارة) اى مرة تريك (خضرة زبرجدية) اى كالزبرجد فى الصفاء .

وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَىٰ صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ !

وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ ! فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ ، فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً ، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً ؛ وَأَعْجَزَ

(واحيانا) اى فى بعض الاحيان (صفرة عسجديّة) اى ذهبية (فكيف تصل الى صفة هذا) الطائر الجميل (عمائق الفطن) جمع عميقة ، و فطن جمع فطنة ، بمعنى الادراك الحاد (او تبلغه قرائح العقول) جمع قريحة بمعنى العقل المقترح الذى ينبع منه الفكر (او تستنظم وصفه) اى تتمكن من نظم وصفه (اقوال الواصفين) فان الامام عليه السلام لم يصف منه الآ شيئا قليلا كما لا يخفى .

(واقل اجزائه) اى اجزاء هذا الطائر (قد اعجز الأوهام ان تدركه) ادراكا عميقا (والألسنة ان تصفه) اى اعجز الألسنة ، فمم خلق الشعرة ؟ وكيف جاء اللون ؟ وما هو اللون ؟ الى الف سؤال وسؤال .

(فسبحان الذى بهر العقول) اى قهرها فردها عن المعرفة والادراك (عن وصف خلق) اى ان تتمكن من ان تصف مخلوقا — هو الطاووس — (جلاّه للعيون) اى كشفه لها ، فالانسان مع ادراكه لهذا الحيوان لا يتمكن ان يصفه حق وصفه .

(فأدركته) اى ادركت العقول هذا المخلوق (محدودا) بحدود الكيف والكم (مكوّنا) مخلوقا (ومؤلّفا) من اجزاء (ملوّنا) بألوان مختلفة (واعجز

الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ !

وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمَجَةِ إِلَىٰ مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَالْفِيَلَةِ ! وَوَأَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ ، إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ .

الألسن عن تلخيص صفته) اى تلخص وصفه فى العبارة و لعل ذكر ((التلخيص)) لأن الوصف ايجاز للوجود الخارجي (وقعد بها) اى بالألسن (عن تأدية) اى اداء ، وذكر ، (نعته) اى وصف هذا المخلوق ، فاذا كان الانسان لا يدرك حقيقة حيوان ، ولا يتمكن ان يصف حتى الوصف ما يشاهده ؟ كيف يطمع ان يدرك الخالق ، او ان يتمكن من وصفه حق نعته .

ثم اخذ الامام فى وصف ما هواصغر من الطاووس (وسبحان من ادمج قوائم الذّرة) القوائم : الأرجل ، والادماج جعلها فى جسدها ، والذرة ، النمل (و) ادمج قوائم (الهمجة) جمع همج ذباب صغير ، ومنه ((همج رعاع اتباع كل ناعق)) (الى ما فوقهما) اى خذ هذين الحيوانين الصغيرين ثم تدرج الى الاكبر والاكبر من الحيوانات ففى الكل آيات ودلالات واعاجيب (من خلق الحيتان) جمع حوت (والفيلة) جمع فيل ، وهما حيوانان كبيران احدهما برى والأخرى بحرى (ووأى) اى الزم سبحانه (على نفسه) بان قدر تعالى (ان لا يضطرب) اى يتحرك (شبح) اى جسم من الأجسام الحية (مما اولج فيه الروح) اى ادخل فيه الروح (إلاّ وجعل الحمام) اى الموت (موعده و الفناء) بتفرق الاجزاء (غايته) اى آخر أمره .

منها في صفة الجنة

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَىٰ الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا ، وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا ، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَىٰ سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ

(منها فى صفة الجنّة)

ثم اخذ الامام عليه السلام فى وصف الجنّة بقوله : (فلو رميت ببصر قلبك) بأن فكرت و امعنت (نحو) اى الى طرف (ما يوصف لك منها) اى من الجنة (لعزفت) اى كرهت و اعرضت (نفسك عن بدائع ما اخرج الى الدنيا من شهواتها ولذّاتها) فان الانسان اذا رأى الشئ الأحسن كره الشئ الحسن و اعرض عنه ، طلبا لذلك الأحسن ، وهذا هو نسبة لذّات الدنيا الى لذّات الآخرة (وزخارف مناظرها) جمع زخرف بمعنى الزينة (و لذهلت) اى اندهشت (بالفكر فى اصطفاق اشجارٍ) اى تضارب اوراقها بسبب النسيم ، فان الانسان اذا تصور ذلك النسيم الذى يهب فى الجنة الذى يصفق الأشجار ، لذهل و تحير من شدة اشتياق النفس الى التملى من ذلك النعيم الجميل .

(غيبت عروقها) اى عروق تلك الأشجار (فى كثبان المسك) جمع كثيب و هو التل ، فان طين الجنة ، هو المسك (على سواحل انهارها) اى انهار الجنة (و) لذهلت بالفكر (فى تعليق كبائس) جمع كباسة (اللؤلؤ) اى الخصل

الرُّطَبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا ، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا ، تُحْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَىٰ مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا ، وَيُطَافُ عَلَىٰ نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ . قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَىٰ بِهِمْ

المكبوسة من اللؤلؤ (الرطب) و هو اجود انواع اللؤلؤ : و سمى رطبا لبقايا الماء فيه ، الموجبة للنظارة و البهجة (فى عساليجها) جمع عسلوج ، بمعنى الغصن (وافنانها) جمع فنن و هو الغصن ايضا ، او نوع آخر منه (و طلوع تلك الثمار) اى ظهور اللؤلؤ كالثمرة (مختلفة) كبرا و صغرا ، او المراد بتلك الثمار ، الثمار المعهودة ، اى الفواكه المختلفة (فى غلف) جمع غلاف (اكمامها) جمع كم ، و هو وعاء الطلع و النور ، مما يستر الثمر به ، حفظا له .

(تحنى) اى تعطف و تنحنى تلك الأغصان — لمن اراد تناول تلك الثمار — (من غير تكلف) و صعوبة ، فقد ورد ان الانسان اذا اشتهى شيئا من الثمار انحنت الأغصان نحوه ليقطفها (فتأتى) تلك الأغصان ، او الثمار (على منية مجتنيها) اى من يريد اقتطافها و اخذها (و يطاف) نائب الفاعل له قوله عليه السلام الآتى ((قوم)) و فاعله الله سبحانه الذى يأمرهم بالطواف على المؤمنين (على نزّالها) اى نزال الجنة الذين جاؤوا اليها و نزلوا فيها (فى افنية قصورها) جمع ((فناء)) بمعنى الساحة الواسعة امام القصر ، او داخله (بالأعسال) جمع عسل (المصفقة) اى المصفات (و الخمور المروّقة) اى المجعولة فى ((الـراووق)) و هو اناء خاص يزيد الخمر صفاءا و اجتذابا لشاربها .

(قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم) ((قوم)) نائب فاعل لقوله : ((يطاف))

حَتَّىٰ حَلُّوا دَارَ ٱلْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ ٱلْأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ بِٱلْوُصُولِ إِلَىٰ مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَنَاظِرِ ٱلْمُونِقَةِ، لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَىٰ مُجَاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ ٱسْتِعْجَالاً بِهَا. جَعَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَىٰ بِقَلْبِهِ

والمراد بهم الولدان المخلدون.

(حتّى حلّوا دار القرار) اى الجنّة الّتى يستقرّ فيها الانسان، و تمادى الكرامة، كناية عن أهليتهم لكونهم ((ولدانا)) هناك، فان الله اكرمهم بجعلهم هناك (وأمنوا) اولئك القومّ (نقلة الأسفار) اى الانتقال من محل الى محل فانهم لم ينتقلوا من الأرض الى البشرية، ومن هذه الحياة، الى البرزخ، ومن هناك الى المحشر، ومن هناك الى الجنّة ـ كما ينتقل الانسان ـ (فلوشغلت قلبك ـ ايها المستمع ـ بالوصول الى ما يهجم عليك) اى يأتى نحوك، والتعبير بالمهجوم، لأنه شبيه به، فاذا بالانسان يرى جيشا كثيفا من النعم المختلفة، و السعادات المتنوعة التى لازوال لها ولا اضمحلال.

(من تلك المناظر) جمع منظر (المونقة) المعجبة (لزهقت نفسك) اى طارت وخرجت من البدن (شوقا إليها) اى الى تلك المناظر (ولتحملت) اى حملت نفسك (من مجلسى هذا) وانت تسمع الى هذه الأوصاف و تفكر فيها (الى مجاورة اهل القبور) وهذا كناية عن الموت (استعجالا بها) اى طلبا لسرعة الوصول الى تلك النعم العجيبة، فان شدة الشوق توجب موت الانسان.

(جعلنا الله وإياكم ممّن سعى بقلبه) فان القلب اذا درك سعى، وبسعيه

إِلىٰ مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

(تفسير بعض ما فى هذه الخطبة من الغريب)

قال السيد الشريف رضى الله عنه : قوله عليه السلام ((ويؤر بملاقحة)) الآر كناية عن النكاح ، يقال ان المرئة يؤرها ، اى نكحها ، وقوله : ((كأنه قلع دارى عنجه نوتيه)) القلع شراع السفينة ، وداری ، منسوب الى دارين ، و هى بلدة على البحر ، يجلب منها الطيب ، وعنجه اى عطفه ، يقال عنجت الناقة ، كنصرت ، اعنجها عنجا ، اذا عطفتها ، والنوتى ، الملاح ، وقوله : ((ضفتى جفونه)) اراد جانبى جفونه ، والضفتان الجانبان ، وقوله : (وفلذ الزبرجد) الفلذ جمع فلذة ، وهى القطعة ، وقوله : ((كبائس اللؤلؤ الرطب)) الكباسة العذق ، و ((العساليج)) الغصون ، واحدها عسلوج .

تسعى الجوارح (الى منازل الابرار ، برحمته) متعلق ب ((جعلنا)) .

وَمِن خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ ؛ وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ : لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ ؛ كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي

وَمِن خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

فى الحث على التألف ، ثم فى زوال ملك بنى امية ، وارشاد الناس للتمسك بالحق .

(ليتأسّ) اى ليقتدى (صغيركم بكبيركم) فان الكبراء اكثر حكمة و دراية و تجربة ، فاذا تأس بهم الصغراء ، كان اسهل ليسر فى مرافق الحياة ، و آمن من الخطر (و ليرأف كبيركم بصغيركم) ليأخذ بيده حتى يرد مورد الرجال ، و يستغنى عن المعاون و المرشد (و لا تكونوا كجفاة الجاهلية) جمع جاف ، من جفى يجفو ، و هو الغليظ الظالم ، فان النفوس اذا لم ترفق بالدين و الفضيلة جفت و غلظت (لا فى الدين يتفقهون) حتى يعلوا الأحكام (و لا عن اللّه يعقلون) اى يأخذون الشريعة و المنهج ، انهم .

(كقيض بيض) القيض ، هى : القشرة العليا اليابسة على البيضة (فى

أَدَاحٍ يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً ، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً .

منها : اِفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ . فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ .

أداح) جمع ادحىّ – كلجّى – و هو مبيض النعام فى الرمل ، تدحوه برجلها لتبيض فيه ، فان الانسان المحرم اذا مر فى الاداحى فراى فيها بيضا احتمل امرين :

الأول : ان تكون تلك البيوض للقطاء فلا يجوز كسرها ، للمحرم ، و اذا ابقى عليها يحتمل ان تكون للثعابين فيخرج منها الثعبان الذى يلدغه(يكون كسرها وزرا) واثما ، او المراد كسر بيض القطا مطلقا وزر ، و ان لم يك الانسان محرما لأنه اذية للحيوان و هو مكروه فى الشريعة .

(و يخرج حضانها) اى تحضن البيض و ابقائها (شرّا) وهذا مثال للانسان الذى له صورة انسانية ، و باطن ملئ بالشرور ، فان فى كل من ابقائه و اهلاكه احتمال الخطئ فاذا أهلكه الوالى احتمل الاثم ، بسبب عدم كونه ذا شر – وان ابقاه احتمل ان يخرج منه شرور و اثام توجب افساد الناس و اهلاكهم .

(منها) : فى احوال بنى امية (افترقوا) اى المسلمون (بعد الفتهم) فى ظاهر الاسلام (و تشتتوا عن اصلهم) اى القاعدة الأولية فى الاسلام ، من الائتلاف ،حيث قال سبحانه : ((و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم)) وقال : ((و اعتصموا بحبل الله جميعا ، و لا تفرّقوا)) (فمنهم) اى بعض المسلمين (آخذ بغصن) من اغصان الايمان ، و المراد به الموالى لهم (اينما مال) ذلك الغصن (مال معه) و هم شيعة الامام التابعون له حيث سار ساروا ، وفى الكلام

عَلَىٰ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ ٱلْخَرِيفِ! يُؤَلِّفُ ٱللهُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ ٱلسَّحَابِ ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً. يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ ٱلْجَنَّتَيْنِ ،

تقدير : اى ومنهم من ليس كذلك ، لكنه اكتفى عن ذكره بقرينة السابق .

(على) ان هذا التفرق لا يبقى الى الأبد بل (أنّ الله تعالى سيجمعهم) اى المسلمين (لشر يوم لبنى امية) قبل ذلك اشارة الى اجتماع المسلمين لمحاربة بنى امية ، فى زمن ((مروان الحمار)) حيث نزعوا الملك عنهم ثم استبد به بنو العباس (كما تجتمع قزع الخريف) هى القطع المتفرقة من السحاب ، واحدتها قزعة بالتحريك ، وتخصيص الأمر بالخريف ، لأن التراكم فى سحاب الخريف اكثر (يؤلّف الله بينهم) اى بين المسلمين ، ولا يخفى ان الاسناد اليه سبحانه لا يدلّ على حسن العمل ، فقد قال سبحانه فى احوال ((بخت النصر)) الكافر ، وجنوده : ((بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد)) ويحتمل ان يكون للعمل وجهان ، الخير فى انقضاضهم على بنى امية ، والشر فى كونه بدون امام معصوم .

(ثم يجعلهم ركاما) هو المتراكم بعضه على بعض (كركام السّحاب) الذى يجتمع بعضه على بعض (ثم يفتح لهم) اى للمسلمين (ابوابا) اى يهيّئ لهم وسائل الانقضاض على دولة بنى امية (يسيلون من مستثارهم) اى موضع انبعاثهم ثائرين ، ولعل المراد بذلك الموضع ((خراسان)) حيث ثارت الثائرة من هناك بقيادة ابى مسلم الخراسانى (كسيل الجنّتين) وهو سيل العرم ، المذكور فى القرآن الحكيم ، بقوله : ((جنّتان عن يمين وشمال)) ثم قال : ((فأرسلنا

حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ ، وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ. يُزَعْزِعُهُمُ ٱللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ،

عليهم سيل العرم)) وقد كان سيلا شديدا لم يبق لهم شيئا الا القليل القليل (حيث لم تسلم عليه) اى على السيل ، والاتيان ب ((على)) للاشارة الى انه لا يقف امام السيل ، بأن يكون صامدا ضررا على السيل (قارة) اى المستقر من الأرض المنبسطة ، او المراد عين قارة ، ذات قرار ، فان السيل يكتسح كل شئ امامه .

(ولم تثبت عليه) اى على السيل (اكمة) هى المرتفع من الأرض (ولم يرد سننه) اى جرى السيل (رص طود) الطود الجبل ، والرص تلاصق بعض الاطواد ببعض (ولاحداب ارض) جمع حدب بالتحريك ، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع ، فاذا جاء سيل الثائرين لاكتساح بنى امية (يزعزعهم الله) اى يقلعهم و يفرقهم ــ و ضمير المفعول لبنى اميه ــ (فى بطون اوديته) اى مسالك الاختفاء فى الأرض ، فكل واحد منهم يفر الى مجهلة من الأرض (ثم يسلكهم ينابيع فى الأرض) يتسربون فى باطن الأرض اختفاء من سلطات آل عباس ، كما يختفى الماء و يتسرب فى باطن الأرض ، و يحتمل ان يكون الضمير فى ((يزعزهم)) و ((يسلكهم)) الى مناوئ آل امية ، اى انهم يختفون فى اول امرهم ، و يجرون من هنا و هناك باختفاء كالينابيع ، حتى يظهروا و يثوروا ضد الأمويين .

(يأخذ بهم) اى بسبب هؤلاء الثائرين (من قوم) و هم بنو امية (حقوق قوم) و هم الهاشميون فقد اكثروا فى آل امية من القتل و اراقة الدماء فى قضايا

وَيُمَكَّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ. وَايْمُ اللهِ، لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ، كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ. لٰكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَعَمْرِي، لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي

معروفة (ويمكن لقوم) وهم آل عباس (في ديار قوم) وهم آل امية (وأيم الله) حلف به سبحانه (ليذوبن) اى يضمحلن ، كما يذوب الجليد (ما فى ايديهم) اى ايدى الأمويين من الملك والسلطة (بعد العلوّ) لهم (والتمكين) على السلطة (كما تذوب الالية) هى الشحمة التى فى ذيل الغنم (على النّار) حتى لا يبقى منها شئ يذكر — وقد كان كما أخبر الامام عليه السلام — .

(ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ) التخاذل ، هو ان يتحرك بعضهم بعضا ، فلا يجتمعون لنصرة الحق (ولم تهنوا) من الوهن بمعنى الضعف (عن توهين الباطل) اى تضعيفه وتحطيمه (لم يطمع فيكم من ليس مثلكم) فى الدين والايمان ، اى الكفّار والمنافقين (ولم يقومن قوى) الآن (عليكم) اى لم يتمكن من ان ينشر قوته عليكم (لكنكم تهتم) اى تحيرتم فى الأمر لا تسيرون فى الطريق الصحيح (متاه بنى اسرائيل) اى مثل تيه بنى اسرائيل الذين ضلوا فى الصحراء ، فبقوا اربعين سنة فى التيه ، لأنهم خالفوا امر اللّه سبحانه فى دخول الأرض المقدسة ، واخراج الكفار منها .

(ولعمرى) قسم بنفسه الشريفة (ليضعفن لكم التّيه من بعدى) اى يتضاعف

أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنىٰ، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَ كُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الاعْتِسَافِ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ.

الحيرة فى الأمر، وعدم معرفة الطريق المنجح (اضعافا) اى اضعاف تيهكم فى زمانى .

و ذلك (ب) سبب (ما خلفتم الحق وراء ظهوركم) اى لم تعتنوا به (و قطعتم الادنى) الى الله و الرسول و الأحكام ـ و هو الامام عليه السلام ـ حيث خالفوه (و وصلتم الأبعد) و هو الشيطان او قرناء السوء .

(و اعلموا انكم إن اتبعتم الداعى لكم) يعنى : نفسه الكريمة ، حيث كان يدعوهم الى الرشاد (سلك بكم منهاج الرسول) صلى الله عليه و آله و سلم (و كفيتم مؤونة الاعتساف) الشدة و الصعوبة ، فى الأمور الدنيوية و الأخروية ، اى لا تلحقكم ما تلحقكم الآن من المصاعب و المتاعب (و نبذتم) اى طرحتم (الثقل الفادح) اى الثقيل (عن الأعناق) و المراد به ، المشاكل التى تنتأبهم ، فان المنهاج الاسلامى كفيل بحل جميع مشاكل الانسان .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في أوائل خلافته

إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا ، وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا . الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ ! أَدُّوهَا إِلَىٰ اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ . إِنَّ اللهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ ، وَأَحَلَّ حَلَالاً

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فى اوائل خلافته ، وفيها النصح و الارشاد ، و التحذير من الموت بلا عدة

(ان الله تعالى انزل كتابا هاديا) يهدى الناس الى سبل الحق و السعادة ، والمراد به القرآن الحكيم (بين فيه الخير و الشر فخذوا نهج الخير) اى طريقه (تهتدوا) اى تصلوا الى المطلوب ، فان الهداية قد تأتى بهذا المعنى ، كما تأتى بمعنى ارائة الطريق (واصدفوا) اى اعرضوا (عن سمت الشر) اى جهته (تقصدوا) اى تستقيموا ، ادوا (الفرائض الفرائض) التكرار للتأكيد وللتركيز فى الذهن (ادّوها الى الله) كان العمل بها اداء اليه سبحانه تشبيها بالمحسوسات (تؤدكم الى الجنة) اى توصلكم اليها (ان الله حرم حراما) المراد به الجنس (غير مجهول) اذ قد بين فى الكتاب و السنة (واحل حلالا)

غَيْرَ مَدْخُولٍ . وَفَضَّلَ حُرْمَةَ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْحُرَمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ بِٱلْإِخْلَاصِ وَٱلتَّوْحِيدِ حُقُوقَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا ، « فَٱلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » إِلَّا بِٱلْحَقِّ ، وَلَا يَحِلُّ أَذَى ٱلْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ .

بَادِرُوا أَمْرَ ٱلْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ

اى جنس المحللات (غير مدخول) اى ليس بمعيب ، بخلاف المحرمات التى هى عيوب و نقائص (و فضّل حرمة المسلم) اى احترامه (على الحرم كلّها) فلا حرمة اعظم من حرمة المسلم .

(و شدّ بالاخلاص و التوحيد حقوق المسلمين) اى جعل حقوق المسلمين مرتبطة باخلاصهم لله و توحيدهم له ، حتى ان منهم من اذا كان لم يخلص او لم يوحد — فرضا — لم يكن له حقوق (فى معاقدها) اى مواضعها من الذمم فذمة الناس رهينة بحق مسلم اخلص لله وحده (فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه)فلا يسب و لا يغتاب ولا يفترى و هكذا (و يده) فلا يبسطها الى احد بسوء (الاّ بالحق) كلعن يستحق اللعن ، و قتل من يستحق القتل ، و هكذا .

(و لا يحلّ اذى المسلم الاّ بما يجب) فى الشريعة ، كاجراء الحدود عليه ، فانه و انكان موجبا لأذاه ، الا انه غير محظور لأن اجراء الحدود واجب ، و اذا جمعت هذه الجمل كانت هكذا ((المسلم المخلص الموحد محترم ، لا يجوز تناوله بيد او لسان ، الا بالحق)) ، و هذا من مصاديق الحرام غير المدخول ، فكأنه مثال له .

(بادروا) اى اسرعوا فى (امر العامّة) اى عامة ذوات الأرواح ، و المراد بالمبادرة لذلك الأمر الاستعداد له (و خاصّة احدكم) اى ان ذلك الأمر العام

وَهُوَ ٱلْمَوْتُ ، فَإِنَّ ٱلنَّاسَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ . تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا ، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ . ٱتَّقُوا ٱللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّىٰ عَنِ ٱلْبِقَاعِ وَٱلْبَهَائِمِ . أَطِيعُوا ٱللهَ وَلَا تَعْصُوهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱلْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ ،

يخص كل واحد منكم (و هو الموت) فانه عام لكل ذى روح ، وخاص لكل انسان ، فاعملوا له ـ و هو معنى المبادرة ـ (فان النّاس) الذين ذهبوا الى الآخرة (امامكم) ساروا فى هذا المسير (و ان السّاعة تحدوكم من خلفكم) اى تزجركم للاسراع نحوها ، و المراد بالساعة يوم القيامة ، و تحدوكم ، كناية عن سرعة فناء الدنيا .

(تخفّفوا) عن الآثام ، ولا تثقلوا كواهلكم بالمعاصى (تلحقوا) بالرجال الصالحين الذين سبقوا الى الجنّات كما ان المسافر اذا تخفف ، لحق بالقافلة ، و وصل الى المنزل .

(فإنّما ينتظر بأولكم) الذى مات (آخركم) الذى لم يمت بعد ، بمعنى ان النّاس انّما ينتقلون الى المحشر ، اذا مات الكل ، فمنع من تقدم عن الحضور فى المحشر انّما هو لأجل ان يلحق بهم الباقون ، فيحشر جميعهم فى وقت واحد (إتّقوا اللّه) اى خافوه (فى عباده) فلا تفعلوا بهم شرّا ممّا نهى اللّه عنه (و بلاده) فلا تفسدوا فيها (فإنكم مسئولون حتّى عن البقاع) جمع بقعة ، كيف كنتم بها هل عمرتموها ام خربتموها (و البهائم) ، هل قمتم بواجبهم من النفقة و السكن و كفّ الأذى عنهم ، ام بالعكس من ذلك ؟ (أطيعوا اللّه ولا تعصوه) فان فى الأطاعة السّعادة و فى العصيان الشّقاوة (و اذا رايتم الخير فخذوا بـه)

وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ .

وَمِن كَلام لَهُ عَلَيهِ السَّلام

بعدما بويع بالخلافة ، وقد قال له قوم من الصحابة : لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان ؟ فقال عليه السلام:

يَا إِخْوَتَاهُ ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ ، وَلٰكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ

اى اعلموه (واذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه) اى اتركوه ، والمراد بالرؤية العلم.

وَمِن كَلام لَهُ عَلَيهِ السَّلام

بعد ما بويع بالخلافة ، وقد قال له قوم من الصحابة ، لو عاقبت قوما ممن اجلب على عثمان ، اى جمع الأنصار و الأعوان لقتل عثمان ؟ فقال عليه السلام:

(يا اخوتاه انّى لست أجهل ما تعلمون) بمن اجلب ، وماذا يستحقون ، وقد كان الامام عليه السلام يعلم عدم استحقاقهم للقتل ، اذ كان هذا هو الجزاء الطبيعى لبدع عثمان ، التى ملأت الآفاق ، كما انّ هذا الطلب كان سخيفا ، اذ لو اراد الامام قتل مائة الف ثائر و تأديبهم و فيهم عائشة و طلحة و الزبير و من اليهم ، لم يكن له من يعينه فى هذا الأمر ، وانحلت عرى الاسلام لكنّ الامام اكتفى فى جوابهم ، بالأمر الثّانى ، دون الأول ، لأنه لم يرد ان يزيد الفتنة وقودا ، بتقرير انه كان ايضا يرى انحراف عثمان و بدعه (ولكن كيف لى بقوّة)

وَٱلْقَوْمُ ٱلْمُجْلِبُونَ عَلَىٰ حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ! وَهَاهُمْ هٰؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ، وَٱلْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا ؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَىٰ شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ ! إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ ، وَإِنَّ لِهٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ مَادَّةً . إِنَّ ٱلنَّاسَ مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ

التأديب للثائرين ؟ (و القوم المجلبون) الذين اجلبوا على عثمان (على حدّ شوكتهم) اى قوّتهم السّابقة .

(يملكوننا و لا نملكهم) فانّ ازمة الأمور بأيديهم ، و هم مرموقون عند المسلمين مما لا يمكن التّعرض لهم بأذى (و هاهم هؤلاء) طلحة و الزبير و عائشة وعبد الله و محمّد (قد ثارت معهم) ضدى (عبدانكم) جمع عبد ، فان كثرة من عبيد المسلمين اخذوا ينصرون الجمل تخلصا من مواليهم (و التفت اليهم اعرابكم) اهل البوادى طمعا فى الغزو و الغنيمة (و هم خلالكم) اى فى ثناياكم و ما بينكم (يسومونكم ما شاؤوا) من العذاب ، من سامه خسفا اذا اذلّه و اذاه (و هل ترون موضعا لقدرة) منّى (على شئ تريدونه) ؟ و هو معاقبة المجلبين على عثمان ، و الاستفهام للانكار .

(ان هذا الأمر) اى تحرك الثائرين ضدّى (امر جاهلية) فكما انّ الجهل و الطّمع كانا يقودان النّاس فى زمن الجاهلية الى الحركة و الغزو ، كذلك حركا هؤلاء العصاة ضدّى ، مما لا اقدر معه من التأديب — لو كان اللازم التأديب فرضا — .

(و انّ لهؤلاء القوم) العصاة (مادّة) اى عونا و مددا من طلاّب الرّياسة كمعاوية و من اليه (انّ النّاس من هذا الأمر) اى امر العاقبة لقتلة

ـ إِذَا حُرِّكَ ـ عَلَىٰ أُمُورٍ : فِرْقَةٌ تَرَىٰ مَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ تَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَىٰ هٰذَا وَلَا ذَاكَ ، فَٱصْبِرُوا حَتَّىٰ يَهْدَأَ ٱلنَّاسُ ، وَتَقَعَ ٱلْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا ، وَتُؤْخَذَ ٱلْحُقُوقُ مُسْمَحَةً ؛ فَٱهْدَأُوا عَنِّي ، وَٱنْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي ، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً ، وَتُسْقِطُ مُنَّةً ، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً . وَسَأُمْسِكُ ٱلْأَمْرَ مَا ٱسْتَمْسَكَ .

عثمان (اذا حرّك) بأن اردنا الشّروع فيه (على امور) اى اقسام (فرقة ترى ما ترون) من لزوم معاقبة قتلة عثمان (و فرقة ترى ما لا ترون) و هم الثّائرون ومن اليهم ممّن كان يرى عثمان واجب القتل ، لبدعه و ضلالاته (و فرقة لا ترى هذا و لا ذاك) و إنّما هو حياد فى الأمر ، لا يخصه امر الفتنة اطلاقا (فاصبروا حتّى يهدأ النّاس) اى يسكنوا من فورتهم (و تقع القلوب مواقعها) الصّحيحة بأن تأخذ التروى و التدبر ، لا العواطف الجائشة و الميول الوقتية التى ترافق الثورات دائما .

(و تؤخذ الحقوق مسمحة) فكان الحقوق جادت بنفسها عليهم ، فأخذوها، من اسمح اذا جاد (فاهدؤوا عنّى) ولا تكلفونى ما ليس لى ، ولاظرف يقتضيه (و انظروا ماذا ياتيكم به امرى) اى بماذا يأتى اليكم من اوامرى .

(ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة) اى تحركها و تضعفها ، بانشقاق جديد و اختلاف بين النّاس (و تسقط منّة) المنة بمعنى القدرة (و تورث وهنا) اى ضعفا (و ذلّة) لكم ، لأنّ الضعيف لابد و ان يذل (و سأمسك الأمر) اى اخذه على علامة (ما استمسك) بنفسه ، اى لا اشتت المسلمين ، ما دام هم متماسكون ، لا فرقة بينهم .

وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

إِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ . وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ

(واذا لم اجد بدّا) اى علاجا ، للطامعين كطلحة و الزبير (فآخر الدّواء الكى) اى اقاتلهم ، ان بقوا يفسدون و يحرضون و يفرقون . و هذا مثال يضرب للمريض الذى لا يبرء ، فانّ آخر العلاج الكى بالنّار — ممّا هو معروف — .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

عند مسير اصحاب الجمل الى البصرة

•

(إنّ الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق) اى مع كتاب ينطق بما هو الحق (و امر قائم) اى منهاج لجوانب الحياة ، قائم فى الناس ، لصلاح ، و كونه قائما ، اما بالمجاز المشارفى ، و اما المراد قائم فى زمان تكلمه عليه السلام و إلاّ فالمنهاج لم يكن قائما حين البعث (لا يهلك عنه) اى بعد الرسول و الكتاب (الا هالك) اى من فى طبعه اعوجاج و تسميته هالكا مجاز بالمشارفة ، نحو من قتل قتيلا (و ان المبتدعات) اى الأشياء الجديدة التى نهى عنها الاسلام ثم

ٱلْمُشْبَهَاتِ هُنَّ ٱلْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ ٱللهُ مِنْهَا . وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ ٱللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ . فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا . وَٱللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ ٱللهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ ٱلْإِسْلَامِ ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّىٰ يَأْرِزَ ٱلْأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِكُمْ .

إِنَّ هٰؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَؤُوا

عمل بها النّاس (المشبهات) بالدين ، وليست منه (هنّ المهلكات) اى الموجبات للهلكة (الا ما حفظ اللّه منها) استثناء منقطع ، الا ما حفظ اللّه الانسان منها ، فلا تكون سببا لهلاك الانسان المحفوظ (وانّ فى سلطان اللّه) اى فى منهاجه ، او فى السلطة التى جعلها للأئمة و نوابهم (عصمة لأمركم) فانها تحفظكم من الزّلّة و الانحراف .

(فاعطوه) اى اللّه سبحانه (طاعتكم) اى اطيعوه (غير ملومة) اى طاعة لا تلام ، بسبب كونها مشوبة بالنفاق ، وما اشبه (ولا مستكره بها) بأن تكون الطاعة عن خوف و رجاء ، لا عن كره و اجبار من النّاس و ملاحظة لهم (و اللّه لتفعلنّ) الذى قلت من الطاعة الخالصة النابعة من الايمان (او لينقلنّ اللّه عنكم سلطان الاسلام) الى الأجانب ، كما نرى الآن ، ان لا سلطة للمسلمين ، وانّما السّلطة للكفّار (ثم لا ينقله) اى السلطان ــ وهوجائز الأمرين فى التذكير والتأنيث ــ (اليكم ابدا) فلا ترجع السلطة اليكم (حتّى يأرز الأمر) اى يرجع الأمر (الى غيركم) ((حتى)) غاية لقوله : ((لينقلن)) و ((ثم)) تأكيد لذلك ، ولذا جئ مقدما على ((حتى)) ولا يخفى ان المراد عدم الرجوع ما دام هم تاركين للاسلام .

(انّ هؤلاء) يريد عليه السلام : اصحاب الجمل (قد تمالؤوا) اى اتّفقوا

عَلَىٰ سَخْطَةِ إِمَارَتِي ، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَىٰ جَمَاعَتِكُمْ : فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَىٰ فَيَالَةِ هٰذَا الرَّأْيِ ٱنْقَطَعَ نِظَامُ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا ٱللهُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا رَدَّ ٱلْأُمُورِ عَلَىٰ أَدْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا ٱلْعَمَلُ بِكِتَابِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَسِيرَةِ رَسُولِ ٱللهِ – صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – وَٱلْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَٱلنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ .

و تحاونوا (على سخطة إمارتى) اى كراهتها ، وعدم الرضا بها (وسأصبر ما لم اخف على جماعتكم) اى جماعة المسلمين ان يتفرق بسبب فسادهم وافسادهم ·

(فانّهم ان تمّموا على فيالة هذا الرّاى) اى على ضعفه ، والمراد بهذا الرأى ، رايهم حول الامام عليه السّلام (انقطع نظام المسلمين) مما يوجب التّفرقة ، وهى منهية ، بالاضافة الى ان ذلك دفع لحق ذى الحق ، الذى هو الخلافة الالهية المقررة للامام عليه السلام (وانما طلبوا) هؤلاء طلحة والزبير وعائشة واتباعهم (هذه الدنيا حسدا لمن افاءها اللّه) اى ارجعها اللّه (عليه) وهو الامام عليه السّلام ، فانّ الدنيا كانت له – حسب الخلافة الرعية ، وسلبها عنه الثلاثة ، ثم رجعت اليه (فأرادوا ردّ الأمور على أدبارها) اى ارجاع امر الاسلام جاهلية تتحكم فيه الكبرياء والحسد وطمع السلطة مما كانت قبل الاسلام ، ونهى عنها القرآن والدين ·

(ولكم) ايها المسلمون (علينا) يقصد عليه السلام الخليفة (العمل بكتاب اللّه تعالى وسيرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله) وسلّم اى سنته التى هى فعله وقوله وتقريره (والقيام بحقّه) اى حقّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم وهو الجد لترويج الاسلام ، وتركيز دعائمه (والنّعش) اى الرفع ، من نعشه اذا رفعه (لسنته) اى سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد فعل الامام

وَمِن كَلام لَهُ عَلَيهِ السَّلام

في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجة

كلّم به بعض العرب وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب عليه السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم ، فبين له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنه على الحق ، ثم قال له : بايع ، فقال : إني رسول قوم ، ولا أحدث حدثاً حتى أرجع إليهم . فقال عليه السلام :

كما قال ، فانه فى زمن الرسول كان السبب الثانى لرفع راية الاسلام بجهاده و فتوحاته ، التى لو ها لم يكن من الاسلام اثر و فى زمن الخلفاء كان الرقيب الناظر على تحريفاتهم ، و لما انتهى الأمر اليه حارب المنحرفين داخل الاسلام و اوضح منهاج الاسلام حتّى انّه لو لم يكن ، لكان للاسلام اليوم وجه غير وجهه الواقعى الذى اراده اللّه و الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ٠

وَمِن كَلام لَهُ عَلَيهِ السَّلام

كلّم به بعض العرب — و هو كليب الجرمى — و قد ارسله قوم من اهل البصرة لما قرب عليه السلام ، منها ، ليعلم لهم منه عليه السلام حقيقة حاله مع اصحاب الجمل ، لتزول الشبهة من نفوسهم ، فبين عليه السلام له ، من امره معهم ماعلم به انه على الحق ، ثم قال له بايع ! فقال انى رسول قوم و لا احدث حدثا حتّى ارجع اليهم ٠ فقال عليه السلام :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَإِ وَالْمَاءِ ، فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ ، مَا كُنْتَ صَانِعاً ؟ قَالَ : كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى الْكَلَإِ وَالْمَاءِ . فَقَالَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ : فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : فَوَاللهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ

(أرأيت) اى اخبرنى (لو ان الذين وراءك بعثوك رائدا) الرائد هو الذى يتقدم القافلة ليرتاد لهم المكان ذا العشب والماء والقابل للسكنى (تبتغى لهم مساقط الغيث) جمع مسقط ، اى محل سقوط الأمطار وهو كناية عن المحل الموجود فيه الماء (فرجعت اليهم واخبرتهم عن الكلاء) اى العشب (والماء) وانها فى المكان الكذائى (فخالفوا) اولئك القوم معك ولم يذهبوا الى المحل الذى رأيت بل ذهبوا (إلى المعاطش) المحلات الخالية عن الماء الموجبة للعطش ، جمع معطش ، وهو محل العطش (والمجادب) جمع مجدب ، هو محل الجدب ، مقابل الخصب ، الذى لا كلاء فيه (ما كنت صانعا) ؟ هل توافقهم حتى تهلك او تتركهم ؟ .

(قال) كليب (كنتَ تاركهم ومخالفهم) فاذهب (الى الكلاء والماء) فان الانسان العاقل يطلب حياة نفسه ، ويخالف من يطلب الهلاك (فقال عليه السلام : فامدد إذا يدك) لتبايعنى لأنك عرفت ان الحق معى ، وحال قومك لا يخلو اما من قبول امرى فنعم الوفاق ، واما من رفضى ، فانت قلت انما تتبع موضع الماء لا موضع الهلاك ، وفى مخالفتى هلكة ، بعد ما تبين الحق لك .

(فقال الرجل فو الله ما استطعت ان امتنع) عن بيعته عليه السلام (عند

قِيَامِ ٱلْحُجَّةِ عَلَيَّ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ..
وَالرَّجلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبِ الجَرْمِيِّ .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

لما عزم على لقاء القوم بصفين

ٱللَّهُمَّ رَبَّ ٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ، وَٱلْجَوِّ ٱلْمَكْفُوفِ ، ٱلَّـذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ، وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ ٱلسَّيَّارَةِ ؛

قيام الحجّة علىّ) بأنه على الحق ، واعدائه على الباطل (فبايعته عليه السلام) . (والرّجل يعرف بكليب الجرمىّ) .

ومن كلام له عليه السّلام

(لمّا عزم على لقاء القوم بصفّين) وهو دعاء ، ودعوة لأصحابه على القتال . (اللّهمّ ربّ السّقف المرفوع) المراد به السّماء (والجوّ المكفوف) الّذى كفّ عن الأرض فلا يسقط عليها ، والمراد عدم سقوط اجرام الجو (الّذى جعلته مغيضا لليل والنهار) الجو منبع الضياء والظلام والمغيض ، مشتق من غاض الماء اذا ذهب فى الأرض واختفى ، فكان النّور والظلمة ، يتسربان فى الجو ، فى كل ليل ونهار (ومجرى للشّمس والقمر) فانّ الفضاء محل لجريان الشّمس و القمر وسيرهما (ومختلفا) اى محل اختلاف ، والاختلاف بمعنى التردد ذهابا وايابا (للنّجوم السّيّارة) التى تسير فى الفلك ، كزحل والمشترى و

وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ ، لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ ؛ وَرَبَّ هٰذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ ، وَمَا لَا يُحْصَىٰ مِمَّا يُرَىٰ وَمِمَّا لَا يُرَىٰ ؛ وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً ، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً ، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَىٰ عَدُوِّنَا ، فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَ سَدِّدْنَا لِلْحَقِّ ؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ ،

عطارد (وجعلت سكّانه) اى سكّان الجو (سبطا) اى جماعة ، فان السّبط بمعنى الأمة (من ملائكتك لا يسأمون من عبادتك) سأم بمعنى مل ، فان الملائكة لا تمل من العبادة .

(ورب هذه الأرض التى جعلتها قرارا للأنام) اى مقرّا لهم ، فانه لو لا الجاذبية لم تستقر الأشياء على الأرض (ومدرجا) اى محل درج وحركة (للهوامّ) جمع هامة وهى الحيوانات الصّغيرة كالفارة والحيّة وما اشبه (والأنعام) جمع نعم ، وهى الابل والبقر والغنم (و) ل (ما لا يحصى) اى لا يتمكن الانسان من احصائه (ممّا يرى وممّا لا يرى) من الأشياء الموجودة فى الأرض ، او هو عطف على ((هذه)) اى ((رب ما لا يحصى)) .

(وربّ الجبال الرّواسى) جمع راسية ، وهى الثابتة على الأرض (الّتى جعلتها للأرض اوتادا) اى كالوتد الذى يحفظ الألواح بعضها ببعض ، فانّ الجبال تحفظ الأرض عن الاضطراب والتفكك (وللخلق اعتمادا) فان الانسان يعتمد بالجبل لدى الخوف من العدو او السيل او ما اشبه (ان اظهرتنا على عدوّنا) اى جعلت النّصر لنا (فجنّبنا البغى) اى الظّلم ، فان العسكر الظافر غالبا يظلم المغلوبين (وسدّدنا للحقّ) اى لأن نعمل به (وإن اظهرتهم علينا) بأن غلبنا ، وكان النّصر لهم (فارزقنا الشّهادة) اى الموت فى سبيلك

وَٱعْصِمْنَا مِنَ ٱلْفِتْنَةِ .

الدعوة للقتال

أَيْنَ ٱلْمَانِــعُ لِلذِّمَارِ ، وَٱلْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ ٱلْحِفَاظِ ! ٱلْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَٱلْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ !

(واعصمنا) اى احفظنا (من الفتنة) بمعنى الانحراف عن سنن الاسلام ،فانّ الأمة المغلوبة غالبا تتّبع الأمة الغالبة فى آدابها و ملوكها ، بل و دينها .

ثمّ توجّه الامام عليه السّلام ، الى اصحابه يحرضهم على القتال بقوله :

(اين المانع للذّمار) الذمار ما يلزم على الانسان حفظه من اهل و عشيرة وما اشبه ، وهذا استفهام بمعنى التحريض ، فانهم ان انهزموا صارت عشيرتهم و اهلهم مطمعا للأعداء (والغائر) من غار على زوجته او اهله ان يمسهم احد بسوء (عند نزول الحقائق) اى النوازل الثابتة ، فانها حقيقة لا مجاز ، و تطلق على الحرب كما قال على الأكبر عليه السلام : ((الحرب قد بانت لها حقائق)) .

(من اهل الحفاظ) بيان للمانع و الغائر ، اى الذين لهم حفظ لأهلهم وكرامتهم (العار ورائكم) ان تقاعستم حتى هزمتم ، فان عار الهزيمة يبقى على الانسان الى الأبد (والجنّة امامكم) فان قتلتم كان مصيركم الجنّة ، فلا تشتروا العار ، ولا تبيعوا الجنة ، بالضعف و الانهزام .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً ، وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً .

منها : وَ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَىٰ هٰذَا الْأَمْرِ يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ؛ فَقُلْتُ : بَلْ أَنْتُمْ وَاللّٰهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ، وَأَنَا أَخَصُّ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يذكر فيها قصة الشورى ، واصحاب الجمل

(الحمد لله الذى لا توارى عنه سماء سماء) اى لا تسبب الأجرام السماوية عدم مشاهدته سبحانه لأجرام اخر ، فانه لا يحجب حاجب شيئا ، كما يحجب عندنا (ولا ارض ارضا) فالأرض الوسط لا تحجب الأرض البعيدة ، فان رويته سبحانه عامة لكل شئ ٠

(منها) : فى قصّة الشّورى (وقال قائل : انك على هذا الأمر يابن ابى طالب لحريص) اى امر الخلافة ، و قد كان القائل سعد بن ابى وقاص ، و لقد كان هذا الكلام منه ، لرغبته عنه عليه السلام ، و الاّ فعثمان كان اكثر حرصا ، اذ قبل الشّرط ، و الامام لم يقبل الشّرط (فقلت بل انتم و الله لأحرص) منّى (و ابعد) عن هذا الأمر (و انا اخصّ) بهذا الأمر لأنه لى بنص الرسول صلّى الله

وَأَقْرَبُ ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ . فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَإِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ !

الاستنصار على قريش

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي .

عليه وآله وسلّم (واقرب) الى الرّسول منكم ، او اقرب الى هذا الأمر (وانّما طلبت حقّا لى) فانّ الخلافة كانت حقّ الامام بنصّ اللّه و الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم (وانتم تحولون بينى و بينه ، و تضربون وجهى دونه) كناية عن منعهم له عليه السلام من الوصول الى حقّه ، بالألاعيب التى لعبوها عند الشورى، كما هو مشهور فى التواريخ .

(فلمّا قرعته) اى قرعت القائل ، واصل القرع الضرب بالعصى للتأديب (بالحجّة فى الملأ) اى الجماعة (الحاضرين هبّ) اى انتبه او بهت (لا يدرى ما يجيبنى به) لأنه افحم .

ثم توجه الامام الى الله سبحانه ، شاكيا له حاله ، وهضم هؤلاء له ، حسدا وبغيا ، فقال : (اللّهمّ انّى استعينك) اى اطلب عونك و نصرتك (على قريش ومن اعانهم) فى غصب حقّى (فانّهم قطعوا رحمى) فانّ من مصاديق قطع الرّحم الحيلولة بين الانسان و بين حقّه الشّرعى (و صغّروا عظيم منزلتى) فان منزلة الخلافة الموهوبة للامام من اللّه ، لم يأبهوا بها ، بل جعلوا الامام كأحدهم (واجمعوا على منازعتى امرا) اى المنازعة معى فى امر (هو لى) والمراد

ثُمَّ قَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ .

منها في ذكر اصحاب الجمل

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ ٱللهِ - صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَمَا تُجَرُّ ٱلْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا ، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا ، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ ٱللهِ - صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -

---

بذلك الأمر الخلافة (ثم قالوا إلا ان في الحق ان تاخذه) اى هذا الأمر،فانهم كانوا معترفين بفضل الامام (وفي الحق ان تتركه) قالوا هذا بعد ان اتفقوا على عثمان ، وقالوا ذلك قبل الاتفاق على عثمان ، فقد ارادوا بيعة الامام بشرط ان يقبل العمل بسيرة الشيخين ، لكن الامام لمّا ابى ردوه على عثمان ، وقالوا مقالتهم الثانية ، وفي بعض النسخ ((ناخذه)) بالنون ، فالجملتان في مفاد واحد ، اى ان الحق اخذنا للخلافة ، وتركك لها ، وعلى ايّ فكلامهم اعظم من عملهم اجراما .

(منها في ذكر اصحاب الجمل) طلحة والزبير وابناهما محمد وعبد الله .

(فخرجوا) من المدينة (يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله) وسلّم اى عائشة (كما تجرّ الأمة عند شرائها) فان الامة تجر بلا احترام ، وهكذا فعلوا بعائشة (متوجهين بها الى البصرة) وقد ارادوا بذلك قطع سلطة الامام من العراق فاذا انضم الى ذلك قطع سلطته من الشام ، سهل امره ، وتمكن العاصيان من الوثوب على الحكم ، وتنحية الامام الى جانب الانزواء (فحبسا) اى طلحة والزبير (نسائهما في بيوتهما) احتراما منهما لنسائهما (وابرزا) اى اظهرا في الملأ (حبيس رسول الله صلّى الله عليه وآله) وسلّم اى عائشة التي كانت محبوسة ، لا يجوز لأحد ان يقتربها احتراما للرّسول ، كما قال سبحانه :

لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا ، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ ، فَقَدِمُوا عَلَىٰ عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً ، وَطَائِفَةً غَدْراً . فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذٰلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا ،

((ولا تنكحوا نسائه من بعده)) وهذا التعبير للدلالة على كثرة احترامها قبل الحركة ، ومع ذلك انهما لم يحترما الرسول فى امرها (لهما ولغيرهما) متعلق بابرزا .

(فى جيش ما منهم رجل الا وقد اعطانى الطاعة) فهم قد خانوا البيعة (و سمح لى بالبيعة) السماح هو الاعطاء عن نية صادقة (طائعا غير مكره) فلم يكن اكراه ، حتى يعتذروا بأن البيعة لم تكن شرعية (فقدموا) اى الجيش (على عاملى بها) اى بالبصرة وهو عثمان بن حنيف (وخزان بيت مال المسلمين) اى الحفظة لبيت المال ، فان بيت المال كان فى محل وكان فى حواله حفظة يحفظونه عن الصراق ومن اليهم (وغيرهم من اهلها) اى اهل البصرة (فقتلوا طائفة) منهم (صبرا) هو القتل فى غير ميدان القتال ، بأن يحبس الشخص ثم يجرح فى دفعات حتى يقتل ، وقد يطلق على مطلق من يجرح دفعات لأنه ليس قتلا دفعيا (وطائفة غدرا) بأن اعطوهم الأمان ثم قتلوهم .

(فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلاّ رجلا واحدا متعمدين لقتله) اى قاصدين قتله ، بأن لم يكن خطاءا او شبه خطاء (بلا جرم جرّه) ممّا يستحقّ به القتل (لحل لى قتل ذلك الجيش كلّه اذ حضروه فلم ينكروا) فانهم داخلون فى عموم

وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يد . دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ٱلْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ !

قوله : ((انما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون فى الأرض فسادا ان يقتلوا)) وقد قال الرسول صلى الله عليه و آله و سلم للامام عليه السلام : ((حربك حربى)) فى حديث مشهور عند الفريقين ٠

و من المعلوم ان الراضى بفعل احد شريك له ، فالجيش بقتلهم واحدا فى مقابل الامام عليه السلام كانوا محاربين للامام (و لم يدفعوا عنه بلسان و لا يد) مما يخرجهم عن المحاربين للامام ، فان المدافع ليس محاربا (دع ما انهم)((ما)) زائدة لتزيين الكلام (قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التى دخلوا بها) اى بتلك العدة (عليهم) اى ان قتلهم مسلما واحدا يبيح لى قتل جميعهم ، فكيف اذا قتلوا كثيرا بقدر الجيش الذى جائوا لقتلهم ؟ فان ذلك مما يجعل قتل جميعهم اهون فى نظر الشريعة ٠

وَمِنْ خُطبَة لهُ عَليهِ السّلام

أَمِينُ وَحْيِهِ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ .
أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهٰذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللّٰهِ فِيهِ . فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ

وَمِنْ خُطبَة لهُ عَليهِ السّلام

وفيها ذكر المستحق للخلافة ، وبيان هوان الدنيا

ابتدء عليه السلام بذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : (امين وحيه) فلا يزيد ولا ينقص مما يوحى اليه (وخاتم رسله) فلا رسول بعده (وبشير رحمته) اى انه صلى الله عليه وآله وسلم يبشر برحمة الله لمن آمن واطاع (ونذير نقمته) اى انه صلى الله عليه وآله وسلم ينذر بالنقمة والعذاب لمن كفر او عصى .

(ايها الناس ان احق النّاس بهذا الأمر) اى الخلافة (اقواهم عليه) اى اقوى الناس فى ادارة الشئون الاسلامية (واعلمهم بأمر اللّه فيه) اى ان يكون اعلم الناس بأوامر الله ونواهيه فى باب هذا الأمر الذى هو ادارة شئون المسلمين (فان شغب شاغب) بعد ذلك ، بأن كان الوالى متصفا بما يلزم فيه ، ثم يهج

اَسْتُعْتِبَ ، فَإِنْ أَبىٰ قُوتِلَ . وَلَعَمْرِي ، لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتّىٰ يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ ، فَمَا إِلَىٰ ذٰلِكَ سَبِيلٌ ، وَلٰكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مَنْ غَابَ عَنْهَا ؛ ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ . أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ :رَجُلًا ادَّعَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ . أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا

الفساد احد (استعتب) اى طلب منه الرضا بالحق (فان ابى) من الرضوخ والخضوع (قوتل) حتى يفئ الى امر الله سبحانه ، ثم بين الامام عليه السلام خطل ما كان معاوية يعتذر به من ان الامام عليه السلام لم ينصبه جميع المسلمين و انما نصبه اهل المدينة و من اليهم فقط ، فليست خلافته بالاجماع ، بقوله :

(ولعمرى) اى اقسم بنفسى (لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى يحضرها عامّة الناس) اى جميع المسلمين (فما الى ذلك سبيل) اذ كيف يمكن حضور عامة المسلمين ، والادلاء بزايهم (ولكن) على مبنى كون الامامة بالاجماع — على فرض التسليم ، لا بالنص ، كما هو الواقع — (اهلها) اى اهل الامام ، وهم الذين بيدهم الحلّ والعقد ، من المسلمين المحتفين بالخليفة (يحكمون على من غاب عنها) بمعنى انهم اذا حكموا ثبت حكمهم على الغائبين (ثم) بعد الحكم (ليس للشاهد) الحاضر (ان يرجع) عما اختاره (ولا للغائب ان يختار) غير من اختارته اهل الحل والعقد .

(الا) فلينتبه السامع (وانى اقاتل رجلين) اى احد طائفتين (رجلا ادعى ما ليس له) كمعاوية الذى يدعى الخلافة (وآخر منع الذى عليه) كطلحة والزبير الذين منعا الطاعة التى هى عليهما ، بعد مبايعتهما للامام .

(اوصيكم بتقوى الله) اى الخوف منه فى جميع الأمور (فانها خير ما

تَوَاصَى ٱلْعِبَادُ بِهِ ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ عِنْدَ ٱللهِ وَقَدْ فُتِحَ بَابُ ٱلْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ ، وَلَا يَحْمِلُ هٰذَا ٱلْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ ٱلْبَصَرِ وَٱلصَّبْرِ وَٱلْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ ٱلْحَقِّ ، فَٱمْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّىٰ تَتَبَيَّنُوا ، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً.

تواصى العباد به) اى اوصى بعضهم بعضا ، اذ هو سبب سعادة الدنيا و الآخرة (وخير عواقب الأمور عند الله) اى ان اواخر الأمور ، خيرها التقوى ، لكن ذلك عند الله سبحانه ، اذ خير اواخر الأمور عند النّاس المنصب الرفيع و المال الكثير و ما اشبه .

(وقد فتح باب الحرب بينكم و بين اهل القبلة) اى المسلمين الذين يصلون الى القبلة ، و هم اصحاب الجمل و صفين و النهروان (و لا يحمل هذا العلم) اى علم الحرب مع هؤلاء المنحرفين (الآ اهل البصر) بالدين حتى لا يغره كونهم اهل قبلة فى ترك قتالهم (والصّبر) بأن يصبر ((بالاضافة على الصبر على الحراب)) على كلام الناس و لومهم .

(والعلم بمواضع الحقّ) حتى يعلم انه يجب جهاد المخالف للحق ، و انكان فى الظاهر لابسا ثوب الحق (فامضوا لما تؤمرون به) من جهاد هؤلاء (وقفوا عند ما تنهون عنه) من الكف عن الحرب و ما اشبه ، حينما تقتضى المصلحة ذلك وينهاكم الامام (ولا تعجلوا فى امر) من الاقدام او الأحجام (حتى تتبينوا) اى تحصلوا العلم بصواب ذلك الأمر (فانّ لنا مع كلّ امر تنكرونه) و ترون لزوم حربه (غيرا) اى تغيرا ، فلربما اقتضت المصلحة عدم قتاله اوعدم قتله ، كما لم يقتل الامام مروان و من اليه ممن اثاروا الفتن و استحقوا القتل لمصالح كان هو عليه السلام اعلم بها ، و قوله : ((فان)) لبيان علة لزوم

هوان الدنيا

أَلَا وَإِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا ، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَلَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ. أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا ؛ وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا . فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا ، وَأَطْمَاعَهَا

اطاعتهم للامام فى كل صغير او كبير .

ثم عطف الامام سوق الكلام ، لبيان حقارة الدنيا ، و لزوم الزّهد فيها (الا وانّ هذه الدنيا التى اصبحتم تتمنونها و ترغبون فيها) بان تبقون و تتمتعون بزخارفها و لذائذها (و اصبحت تغضبكم) مرة لعدم حصول حاجاتكم و رغباتكم (و ترضيكم) مرة باعطائكم ما تحتاجون (ليست بداركم) التى تبقون فيها (ولا منزلكم الذى خلقتم له و لا الذى دعيتم اليه) دعوة بقاء و اقامة (الا و إنّها ليست بباقية لكم) الى الأبد (و لا تبقون عليها) فان كلا الطرفين يفترق عن الآخر ، و كانّه لوحظ سيركل واحد فى اتجاه معاكس لاتجاه الآخر كالسائرين الذين يأخذ احدهما اليمين و الآخر الشّمال ، لا مثل الّذى يسير عن داره الذى يخص السير به ، دون الدار ، و ذلك لأن الانسان يفنى و الدّنيا تفنى ، و قد أخذ الشّاعر هذا المعنى من الامام عليه السّلام بقوله :

فلا الدّنيا بباقية لحى — ولا حىّ على الدّنيا بباق

(و هى) اى الدّنيا (وان غرّتكم منها) اى من نفسها ، باظهارها الزّينة وتحبيبها نفسّها اليكم (فقد حذرتكم شرّها) باراءتكم مصارع الناس و مختلف صنوف البلاء فيها (فدعوا غرورها لتحذيرها) اى لا تغتروا بزخارفها ، لما تشاهدون من اهوالها و مصائبها (و) دعوا (اطماعها) اى الاطماع فيها

لِتَخْوِيفِهَا ، وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَىٰ الدَّارِ الَّتِي دعِيتُمْ إِلَيْهَا ، وَ انْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا ، وَلَا يَخِنَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَىٰ مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا ، وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَ الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ .أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ .

(لتخويفها) اى تخويف الدنيا لكم عن البلايا (وسابقوا فيها) بالأعمال الصّالحة (الى الدّار الّتى دعيتم اليها) وهى الآخرة (وانصرفوا بقلوبكم عنها) اى اخرجوا قلوبكم عن الدّنيا ، حتّى لا تحبّوها ولا تتعلّقوا بها (ولا يخنن) الخنين ضرب من البكاء يردد به الصّوت فى الأنف (احدكم) لفقد الدّنيا (خنين الأمة) ذكر الأمة لأنّ خنينها اكثر واشدّ توجعا ، حيث اجتمعت فيها انواع المذلة (على ما زوى) اى بعد (عنه) الضمير عائد الى ((احدكم)) (منها) اى من الدّنيا .

(واستتموا نعمة اللّه عليكم) اى اطلبوا تمام النعم ، بان يتفضّل سبحانه بأنعم زائدة (بالصّبر على طاعة اللّه) فانّ من صبر اعطاه سبحانه كلّ خير ووفقه لكلّ سعادة (والمحافظة على ما استحفظكم) اى طلب منكم حفظه (من كتابه) فانّه امر بحفظ احكام الكتاب واقامة حدوده .

(الا وانّه لا يضركم تضييع شئ من دنياكم) بان لم تبالوا بما ضاع منها من مال أو جاه أو ما أشبه (بعد حفظكم قائمة دينكم) اى الأحكام القائمة الّتى يجب العمل بها ، فانّ الضّرر البالغ هو ضرر الآخرة ، لا ضرر الدّنيا ، اذ انها الى نفاد ، فمهما كان الانسان واجدا فيها ، ياتى يوم ينفك عن ما يوجد لديه .

أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ . أَخَذَ ٱللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ ٱلصَّبْرَ !

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَام

في معنى طلحة بن عبيد الله

وقد قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة لقتاله

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِٱلْحَرْبِ ، وَلَا

(الا و انه لا ينفعكم ـ بعد تضييع دينكم ـ شئ حافظتم عليه من امر دنياكم) فما فائدة ما يزول ؟ .

(اخذ الله بقلوبنا و قلوبكم الى الحق) دعاء فى صورة خبر ، اى اللهم وجّه قلوبنا جميعا الى الحق ، لكى نطبق اعمالنا عليه (و الهمنا و اياكم الصّبر) بان يقوى فينا عزيمة الصبر لكى نصبر على ترك الدنيا ، وعلى صعوبة العمل للآخرة لنكون من الفائزين .

ومن كلام له عليه السّلام

(فى معنى طلحة بن عبيد الله) اى مقصده من اثارة حرب الجمل ، و قد قاله عليه السلام حين بلغه انّ طلحة و الزبير خرجا الى البصرة ، و هدد الامام بالقتال .

(قد كنت و ما اهدّد بالحرب) لما يعلمه النّاس من شجاعتى و قوتى (و لا

أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ ، وَأَنَا عَلَىٰ مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ . وَٱللهِ مَا ٱسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ ، لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ

ارهب بالضرب) اذ علم النّاس عدم خوفى من الضّرب (وانا على ما قد وعدنى ربّى من النّصر) فكما وعدنى سابقا ، كذلك وعدنى حالا ، يعنى انّ الشجاعة الجسمية والنفسية ، والنّصرة المعنويّة كلتاهما معى ، ومثلى لا يخاف من القتال حتّى يهدّد به .

(والله ما استعجل) طلحة (متجرّدا للطّلب بدم عثمان) كانه سيف تجرد عن غمده ، وذلك لأنه اظهر ما فى قلبه ، كما يظهر الغمد ما فى جوفه من السّيف .

(الا خوفا من ان يطالب بدمه) اى يطلبه النّاس بدم عثمان ، وانّه لم قتله ؟ (لأنّه) اى طلحة (مظنته) اى محل ظن بان يطالب (ولم يكن فى القوم) الذين قتلوا عثمان (احرص عليه) اى على دم عثمان واراقته (منه) اى من طلحة فانه جمع الناس فى داره يحرضهم على قتل عثمان ، ثم لما قتل منع من دفنه ثلاثة ايام ، ثم امر برمى الحاملين لجنازته بالحجارة ، حتّى هموا بطرح الجنازة ، فرارا من اصابتهم بالحجارة ، وجادل فى دفنه بمقابر المسلمين ، بل كان يقول انه يلزم ان يدفن بمقابر اليهود ، واخيرا دفنوا بحش كوكب ، وكان محلاً للقاذورات ومحلاً للتخلّى ، وبعد ذلك كلّه ، لما رأى عدم اصابته بغيته من الخلافة والامارة جاء يطالب الامام بدم عثمان ، واخيرا خسر دنياه ، ولهى الآخرة عذاب النّار .

(فاراد ان يغالط) اى يوقع الناس فى الغلط ، حتّى يظنّوا انه برئ من

بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْبِسَ ٱلْأَمْرُ وَيَقَعَ الشَّكُّ . وَوَٱللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : لَئِنْ كَانَ ٱبْنُ عَفَّانَ ظَالِماً ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ ، أَوْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ . وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ ، وَٱلْمُعَذِّرِينَ فِيهِ .

دم عثمان (بما اجلب فيه) اى بسبب جلبه للجيوش و العساكر لمحاربة الامام ((فيه)) اى فى الأمر (ليلبس الأمر) على النّاس ، فيشكوا فى انه من القتلة (ويقع الشّك) فى جرمه ٠

(و و اللّه ما صنع) طلحة (فى امر عثمان واحدة من ثلاث) كان من اللازم ان يصنع واحدة منها ، اى لم يصنع احد الأشياء الثلاثة ، و ذلك لأنه اما كان عالما بان عثمان ظالم ، و اما كان عالما بان عثمان مظلوم ، و اما كان شاكا فى امر عثمان ، فان كان الأول ، كان اللازم ان يحاربه ، و ان كان الثانى كان اللازم ان ينصره ، و ان كان الثالث كان اللازم ان يتجنب المعركة الدّائرة بين عثمان و بين الثّوار ، و لكنّه لم يفعل اى واحد من الثلاثة ، مما يدل على انه كان كاذبا فى اقواله مراوغا لا يبتغى من وراء حركاته الا الرئاسة و طلب الجاه ٠

(لئن كان ابن عفان ظالما ـ كما كان يزعم ـ) ابان الثورة (لقد كان ينبغى له ان يوازر) اى يساعد (قاتليه) اى الثوار (او ينابذ ناصريه) اى يعادى و يعارض من ينصر عثمان ٠

(و لئن كان مظلوما) كما يدعى الآن و يطالب بدم عثمان (لقد كان ينبغى له ان يكون من المنهنهين) اى الناهين (عنه) يقال نهنه عن الأمر اى زجر و منع (و المعذرين فيه) اى الذين يعذرون عثمان و يبررون اعالم ليخمدوا الثورة عليه ٠

وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً ، وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلاثِ ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ .

(ولئن كان فى شك من الخصلتين) فلا علم اظالم هو او مظلوم ؟ (لقد كان ينبغى له ان يعتزله و يركد جانبا) اى يسكن فى جانب ، لا له ، ولا عليه ، (و يدع الناس معه) لا ان يحرضهم عليه (فما فعل) طلحة ، اى لم يفعل (واحدة من) الخصال (الثلاث) بل حرض على قتله و لم يشارك ، ثم جاء يطلب بدمه (وجاء بامر لم يعرف بابه) و هو التحريض ، والاجتناب عن المداخلة مباشرة ، او المراد ، نكثه للبيعه (و لم تسلم معاذيره) اى كانت اعذاره واهية ، غير سالمة عن الخطل و الخلل .

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَيُّهَا ٱلْغَافِلونَ غَيْرُ ٱلْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ ٱلْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ. مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ ٱللهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَىٰ غَيْرِهِ رَاغِبِينَ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَىٰ مَرْعًى وَبِيٍّ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ، إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في الوعظ و الارشاد

(ايها الغافلون غير المغفول عنهم) فان الله سبحانه يعلم جميع حركات الانسان و سكناته ، (و التاركون) الذى يجب عليهم (المأخوذ منهم) الدنيا و ما فيها ، فلا يبقى لهم ــ بعد الأخذ ــ مجال للعمل و تدارك ما فات (ما لى اراكم عن الله ذاهبين) اى مخالفين لأوامره (و الى غيره راغبين) فان رغبة الناس الى الدنيا و ملذاتها (كأنكم نعم) هى الابل و البقر و الغنم ، و الجمع ((انعام)) (اراح بها) اى ذهب بها (سائم) اى راع (الى مرعى) اى محل الرعى ، الذى نبت فيه المعشب (وبى) الردى الذى يجلب الوباء و المرض (و مشرب) اى محل شرب فيه الماء (دوى) اى وبيل مفسد للصحة ، و وجه الشبه ان الشيطان سبب اقتراف الناس للآثام مما يجلب الاخطار و العقاب (انما هى) اى تلك النعم (كالمعلوفة) اى البهيمة التى تأكل العلف

لِلْمُدَىٰ لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا ! إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا ، وَ شِبَعَهَا أَمْرَهَا . وَٱللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ ، وَلٰكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَىٰ ٱلْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ

(للمدى) جمع مدية ، وهى : السكين ، اى ان مصيركم الى الموت كما ان مصير الحيوان الى الذّبح (لا تعرف) تلك البهيمة (ماذا يراد بها) اى الذبح ، وكذلك انتم لا تعرفون مصيركم و عاقبة امركم .

(اذا احسن اليها) بتهيئة العلف و الماء و وسائل راحتها (تحسب يومها دهرها) بلاتفكر فى العواقب ،فانها متى شبعت ظنت ان لاشئ بعد ذلك ، وكذلك الناس الغافلون يهمهم امر يومهم ، اما المستقبل فلا يفكر فيه (و) تحسب (شبعها امرها) اى انّ الأمر المهم فقط ، هو ان تشبع .

(والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه و مولجه) اى من اين يخرج ، وفى ايّ مكان يدخل (وجميع شأنه) فى اموره (لفعلت) فانّكم كتلك البهائم ، وهذا الكلام منه عليه السّلام لبيان انه انما يشبههم بالأنعام بعدعرفانه حقائقهم ، لا انه رمى للقول على عواهنه (ولكن اخاف) ان لو اخبرتكم بالمغيبات (ان تكفروا فى برسول الله صلّى الله عليه و آله) وسلّم فتجعلونى افضل منه ، كما كفر النّصارى ، فى عيسى ، بالله سبحانه ، حيث جعلوه الها، لما اخبرهم بما ياكلون و ما يدخرون فى بيوتهم .

(الا وانّى مفضيه) اى موصل الاخبار المغيبة (الى الخاصة) وهم خاصة الرجل الذين لهم من العلم و المعرفة قدر كاف (ممن يؤمن ذلك) الانحراف

مِنْهُ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَىٰ الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ هٰذَا الْأَمْرِ. وَمَا أَبْقَىٰ شَيْئاً يَمُرُّ عَلَىٰ رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَىٰ بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي، وَاللهِ، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَىٰ طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَىٰ قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

(منه) فلا يفضل الامام على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اذا سمع منه اخبارا مغيبة (والذى بعثه) اى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (بالحقّ واصطفاه على الخلق) بان فضله عليهم (ما انطق الا صادقا) فى كل ما اخبر من الأمور المستقبلة (وقد عهد) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (الىّ بذلك الذى اخبركم (كلّه) فالفضل فى ذلك للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، و لا يظن ظان انى افضل منه (وبمهلك من يهلك) فى الفتن والاضطرابات والمراد اما الهلاك بمعنى الموت او بمعنى الضلال (ومنجى من ينجو) ((منجى)) مصدر ميمى اى نجاته (ومآل هذا الأمر) اى الى من يكون امر الخلافة .

(وما ابقى) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (شيئا يمر على رأسى) اى يجول فى خاطرى ، من الأسئلة والمجهولات (الا افرغه فى اذنى) اى قال جوابه وحلّه لى (وافضى به) اى بذلك الشئ ، والافضاء الايصال (الىّ) اما على نحو الكلية او على نحو الجزئية .

(ايها النّاس انى والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها) لا كسائر الزعماء الذين يقولون ما لا يفعلون ويامرون بما يخالفونه فى خاصة انفسهم (ولا انهاكم عن معصية الآ واتناهى قبلكم عنها) اى عن تلك المعصية ، وبيان هذا

وَمِن خُطبة له عَليه السَّلام

اَنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اَللهِ ، وَاَتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اَللهِ ، وَاَقْبَلُوا نَصِيحَةَ اَللهِ ، فَإِنَّ اَللهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ ، وَاَتَّخَذَ عَلَيْكُمُ اَلْحُجَّةَ ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ اَلْأَعْمَالِ ، وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا ، لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ ، وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ ، فَإِنَّ

المطلب مما يزيد الناس تقربا الى الخير ، وابتعادا عن الشر ، اذ النّاس على دين ملوكهم ، وعادة امرائهم ، وليس الكلام تيجحا بل ارشادا .

وَمِن خُطبة له عَليه السَّلام

وفيها الوعظ والارشاد ، وبيان فضل القرآن

(انتفعوا ببيان الله) الذى بينه فى القرآن الحكيم (واتّعظوا بمواعظ الله) فى الاتيان بالأوامر والانتهاء عن النواهى (واقبلوا نصيحة الله) فى ترك الدّنيا ، والاقبال على الآخرة .

(فانّ الله قد اعذر اليكم بـ) الاعذار (الجلية) الواضحة (واتخذ عليكم الحجّة) بما بين لكم على لسان انبيائه ، حتى ان من خالف لا عذر له (و بين لكم محابّه) اى ما يحبه (من الأعمال) الصالحة (ومكارهه منها) اى من الأعمال (لتتبعوا هذه) اى المحاب (وتجتنبوا هذه) اى المكاره (فإنّ

رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَانَ يَقُولُ : «إِنَّ ٱلْجَنَّةَ حُفَّتْ بِٱلْمَكَارِهِ ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ» .

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ ٱللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ ٱللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ . فَرَحِمَ ٱللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ ، وَقَمَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هٰذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً ، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى .

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم(كان يقول : ((ان الجنة حفّت بالمكاره))) فان الطاعة ثقيلة على النفس ، و مكروهة لديها ، و هى طريق الجنة فكان الجنّة محفوفة بها (و ان النار حفت بالشّهوات) فان ترك الانسان للواجب مشتهى للنفس كما ان فعله للمحرمات كذلك ، و هى سبيل النار ، فكانها حفّت و احيطت بالشهوات .

(و اعلموا انّه ما من طاعة الله شئ الا ياتى فى كره) لأنها مخالفة لهوى النفس ، مثلا الانسان يريد عدم القيام للصلاة ، وعدم الامساك للصيام ، وعدم تجشم الالقاب للحج ، و هكذا .

(وما من معصية الله شئ الا ياتى فى شهوة) فالخمر و القمار و الزنا وما اشبه تشتهيها النفس البهيمية الامارة بالسوء ، و لا يخفى ان الحصر اضافى لاحقيقى ، و الا فالاجتماع بالليلة طاعة تؤتى بشهوة ، و اكل القاذورات معصية يؤتى باكراه .

(فرحم الله رجلا نزع عن شهوته) اى انتهى و اقلع (و قمع هوى نفسه) اى قلع هواها واشتهاءها للمحرمات (فان هذه النفس ابعد شئ منزعا) اى انتزاعا من المحرمات و المعاصى ، اذ النفس ميّالة الى الشّهوات دائما فنزعها عنها فى كمال الصعوبة (و انها لا تزال تنزع) اى تميل (الى معصية فى هوى)

وَٱعْلَمُوا ـ عِبَادَ ٱللهِ ـ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا . فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ ، وَٱلْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ . قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ ، وَٱطْوَوْهَا طَيَّ ٱلْمَنَازِلِ .

وَٱعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ

النفس و ميولها ، و ((فى)) متعلق ب ((تزال)) .

(واعلموا) يا (عباد الله ان المؤمن) الكامل (لا يصبح ولا يمسى الا ونفسه ظنون) اى ضعيف قليل الحيلة (عنده) لا تتمكن نفسه من السيطرة عليه بسوقه نحو الشهوات ، بل هو يسيطر على نفسه ليسوقها نحو الخيرات (فلا يزال) المؤمن (زاريا) اى عائبا (عليها) اى على نفسه ، ينظر اليها بنظر الازدراء والاهانة (ومستزيدا لها) اى طالبا منها ان تزاد فى الطاعة ، لأن المؤمن يرى عمله قليلا مهما كان كثيرا (فكونوا) انتم (كالسّابقين قبلكم) من اصحاب الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين كانوا يعملون ليل نهار فى طاعة الله سبحانه .

(والماضين امامكم) ممن باعوا لله سبحانه دنياهم ليحرزوا آخرتهم (قوّضوا) اى اولئك السابقون ، والتقويض نزع اعمدة الخيمة واطنابها للرحيل ، والمراد منه هنا ارتحالهم عن الدنيا (من الدنيا تقويض الرّاحل) فلا يهتموا بالدنيا و لم يتّخذوها مسكنا ، كما لا يتخذ المسافر البيداء والمنازل فى الوسط محلا و مسكنا (واطووها طيّ المنازل) كما يطوى الراحل المنازل فى الطريق ليصل الى مقصده .

ثم شرع عليه السلام فى بيان فضل القرآن بقوله : (واعلموا ان هذا القرآن

هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ . وَمَا جَالَسَ هٰذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ : زِيَادَةٍ فِي هُدًى ، أَوْ نُقْصَانٍ فِي عَمًى . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى ؛ فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَىٰ لَأْوَائِكُمْ ، فَإِنَّ فِيهِ

هو الناصح الذى لا يغش) فاذا قال : ((لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء)) مثلا : لم يكن ذلك غشا منه ، بل كان فى الاتخاذ ضررا ارشد اليه ، وهكذا سائر احكامه وارشاداته (والهادى) الى سبيل الخير (الذى لا يضلّ) من اهتدى به (والمحدّث الذى لا يكذب) فاذا اخبرعن الأمم السابقة لم يكن كلامه كذبا (وما جالس هذا القرآن احد الآ قام عنه بزيادة او نقصان) المراد بمجالسة القرآن تذكره وفهمه (زيادة فى هدى) ان قرئ ما يدل على الاتيان بالأعمال الصالحة (او نقصان فى عمى) ان قرئ ما يدل على الترك للأعمال القبيحة ــ و ((او)) على سبيل منع الخلو ·

(واعلموا انّه ليس على احد بعد القرآن من فاقة)اى فقر وحاجة الى هاد غيره فانه يرشد الى الأصول والفروع ، والأحكام والأخلاق ، والمراد بيان الخطوط العريضة لتلك الأمور (ولا لأحد قبل القرآن) اى قبل تعلمه (من غنى) فانّ الأديان السابقة التى حرفت والعقول ، لا تبين الأمور المذكورة بما يسبب سعادة الانسان كاملة غير منقوصة (فاستشفوه) اى اطلبوا من القرآن الشفاء (من ادوائكم) اى امراضكم الاجتماعية والفردية ، الاخلاقية والعاطفية وما اليها ، فان انحرافات الفرد او المجتمع ، امراض ، كما ان الاسقام امراض ·

(واستعينوا به) اى بالقرآن (على لاوائكم) اى شدائدكم (فان فيه)

شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ : وَهُوَ ٱلْكُفْرُ وَٱلنِّفَاقُ ، وَٱلْغَيُّ وَالضَّلَالُ، فَٱسْأَلُوا ٱللّٰهَ بِهِ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ ٱلْعِبَادُ إِلَىٰ ٱللّٰهِ تَعَالَىٰ بِمِثْلِهِ . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ ٱلْقُرْآنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ ٱلْقُرْآنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ ،

اى فى القرآن (شفاء من اكبر الدّاء) اى اكبر اقسام امراض النفس (وهو الكفر والنفاق والغىّ) وهو الانحراف فى العقيدة وان لم يصل الى رتبة الكفر و النفاق (والضّلال) وهو يشمل ما لا يشمله الغى ، كالضّلال فى الأحكام ، او تأكيد .

(فاسألوا الله به) حوائجكم اى بسبب القرآن بان يجعل وسيلة لانجاح مطالبكم لديه سبحانه (وتوجّهوا اليه) تعالى (بحبّه) اى بحبكم للقرآن ،فان الانسان اذا احب القرآن ، اقبل الله عليه بلطفه وعطفه (ولا تسألوا به) اى بالقرآن (خلقه) كالذين يجعلون القرآن وسيلة للكسب والمعيشة (انه ماتوجّه العباد الى الله بمثله) اى بمثل القرآن ، هذا علة ، لقوله : ((فاسئلوا)) لا لقوله : ((ولا تسئلوا)) .

(واعلموا انّه) اى القرآن (شافع) للانسان (مشفع) يقبل الله شفاعته (وقائل) يحكى الأخبار ، ويبين الأحكام (مصدّق) يصدقه الناس فى قوله ، لأنه لا يحكى الا الصدق والحق .

(وانّه من شفع له القرآن يوم القيامة شفّع فيه) فقد ورد فى الأحاديث ان القرآن يأتى يوم القيامة فى صورة جميلة فيشفع للعاملين به .

(ومن محل به القرآن يوم القيامة) يقال محل زيد بفلان اذا كاده بنقل سيّئاته عند السلطان (صدق عليه) ومن المعلوم ان ذلك موجب للعقاب و

فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ» . فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ .

الْعَمَلَ الْعَمَلَ ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ ، وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ ،

النكال (فانّه ينادى منـاد يوم القيامة : الا ان كل حارث) اى عامل عملا ، تشبيها بالحارث الذى يحرث الزرع ، و يأخذ الثمر (مبتلى فى حرثه و عاقبة عمله) و المراد حرثة امور الدنيا و السيئات ، كما لا يخفى . (غير حرثة القرآن) جمع حارث ، و المراد بهم العالمون به ، فانهم رابحون غير مبتلين .

(فكونوا) ايها الناس (من حرثته و اتباعه) باتباه اوامره و الانتهاء عن نواهيه (و استدلوه على ربكم) اى اطلبوا منه ان يدلكم على الله ، و المراد التدبر و الامعان فى آياته حتى يكون كاشفا عن صفاته سبحانه ، و تستفيدوا منه المعارف (و استنصحوه) اى اطلبوا نصحه و ارشاده (على انفسكم) لترشدوا به (و اتّهموا عليه آراءكم) فاذا خالفت آرائكم مع القرآن ، فاتهموا آرائكم بأنها خطأ ، و ان الصحيح هو القرآن (و استغشوا فيه اهواءكم) اى قولوا ان فى اهوائنا المخالفة للقرآن غش و خداع ، فاتركوها ، و خذوا بالقرآن .

ثم اخذ الامام فى حثّ النّاس على العمل بقوله : اعملوا (العمل العمل) ادئبوا عليه ليلا و نهارا (ثم) لاحظوا (النّهاية النّهاية) فربّ عامل لا يصل الى النهاية الحسنة ، لأنه يترك العمل فى منتصف الطريق (و) راقبوا (الاستقامة الاستقامة) فى الأعمال ، فان الأعمال المنحرفة لا تنفع و لا تعطى الثمن الحسن (ثم) واظبوا (الصّبر الصّبر) فانّ العمل المستمر المستقيم

وَٱلْوَرَعَ ٱلْوَرَعَ! «إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَٱنْتَهُوا إِلىٰ نِهَايَتِكُمْ»، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَٱهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَٱنْتَهُوا إِلىٰ غَايَتِهِ. وَٱخْرُجُوا إِلىٰ ٱللهِ بِمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ. أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ، وَحَجِيجٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

أَلَا وَإِنَّ ٱلْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَٱلْقَضَاءَ ٱلْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ؛

يحتاج الى اكبر قدر من الصبر (و) لازموا – فى اعمالكم – (الورع الورع) بأن اجتنبوا المحرمات ، فان العمل المستمر المستقيم ، لا ينفع اذا لم يتورع الانسان عن المحرمات ، قال سبحانه : ((انّما يتقبّل اللّه من المتّقين)) .

(انّ لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم) اى انتهوا نهاية حسنة ، والا فكل احد ينتهى الى نهايته (وانّ لكم علما) يدلكم على طريق الحق و هو الرسول ، او الامام ، او القرآن او المجموع . (فاهتدوا بعلمكم) لئلا تضلّوا فتشقوا .

(وانّ للاسلام غاية فانتهوا الى غايته) غاية الاسلام ايصال العاملين به الى خير الدنيا ، وسعادة الآخرة ، والمراد من الانتهاء الى غايته العمل المؤدى الى تلك الغاية (واخرجوا الى اللّه بما افترض عليكم من حقّه) يقال خرج الى فلان من حقه ! بمعنى اداه ، وحق الله هو الواجبات والمحرمات بأن يعمل الانسان حسب أحكامه (وبين لكم من وظائفه) الوظيفة ، الخصلة التى امر الانسان بها او نهى عنها (انا شاهد لكم) بما عملتم (وحجيج يوم القيامة عنكم) اى اقوم بالحجة عن قبلكم اذا احسنتم فى الدنيا ، كالمحامى الذى يدافع عن موكّله .

(الا وان القدر السابق قد وقع) اى الذى قدره الله سبحانه من انتهاء الخلافة اليّ (والقضاء الماضى) فى علم الله سبحانه (قد تورّد) اى ورد شيئا فشيئا ، والقدر بمعنى التقدير للأشياء ، كالمهندس الذى يقدر و يخطط للبناء

وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ ٱللهِ وَحُجَّتِهِ ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : «إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا ، وَلَا

والقضاء ، بمعنى الحكم على اجراء شئ ، كالحاكم الذى يقضى فى الأمور ، و كالمهندس اذا حكم بلزوم البناء على كيفية تقديره و تخطيطه ، والله سبحانه قدّر العالم ، وحكم بجرى الأمور على طبق ذلك التقدير ، لكنه اراد ان يكون ذلك بارادة الناس ـ فيما للارادة فيه مدخل ـ فالمعنى من القدر و القضاء ، علمه سبحانه بما يكون و تهيئة الأسباب فقط ، اما التنفيذ فانه يقع بارادة الناس ،كما انك لو علمت ان زيدا ينفق و هيئت له المال للانفاق ، فان انفاقه بقدرك وقضائك و لكن الانفاق صدر منه ، لا منك .

(و انّى متكلّم بعدة اللّه) اى بما وعده (وحجته) اى بما احتج ، و المعنى : انه لما وقع امر الخلافة بيدى ـ بقضائه و قدره ـ فانى ابين مواعيد الله سبحانه ، وابين حججه تعالى فى الأمور الأصولية و الفرعية ، ثم بين الامام عليه السلام وعدا من وعوده سبحانه فى القرآن الحكيم ، وهو ان المستقيم له الجنة (قال الله تعالى : ((ان الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا))) فى اعمالهم ، بان عملوا بمقتضى العبودية ، ومتطلبات الربوبية (تتنزل عليهم الملائكة) اى يستمر نزول الملائكة عليهم ، اما فى الدنيا ، و انهم يرونهم ـ كالزهاد و الأخيار ـ اولا يرونهم ، و انما يثبتونهم ، بالقاء الثبات فى قلوبهم كما قال سبحانه : ((اذ يوحى ربك الى الملائكة ان ثبتوا الذين آمنوا)) وهذا شئ حسّى فان ضمير الانسان المتدين يلقى اليه بالثبات و الاستقامة ، فمن اين هذا الالقاء ؟ انه من الملائكة ، كما ورد فى الأحاديث .. واما ان ذلك عند الموت ، وحين مشاهدة الآخرة .

و تقول الملائكة لهم : (الاّ تخافوا) من الاهوال ، فان الله معكم (و لا

تَحْزَنُوا، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » ، وَقَدْ قُلْتُمْ : « رَبُّنَا اللهُ » ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَىٰ كِتَابِهِ ، وَعَلَىٰ مِنْهَاجِ أَمْرِهِ ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا ، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا ، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا. فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا ، وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً ،

تحزنوا) على الشدائد ، فانها توجب ارتفاع درجتكم (وأبشروا بالجنّة التى كنتم توعدون) بها ، ولا يخفى ان لفظة ((كنتم)) تؤيد الاحتمال الثانى وهو ان نزول الملائكة حالة الموت (وقد قلتم) ايها الناس (ربّنا الله) بما آمنتم بالله و الرسول (فاستقيموا على كتابه) ولا تخالفوا القرآن (وعلى منهاج امره) الذى جاء به القرآن و الرسول صلى الله عليه و آله و سلم (وعلى الطّريقة الصّالحة من عبادته) سبحانه .

(ثم لا تمرقوا) اى لا تخرجوا (منها) اى من الاستقامة ، اومن العبادة (ولا تبتدعوا فيها) بالزيادة و النقصان (ولا تخالفوا عنها) بالانحراف الى صوب آخر ، وجادة اخرى .

(فان اهل المروق) اى الذين خرجوا عن الدين ـ بالأعمال السيئة ـ بعد وورودهم فيه (منقطع بهم ، عند الله ، يوم القيامة) اى انهم لا حجة لهم ، فينقطع عذرهم ، ولا يتمكنون ان يأتوا بما يسبب خلاصهم و نجاتهم كالذى ينقطع به الطريق ، فلا ينجو بالوصول الى محل الأمن و السلامة .

(ثم ايّاكم و تهزيع الاخلاق) تهزيع الشئ تكسيره (و تصريفها) اى تقليبها ، كان تكسروا الصدق ، بأن تقولوا الكذب ، او تكسروا الشجاعة ، بالاتصاف بالجبن ، او تصرفوا وجه العدل بارتكاب الظلم ، و هكذا (واجعلوا اللسان واحدا) فلا يكن احدكم ذا لسانين يطرى اخاه شاهدا و يغتابه غائبا .

وَلْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ ، فَإِنَّ هٰذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ . وَٱللّٰهِ مَا أَرَىٰ عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَىٰ تَنْفَعُهُ حَتَّىٰ يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ . وَإِنَّ لِسَانَ ٱلْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ ، وَإِنَّ قَلْبَ ٱلْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ : لِأَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ . وَإِنَّ ٱلْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَىٰ عَلَىٰ لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ ، وَمَاذَا عَلَيْهِ .

(وليخزن الرّجل لسانه) اى يحفظه (فان هذا اللسان جموح بصاحبه) يقال فرس جموح ، اذا كان لا يهدء فى السير ، بل يضطرب ، حتى يخشى على راكبه من التردى و السقوط ، و هكذا اللسان ، فان الانسان اذا اطلقه ، خشى من تردى صاحبه فى مهالك الدنيا و الآخرة ، فانه يأتى من اللسان ، الظلم ، والكذب ، والسب ، والاستهزاء ، والنميمة والغش ، والتهمة ، والغيبة ، ومدح من لا يستحق المدح ، وذم من لا يستحق الذم ، و الأمر اللغو ، الى غيرها من آفات اللسان .

(واللّه ما ارى عبدا يتّقى تقوى تنفعه) تلك التقوى (حتّى يختزن لسانه) أى يحفظه من الموبقات والآثام (وانّ لسان المؤمن من وراء قلبه) فانّ قلبه يفكر ، ثمّ يتكلم (وانّ قلب المنافق من وراء لسانه) يتكلم بكلام اعتباطا ، ثم يفكر فيما قال هل هو صحيح ام لا ؟ اذ المنافق لا يحجزه الورع عن ارسال الكلام كيفما كان .

ثم بين الامام عليه السلام ذلك بقوله : (لأنّ المؤمن اذا اراد ان يتكلم بكلام تدبره فى نفسه) حتى لا يكون كلامه محرما يوجب عقابه ، او هدرا ينقص ثوابه (فان كان خيرا ابداه) واظهره ، بأن تكلم به (وان كان شرّا واراه) اى اخفاه بمعنى انه لا يظهره (وانّ المنافق يتكلّم بما اتى على لسانه لا يدرى ما ذاله) اى يوجب خيره (وما ذا عليه) اى يوجب سوق شر اليه ، لأنه لا يؤمن باللّه ، حتى

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ : «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ . وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ». فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى ٱللهَ تَعَالَىٰ وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَ أَمْوَالِهِمْ ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ ، فَلْيَفْعَلْ

يعتقد بأن لكلامه ثوابا او عقابا (وقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله) فى باب لزوم حفظ اللسان (لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه) اذ منبع الايمان القلب ، والأعضاء انما هى ادلة عليه غالبا ، فاذا كان الانسان منحرف القلب لم ينفعه التحفظ الظاهرى لجوارحه و اعضائه ·

(ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه) اما المراد ان استقامة اللسان دليل استقامة القلب ، لأنه ما نوى احد شيئا الا ظهر فى فلتات لسانه ، واما المراد ان بحفظ اللسان يستقيم القلب ، اذ اللسان ان كف عن الكذب والغيبة و النميمة والسب وما اشبه ، تولد فى الانسان ملكة حسنة توجب استقامة قلبه ـ كما هو محسوس لمن تدبر ـ ·

(فمن استطاع منكم ان يلقى الله تعالى وهو نقى الرّاحة) لقاء الله كناية عن الموت ، ونقاء الراحة كناية عن عدم التلوث ، والراحة بمعنى الكف (من دماء المسلمين) بعدم اراقتها (واموالهم) بعدم النيل منها (سليم اللّسان من اعراضهم) بأن لم ينلهم بلسان سوء (فليفعل) والشرط للتأكيد فى الأمر ، و الالماع الى صعوبة ذلك ، مما يحتاج الى عزم قوى ، وارادة اكيدة ·

ثم عطف الامام نحو لزوم اتقاء البدع ، حيث قد خطب الامام بهذه الخطبة فى اوائل خلافته ، وقد اعتاد الناس بدع عثمان ، والمتقدمين عليه ، الذين زادوا فى الدين و نقصوا حسب شهواتهم ·

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عاماً أوَّلَ ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عاماً أَوَّلَ ؛ وَأَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، وَلٰكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللهُ ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللهُ . فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَضُرِبَتِ الْأَمْثَالُ لَكُمْ ، وَدُعِيتُمْ إِلَىٰ الْأَمْرِ الْوَاضِحِ ؛

(واعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام) اى فى هذا العام (ما أستحلّ عاما اوّل) اى فى السنة السابقة (ويحرّم العام ما حرّم عاما اوّل) فلا يبدع ، بل ما احله وحرمه ، بمقتضى ايمانه وارشاد الدين له ، فى السابق يبقى عليه الى الآخر ، فاذا احل المتعة حسب ما ارشده الدين يبقى على حليته الى الآخر ، واذا حرم صلاة النافلة فى جماعة حسب امر الاسلام يبقى على تحريمه الى الآخر، لا ان يحرم المتعة بعد حليتها ، ويحل صلاة التراويح بعد تحريمها .

(وانّ ما احدث الناس) من الأمور المخالفة للشرع ، (لا يحلّ لكم شيئا مما حرّم عليكم) فى الشّريعة ، فانّ البدع لا تغير احكام الله تعالى .

(ولكنّ الحلال ما احل الله) سبحانه (والحرام ما حرّم الله) تعالى سواء بقوا الناس على ذلك ام انحرفوا .

(فقد جرّبتم الأمور) فرأيتم الحق من الباطل (وضرّستموها) اصل ذلك ان يعض الانسان على الشئ ليعلم انه قوى او ركيك ، وهذا كناية عن التجربة ، وقد ألمع الامام عليه السلام بذلك الى صنائع الخلفاء ضد الاسلام ودساتير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن ، فلا ينساقوا الى حيث الهلكة باتباع البدع وترك السنن (ووعظتم بمن كان قبلكم) من الذين اهلكوا حيث خالفوا اوامر الله (وضربت الأمثال لكم) المثل هو الشئ المؤثر فى النفس ، الذى يتخذ منهاجا ، ليحتذى على مثاله (ودعيتم الى الأمر الواضح) ، وهو الكتاب

فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَصَمُّ، وَلَا يَعْمَىٰ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَعْمَىٰ. وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللهُ بِٱلْبَلَاءِ وَٱلتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْعِظَةِ، وَأَتَاهُ ٱلتَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ، حَتَّىٰ يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ. وَإِنَّمَا ٱلنَّاسُ رَجُلَانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ

والسنة، فانهما لا لبس فيهما ولا غموض.

(فلا يصمّ عن ذلك الاّ اصمّ) فان الصوت لا نقص فيه، فاذا لم يسمعه احد — وذلك كناية عن عدم العمل — فانه اصم فيه النقص (ولا يعمى عن ذلك الاّ اعمى) فان الشئ ظاهر يراه كل احد، فاذا لم يره احد كان لكونه اعمى لا يبصر الحق (ومن لم ينفعه الله بالبلاء) اى الابتلاء بمعنى الاختبار (والتّجارب) التى تمر به، فيرى نتائج الأعمال للسابقين، من عمل منهم حسنا، ومن عمل منهم سيئا (لم ينتفع بشئ من العظة) مصدر وعظ، نحو عدة مصدر ((وعد)) اذا الوعظ كلام، والتجارب امور خارجة، وتلك اقوى من الكلام فى الالفات والارشاد (واتاه التّقصير من امامه) كان التقصير عدو مجاهر، يأتى من امام الانسان لمحاربته، وذلك بخلاف الانسان غير المجرب فانه اذا اتاه التقصير، فكأنه اتاه العدو على حين غفلة و غره، اذ لم يعرف الأمور و لم ير التجارب، حتى يكون مقصرا اذا وقع فى الهلكة.

(حتّى يعرف ما انكر) اى جعله فى السابق منكرا (وينكر ما عرف) اى ما كان جعله فى السابق معروفا، او المراد انه لا ينتفع بالوعظ حتى يعرف ما انكره، بأن يتبين لديه اشتباهه، وان ما ظنه منكرا، يعرفه معروفا و بالعكس (وانّما النّاس رجلان:) أحدهما (متّبع شرعة) أى شرعية الحق (و) الثانى (مبتدع بدعة) على خلاف الشرع (ليس معه) اى مع المبتدع (من الله سبحانه

بُرْهَانُ سُنَّةٍ ، وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ .

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ « حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ » ، وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ ،

برهان سنّة) اى دليل على ان ما يعمله سنة سنها الله سبحانه (ولا ضياء حجة) فان للحجّة ضياءا يوجب كشف الحقيقة ، وتميزها عن الأباطيل والأوهام

(وان الله سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن) اذ جمع فيه سبحانه جميع انواع المواعظ (فانه حبل الله المتين) اى المحكم فكما ان الحبل المحكم اذا شدّ به الانسان الذى يراد جره الى فوق لا يخشى عليه من السقوط بانقطاع الحبل ، كذلك الانسان المريد للرقى اذا تمسك بالقرآن ، لا يخاف السقوط و الخسران .

(وسببه الأمين) فكما ان السبب للشئ اذا كان امينا ، لا يخشى من عدم الوصول الى المسبّب كذلك من تمسك بالقرآن لا يخشى عدم الوصول الى مطلبه الذى هو خير الدنيا و الآخرة (وفيه ربيع القلب) فكما ان الربيع سبب لخروج الأزهار ، كذلك القرآن يسبب ازدهار القلب و تحليه بانواع الفضيله و الكمال .

(وينابيع العلم) جمع ينبوع ، فان علم الأصول و الفروع ، و العبر و الأحكام و ما اشبه ينبع من القرآن (وما للقلب جلاء غيره) فان الجلاء الحقيقى الذى لا يكدره الآلام انما هو فى القرآن اذ يهدء قلب الانسان و يطمئن حتى انه اذا نزلت به اعظم الكوارث ، كان واثقا من رحمة الله وحسن جزائه (مع انه قد ذهب المتذكرون) الذين كانوا يتذكرون بسبب القرآن ، اى اقول هذا الكلام وانا متأسف من ذهابهم ، فان ((مع)) يفيد ذلك ، و المراد بالمتذكرين اصحاب الرسول صلى الله عليه و آله وسلم الأخيار ، كأبى ذر و سلمان واضرابهما .

وَبَقِيَ النَّاسُونَ وِ الْمُتَنَاسُونَ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَانَ يَقُولُ : «يَابْنَ آدمَ ،اعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ» .

انواع الظلم

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ : فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ .

(وبقى النّاسون و المتناسون) المتناسى هو الذى لم ينس ، لكنه يظهر نفسه كأنه ناس (فاذا رأيتم خيرا فاعينوا عليه) كما قال سبحانه : ((تعاونوا على البرّ و التقوى)) (و اذا رأيتم شرّا فاذهبوا عنه) ولا تعينوه حتى بالاجتماع حوله ، كما قال سبحانه : ((ولا تعاونوا على الاثم و العدوان)) (فانّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان يقول : ((يابن آدم اعمل الخير و دع الشّر فاذا)) فعلت ذلك ف ((انت جواد قاصد))) الجواد هو الفرس ، والقاصد هو الذى يتوسط فى الجادة فلا يأخذ يمينا و شمالا ، وهذا تشبيه للانسان بالفرس الذى لا ينحرف ، فانه يصل الى مقصده بدون عطب و تعطيل ، وكذلك الانسان العامل بالخير ، التارك للشر ، وليس فى التشبيه بالفرس حزازة ،فانه لشرافته ، كان موردا للتشبيه كثيرا :

ثم اخذ الامام عليه السلام فى بيان انواع الظلم ، والتنفير منه ، بقوله : (الا و إنّ الظلم ثلاثة) اقسام (فظلم لا يغفر) اى من طبيعة ان لا يغفره الله سبحانه (وظلم لا يترك) فى الدنيا بل يرى الظالم جزاء ظلمه قبل الآخرة (وظلم مغفور لا يطلب) يعنى انه هو الغالب فى الغفران ، لا انه مغفور البتة ، والا نافى كونه ظلما كما لا يخفى ، والحاصل ان الظلم قد يكون له تبعة اخروية ، وقد يكون له تبعة دنيوية ،وقد يكون الغالب فيه عدم التبعتين .

فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : « إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » . وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً. الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَىٰ وَلَا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ ، وَلٰكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ. فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ ،

(فاما الظّلم الّذى لا يغفر فالشّرك بالله) كما قال لقمان : ((إنّ الشرك لظلم عظيم)) (قال الله تعالى : ((ان الله لا يغفر ان يشرك به))) والمراد بالشرك هنا اعم من الكفر ٠

(واما الظّلم الذى يغفر) وهو ثالث الأقسام (فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات) جمع هنة ، وهى : المعاصى التى ترجع ضررها الى الانسان نفسه ، ممّا لا ترجع الى انكار اصول الدّين ، والى ظلم النّاس ٠

(وامّا الظلم الذى لا يترك) بل يرى الانسان تبعته فى الدنيا (فظلم العباد بعضهم بعضا) كقتل الانسان او سرقة ماله او هتك عرضه او ما اشبه ذلك ٠

(القصاص هناك شديد) اى فى الآخرة ، وهذا تحذير لأن يعمل الانسان عملا يوجب القصاص فى الآخرة ، وهو بيان ان ظلم العباد كما لا يترك فى الدّنيا ، لا يترك فى الآخرة ايضا (ليس هو) اى القصاص الأخروى (جرحا بالمدى) جمع مدية ، وهى السكين (ولا ضربا بالسياط) جمع سوط ، اى ليس المه كآلام السكين والسياط ، حتى يستسهله الانسان (ولكنه ما) اى القصاص ، عذاب شديد (يستصغر ذلك) الجرح والألم الدّنيوى ، بالسكين والسوط (معه) اى مع القياس بذلك القصاص ، اى بالنسبة اليه ٠

(فاياكم والتلون فى دين الله) بإن تأخذوا كل يوم لونا ، وذلك بمعنى الابتداع (فانّ جماعة فيما تكرهون من الحقّ) اى تكونون جماعة مجتمعين فى

خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ . وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَىٰ ، وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ « طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ » ، وَطُوبَىٰ لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَأَكَلَ قُوتَهُ ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، « وَبَكَىٰ عَلَىٰ خَطِيئَتِهِ » فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ !

الحق ، وان كرهتم ذلك الحق (خير من فرقة فيماتحبون من الباطل) بان يتبع كل واحد ما يحبّه ، فيفترق عن اخوانه ، والحق حيث انه واحد يجمع الناس اما الباطل حيث انه متعدد فانه يفرقهم دائما ، وهذا هو شأن البدعة (وانّ الله سبحانه لم يعط احدا بفرقة خيرا) اذ السعادة والقوة في الاجتماع لا في التفرق (ممّن مضى ولا ممّن بقى) بيان ((احد)) اى من الأمم الماضية والأمم الباقية .

(يا ايها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن) الاشتغال ب (عيوب النّاس) ومعنى ذلك ان يشتغل بالعلم ليرفع عيبه الذى هو الجهل ، وبالعمل ليرفع عيبه الذى هو البطالة ، وهكذا ، لا ان يشتغل بذكر معائب الناس (وطوبى لمن لزم بيته) لا يدخل فى الفتن بلا هدى وحجّة (واكل قوته) لا يطمع فى اموال النّاس (واشتغل بطاعة ربّه) فلا يصرف وقته فى البطالة ، فكيف بما اذا اشتغل بالمعاصى ؟ (وبكى على خطيئته) الّتى صدرت منه ليغفرها الله سبحانه له (فكان من نفسه) اى من ناحية نفسه التى تامره بالعمل (فى شغل) لاصلاح دينه ودنياه (والنّاس منه فى راحة) لأنه لا يثير الفتن ، ولا يتعرض للناس بسوء .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في معنى الحكمين

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَىٰ أَنِ ٱخْتَارُوا رَجُلَيْنِ ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا عِنْدَ ٱلْقُرْآنِ ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُما مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ ، فَتَاهَا عَنْهُ ،

ومن كلام له عليه السلام

فى معنى الحكمين

أى فى الأمر المرتبط بها ، وقد تكلّم عليه السلام بهذا الكلام ، بعد ما بلغه امر الحكمين .

(فاجمع رأى ملئكم) اى وجوهكم و اشرافكم ، فان الملاء هم الأشراف ، لأنهم يملئون الصدر هيبة ، و العين جلالا (على ان اختاروا رجلين) عمر بن العاص و ابا موسى (فاخذ نا عليهما ان يجعجعا عند القرآن) من جعجع البعير اذا برك ، و المراد ان لا يتعديا حكم القرآن (ولا يجاوزاه)بأن يحكما بالأهواء(و تكون السنتهما معه) اى مع القرآن (وقلوبهما تبعه) بان يكون اعتقادهما كما قال القرآن ، لا ان يوجّها القرآن حسب آرائهما (فتاها) اى ضلاّ (عنه) اى عن القرآن اذ القرآن يقول ((و السابقون الأولون من المهاجرين)) و على عليه السلام سابق و معاوية لم يكن سابقا ، و يقول : ((يا ايها الذين آمنوا اتّقوا الله

وَتَرَكَا ٱلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ ٱلْجَوْرُ هَوَاهُمَا ، وَٱلِاعْوِجَاجُ دَأْبَهُمَا . وَقَدْ سَبَقَ ٱسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْحُكْمِ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْعَمَلِ بِٱلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا . وَالثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا ، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ ٱلْحَقِّ ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ ٱلْحُكْمِ .

وكونوا مع الصادقين)) وعليّ كان صادقا دون معاوية ، وهكذا سائر الآيات النازلة بشأن على عليه السلام او المنطبقة عليه عليه السلام ، دون معاوية ٠

(وتركا الحق وهما يبصرانه) لعرفانهما اخلاق على عليه السلام و معاوية ، وان الأول متعين للخلافة (وكان الجور) والعدول عن الحق (هواهما) فانّ هوا ابن عامر كان مع معاوية حيث وعده ملك مصر ، وكان هوى ابى موسى مخالفا لعليّ عليه السلام حيث كان على عزله عن الامارة فى الكوفة و نصب غيره مكانه ٠

(والاعوجاج دأبهما) اى عادتهما ٠

(وقد سبق) عند تخويلهما الحكم (استثناؤنا عليهما ـ فى الحكم بالعدل والعمل بالحق ـ سوء رأيهما) اى كان المقرّر ان يحكما بالعدل لا ان يسيئا الرأى فيحكما حسب شهواتهما و اهوائهما (وجور حكمهما) عطف على سوء رايهما ، وعلى هذا فحكمهما باطل اذ لم نحكمهما ، مطلقا و بلا شرط ٠

(و) عليه فـ (الثقة فى ايدينا لأنفسنا) اى الحجة فى ايدينا لنحكّم اناسا آخرين ، ولم نعط الثقة لهما مطلقا حتّى يقال : انكم اعطيتم ثقتكم بايديهما فلا ثقة لكم بعده حتّى تعطياها لشخص آخر ، والعبارة كالاستعارة لتمكن ، فكانه اذا اعطى الاختيار مطلقا ، فحكم الطرف ماض بخلاف ما اذا شرط (حين خالفا سبيل الحقّ) فى كيفية التحكيم (واتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم) اى الحكم المعكوس من عزل احدهما عليّا عليه السلام ، و نصب احدهما معاوية ٠

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ ، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا ، وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى وصفه سبحانه ، و بيان رسالة الرسول ، و الانذار و الوعظ

(لا يشغله شأن) فانه سبحانه ليس كالبشر ، اذا توجه لأمر ذهل عن الأمور الآخر ، بل هو يتوجه نحو الف امر بلا ان يشغله احدهما عن الباقى (ولا يغيره زمان) بان ينقص من عمره ، كما فى الانسان ، او يبليه ، كما فى العمارة و الثياب و ما اشبه .

(ولا يحويه) ان يشتمل عليه (مكان) كما يشتمل المكان على الانسان و سائر الأجسام (ولا يصفه لسان) حق وصفه لأن الانسان لا يدركه سبحانه كنهه حتى يتمكن من وصفه حق الوصف (ولا يعزب عنه) اى يغيب عنه بمعنى يجهل (عدد قطر الماء) الموجود فى الكون او المراد قطر المطر (ولا) عدد (نجوم السّماء) فانه يعلم عددها التى لا تحصى (ولا سوافى الرّيح فى الهواء) جمع سافية ، و هى التى تهب ، فانه يعلم اعدادها و كيفيّاتها (ولا دبيب النّمل على الصّفا) جمع صفاة هى الصّخرة الملساء ودبيبها حركتها (ولا مقيل الذّر)

فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالْمُخْتَصُّ

الذر النمل ، و مقيلها محل استراحتها و نومها (فى اللّيلة الظّلماء) التى لا يرى فيها الأشياء فكيف بالصغيرة ؟ .

(يعلم) سبحانه (مساقط الأوراق) جمع مسقط ، بمعنى السقوط ، او محل السقوط ، و المراد اوراق الأشجار ، كما قال سبحانه : ((و ما تسقط من ورقة الا يعلمها)) (و خفى طرف الأحداق) جمع حدقة ، و هى العين ، و طرفها تحريك جفنها ، و خفى التحريك هو الذى يخفيه الانسان عن الحاضر ، لئلا يعلم اين نظر ، كالذين يسرقون النظرة .

(واشهد ان لا اله الاّ اللّه غير معدول به) اى لا اجعل لله سبحانه عدلا و شريكا (و لا مشكوك فيه) اى لا اشك فى وجوده (و لا مكفور دينه) اى لا أنكر دينه ،حتى اكون أنا منكرا لدينه ، ودينه مكفورا (ولا مجحود تكوينه) أى لا أجحد خلقه للخلق (شهادة من صدقت نيّته) اى شهد بصدق نية ، لا كالمنافقين الذين يشهدون لسانا و ينكرون جنانا (وصفت دخلته) اى باطنه و لم يلوث بالنفاق (و خلص) عن شوائب الشك (يقينه) فله يقين كامل (و ثقلت موازينه) كناية عن قوة اليقين .

(واشهد انّ محمّدا عبده و رسوله المجتبى) اى المختار (من خلائقه) فهو افضل من جميعهم (و المعتام) اى المختار ، من آلعتمية بمعنى المختار من المال (لشرح حقائقه) اى حقائق دين اللّه من الأصول و الفروع (و المختص

بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ ، وَٱلْمُصْطَفَىٰ لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ ، وَٱلْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ ٱلْهُدَىٰ ، وَٱلْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ ٱلْعَمَىٰ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ ٱلْمُؤَمِّلَ لَهَا وَٱلْمُخْلِدَ إِلَيْهَا ، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا ، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا . وَآيْمُ ٱللهِ . . . نَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةِ

بعقائل) اى الكرائم (كراماته) اى افضل كرامات اللّه تعالى .

(و المصطفى) اى المختار (لكرائم رسالاته) اى الرسالة التى هى اكرم الرسالات ، و هى نهاية الأحكام و الأخلاق و ما اشبه ، مما اتى بها الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم دون سائر الأنبياء (و الموضحة به) اى بسبب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم (اشراط الهدى) اى علاماته و دلائله (و المجلوّبه) اى المنكشف بسبب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم (غربيب العمى) اى اشد انواع العمى ضلالة ، فان غربيب ، بمعنى السواد القائم ، فانه صلى الله عليه و آله و سلم يزيل اشد انواع الضلالة ، و يهدى النّاس الى الحق و الى صراط مستقيم .

(ايها النّاس انّ الدّنيا تغر المؤمّل لها) اى تخدعه بارائتها له انها توصله الى آماله (و المخلد اليها) من اخلد بمعنى ركن و مال (و لا تنفس) الدنيا ، اى لا تبخل (بمن نافس فيها) اى بمن يباهى غيره بان له الدنيا فانت تعظم الدنيا و تباهى بها ، و الدنيا لا تهتم بشأنك و لا تبخل بك ، بل تسلمك للآفات بدون مبالاة (و تغلب) الدّنيا (من غلب عليها) فانّ الانسان يظنّ انّه غلب على الدّنيا حيث حصّل بعض جاهها او مالها ، لكنه ظن مكذوب بل الدنيا غلبت على هذا الشخص ، حيث خدعته و بعدته عن دار كرامة اللّه سبحانه .

(و ايم اللّه) قسم باللّه سبحانه (ما كان قوم ـ قط ـ فى غضّ نعمة) اى

مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ « بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .
وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ ، فَزِعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ
بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ ، وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ ، وَأَصْلَحَ
لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ . وَإِنِّي لَأَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ . وَقَدْ كَانَتْ
أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً ،

حسن نعمة ، فانّ الغض الجديد الناضر (من عيش) هنيّ (فزال عنهم إلّا بذنوب اجترحوها) اى عملوا بها و اقترفوها فانّ الذنوب سبب زوال النّعمة .

قال الشّاعر :

اذا كنت فى نعمة فارعها ... فانّ المعاصى تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الاله ... فانّ الاله شديد النقم

(لانّ اللّه ليس بظلّام للعبيد) يزيل نعمتهم اعتباطا بدون ذنب منهم ، و ((ظلّام)) صيغة نسبة ، اى بذى ظلم (ولو انّ الناس حين تنزل بهم النّقم) جمع نقمة ، مقابل نعمة (و تزول عنهم النّعم) جمع نعمة (فزعوا) اى التجأوا (الى ربّهم بصدق من نياتهم) بأن يكونوا مستجيرين حقيقة ، عازمين على طاعته ، نادمين عما سلف منهم من الذنوب (و وله) اى تحير (من قلوبهم) بأن كانت قلوبهم والهة فى حبّ اللّه و طاعته (لردّ عليهم كلّ شارد) اى كل ما شرد منهم من النعم (و أصلح لهم كلّ فاسد) من امورهم .

(و انّى لأخشى عليكم ان تكونوا فى فترة) اى فى فترة من المهلة الالهية ، التى يمهل بها كل مجرم ليستكمل اجرامه ، ثم يؤخذ على حين غفلة بل ما تمت عليه الحجة ، واشتدت عليه العقوبة ، كما قال سبحانه : ((انما نملى لهم ليزدادوا اثما)) .

(و قد كانت امور مضت ملتم فيها ميلة) عن جادة الهدى ، ولعل المراد

كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ . وَمَا عَلَيَّ إِلَّا ٱلْجُهْدُ ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ : عَفَا ٱللهُ عَمَّا سَلَفَ !

بذلك ميلهم الى وقف القتال فى صفين ، و انخداعهم بمكر معاوية ، و اختيارهم ابا موسى الاشعرى ، و ما اشبه ذلك ٠

(كنتم فيها عندى غير محمودين) حيث خالفتم الأوامر ، و بذلك انشقت صفوف المسلمين ، و تجرء الأعداء (و لئن ردّ عليكم امركم) كما كان فى زمن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم حيث الوحدة و الايمان و الاطاعة (انكم لسعداء) لأنه موجب لخير الدنيا و الآخرة (و ما عليّ إلا الجهد) بأن اتعب و اجتهد للارشاد و الهداية (و لو اشاء ان اقول ـ لقلت : عفا الله عما سلف) اى سامحتكم لما سلف من اعمالكم ، فلا تعودوا لمثلها ٠

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سأله ذعلب اليماني فقال : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟
فقال عليه السلام : أفأعبد ما لا أرى ؟ فقال : وكيف تراه ؟ فقال :

لَا تَرَاهُ ٱلْعُيُونَ بِمُشَاهَدَةِ ٱلْعِيَانِ ، وَلٰكِنْ تُدْرِكُهُ ٱلْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ ٱلْإِيمَانِ . قَرِيبٌ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَامِسٍ ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ ،

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى التوحيد

(وقد سأله ذعلب اليمانى ، فقال : هل رأيت ربّك يا امير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : افاعبد ما لا ارى ؟ فقال : وكيف تراه ؟ فقال :

(لا تراه) سبحانه (العيون بمشاهدة العيان) كما ترى العين سائر الأشياء ، لأنّ الله سبحانه مستحيل عليه الرؤية (ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان) اى بسبب احتواء القلب على حقيقة الايمان بالله سبحانه ، فان الايمان الحقيقى يوجب المعرفة الكاملة لله تعالى ، اذ كل مصنوع يدل على الصانع ، وهو سبحانه .

(قريب من الأشياء) باحاطة علمه وقدرته عليها (غير ملامس) اى ليس قربه مثل قرب الأجسام بعضها ببعض ، مما يوجب الملامسة ، واللمس لدى الالتصاق (بعيد منها) اى من الأشياء ، بعدا بمعنى عدم المجانسة و المشاهدة ، لا البعد الزمانى والمكانى (غير مباين) اى ليس المبعد من قبيل

مَتكلمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ لَابِهِمَّةٍ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ. لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ. تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

بعد النار عن الماء، او ما اشبه، مما يباين احدهما الآخر (متكلم لا برويّة) اى ان تكلمه لا يصدر عن فكر، وانما يخلق الكلام بدون فكر (مريد لا بهمّة) فانّه لا يهتم نفسا ثم يريد، اذ لا نفس له سبحانه.

(صانع) للأشياء (لا بجارحة) اى بيد و رجل و نحوهما، وانما يأمر بـ ((كن)) فيكون ما اراد (لطيف) بمعنى نفوذ قدرته وعلمه فى كلشئ (لا يوصف بالخفاء) والرقة، بخلاف اللطيف من الأشياء كما يقال الهواء لطيف، اذا لم تر.

(كبير) اى عظيم (لا يوصف بالجفاء) اى الخشونة وعدم المبالاة، كالبشر الذين اذا علت منزلتهم جفوا الناس و لم يهتموا بهم (بصير) لا يرى الأشياء (لا يوصف بالحاسّة) اى بالعين، فانه سبحانه لا عين من لحم ودم له.

(رحيم لا يوصف بالرّقة) اى رقّة القلب، اذ لا قلب له سبحانه، ولا تبدل فى حالاته (تعنو) اى تذل و تخضع (الوجوه لعظمته) فكل شريف خاضع له (وتجب) اى تضطرب، من وجب بمعنى خفق واضطرب (القلوب من مخافته) اى خوفا منه سبحانه، بأن كانت قصرت فى الأعمال، فتبتلى بالعقاب

وَمِنْ خُطْبَة لَه عَلَيْهِ السَّلَام

في ذم العاصين من أصحابه

أَحْمَدُ ٱللهَ عَلَىٰ مَا قَضَىٰ مِنْ أَمْرٍ ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَعَلَىٰ ٱبْتِلَائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا ٱلْفِرْقَةُ ٱلَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ . إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ .

وَمِنْ خُطْبَة لَه عَلَيْهِ السَّلَام

فى ذم العاصين من اصحابه

(احمد الله على ما قضى من امر) كما قال سبحانه : ((وقضى ربّك الاّ تعبدوا الاّ ايّاه)) (وقدّر من فعل) كما قال سبحانه : ((وقدّر فيها اقواتها)) فانّ القضاء و القدر يستعملان بمعان ، والظاهر ارادة ما ذكرنا ، فى هذا الكلام بقرينة ((امر)) و ((فعل)) .

(و) احمد الله (على ابتلائى بكم ايّها الفرقة) اى الجماعة (التى اذا امرت لم تطع) والمراد جميع اوامره عليه السلام ، لا مطلقا كما لا يخفى .

(واذا دعوت) الى الجهاد وما اشبه (لم تجب) جبنا او تكاسلا (ان امهلتم) فلم اطلبكم للجهاد والعمل (خضتم) فى الباطل ، دون ان تعملوا لسعادتكم (وان حوربتم) اى حضرتم ميادين الحرب (خرتم) اى صحتم ، من خار بمعنى صاح ، فان المحارب يجب ان يلزم الصمت والسكينة لا الصياح و العجيج ، فانّ ذلك مما يوهن الانسان .

وَإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَىٰ إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ، وَإِنْ أُجِبْتُمْ إِلَىٰ مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ . لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَىٰ حَقِّكُمْ ؟ الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ ؟ فَوَاللّٰهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي ـ وَلَيَأْتِيَنِّي ـ لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ . لِلّٰهِ أَنْتُمْ ! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ !

(و ان اجتمع الناس على امام) يريد نفسه الكريمة (طعنتم) فى ذلك الامام ، بان تنحتوا له معائب و منقصات (و ان اجبتم الى مشاقة) المراد بها الحرب (نكصتم) اى رجعتم القهقرى و فررتم عن الحرب (لا ابا لغيركم) ((لا ابالك)) جملة تستعمل للذم بمعنى فقدت الاب حتى تكون من دون والى ، و تستعمل للدعاء بمعنى تملك امرك ، وقد تلطف الامام بتوجيه الجملة للغير ، اما احتراما لهم ان اريد بها الذم ، او اهانة لهم ان اريد بها الدّعاء ·

(ما تنتظرون بنصركم و الجهاد على حقكم) ؟ استفهام انكارى ، اى هل بعد موقع للانتظار ، ان حقكم قد غصب ، و النصر قد فاتكم باستيلاء معاوية على بعض بلادكم ، فما وجه الانتظار بعد ذلك ؟ اتريدون فى انتظاركم (الموت او الذلّ لكم) فانكم ان بقيتم بلا محاربة ، اما متّم ، او سيطر معاوية حتى تذلوا ·

(فو الله لئن جاء يومى) اى وقت موتى (و ليأتينى) اخبار بأنه سيأتى يومى (ليفرقن بينى و بينكم) بالموت (و انا لصحبتكم) اى مصاحبتكم (قال) اى كاره ، من ((قلى)) ، بمعنى كره وغضب يعنى افرح بموتى و تخلّصى من اصطحابكم (و بكم غير كثير) فان الكثرة انما تراد للمنفعة ، فاذا انتفت كان وجودها كعدمها ، يعنى لست كثيرا بسببكم لعدم نفعكم ·

(لله انتم) هذه جملة تستعمل فى الذم ، بمعنى ان الله يقدر ان يعالجهم و ينتقم منهم ، و تستعمل فى المدح ، اى انهم لله سبحانه ، مخلصين له فى اعمالهم و اقوالهم (اما دين يجمعكم) ؟ ففيم هذا التفرق فى آرائكم و اهوائكم

وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ ! أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو ٱلْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ — وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ ٱلْإِسْلَامِ ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ — إِلَىٰ ٱلْمَعُونَةِ و طَائِفَةٍ مِنَ ٱلْعَطَاءِ ، فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ ؟ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضىً فَتَرْضَوْنَهُ ، وَلَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ؛

(ولا حميّة) اى انفة وكبر فى نفوسكم عن تسلّط الأعداء عليكم (تشحذكم) اى تغيظكم لتقوموا بالجهاد ، من شحذ السكين ، بمعنى حددها ، والانسان اذا شحذ صار كالسكين يقطع و ينفذ .

(او ليس عجبا انّ معاوية يدعو الجفاة) جمع جافي و هو الغليظ الخشن فى اعماله و نواياه (الطّغام) بمعنى اراذل الناس (فيتّبعونه على غير معونة) اى اعانة منه لهم (ولا عطاء) لهم ، والسبب ان معاوية كان يألف الرؤساء بالمال رشوة ، جورا وظلما ، والأراذل تبع لكبرائهم ، والامام كان يقسم بالسوية فالكبراء كانوا غير راضين عنه ، ولذا لا يحركون اتباعهم لنصرة الامام عليه السلام (وانا ادعوكم — وانتم تريكة الاسلام) اى البقية الباقية من المسلمين الذين يعتز بهم الاسلام (و بقيّة الناس) الصالحين ، خلف عن سلف صالح (الى المعونة) متعلق بـ ((ادعوكم)) (و) الى (طائفة من العطاء) اى اعين جماعة ، واعطى جماعة ، والاعانة : الاعطاء تبرعا ، بخلاف العطاء فانه العطاء من بيت المال حسب الاستحقاق .

(فتفرّقون عنّى) بأن يستجيب بعض للجهاد ، ولا يستجيب بعض (و تختلفون علىّ) هذا يريد ، وذاك يردّ (انّه لا يخرج اليكم من امرى) اى من اوامرى التى آمركم بها (رضى) للجميع (فترضونه) كلكم (ولا سخط فتجتمعون عليه) بأن تسخطون جميعا ، وهذا بيان انهم لا يجتمعون لا على

وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ ! قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ ، وَفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ ، لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ ! وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ ! وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ !

رضى ولا على سخط ، بل متفرقون دائما يرضى بعضهم ، و يسخط بعض ،كيفما امر الامام عليه السلام (و انّ احبّ ما انا لاق) اى احب شئ القاه (الى الموت) بان اموت فاستريح منكم ، ثم بين عليه السلام انه اتهم بكل ارشاد و نصيحة ،لكنهم بقوا على ضلالهم و جهالتهم (قد دارستكم الكتاب) اى قرأت عليكم القرآن تدريسا و تعليما (و فاتحتكم الحجاج) اى عرفتكم وجوه الاحتجاج ، بعد ان لم تكونوا تعرفونها ، فهى مفاتحة منى (و عرّفتكم ما انكرتم) اى ما جهلتم (و سوّغتكم) اى جعلت سائغا هنيئا عندكم (ما مججتم) اى ما كنتم تمجّونه و تطرحونه ، و كأنّ المراد الأخلاق الفاضلة (لو كان الأعمى يلحظ) اى يبصر ، و ((لو)) لبيان احوالهم ، و انهم كالأعمى لا يبصرون شيئا ، و ان بصّروا (او النائم يستيقظ) اى يتنبّه و يقوم من النوم (و اقرب بقوم من الجهل) صيغة تعجب اى ما اقرب قوم الى الجهل (بالله) سبحانه و بأحكامه (قائد هم معاوية ، ومؤدّبهم ابن النّابغة) اى عمرو بن العاص ، و المراد بهم اصحاب الشّام ، و هذه الجملة لبيان الفرق بين اهل العراق ، و بين اهل الشام ، و للتأفف من عدم اطاعة هؤلاء مع ان قائدهم مثل الامام العالم الورع ، و اطاعة اولئك مع ان قائدهم مثل معاوية ، و مرشدهم مثل ابن العاص . !

ومن كلام له عليه السلام

وقد أرسل رجلاً من أصحابه ، يعلم له أحوال قوم من جند الكوفة ، قد هموا باللحاق بالخوارج ، وكانوا على خوف منه عليه السلام ، فلما عاد إليه الرجل قال له : «آمِنُوا فَقَطَنُوا ، أم جبنوا فَظَعَنُوا ؟» فقال الرجل : بل ظَعَنُوا يا أمير المؤمنين . فقال عليه السلام :

«بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ» ! أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ ٱلْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ ، وَ

ومن كلام له عليه السلام

(وقد ارسل) عليه السلام (رجلا من اصحابه ، يعلم له احوال قوم من جند الكوفة ، قد همّوا باللحاق بالخوارج ، وكانوا على خوف منه عليه السّلام ، فلمّا عاد اليه الرجل قال له : ((امنوا فقطنوا ام جبنوا فظعنوا ؟)) اى هل آمنوا جانبى فبقوا ، ام خافوا نكالى فسافروا و ذهبوا الى الخوارج ؟ — (فقال الرجل : بل ظعنوا يا امير المؤمنين ، فقال عليه السلام) :

(بعدا لهم كما بعدت ثمود) دعاء عليهم بان يبعدهم الله عن رحمته ، كما ابعد اللّه قوم صالح النبى — وهم قبيلة ثمود — عن رحمته ، حيث انزل عليهم العذاب ، لما خالفوا امر اللّه ، وعقروا الناقة ، و ((بعدا)) منصوب بفعل مقدّر ، اى اللّهم ابعدهم بعدا (اما لو اشرعت الأسنّة) جمع سنان ، و هو الرمح (اليهم) عند المحاربة مع الخوارج ، و اشرعت بمعنى صوبت نحوهم (و

صُبَّتِ ٱلسُّيُوفُ عَلَىٰ هَامَاتِهِمْ ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ ٱلْيَوْمَ قَدِ ٱسْتَفَلَّهُمْ ، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّىءٌ مِنْهُمْ ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ. فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ ٱلْهُدَىٰ ، وَٱرْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَٱلْعَمَىٰ ، وَصَدِّهِمْ عَنِ ٱلْحَقِّ ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ .

صبّت السيوف على هاماتهم) اى رؤسهم ، و هذا كناية عن تكاثر الضرب بالسيوف عليهم .

(لقد ندموا على ما كان منهم) من الظعن و الالتحاق بالخوارج ، لأنهم لا يتمكنون من المقاومة (انّ الشيطان اليوم قد استفلّهم) اى دعاهم للتفلل ، و هو الانهزام عن الجماعة (و هوغدا متبرّى منهم) و المراد اما فى يوم القيامة ، اذ يتبرّء الشيطان من اتباعه ، قال سبحانه : ((اذ تبرء الذين اتبعوا من الذين اتبعوا)) او المراد عند الحرب ، و تبرئه كناية عن عدم نصرته لهم ؛ كما صار فى حرب الكفّار مع الرّسول ، قال سبحانه : ((فلما ترائت الفئتان نكص على عقبيه و قال انّى برئ منكم انّى ارى ما لا ترون)) .

(و متخلّ عنهم) التّخلى عن فلان بمعنى الابتعاد عنه و عدم نصرته (فحسبهم) ضلالا و جهالة (بخروجهم من الهدى) الباء زائدة ، اذ الأصل فيه ((هم يكتفون بذلك)) .

(و ارتكاسهم) اى انقلابهم ، و اصل الارتكاس : ان يقع الانسان من رأسه فى وحل او ما اشبه (فى الضلال و العمى) اى عدم تبصّر السّبيل ،كالأعمى الذى لا يبصر الطريق (و صدّهم عن الحقّ) اى منعهم للنّاس عن اتباع الامام (و جماحهم) اى عصيانهم (فى التّيه) اى فى الضّلال ، فان التائه يلزم ان يطيع من يرشده ، لا ان يعصى حتى يهلك فى المهالك .

وَمِنْ خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

روي عن نوف البكالي قال: خطبنا هذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة، نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مِدْرَعَةٌ من صُوف وحمائلُ سيفه لِيفٌ، وفي رجليه نعلان من لِيفٍ، وكأنّ جبينه ثَفِنَةُ بعير. فقال عليه السلام :

وَمِنْ خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

ز فيها حمد الله ، و بيان صفاته ، و الارشاد و النّصح ، (روى عن نوف البكالى) منسوب الى ((بكال)) قبيلة من قبائل العرب (قال خطبنا هذه الخطبة امير المؤمنين عليه السلام بالكوفة و هو قائم على حجارة ،نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومى) و هو ابن اخت الامام عليه السلام ، و امهامهانى اخت الامام ، بنت ابى طالب ، وكأنه وضع تلك الحجارة كمصعد يصعدعليها الامام ليرتفع على الناس عند الخطبة ، شبه المنبر (وعليه مدرعة) اى قميص ضيق الاكمام (من صوف) و هذا اقرب الى الزهد لخشونة الصوف ، بخلاف القطن و نحوه (و حمائل سيفه) و هو الخيط الذى يشد به السيف ليحمل فيتوشح به من (ليف) النخل (و فى رجليه نعلان من ليف) الظاهر كون كل النعل من ليف لا ان شراكها منه (و كان جبينه) من كثرة السجود (ثفنة بعير) و هو المحل الذى يمس الأرض ، عند بروك الابل ، فانه يغلظ و يخشن من مباشرة الأرض ، و الدلوك بها (فقال عليه السلام) :

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَىٰ عَظِيمِ إِحْسَانِهِ ، وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً ، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً ، وَإِلَىٰ ثَوَابِهِ مُقَرِّباً ، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً . وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً ،

(الحمد لله الذى اليه مصائر الخلق) جمع مصير ، بمعنى الصيرورة ، اى ان الخلق ينتهون الى ثوابه وعقابه ، و دار كرامته و محل سخطه (وعواقب الأمر) فان عاقبة امر كل انسان اليه سبحانه .

(نحمده على عظيم احسانه) اى احسانه العظيم الينا بالخلق و الرزق و غيرهما (و نيّر برهانه) اى دليله الواضح الذى نصبه دليلا على وجوده و سائر صفاته (و نوامى فضله و امتنانه) نوامى جمع نام ، بمعنى : الزائد ، اى فضله الزائد على قدر الاستحقاق ، او فضله الذى ينمو و يزيد (حمدا يكون لحقّه) سبحانه (قضاء) اى اداءا لبعض ما يستحق (و لشكره اداء) اى يكون مؤدّيا لشكره الواجب على النّاس (و الى ثوابه مقرّبا) فانّ الحمد يقرب الانسان الى ثواب الله تعالى (و لحسن مزيده موجبا) اى موجبا لمزيد نعمه ، و اضافة حسن اليه ، من باب اضافة الصفة الى الموصوف .

(و نستعين به استعانة راج لفضله) لا استعانة آيس ، فان الانسان قد يطلب العون من احد و هو آيس من اجابته ، وقد يستعين و هو راج للاجابة (مؤمل لنفعه) سبحانه ، بأن ينفعنا (واثق بدفعه) المكاره عنّا (معترف له) تعالى (بالطّول) اى الانعام و الفضل (مذعن له) اى خاضع لله سبحانه (بالعمل و القول) نحمده لسانا ، و نعمل له بجوارحنا و اعضائنا (و نؤمن به) سبحانه (ايمان من رجاه موقنا) فان يقين الانسان فى رجائه ، دليل على قوّة

وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، وَلَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً.

لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً. وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلَا زَمَانٌ، وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ.

ايمانه (واناب اليه) اى رجع اليه تعالى بالتّوبة (مؤمنا) بوجوده و سائر صفاته (وخنع) اى خضع (له مذعنا) فضله لا مثل ذل الانسان للجبابرة، فانه يخضع لهم كارها (واخلص له) اى جعل اعماله وعقيدته له سبحانه بلا مشاركة احد معه (موحّدا) فى مقابل الاشراك (وعظّمه ممجّدا) اى اعترف بعظمته فى تمجيد و ثناء عليه (ولاذ به) اى التجأ اليه عن الأهوال و النوائب (راغبا) فضله (مجتهدا) يقال اجتهد اذا اتعب نفسه .

(لم يولد سبحانه) بأن يكون له اب او ام (فيكون فى العز مشاركا) لأنّ الأبوين شريكان مع الولد فى العز، بل اعز لأنهما علة وجوده (ولم يلد) سبحانه ولدا (فيكون موروثا) لأن الولد يرث ابويه (هالكا) اذ كل شئ يلد يكون ممكنا و كل ممكن هالك، فانه كماله تغير بالولادة، كذلك له تغير بالحياة و الموت .

(ولم يتقدّمه وقت ولا زمان) بأن يكون الزمان ولا يكون الله سبحانه ــ كما هو شأن الممكنات (ولم يتعاوره) اى يتداوله و يتبادل عليه (زيادة ولا نقصان) بان يزيد مرة و ينقص اخرى (بل ظهر) سبحانه (للعقول بما ارانا من علامات التدبير) اى من الأدلة الموجودة فى المخلوقات الدالة على التدبير (المتقن) اذ وضع كل شئ موضعه، كالبناء الفخم الذى يدل على مهارة بانيه (والقضاء المبرم) اى المحكم، فانّ حكمه سبحانه بالخلق و الرزق و الحياة و الموت وغيرها مبرم لا ينقض .

فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ . دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلَا مُبْطِئَاتٍ ؛ وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ ، وَلَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ، وَلَا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ.

(فمن شواهد خلقه) على وجوده تعالى و سائر صفاته (خلق السماوات) اى الأجرام و مجاريها (موطّدات) اى مثبتات فى مداراتها على ثقلها (بلا عمد) جمع عماد ، فانها لا عمد لها ، كما للبناء المرتفع من عمد تحفظه من السقوط (قائمات) فى محالها (بلا سند) يستند و يتكئ عليها (دعاهنّ) سبحانه ، و ذلك كناية عن جعل نظام لهن (فاجبن) دعوته تعالى (طائعات مذعنات) كما قال سبحانه : ((فقال لها و للأرض ائتيا طوعا او كرها ، قالتا اتينا طائعين)) (غير متلكّئات) التلكؤ التوقف فى الأمر (و لا مبطئات) من ابطأ بمعنى : عدم الاستعجال فى الأمر ، نعم انها اطاعت فورا .

(و لولا اقرارهنّ له) تعالى (بالرّبوبيّة) او انه الٓههنّ (و اذعانهنّ بالطّواعية) اى الاطاعة بالرغبة (لما جعلهنّ موضعا لعرشه) العرش : محل تشريف له فى السماء ، كما ان الكعبة موضع تشريف له سبحانه فى الأرض (و لا مسكنا لملائكته) المقربين ، الذين هم اطهار ، فيلزم ان يكون محلهم طاهرا (و لا مصعدا) اى محلّ الصعود (للكلم الطيب و العمل الصّالح) فان الأعمال الصالحة ، و الكلمات الطّيّبة ، من العباد ، تصعد نحو السماء ، و ذلك ليس لأنها مكان الله سبحانه ، فانه لا مكان له ، و انما لأجل انه تعالى جعل السّماء محلا شريفا ، و مأوى للأشياء الحسنة ، و هذا اشارة الى قوله سبحانه : ((اليه يصعد الكلم الطيب ، و العمل الصّالح يرفعه)) (من خلقه) اى الكلم و العمل ، الصادرة من الخلق .

جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا ٱلْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ ٱلْأَقْطَارِ . لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ٱدْلِهْمَامُ سُجُفِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ ، وَلَا ٱسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ ٱلْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَأْلُؤِ نُورِ ٱلْقَمَرِ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ ، وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ ، فِي بِقَاعِ ٱلْأَرَضِينَ ٱلْمُتَطَأْطِئَاتِ ، وَلَا فِي يَفَاعِ ٱلسُّفْعِ

(جعل) سبحانه (نجومها) اى كواكب السّماوات (اعلاما) اى ادلّة (يستدلّ بها الحيران) اى الشخص المتحيّر (فى مختلف فجاج) جمع فج بمعنى الطريق (الأقطار) جمع قطر ، بمعنى القطعة من الأرض ، اى مختلف الصحارى .

(لم يمنع ضوء نورها) اى نور الكواكب (ادلهمام سجف اللّيل المظلم) الادلهمام : شدّة الظلمة ، وسجف : الستر (ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس) جلابيب جمع جلباب ، وهو ثوب واسع يلبس فوق الملابس، والمراد هنا ظلمة اللّيل الشاملة لكل شئ ، وحنادس جمع حندس ، بمعنى الليل المظلم (ان تردّ) حتى لا يصل الى الأرض (ما شاع) وانتشر (فى السّماوات من تلألؤ نور القمر) بل نور القمر ، كنور النّجوم ، يصلان الى الأرض فى ظلمة الليل ، فيهدى بهما الناس فى الصّحارى و القفار

(فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج) الغسق الظلمة ،وداج بمعنى المظلم (ولا) سواد (ليل ساج) الساجى بمعنى الساكن ، ووصف الليل به ، لأنه يسكن فيه كل ذى روح ، فهو وصف باعتبار ما فيه ، من باب علاقة الحال و المحل (فى بقاع الأرضين المتطأطئات) اى المنخفضات ، فانه سبحانه يرى كل ما فى منخفضات الأرض ، ولو تحت الليل المظلم (ولا فى يفاع) بمعنى التل والمكان المرتفع (السفع) جمع سفعاء ، وهو السواد

الْمُتَجَاوِرَاتِ ؛ وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَانْهِطَالُ السَّمَاءِ ! وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا ، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا ، وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ ،

يضرب الى الحمرة ، و المراد بها الجبال ، فان الجبال هكذا تظهر من بعد (المتجاورات) اى المجاورة بعضها لبعض .

(و) سبحان من لا يخفى عليه (ما يتجلجل به الرّعد) الجلجلة صوت الرعد (فى افق السّماء) اى اطرافها (و ما تلاشت عنه بروق الغمام) فان البرق يتلاشئ و يضمحل ،والظاهران المراد مصدر البرق ، الذى يظهر منه البرق ، ثم يتلاشى من القوّة الكهربائية الموجودة فى السحاب (و ما تسقط من ورقة تزيلها) اى تزيل تلك الورقة (عن مسقطها) اى محل سقوطها ، و هو محل اتصال الورقة بالشجرة (عواصف الانواء) جمع نوء ، و هو احد منازل القمر اذا كان القمر فيه او نحو ذلك تهب الرياح ، و لذا اضيفت اليه ، بمناسبة ان الاضافة يكفى فيها آدنى مناسبة (و انهطال السّماء) اى امطار السماء ، بالمطر ، و المعنى لا يخفى عليه انهطال السماء .

(و يعلم) سبحانه (مسقط القطرة) اى محل سقوط كل قطرة من اقطار المطر (و مقرّها) اى محل استقرار القطرة ، اذ يمكن ان يكون المسقط غير المقرّ (و مسحب الذّرة) اى المحل الذى تمشى فيه النملة (و مجرّها) اى المحل الذى يجره نفسه اليه (و ما يكفى البعوضة) البق (من قوتها) و رزقها (و) يعلم تعالى (ما تحمل الانثى فى بطنها) من ذكر او انثى .

(الحمد للّه الكائن قبل ان يكون كرسى اوعرش) اذ لا يحتاج سبحانه الى

أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ . لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ ، وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ ، وَلَا يبْصِرُ بِعَيْنٍ ، وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ ، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ ، وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ،

شئ منهما ، وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ، فان الملك يجلس على الكرسى ، فى عرشه ، وقد خلق سبحانه محلاً يسمى العرش ، لتوجّه الملائكة اليه ، كما يتوجّه البشر الى الكعبة ، فى الأرض (او سماء او ارض او جان او انس) والجن قسم من المخلوق مخفي عن الأبصار (لا يدرك) سبحانه (بوهم) اى بفكر وتعقل اذ كنهه مستحيل الادراك (ولا يقدّر) اى لا يعرف حدوده (بفهم) الانسان .

(ولا يشغله سائل) بأن يغفل عن سائر الأشياء ، كما هو شأن البشر (ولا ينقصه نائل) اى العطاء ، فانه سبحانه يعطى ولا ينقص ما عنده ، اذ لا يفوته شئ ، وانما كلشئ فى ملكه ، اعطى ام لم يعط (ولا يبصر) اما على المجهول اوعلى المعلوم (بعين) فعل الأول معناه انه سبحانه لا يرى ، وعلى الثانى معناه انه تعالى لا عين له — كعين الانسان — وانّما يبصر الأشياء بذاته (ولا يحد باين) اى بالمكان ، فانه لا مكان له ، حتى يكون مشمولا لذلك المكان (ولا يوصف بالأزواج) اى بالأمثال ، لأنه لا مثل له ، فلا شريك له (ولايخلق الأشياء (بعلاج) بأن يمتنع عليه الشئ فينفذ امره بالعلاج (ولا يدرك بالحواسّ) الخمس ، فلا يبصر ، ولا يشم ، ولا يذاق ، ولا يلمس ، ولا يسمع حسن منه ، لا ستحالة كل ذلك فى حقّه .

(ولا يقاس بالنّاس) كما يقاس النّاس بعضهم ببعض (الّذى كلّم موسى) عليه السّلام (تكليما) وكلامه انما هو بخلق الصوت الذى يسمعه الطرف المقابل

وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً؛ بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ. بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فِي حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ. فَلَا

(و اراه من آياته) اى ادلته (عظيما) كالعصا و اليد البيضاء ، و الضفادع ، و القمل و الدم ، و غيرها ، كلّم ٠

(بلا جوارح) اى بغير اعضاء للتكلم (ولا ادوات) كالفم و الأسنان و اللسان (ولا نطق) كنطق الانسان (ولا لهوات) جمع لهات ، و هى اللحمة المشرفة على الحلق فى اقصى الفم (بل ان كنت صادقا ، ايّها المتكلف لوصف ربّك) اى ان كنت صادقا انك تتمكن ان تصفه سبحانه حق وصفه ، ومعنى المتكلف الذى يوقع نفسه فى الكلفة و المشقّة ٠

(فصف جبرائيل و ميكائيل) الذين هما مخلوقان للّه سبحانه ، فاذا لم نتمكن من وصفهما فعدم امكانك لوصفه سبحانه ، اظهر (و جنود الملائكة المقرّبين) اليه سبحانه ، اقرب شرف و طاعة ، لا قرب مكان ـ اذ لا مكان له تعالى ـ (فى حجرات القدس) اى النزاهة و الطهارة ، و المراد بالحجرات اماكنهم (مرجحنّين) اى مقشعرّين ، خوفا و وجلا منه تعالى ، من ارجحن ، بمعنى مال يمينا و شمالا (متولّهة) اى متحيّرة (عقولهم ان يحدّوا احسن الخالقين) فانّ عقولهم تتحيّر فى وصفه سبحانه ، ولا تجد لذلك سبيلا ٠

(فانّما يدرك) كنه الشئ (بالصّفات ذوو الهيئات) اى الأشكال (و الأدوات) اى الآلات (و من ينقضى) اى يهلك (اذا بلغ امد حدّه بالفناء) اى اذا وصل الى منتهى العمر المقدّر له ، و بالفناء متعلق بـ ((ينقضى)) (فلا

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَىٰ ٱللهِ ٱلَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعَاشَ ؛ وَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَىٰ ٱلْبَقَاءِ سُلَّماً ، أَلَى دفعِ ٱلْمَوْتِ سَبِيلًا ، لَكَانَ ذٰلِكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ، مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ . فَلَمَّا ٱسْتَوْفَىٰ طُعْمَتَهُ ، وَٱسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ،

إله الاّ هو اضاء بنوره كلّ ظلام) من ظلمات العدم بأن اوجد المعدومات وظلمات الجهل ، وظلمات الليل وما اشبه (واظلم بظلمته) اى بالنسبة الى نوره (كلّ نور) فان كل نور فى قبال نوره مظلم .

(اوصيكم) يا (عباد اللّه بتقوى اللّه) اى الخوف منه ، و العمل بما امر (الذى البسكم الرياش) اى اللباس الفاخر ، الانسانى ، او الأعم من ذلك و من سائر الألبسة الحسنة ، و الظواهر الجميلة (و اسبغ) اى اكثر (عليكم المعاش) بما هيّ لكم ما تعيشون فيه .

(و لو انّ احداً يجد الى البقاء سلّما) شبّه البقاء بشئ رفيع ، لا يتناوله احد ، حتى اذا نصب السلم ـ و هو المعراج ـ (او الى دفع الموت سبيلا) اى وسيلة يتمكن بها من دفع الموت (لكان ذلك) العارف بطريق البقاء الأبدى (سليمان بن داوود عليه السلام الّذى سخّر له ملك الجنّ و الانس) فكان الجن بطيعه كالانس (مع النبوة) فقد كان عليه السلام نبيّا للّه سبحانه (و عظيم الزّلفة) اى القرب من اللّه سبحانه ، لأن النبوة مقام عظيم ، و بكلمة جامعة ، قد جمع له السعادتان الدينية و الدنيوية .

(فلما استوفى طعمته) اى ماكله المقدر له ، اذ اللّه سبحانه قدر لكل انسان قدرا خاصا من الرزق (و استكمل مدّته) بان اكمل مدة بقائه فى الدنيا

رَمَتْهُ قِسِيُّ ٱلْفَنَاءِ بِنِبَالِ ٱلْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَٱلْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ. وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً! أَيْنَ ٱلْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْعَمَالِقَةِ! أَيْنَ ٱلْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْفَرَاعِنَةِ!

المقدّرة له (رمته قسى الفناء) جمع قوس (بنبال الموت) جمع نبل ، و هو السهم ، قسى الفناء المقدرات التى تفنى الانسان ، و نبال الموت اسبابه، من هموم و مرض ، و ما اشبه ٠

(و اصبحت الدّيار منه خالية) اذ انتقل الى قبره (و المساكن معطّلة) اذ لم يسكن بعد فى مسكن (و ورثها) اى تلك الديار و المساكن (قوم آخرون) من ورثته و المستولين للسلطة بعده ٠

(و ان لكم فى القرون السّالفة) جمع قرن ، و هو مائة سنة ، او مدة عمر جيل من البشر ، يقال لها قرن لاقتران اعمار بعضهم مع بعض ، و السالفة بمعنى السابقة (لعبرة) تكفى لأن تعتبروا بفناء الدّنيا ، وعدم بقاء سلطتها و زينتها (اين العمالقة) جمع عملاق ، و هو : الرجل القوى الكثير العمل ، وقد كانوا ملوكا يملكون اليمن و الحجاز ، وقد عاشوا فى الأرض فسادا حتّى ان الملك منهم امر بان العروس ليلة عرسها لا تذهب الى زوجها الا وقد زارها الملك و افتضّها ثم تذهب الى زوجها ، ثم هجم الناس عليه و قتلوه و اراحوا الناس من شره فى قصة طويلة مذكورة فى التواريخ (و ابناء العمالقة) ؟ استفهام على نحو التنبيه ، بمعنى ان دولتهم قد ابيدت و ملكهم قد ذهب ، و هم قد ماتوا فلا اثر لهم ٠

(اين الفراعنة) جمع فرعون (و ابناء الفراعنة) ؟ و هم ملوك مصر ، منهم فرعون موسى الذين كان يدعى الربوبية ، و يقتل الناس ، و يبقر بطون الحبال ٠

أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ ، أَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ! وأَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ، وَهَزَمُوا الأُلُوفِ ، وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ !

منها : قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا ، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا ،

(اين اصحاب مدائن الرس) كانوا يعبدون الشجر ، فاتاهم نبى ينهاهم عن ذلك لكنهم عتوا وقتلوا النبى اشنع قتله ، فأهلكهم الله سبحانه بعذاب شنيع (الذين قتلوا النبيين و اطفأوا سنن المرسلين) فان سنن المرسلين مصابيح تنير دروب الحياة ، ليرى الانسان المنهاج المسعد له فى دنياه وآخرته ، و اطفائها اخمادها ، و ترك العمل حتى تنسى ، كما فى زماننا الذى اطفئ الكفّار و المنافقون ــ عملائهم ــ منهاج القرآن ، و اتوا مكانه بمناهج اليهود و النّصارى (و أحيوا سنن الجبّارين) الذين مسلكهم جبر النّاس على الباطل ، وظلم العباد بأنواع الظلم .

(و اين الّذين ساروا) الى اعدائهم (بالجيوش) الكثيرة ؟ معتزين بها (و هزموا الألوف) من جيش الأعداء ، لقوتهم و شدّة بطشهم .

(و عسكروا العساكر) اى جمعوها لحفظهم و حفظ رعاياهم (و مدّنوا المدائن) اى صنعوها و بنوها ؟ فقدمات كلهم ، و فنوا ، و بعد ذلك ينبغى للعاقل ان لا يغتر بالدنيا ، ولايعمل فيها ما يوجب عقابه و نكاله الأبدى.

(منها) : فى ذكر المتّقين و اصحاب العقل (قد لبس للحكمة) هى وضع الأشياء مواضعها (جنّتها) و هى ما يحفظ الانسان من الهذر و اللغو و العصيان ، كما تحفظ الجنّة صاحبها من الضرب و الطعن (و اخذها) اى الحكمة (بجميع ادبها) اى كل آدابها ، فلم يترك من الحكمة فى الأكل واللبس

مِنَ ٱلْإِقْبَالِ عَلَيْهَا، وَٱلْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَٱلتَّفَرُّغِ لَهَا؛ وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ ٱلَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ ٱلَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا. فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا ٱغْتَرَبَ ٱلْإِسْلَامُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ، وَأَلْصَقَ ٱلْأَرْضَ بِجِرَانِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ ٱلْمَوَاعِظَ ٱلَّتِي وَعَظَ ٱلْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ،

و التكلم، و التعلم، وما اشبه، شيئا (من الاقبال عليها) اى على الحكمة (و المعرفة بها) فانه يعرف الحكمة وانها ما هى (والتفرغ لها) لا يشغل نفسه بضدها.

(وهى) اى الحكمة (عند نفسه ضالّته التى يطلبها) تشبيه لبيان شدّة طلبه لها، كما يطلب الانسان بكل جد ما ضل من اثاثه و نقوده (وحاجته الّتى يسأل عنها) ليجدها و يعرفها، كما يسئل الانسان عن حوائجه المادية (فهو) مع الاسلام يدور، ومنه لا ينفك (مغترب) اى يذهب الى الغربة (اذا اغترب الاسلام) بأن تركه اهله، فكأنه سافر عنهم، فانه ايضا يترك الناس و يكون مع الاسلام غريبا عندهم (وضرب) الاسلام (بعسيب ذنبه) اى اصل ذنبه (و الصق) الاسلام (الأرض) اى بالأرض (بجرانه) مقدم عنق البعير، وهذان كنايتان عن ضعف الاسلام، فان البعير اذا ضعف نام و الصق عنقه، وآخر ذنبه على الأرض، لا يقدر على القيام، فمثل هذا الشخص، وقيل المراد به الامام الحجة المهدى عليه السلام.

(بقية من بقايا حجته) اى حجج الله على الناس (خليفة من خلائف) جمع خليفة (انبيائه) فهو يمثل الأنبياء في التزامهم بالدين.

ثم قال عليه السلام: (ايها الناس انى قد بثثت) اى نشرت و اظهرت (لكم المواعظ التى وعظ الأنبياء بها) اى بتلك المواعظ (اممهم) من الأمر بالتقوى، و الزهد فى الدنيا، و الخوف من النار، و الشوق الى الجنة.

وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ ٱلْأَوْصِيَاءُ إِلَىٰ مَنْ بَعْدَهُمْ ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا ، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا . لِلّٰهِ أَنْتُمْ ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ ؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً ، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً ، وَأَزْمَعَ

(و اديت اليكم) اى اوصلت اليكم (ما ادّت الأوصياء) للأنبياء (الى من بعدهم) من النّاس ، الذين لم يدركوا الأنبياء .

(و ادّبتكم بسوطى فلم تستقيموا) بأن تتركوا كافة المعاصى ، و تنتهجوانهج الاسلام سويا (وحد وتكم) اى سقتكم ، والحداء رفع الصوت للابل ليسير سيرا مطمئنا (بالزّواجر) جمع زاجرة ، و هى النصيحة التى تزجر الانسان عن المعصية (فلم تستوثقوا) يقال استوثقت الابل ، بمعنى اجتمعت ، و المراد انهم بقوامتفرقين لا تجتمع آرائهم على الحق .

(للّه انتم) كلمة تقال للذم ، و للمدح ، بمعنى ان اللّه يقدر على تقويمكم ، او ان امركم للّه سبحانه لا لغيره – كما تقدم – .

(اتتوقعون اماما غيرى يطا بكم الطريق) اى يسير بكم فى الطريق السوى (و يرشدكم السبيل) الراشد ؟ ثم اخذ فى نصحهم ، و بيان ضجره من الدنيا بعد ان ذهب اصحابه الى الآخرة .

(الا انّه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلا) فان الانسان فى حالة طفولته ، يكون عمره مقبلا ، اذا يأتى نموه ، فاذ شاخ ، كان عمره مدبرا ، و هكذا (و اقبل منها) اى من الدنيا (ما كان مدبرا) من الشرور و الآثام التى ادبرت بمقدم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ، و لعل ادبار المقبل – ايضا – يراد به الخير ، الذى اقبل بمقدم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم (و ازمع) اى

التَّرْحَالَ عِبَادُ اللهِ ٱلْأَخْيَارُ ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى ، بِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْآخِرَةِ لَا يَفْنَى. مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ – وَهُمْ بِصِفِّينَ – أَنْ لَا يَكُونُوا ٱلْيَوْمَ أَحْيَاءً ؟ يُسِيغُونَ ٱلْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ ! قَدْ – وَٱللهِ – لَقُوا ٱللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ ٱلْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ

أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ ،

اظهر عزما (الترحال) اى الرحيل الى الآخرة (عباد الله الأخيار) فانهم حيث علموا فناء الدنيا يقصدون المسير منها ، وقصدهم كناية عن تهيئة زاد الآخرة ·

(و باعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى) فان الانسان اذا صرف عمره و ماله فى الخير ، كان بائعا لهما بالجنة التى لا تفنى ، قال سبحانه : ((ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم ، و اموالهم ، بان لهم الجنة)) ثم بين عليه السلام ان الذين استشهدوا فى سبيل الله لم يتضرروا بشئ ، بل العكس ربحوا الخلاص من الدنيا الكدرة ·

(ما ضرّ اخواننا) ((ما)) استفهامية (الذين سفكت دماؤهم — وهم بصفّين —) موقعة الحرب مع معاوية (ان لا يكونوا اليوم احياء) ؟ اى اىّ شئ ضرهم فى عدم حياتهم (يسيغون الغصص) اساغه بمعنى بلعه ، و الغصص جمع غصة ، و هى ما يؤخذ فى الحلق ، فلا ينزل الى الجوف (و يشربون الرّنق) اى الماء الكدر كناية عن المتاعب و الآلام التى كان الامام يواجهها من جراء المنافقين ·

(قد — و الله — لقوا الله) كناية عن موتهم (فوفّاهم اجورهم) اى اعطاهم اجورهم كاملة (و احلّهم) اى اسكنهم (دار الأمن) اى الجنة (بعد خوفهم) فى الدنيا من الأعداء ·

(اين اخوانى الذين ركبوا الطريق) اى استقاموا فيه ، لم ينحرفوا الى هنا

وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ!

قال : ثم ضرب بيده الشريفة على لحيته الكريمة ، فأطال البكاء ، ثم قال عليه السلام :

أَوِّهِ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ

و هناك (ومضوا على الحقّ) ؟ لا يبتغون عنه بدلا (اين عمّار) بن ياسر ، من اصحاب الرّسول عليهم السلام الأولين ، وقد قال فيه صلى الله عليه و آله وسلم ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه ؟ (و اين ابن التيهان) ؟ هو ابو الهيثم مالك من اكابر الصحابة ؟ (و اين ذو الشهادتين) ؟ خزيمة بن ثابت الأنصارى ، الذى جعل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم شهادته منفردا قائمة مقام شهادة رجلين ، (و اين نظراؤهم) اى امثال هؤلاء الذين قتلوا بصفّين (من اخوانهم الّذين تعاقدوا على المنيّة) اى على الموت ، فان بعضهم عاهد الآخر ، على ان يقتلوا فى سبيل الله (و ابرد برؤوسهم الى الفجرة) اى قطعت رؤسهم ، وارسلت بواسطة البريد ، الى اصحاب الفجور ، وهم معاوية و جاشيته . فقد قطع اصحاب معاوية بصفين رؤس جماعة من اصحاب الامام ، عند الحرب ، و ارسلوا بها الى معاوية .

(قال : ثم ضرب) الامام عليه السلام (بيده الشريفة على لحيته الكريمة فأطال البكاء ، ثم قال عليه السلام :)

(اوه) كلمة ترجّع (على اخوانى الّذين تلوا القرآن فاحكموه) قرائة وعلما وعملا (و تدبّروا الفرض) بان فكروا فيما هو مفروض عليهم من احكام الله سبحانه (فاقاموه) بان واظبوا عليه اداءا ، وامرا للناس باتيانه (احيوا السّنة) الواردة

أَماتُوا ٱلْبِدْعَةَ . دُعُوا لِلْجِهادِ فَأَجابُوا ، وَوَثِقُوا بِٱلْقائِدِ فَٱتَّبَعُوهُ .

ثم نادى بأعلى صوته :

ٱلْجِهادَ ٱلْجِهادَ عِبادَ ٱللهِ ! أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هٰذا ؛ فَمَنْ أَرادَ ٱلرَّواحَ إِلَىٰ ٱللهِ فَلْيَخْرُجْ !

قال نوفٌ : وعقد للحسين – عليه السلام – في عشرة آلاف ، ولقيس بن سعد – رحمه الله – في عشرة آلافٍ ، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلافٍ ، ولغيرهم على أعدادٍ أخر ، وهو يريد الرجعة إلى صفين ، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله ، فتراجعت العساكر ، فكنا كأغنام فقدت راعيها ، تختطفها الذئاب من كل مكان !

عن الرسول (اماتوا البدعة) التى جاء بها الخلفاء ، كصلاة التراويح ، واسقاط ((حيّ على خير العمل)) من الأذان ، وما اشبه ذلك (دعوا للجهاد فأجابوا) بان جاهدوا فى سبيل الله (ووثقوا بالقائد) يعنى نفسه الشريفة (فاتبعوه) فيما يأمر وينهى .

(ثم نادى) الامام عليه السلام (بأعلى صوته) الزمو (الجهاد الجهاد) يا (عباد الله ، الا وانّى معسكر فى يومى هذا) لفتح الشام ، وخلاص المسلمين من معاوية وزمرته الطاغية (فمن اراد الرّواح الى الله) اى الى الآخرة ، دار ثواب الله سبحانه (فليخرج) معى (قال نوف) البكال ، راوى الخطبة (وعقد للحسين عليه السلام فى عشرة آلاف) بأن جعل له جيشا مكوّنا من عشرة آلاف شخص ، والامام الحسين قائده (ولقيس بن سعد رحمه الله فى عشرة آلاف ، ولأبى أيّوب الأنصارىّ) الذى نزل عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم المدينة (فى عشرة آلاف ، ولغيرهم على اعداد آخر وهو) عليه السلام (يريد الرجعة الى صفّين) اى قتال معاوية (فما دارت الجمعة) اى ما مضى اسبوع (حتّى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله ، فتراجعت العساكر فكنّا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان) .

وَمِن خُطبَة لَه عَلَيهِ السَّلام

ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَٱلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ . خَلَقَ ٱلْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَٱسْتَعْبَدَ ٱلْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ ، وَسَادَ ٱلْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ ؛ وَهُوَ ٱلَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَىٰ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ رُسُلَهُ ، لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا ،

وَمِن خُطبَة لَه عَلَيهِ السَّلام

فى وصفه تعالى ، وفضل القرآن ، و وعظ النّاس

(الحمد للّه المعروف من غير رؤية) اى لا يراه احد ، ومع ذلك يعرفونه بآثاره و صنائعه (و الخالق من غير منصبة) اى تعب و نصب ·

(خلق الخلائق بقدرته) لا بآلة ، او مشارك او ما اشبه (و استعبد الأرباب) اى جعل ارباب العبيد ، عبيدا له (بعزّته) لأنه اعز من الجميع (و ساد العظماء بجوده) فانه من جاء ساد ، ولا يخفى ان مثل تعليل ثانوى ، للاشارة الى هذا الوصف ، و الا فالاستبعاد و السيادة ، بخلقه سبحانه لهم ـ اولا و بالذات ـ كما لا يخفى ·

(و هو الّذى اسكن الدّنيا خلقه ، و بعث الى الجنّ و الانس رسله) و البعثة الى الجن اما بان يعملوا كما يعمل الانس او بتكاليف أخر ، و انكان ظاهر الآيات انهم مكلفون بمثل ما كلف به الانس (ليكشفوا لهم عن غطائها) اى

وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا ، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ ، وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ . أَحْمَدُهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَىٰ خَلْقِهِ ، جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً ،

غطاء الدنيا ، فان الدنيا دار آلام و اتعاب ، لكنها مغطّات بغطاء مبهج يوجب الخدعة و الغرور ، فاذا كشف للانسان عن غطاء الدنيا لم يغترر بها (و ليحذّروهم من ضرائها) اى ضر الدنيا الموجب للشقاء دنيا وآخرة (و ليضربوا لهم امثالها) اى الأمثال المرتبطة بالدنيا ، مما توجب عبرة و زيادة بصيرة (و ليبصروهم عيوبها) ككونها موجبة للغرور و مفوتة للآخرة لمن ركن اليها (و ليهجموا عليهم) الهجوم الدخول غفلة ، كان الناس كانوا غافلين ، فاذا بهم يرون الأنبياء يقولون لهم ما يوجب اعتبارهم (بمعتبر) مصدر ميمى بمعنى الاعتبار و الاتّعاظ (من تصرف مصاحّها) جمع مصحة بمعنى الصحة و العافية (واسقامها) اى ليقولوا لهم ما يوجب اعتبار الناس من ان الدنيا دار تتغير وتتبدل فيها الصحة و السقم ، فاللازم ان لا يغتر الانسان بالصحة ، ولا ييأس عند السّقم .

(و) من (حلالها وحرامها و) من (ما اعدّ اللّه للمطيعين منهم و العصاة من جنّة و نار) بيان ((ما)) (وكرامة و هوان) اى ذلّة (احمده الى نفسه) اى حمدا ينتهى الى ساحة قدسه سبحانه : (كما استحمد الى خلقه) اى طلب من خلقه ان يحمدوه ، فالطلب كان منه اليهم ، و الحمد منّى اليه (جعل) سبحانه (لكلّ شئ قدرا) فليس شئ اعتباطا عنده بلا تقدير ، مثلا جعل للانسان عمرا محدودا (و لكل قدر اجلا) ينتهى ذلك القدر باتيان ذلك الوقت و الفرق بين القدر و الأجل ان الأول باعتبار تمام المدة ، و الثانى باعتبار آخرها

وَلِكُلٍّ أَجَلٍ كِتَاباً .

منها : فَٱلْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ . حُجَّةُ ٱللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ . أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَــهُ ، وَٱرْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ . أَتَمَّ نُورَهُ ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ - صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَقَدْ فَرَغَ إِلَىٰ ٱلْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ ٱلْهُدَىٰ بِهِ . فَعَظِّمُوا

(ولكل اجل كتابا) اذ كتب سبحانه فى اللّوح المحفوظ الآجال .

(منها) : فى فضل القرآن (فالقرآن آمر زاجر) آمر بالواجبات ، زاجر ، اى ناهى عن المحرمات (وصامت) لا يتكلّم بلفظ (ناطق) ببيان الأحكام (حجّة الله على خلقه) فان الله يحتجّ على الخلق بالقرآن يقول لهم ، هلا عملتم بعد ما بيّنت لكم فى القرآن .

(اخذ عليهم ميثاقه) اى العهد الأكيد بالايمان و العمل الصّالح ، و ذلك بواسطة الأنبياء .

(و ارتهن عليه انفسهم) اى على القرآن ، و معنى الجملة انه سبحانه جعل نفوسهم رهنا فى مقابل العمل بالقرآن ، فمن عمل فك رهنه ، و اخلص نفسه ، و من لم يعمل اخذ نفسه ، و القى فى جهنّم ، كما قال سبحانه : ((كلّ نفس بما كسبت رهينة)) .

(اتمّ نوره) اى نور القرآن فيكفى لاضائة الطريق ، بدون ان يبقى بعض الطريق مظلما .

(واكمل به) اى بالقرآن (دينه) فان دين الله الذى كان بين النّاس كمّل بالقرآن (و قبض نبيّه صلّى الله عليه و آله وسلّم) بان اماته (وقد فرغ الى الخلق من احكام الهدى به) اى بسبب القرآن ، اى فرغ من بيان احكام الهدى وكان ذلك منتهيا الى الخلق ، بمعنى ان فائدته انتهت الى الناس (فعظّموا)

مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ ، فَإِنَّــهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً ، وَآيَةً مُحْكَمَةً ، تَزْجُرُ عَنْهُ ، أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ ،

ايها النّاس (منه سبحانه ما عظّم من نفسه) اى ليكن تعظيمكم لما من طرفه سبحانه ، كما انه عظم لما كان من طرفه ، و المراد به القرآن .

(فانّه) تعالى (لم يخف عنكم شيئا من دينه) بل بين كله فى الكتاب و السّنة .

(و لم يترك شيئا رضيه) ممّا فيه مصلحة (او كرهه) مما فيه مفسدة (إلا و جعل له علما باديا) اى علامة ظاهرة (و آية محكمة) غير متشابهة (تزجر عنه) اى تنهى من ذلك الشئ ، كالخمر (او تدعو اليه) كالصلاة .

(فرضاه) سبحانه (فيما بقى واحد) اذ لا يقبل الرضا ، فيوما يرضى بالصلاة ، و يوما لا يرضى (و سخطه فيما بقى واحد) كما كان فيما مضى ، وهذا مضمون الحديث : ((حلال محمّد حلال الى يوم القيامة ، و حرام محمّد حرام الى يوم القيامة)) .

و قد فسر الجملتين بقوله عليه السلام : (و اعلموا انّه لن يرضى عنكم بشئ سخطه على من كان قبلكم) فانه لن يرضى بالشرك - مثلا - الذى سخطه على الأمم السابقة (و لن يسخط عليكم بشئ رضيه ممّن كان قبلكم) فلن يغضب بسبب الصلاة ، مما رضيه عن الأمم السّابقة ، و لا يخفى ان المراد اصول الدين و جوهر الشريعة ، اما مثل صوم الوصال ، و ما اشبه فلا مانع من الاختلاف حوله فى الأديان (و انّما تسيرون فى اثر بيّن) اى واضح ، لا يخشى عليكم منه الضلال ،

وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَدْ كَفَاكُمْ مُؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ .

وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى ، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ . فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ ، وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ . وَإِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ ؛ قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً

و الأثر موضع الأقدام فى التراب ، وكنى به هنا عن الأحكام الباقية من الأنبياء و المرسلين (وتتكلّمون برجع قول) هو ما يرجع من الصوت اذا اصطدم بجبل و نحوه (قد قاله الرّجال من قبلكم) و المراد بالرجال الأنبياء و الصلحاء ، اى ان كلامكم حول الأصول و الفروع هو استفادة من كلام الأنبياء و الأوصياء .

(قد كفاكم) سبحانه (مؤنة دنياكم) فانّ الشئ الأكبر من الدنيا مكفى ، و انّما يكسب الانسان لتحصيل ذلك المودوع فى الأرض من زرع وضرع و معدن و بناء ، وما اشبه (وحثّكم على الشّكر) على نعمائه (و افترض من السنتكم الذّكر) اى اراد من السنتكم ارادة مفترضة واجبة ، ان تذكروه تعالى .

(و اوصاكم بالتّقوى) بأن تخافوه فلا تخالفوه (وجعلها منتهى رضاه) فان منتهى رضاه سبحانه ان يتقيه الانسان ، فلا يعصيه (و) منتهى (حاجته من خلقه) و هذا كناية عن طلبه لا انه تعالى محتاج الى شئ من خلقه .

(فاتّقوا الله الّذى انتم بعينه) اى بحيث لا تخفون عليه ، فهو يراكم (و نواصيكم) جمع ناصية ، مقدم الرأس طرف الجبهة (بيده) كناية عن تسلّطه سبحانه عليهم (و تقلّبكم فى قبضته) اى ان حركاتكم كلها تحت قدرته ، لا يتمكن احد من الافلات عنه (و ان اسررتم) اى اتيتم بشئ سرا (علمه) تعالى (وان اعلنتم كتبه) و اثبته .

(قد وكّل بذلك) اى بان يكتب عنكم كل شئ (حفظة) جمع حافظ

كِرَاماً، لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا ، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا . وَٱعْلَمُوا « أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ ٱللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً » مِنَ ٱلْفِتَنِ ، وَنُوراً مِنَ ٱلظُّلَمِ ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا ٱشْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ ٱلْكَرَامَةِ عِنْدَهُ ، فِي دَارٍ ٱصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ؛ ظِلُّهَا عَرْشُهُ ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ ؛ فَبَادِرُوا ٱلْمَعَادَ ،

(كراما) جمع كريم ، وهم الملائكة ، وكونهم كراما ، لأنهم (لا يسقطون حقّا) ثبت عليكم (ولا يثبتون باطلا) ليس من اعمالكم ، بل يكتبون الأعمال بقدر ما عملتم .

(واعلموا انّه من يتّق اللّه يجعل له مخرجا من الفتن) فانّ الانسان كثيرا ما يعصى اللّه سبحانه ، بظنّ ان ذلك منح له ، والحال ان المتقى يخرج من الفتنة سليما ، والعاصى ان خرج فلا يخرج الاّ ملوّثا (ونورا من الظّلم) فانّه يبصر موضع الظلمة من المناهج الموجبة للضلال والشقاء ، فيتجنبها (ويخلّده) فى الآخرة (فيما اشتهت نفسه) من انواع الملذّات (وينزله منزل الكرامة عنده) فيكون محترما مكرما لديه سبحانه .

(فى دار اصطنعها لنفسه) والمراد بها الجنّة ، ومعنى لنفسه انها خاصة بأوليائه .

(ظلّها عرشه) اى انهم هناك تحت سلطان اللّه فقط ، لا تحكمهم سلطات بشرية ، كما فى الدّنيا (ونورها بهجته) فان الفرح الذى يغمر النّاس هناك يوجب انبساطهم ، كما يوجب النور فى الدنيا انبساط الذين يعيشون فيه (وزوّارها ملائكته) فانهم يزورون الناس هناك ، كما قال سبحانه : ((والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم)) .

(ورفقاؤها رسله) فان هناك مرافقة الرسل ، وصحبتهم (فبادروا المعاد

وَسَابِقُوا ٱلْآجَالَ ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ ٱلْأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ ٱلْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ . فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ ، عَلَىٰ سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالارْتِحَالِ ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهٰذَا ٱلْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَىٰ النَّارِ ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ ٱلدُّنْيَا .

اى العمل للقيامة (و سابقوا الآجال) كان الأجل يريد اختطاف الانسان ، و الانسان يريد ان يعمل قبل ان يختطفه الأجل فهما يتسابقان .

(فان النّاس يوشك) اى يقرب (ان ينقطع بهم الأمل) بأن يموتوا فلا يبقى لهم املهم الذى كانوا يأملونه فى المستقبل (و يرهقهم الأجل) اى يغشاهم و يتبعهم (و يسد عنهم باب التوبة) فان الانسان اذا مات لم يقبل توبته .

(فقد اصبحتم فى مثل ما سأل اليه الرّجعة من كان قبلكم) اى انكم فى حالة يمكنكم فيها العمل لآخرتكم ، ممّا سئل الأموات الرجوع الى مثل حالتكم ، بقولهم : ((ربّ ارجعونى لعلّى اعمل صالحا فيما تركت)) (و انتم بنو سبيل) اى اناس فى الطريق ، لا فى المنزل ، فان الدنيا طريق ، و ليس بمنزل .

(على سفر من دار) هى الدنيا (ليست بداركم) التى تبقون فيها ، وانما الآخرة دار الانسان (و قد اوذنتم منها بالارتحال) اى اعلمكم اللّه سبحانه انكم سوف ترتحلون عنها (و امرتم فيها بالزاد) اى باخذ الزاد ، و هو الأعمال الصالحة .

(و اعلموا انه ليس لهذا الجلد الرقيق) و المراد : الأبدان البشرية (صبر على النّار) فى جهنّم (فارحموا نفوسكم) و لا تعملوا بالمعاصى ، حتّى تستحقّوا بها النّار فى الآخرة (فانكم قد جربتموها) اى نفوسكم (فى مصائب الدنيا) و

أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ ! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ !

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ ،

آلامها ، وعرفتم مقدار تحملّها .

(افرايتم جزع احدكم من الشّوكة تصيبه) مع صغرها و قلة وخزها (و العثرة) اى الوقعة على الأرض (تدميه) اى توجب خروج الدم من جسمه (و الرّمضاء) الأرض الحارّة (تحرقه) ؟ و هذه استفهامات للتقرير و الالفات (فكيف) حالكم (اذا كان) الجلد الرقيق (بين طابقين من نار) طابق فوقه و طابق تحته . (ضجيع حجر) يكون منه ليزيد فى احراقه ، كما قال سبحانه : ((وقودها النّاس و الحجارة)) (و قرين شيطان) يوذيه ؟ (اعلمتم ان مالكا اذا غضب على النار) المالك ، هو الخازن للنار ، ومعنى غضبه على النار ارادته شدتها (حطم بعضها بعضا لغضبه) بمعنى حطم الحطب ، او هو كناية عن الزفير و الصياح المتداخل بعضه فى بعض (و اذا زجرها) وصاح عليها (توثبت) النار اى تحرك امواج من النارتحركاعنيفاكالمتوثب (بين ابوابها) اى ابواب النّار، وذكر الأبواب لأنها منتهى محل التوثب (جزعا من زجرته) اي خوفا منها ، وهذا كناية عن تلك الحركة المشابهة لحركة الجزع .

(ايها اليفن) اى الشيخ (الكبير) المسنّ (الذى قد لهزه) اى خالطه (القتير) اى الشيب ، كأنه صار جزءا منه (كيف انت اذا التحمت اطواق النّار بعظام الأعناق !) فصار الطوق النارى ، كاللحيم فى اتصاله بعظم العنق

وَنَشِبَتِ ٱلْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ. فَاللهَ اللهَ مَعْشَرَ ٱلْعِبَادِ ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ ، وَفِي ٱلْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ . فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا . أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ ، وَٱسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ وَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : «إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ »

حيث قد شويت اللحوم من تحته (و نشبت) اى علت (الجوامع) جمع جامعة و هى الغل يجمع اليدين الى العنق (حتّى اكلت لحوم السّواعد) ؟ جمع ساعد و هى اليد .

(ف) اتّقوا (الله الله) يا (معشر العباد) المعشر بمعنى الجماعة (وانتم سالمون فى الصّحة قبل السقم) فان السقيم لايتمكن من العمل، اوالمراد السقم فى الآخرة (و فى الفسحة قبل الضيق) فان الانسان فى الدنيا ، فى سعة يتمكن من العمل ، اما فى الآخرة فلا يتمكن من العمل الصالح كانه فى ضيق .

(فاسعوا فى فكاك رقابكم) بان تعملوا صالحا حتى تنجو من اسار العذاب (من قبل ان تغلق رهائنها) غلق الرهن ـ كذح ـ اذا استحق صاحب الحق و لم يفك حتى ينجى ماله (اسهروا عيونكم) اى اقلوا النوم بالليل ، للعبادة [و اضمروا بطونكم) ، بطول الجوع (و استعملوا اقدامكم) بالوقوف عليها فى الطاعة و الصلاة (و انفقوا اموالكم) فى سبيل الله (و خذوا من اجسادكم) باتعابها فى ترك الملذات ، و القيام بالفضائل (وجودوا بها على انفسكم) فان الانسان اذا اتعب جسمه فى العمل الصالح كملت نفسه و ترقت و ارتفعت (ولا تبخلوا بها) اى بالأجساد (عنها) اى عن النفوس (فقد قال الله سبحانه : ((ان تنصروا اللّه ينصركم ويثبّت اقدامكم))) فاذا نصر الانسان دين الله سبحانه

وَقَالَ تَعَالَىٰ: « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ». فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ؛ اسْتَنْصَرَكُمْ « وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ». وَاسْتَقْرَضَكُمْ « وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ، وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ». أَرَادَ أَنْ « يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ». فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللهِ فِي دَارِهِ.

بجسمه ، نصره سبحانه بترفيعه فى الدّنيا و الآخرة ٠

(وقال تعالى : ((من ذا الذى يقرض اللّه قرضا حسنا)))بقصد الاخلاص (فيضاعفه له) فيرده عليه مضاعفا (و له اجر كريم) مع اكرام و احترام ٠

(فلم يستنصركم) الله ، اى يطلب نصركم (من ذلّ) له تعالى (و لم يستقرضكم من قل) اى من جهة قلة فى ماله سبحانه (استنصركم و له جنود السماوات و الأرض) كل شئ فى السماوات و الأرض مسخر بأمره تعالى يفعل ما يأمر (و هو العزيز الحكيم) الذى يقدر على كل شئ بعزته و قدرته ، و يفعل كل شئ حسب الصلاح بحكمته ٠

(و استقرضكم و له خزائن السماوات و الأرض) الخزينة محل الثروة ، و الثروة انما تتولد من الشمس و البحر ، و الأرض ، و الفضاء ، فكلها خزائن الله سبحانه (و هو الغنى) عن كل احد (الحميد) المحمود فى غناه ، لا كالاغنياء البخلاء او المسرفين منهم ٠

(اراد) سبحانه بالاستنصار و الاستقراض (ان يبلوكم) اى يختبركم (ايكم احسن عملا) ليجازى كل حسب عمله ٠

(فبادروا باعمالكم تكونوا مع جيران اللّه فى داره) و المراد بجيران اللّه اهل كرامته الذين هم تحت لطفه ، كما ان الجار تحت لطف الجار ــ تشبيها

رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً ، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً : « ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ !

للمعقول بالمحسوس ـ (رافق بهم رسله) اى جعل الله سبحانه هـؤلاء **الجيران** مرافقين لرسله (و ازارهم ملائكته) اى امر الملائكة بزيارتهم اكراما لهم (و **اكرم** اسماعهم ان تسمع حسيس) اى الصوت الخفى (نار ابدا) كما قال سبحانه ((لا يسمعون حسيسها و هم فيما اشتهت انفسهم خالدون)) (وصان) اى حفظ (اجسادهم ان تلقى لغوبا و نصبا) اللغوب الاعياء الشديد ، و النصب التعب كما قال سبحانه عن اهل الجنة : ((لا يمسهم فيها نصب و لا يمسهم فيها لغوب)) (ذلك) الذى قسم الله سبحانه لعباده الأخيار (فضل الله يؤتيه من يشاء) ممن امن و عمل صالحا (و الله ذو الفضل العظيم) على عباده (اقول ما تسمعون) هذا كلام يقوله الانسان عند ما يريد الفات السامع ، الى انه قد اتم الحجة ، و بقى على السامع ان يعمل او لا يعمل (و الله المستعان على نفسى و انفسكم) بأن يعيننا حتى نتمكن من كبح جماح انفسنا (و هو حسبى) اى كافىّ (و نعم الوكيل) فانّ الانسان اذا وكل الله سبحانه فى امره كفاه احسن كفاية ، بفضله و لطفه .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

قاله للبرج بن مسهر الطائي ، وقد قال له بحيث يسمعه :
«لا حكم إلا لله» ، وكان من الخوارج

اَسْكُتْ قَبَحَكَ ٱللهُ يَا أَثْرَمُ ، فَوَاللهِ لَقَدْ ظَهَرَ ٱلْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ ، خَفِيًّا صَوْتُكَ ؛ حَتَّىٰ إِذَا نَعَرَ ٱلْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ ٱلْمَاعِزِ .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

(قاله للبرج بن مسهر الطائى وقد قال) برج (له) اى للامام (بحيث يسمعه : لا حكم الآ لله وكان) برج (من الخوارج) وهم يريدون بهذه الجملة انه لا حاجة الى الدولة و الرئيس ، وانما كل انسان يعمل بنفسه فيما فهم انه حكم الله .

(اسكت قبحك الله) اى جعلك قبيحا فى الدنيا و الآخرة (يا اثرم).وهو من سقط ثنايا اسنانه ، فصار مشوها عند التكلم و الضحك (فو الله لقد ظهر الحقّ فكنت فيه ضئيلا شخصك ، خفيّا صوتك) كناية على انه لم يكن يعمل لاعلاء الحق ، بل كان فى معزل عن الحق ، يوم اعتلى و ارتفع فى زمن الرسول ،اوزمن الامام حين حارب الجمل و معاوية (حتى اذا نعر الباطل) اى صاح ، حين خروج الخوارج (نجمت) اى ظهرت (نجوم قرن الماعز) اى مثل ظهور قرن المعز ، فانه يظهر ناتيا فى محل معتدل لا يلائمه ، و هذا التشبيه لتحقيره .

وَمِنْ خُطْبَة لهُ عَلَيْهِ السَّلَام

حمد الله تعالى

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي لَا تُدْرِكُهُ ٱلشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحْوِيهِ ٱلْمَشَاهِدُ ، وَلَا تَرَاهُ ٱلنَّوَاظِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ ٱلسَّوَاتِرُ ، الدَّالُّ عَلَىٰ قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَىٰ وُجُودِهِ ، وَبِٱشْتِبَاهِهِمْ عَلَىٰ أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . ٱلَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ،

وَمِنْ خُطْبَة لهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في حمد الله ، وذكر الرّسول ، والالفات الى خلق الحيوان

(الحمد لله الذى لا تدركه الشّواهد) جمع شاهدة ، اى لا تدرك الأدلّة كنهه تعالى (ولا تحويه) اى لاتشتمل عليه (المشاهد) جمع مشهد بمعنى : المحضر ، -فانه سبحانه لا يحويه مكان ، اذ ليس بجسم ، (ولا تراه النّواظر) جمع ناظرة ، بمعنى : العين (ولا تحجبه السّواتر) فانّ الأستار لا تمنع الله سبحانه عن النّظر الى خلقه (الدّال على قدمه) اى كونه قديما لا حدوث له (بحدوث خلقه) فان الحادث ــ كما نشاهد فى الخلق ــ ما له اول ، والله ليس له اول ، اذ لو كان له حدوث لكان محتاجا ، فلم يكن الها (وبحدوث خلقه على وجوده) اذ لو لم يكن له وجود لم يكن خلق حادث فان الأثر يدلّ على المؤثّر .

(وباشتباههم على ان لا شبه له) فان الأشباه فى الحكم سواء ، واذ كانت الأشباه مخلوقات لدلّت على انّ الخالق ليس له شبيه (الّذى صدق فى ميعاده)

وَٱرْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِٱلْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ. مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ ٱلْأَشْيَاءِ عَلَىٰ أَزَلِيَّتِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ ٱلْعَجْزِ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ، وَبِمَا ٱضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ ٱلْفَنَاءِ عَلَىٰ دَوَامِهِ. وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ، وَدَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ، وَقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ. تَتَلَقَّاهُ ٱلْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ، وَتَشْهَدُ لَهُ ٱلْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ.

فوعده صادق لا خلف فيه (وارتفع عن ظلم عباده) اى تنزه وتعالى، فلا يظلم احدا.

(وقام بالقسط) اى العدل (فى خلقه) والقيام كناية عن استمراره سبحانه لذلك (وعدل عليهم فى حكمه) فحكمه عدل لا جور فيه.

(مستشهد بحدوث الأشياء على ازليته) يعنى أنه تعالى استشهد ــ تكوينا ــ وذلك لأنّ الحادث يدلّ على ان باريه قديم، والاّ لاحتاج الى آخر (وبما وسمها) اى جعل على الأشياء علامة (به) يعود الى ((ما)) (من العجز) بيان ((ما)) (على قدرته) اى ان عجز الأشياء دالّ على قدرته تعالى، اذلو كان عاجزا كان كاحدها فلم يقدر على الخلق (وبما اضطرها اليه من الفناء) اى استشهد سبحانه بفناء الأشياء الّتى اضطرها اليه (على دوامه) اذ لو كان فانيا كأحد الأشياء فلم يكن الها (واحد لا بعدد) اى ليست الوحدة العددية ــ التى بعدها الاثنان والثلاثة وهكذا ــ شاملة له تعالى (ودائم لا بأمد) اى لا غاية وامد له (وقائم لا بعمد) اى ليس له عماد، كما للانسان القائم عماد من عظامه ورجليه وما اشبه (تتلقاه الأذهان) اى تعرفه سبحانه (ولا بمشاعرة) اى بتأثّر المشاعر منه، كما يتأثّر الحواس من المحسوسات ــ اذ ليس سبحانه محسوسا ــ.

(وتشهد له المرائى) جمع مرات، بمعنى المنظر (لا بمناضرة) اى

لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ ، بَلْ تَجَلَّىٰ لَهَا بِهَا ، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا . لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً ، وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً ؛ بَلْ كَبُرَ شَأْناً ، وَعَظُمَ سُلْطَاناً .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ ، وَ

بكونه سبحانه منظورا فيها ، بل ان خلقها دال على وجود خالق له (لم تحط به الأوهام) بان تعرف الأذهان حقيقته تعالى (بل تجلّى) سبحانه (لها) اى للأوهام (بها) اى بسبب الأوهام فانّ الذهن لما عرف انه مخلوق عرف انّ له خالقا ، اذ كل اثر يدلّ على المؤثر (و بها) اى بدلالة الأوهام على انّه سبحانه لا يمكن درك كنهه (امتنع منها) اى امتنع تعالى من ان تناله الأوهام .

و الحاصل : ان امتناع ادراك كنهه يدل عليه الذهن (و اليها) اى الى الأوهام (حاكمها) اى حاكم الله الأوهام ، بان قال للأذهان تفكرى هل يمكن ادراك كنه الله ؟ فتفكرت فى الأدلة ، و اجابت بالنفى ، لأنّ المحدود لا يمكن ان يشمل على غير المحدود (ليس) الله سبحانه (بذى كبر) جسمى (امتدّت به النّهايات) اى الطول و العرض و العمق (فكبّرته تجسيما) اى جعلته النهايات جسما كبيرا (و لا بذى عظم تناهت به الغايات) اى انتهت الى غاية فى اطرافه ، كما ينتهى كل جسم الى غاية فى جوانبه الست (فعظّمته) الغايات (تجسيدا) له بان صار سبحانه جسدا (بل كبر) اى اذا قيل ((كبر)) كان المراد (شأنا) فهو معنوى لا مادّى (وعظم سلطانا) لا عظمة جسمية .

(و اشهد انّ محمّدا عبده و رسوله الصّفى) اى الذى اصطفاه و اختاره (و

أَمِينُهُ الرَّضِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ ، وَإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ ؛ فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا ، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالّاً عَلَيْهَا ، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الاهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الإِسْلَامِ مَتِينَةً ، وَعُرَى الإِيمَانِ وَثِيقَةً .

امينه الرّضى) اى المرضى عنده تعالى (صلى الله عليه وآله) جملة خبرية فى معنى الدّعاء ، اى اللّهم صلّ عليه ، و الصلاة من الله انزال الرحمة .

(ارسله) تعالى (بوجوب الحجج) اى الأدلة الواجبة الثابتة (وظهور الفلج) اى الظفر على الأعداء (و ايضاح المنهج) اى الطريق ، و المراد هنا الطريق الى رضوان الله تعالى (فبلغ الرّسالة صادعا بها) اى معلنا لها (و حمل) النّاس (على المحجّة) اى الطّريق السّوى (دالاّ عليها) و ذلك ببيان الأحكام الموجب لنجاة العامل بها (و اقام اعلام الاهتداء) جمع علم وهو ما ينصب فى الطّريق لهداية السّائر الى الطريق (و منار الضياء) المنار : المحل المرتفع الذى يوضع عليه النور ، لهداية السائر ليلا على الطريق .

(و جعل امراس الاسلام) جمع مرس ، و هو جمع مرسة ، بمعنى الحبل (متينة) اى قويّة ، و المراد بامراس الاسلام ، احكامه و اصوله و اخلاقه وكونها متينة ، بمعنى كونها مطابقة للواقع موجبة للسعادة ، فمن تمسّك بها رفعته الى الجنّة و السّعادة (و) حبل (عرى الايمان) جمع عروة ، و هى : ما يلزم من الابريق و الكوز و ما اشبه (وثيقة) اى قوية لا تنفصم ، كما قال سبحانه : ((فقد استمسك بالعروة الوثقى)) و هذان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس .

منها في صفة خلق اصناف من الحيوان

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ ٱلْقُدْرَةِ ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ ، لَرَجَعُوا إِلَىٰ الطَّرِيقِ ، وَخَافُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ، وَلٰكِنِ ٱلْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ ، وَٱلْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ ! أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَىٰ صَغِيرِ مَا خَلَقَ ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ ، وَسَوَّىٰ لَهُ ٱلْعَظْمَ وَٱلْبَشَرَ ! اُنْظُرُوا إِلَىٰ النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا ، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ ٱلْبَصَرِ ،

(منها) : (فى صفة خلق اصناف من الحيوان) .

(و لو فكّروا) اى النّاس (فى عظيم القدرة) اى قدرة اللّه سبحانه العظيمة (وجسيم النّعمة) اى النّعمة الكبيرة الّتى انعم سبحانه بها على النّاس (لرجعوا الى الطّريق) اى طريقه سبحانه فى الايمان و الطاعة (وخافوا عذاب الحريق) اضيف ((عذاب)) الى ((الحريق)) لأنّ المراد به جهنّم (و لكنّ القلوب عليلة) لم تمتلأ بالايمان حتى تعمل بمقتضاه (و البصائر) جمع بصيرة (مدخولة) ليست على صفائها حتى ترى الحق ، بل دخلتها وسواس الشياطين ، و هوى النّفس الأمارة .

(الا تنظرون الى صغير ما خلق) سبحانه (كيف احكم خلقه) ؟ فليس اهمل فيه بعض النواحي الصغيرة كما هو عادة الانسان لا يهتم بالأمور الصغيرة و انما يصب اهتمامه على الأمور الكبيرة (و اتقن تركيبه) فى جعل الأدوات والأجهزة له (و فلق) اى خلق (له السّمع و البصر) شق فى رأسه موضعها .

(و سوّى له العظم) اى جعله سويا صحيحا (و البشر) جمع بشرة و المراد بها مقابل العظم (انظروا الى النّملة فى صغر جثّتها) اى جسمها (و لطافة هيئتها) فانها فى شكل لطيف دقيق (لا تكاد تنال بلحظ البصر) اى

وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ ٱلْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَىٰ أَرْضِهَا، وَصُبَّتْ عَلَىٰ رِزْقِهَا، تَنْقُلُ ٱلْحَبَّةَ إِلَىٰ جُحْرِهَا، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا. تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا، مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا؛ لَا يُغْفِلُهَا ٱلْمَنَّانُ، وَلَا يَحْرِمُهَا ٱلدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي ٱلصَّفَا ٱلْيَابِسِ، وَٱلْحَجَرِ ٱلْجَامِسِ! وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي

برؤية العين ، لصغرها (و لا بمستدرك الفكر) اى بالفكر الّذى استدرك ،ونبّه الانسان اليه بعد الغفلة (كيف دبّت) و تحركت النملة (على ارضها) اى الأرض المعدة لها (وصبت على رزقها) فانّ النّمل تجتمع على الأرزاق المقدرة لها ، فى شبه الانصباب (تنقل الحبّة الى جحرها) آية حبة كانت و الجحر المنزل (و تعدها) اى تجعلها مستعدة للبقاء و الأكل (فى مستقرّها) اى محل استقرارها

(تجمع فى حرّها) اى الصيف و ما اشبه (لبردها) اى الشتاء ، حيث لا تتمكن من الخروج للمطر و الثلج (و فى ورودها لصدرها) اى تجمع فى حال ما ترد الى الخارج ، لحالها اذا رجعت الى جحرها ، فان الصدر ــ محركا ــ الرجوع بعد الورود (مكفولة برزقها) فانّ اللّه سبحانه كفل لها رزقها (مرزوقة بوفقها) اى انها رزقت رزقا موافقا لها (لا يغفلها المنّان) اى لا يجعله اللّه سبحانه غافلة حتى لا تكد لرزقها (و لا يحرمها الدّيان) سبحانه ، بأن يمنعها من الرزق فقد اعطاها الفطنة لجمع الرزق واعطاها الرزق ، و المنّان : كثير المن و العطاء ، و الديان : كثير الحكم على الخلائق (و لو فى الصّفا) هى الصّخرة الصلبة الملساء (اليابس) اى لا يحرمها ، و لو كانت على مثل هذه الصّخرة التى لا تنبت العشب (و الحجر الجامس) اى الجامد .

(و لو فكرت فى مجارى اكلها) اى اكل النّملة ، و المراد بالمجارى الأمعاء (فى علوها و سفلها) اذ الغذاء يصعد و ينزل فى الامعاء الملتوية (و ما فى

ٱلْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا ، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا ، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً ، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً ! فَتَعَالَىٰ الَّذِي أَقَامَهَا عَلَىٰ قَوَائِمِهَا ، وَبَنَاهَا عَلَىٰ دَعَائِمِهَا ! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ ، وَلَمْ يُعِنْهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ . وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ ٱلدِّلَالَةُ إِلَّا عَلَىٰ أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَغَامِضِ ٱخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ . وَمَا ٱلْجَلِيلُ وَ

الجوف من شراسيف) وهى : اطراف البطن الداخلة التى تشرف على البطن . (بطنها وما فى الرأس من عينها واذنها) بكل نظام ودقّة (لقضيت من خلقها عجبا) اى تعجبت تعجّبا كاملا (ولقيت من وصفها تعبا) فانّ الانسان اذا اراد وصفها وصفا دقيقا تعب ونصب ، وقد كتب علماء الحيوان فى العصر الحديث كتبا متعددة حول النمل (فتعالى) الله (الذى اقامها على قوائمها) جمع قائمة ، وهى الأيدى والأرجل (وبناها) اى بنى جسمها (على دعائمها) جمع دعامة اى الأعضاء والآلات (لم يشركه) سبحانه (فى فطرتها) اى خلقتها (فاطر) شريك غيره (ولم يعنه فى خلقها قادر) فانه سبحانه لا يستعين بشئ فى خلقه للأشياء .

(ولو ضربت فى مذاهب فكرك) اى صرفت الفكر هنا وهناك ، تشبيها بالضرب فى الأرض (لتبلغ غاياته) اى غاية الفكر (ما دلتك الدّلالة) اى الأدلة والبراهين (الآ على انّ فاطر النّملة هو فاطر النخلة) فهو سبحانه الخالق للكبير ، كما انه خالق للصغير (لدقيق تفصيل كلّ شئ) اى ان الدقة فى كل شئ يدل على ان الخالق واحد ، من غير فرق بين ان يكون ذلك الشئ صغيرا ، او كان كبيرا (وغامض اختلاف كلّ حيّ) اى ان كل حيّ مع اختلافه مع سائر الأحياء ، غامض فى التركيب والأجهزة (وما الجليل) اى العظيم (و

اللَّطِيفُ ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ.
وَكَذٰلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ ، وَالرِّيَاحُ وَالْمَاءُ . فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ ، وَاخْتِلَافِ هٰذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَفَجُّرِ هٰذِهِ الْبِحَارِ ، وَكَثْرَةِ هٰذِهِ الْجِبَالِ ، وَطُولِ هٰذِهِ الْقِلَالِ وَتَفَرُّقِ هٰذِهِ اللُّغَاتِ ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ. فَالْوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ الْمُقَدِّرَ ، وَأَنْكَرَ الْمُدَبِّرَ !

اللّطيف) اى الدّقيق (و الثّقيل و الخفيف و القوىّ و الضّعيف فى خلقه) سبحانه (الاّ سواء) من جهة الدقة و الاتقان .

ثم صرف عليه السلام مساق الكلام الى خلق السماء و الكون بقوله : (و كذلك) تدل على اله قدير حكيم (السّماء و الهواء و الرّياح) هى الهواء التى تهب و الهواء التى لا تهب (و الماء) كلها فى غاية الدقة و الاتقان ، مما تدل على حكيم عليم .

(فانظر الى الشمس و القمر و النّبات و الشجر و الماء و الحجر) امثلة لمختلف اصناف المخلوقات العلوية و السفلية ، النامية وغير النامية ،والسائلة و الجامدة الالفات الى مختلف اصناف الأشكال و الحقائق فى الخلق .

(واختلاف هذا الليل و النهار) كون كل واحد منهما خلفة للآخر ، وآتيا مكانه (و تفجّر هذه البحار) فانّ الأمواج و التيارات توجب ظهور التفجّر فى البحار (وكثرة هذه الجبال) فى كل مكان من اماكن الأرض (و طول هذه القلال) جمع قلة ، و هى رأس الجبل (و تفرّق هذه اللّغات) فلكل قوم لغة خاصة كالعربية و الفارسية و التركية (و الألسن المختلفات) فلكل انسان لهجة خاصة و نبرة مخصوصة بها يميز صوته عن اصوات اشباهه .

(فالويل لمن جحد المقدّر) اى الله سبحانه الذى قدر هذه الأشياء و خلقها (و انكر المدبر) الذى دبّر ، و كان الفرق بينهما ، ان التقدير

زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ ؛ وَلَمْ يَلْجَوُوا إِلَىٰ حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا ، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا ، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ !

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ ، وَ

التخطيط ، والتدبير جعل طريق الوصول الى النتيجة (زعموا انهم كالنّبات) الذى يخرج فى البرية بلا زارع انسانى (ما لهم زارع) خلقهم و كونهم (و لا لاختلاف صورهم صانع) اى صانع جعلهم مختلفين فى الصورة ، و هولاء هم الطّبيعيّون ، وكلامهم هراء و سخف اذ احتياج المعلول الى العلة ضرورى لا يخفى على ذى عقل (و لم يلجأوا) اى لم يستندوا (الى حجّة) و برهان (فيما ادّعوا) من انه لا صانع للكون (و لا تحقيق لما اوعوا) بمعنى ((وعوا)) اى بما حفظوا و جعلوا صدورهم خزانة له ، فان الجهال يعون بلا تدبّر و ادلّة بخلاف العلماء الذين لا يحفظون الا ما قامت عليه البراهين (و هل يكون بناء من غير بان) ؟ يبينه (او جناية من غير جان) ؟ استفهام انكارى ، اى لا يكون ذلك ، فاذا لم يكن بناء صغير بدون بناء ، او اثر صغير لجناية بدون فاعل فكيف يمكن بناء الكون الكبير و هذه الآثار العظيمة بلا خالق ؟ .

(و ان شئت قلت فى الجرادة) اى تكلمت حول خلق الجرادة ، مما يدل على انه لابد لها من صانع مع صغرها فكيف بالكون الكبير الذى تكون الجرادة جزءا ضئيلا من اجزائه ؟ (اذ خلق) الله سبحانه (لها عينين حمراوين) فانّ عينها حمراء (و اسرج لها) الاسراج اضائة السراج ، اى المصباح (حدقتين) الحدقة : محل الرؤية فى العين ، و (قمراوين) اى مضيئين ، كان كلا منهما ليلة قمراء اضائها القمر (و جعل لها السّمع الخفىّ) غير الظاهر فى جسمه (و

فَتَحَ لَهَا ٱلْفَمَ السَّوِيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا ٱلْحِسَّ ٱلْقَوِيَّ ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ ، وَ مِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ . يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا ، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّىٰ تَرِدَ ٱلْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا وَ تَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتِهَا . وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً .

فَتَبَارَكَ ٱللّٰهُ ٱلَّذِي « يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ

فتح لها الفم السّوى) اى المستوى الذى لا انحراف فيه (وجعل لها الحس القوى) فانّه يحس بالأشياء ، ولذا يفرّ طائرا اذا علم بالخطر (و) جعل لها (نابين) هى السن (بهما تقرض) الأشياء ، كالمقراض (ومنجلين) المنجل الة عوجاء من حديد يقطع بها الزرع (بهما تقبض) والظاهر ان المراد بهما رجلاها ، فانهما ، خشنتان عوجاوتان ، كالمنجل .

(يرهبها) اى يخاف من الجرادة (الزّراع) جمع زارع (فى زرعهم) لأنها تاكل الزرع (ولا يستطيعون ذبّها) اى دفعها (ولو اجلبوا بجمعهم) اى تهيّئوا جميعا (حتّى ترد) الجرادة (الحرث) اى الزرع (فى نزواتها) يقال نزا عليه اذا وثب اى فى وثباتها (وتقضى منه فى شهواتها) اى شهوتها الاكل ، حتى تشبع .

(وخلقها كلّه لا يكون اصبعا) اى بمقدار اصبع (مستدقّة) اى دقيقة صغيرة .

(فتبارك) بمعنى الثبات والبقاء ، اصله من برك الابل ، اذا نام على الأرض ، ومنه البركة ، بمعنى : الزيادة ، لأنها توجب دوام النعمة ، اذ النعمة القليلة تفنى بسرعة .

(اللّه الّذى يسجد له من فى السّماوات والأرض) سجودا تكوينيا ، بمعنى الخضوع ، اوان لكل شئ سجود واقعى ، فان من المحتمل تزود كل شئ بنوع

طَوْعاً وَكَرْهاً » ، وَيُعْنو لَهُ خداً وَوَجْهاً ، وَيُلْقِي إلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً ، وَيُعْطِي لَهُ ٱلْقِيادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً ! فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ ؛ أَحْصَىٰ عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفَسَ ، وَارْسَىٰ قَوائِمَهَا عَلَىٰ النَّدَىٰ وَٱلْيَبَسِ ؛ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا ، وَأَحْصَىٰ أَجْنَاسَهَا . فَهٰذَا غُرابٌ وَهٰذَا عُقَابٌ . وَهٰذَا حَمَامٌ وَهٰذَا نَعَامٌ . دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِٱسْمِهِ ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ .

من المعرفة و الادراك ، و ان كنّا لا ندرك كيفيّة ذلك (طوعا و كرها)هذاكناية عن قطعية السجود ، لا لبيان ان بعض الأشياء تسجد كرها (و يعنو) اى يخضع (له) تعالى (خدّا و وجها) اى اتجاها ، فان الوجه سمى بذلك لاتجاهه نحو المطلوب ، و اتجاه الأشياء اليه فيما اذا اريد التوجه نحوه (و يلقى اليه) تعالى (بالطاعة سلما وضعفا) فكل شئ سلم للّه سبحانه ، وضعيف فى قبال قدرته عزّ اسمه(و يعطى له القياد) حتى يقوده تعالى كيف شاء (رهبة و خوفا) منه تعالى .

(فالطّير) و المراد بها : الجنس ، و لذا جئ لها بوصف مؤنث (مسخّرة لأمره) تعالى ، لا تتمكن ان تزول عن الخطة التى جعلها لها (احصى) تعالى (عدد الرّيش منها و النّفس) اى عدد انفاسها التى يتنفّس بها (و ارسى قوائمها) اى جعل ارجلها (على النّدى) اى الماء (و اليبس) اى الأرض ، فمن الطير ما يسكن الماء ، و منه ما يسكن فى الأرض (و قدّر اقواتها) فلكل واحد من اقسام الطير ، قوت خاص قدّر له (و احصى) اى حسب (اجناسها) بمعنى انه علم عدد اجناس الطيور، كالبلبل ، و الحمام ، و الدراج ، و ما اشبه (فهذا غراب ، و هذا عقاب ، و هذا حمام ، و هذا نعام) اى نعامة(دعا كل طائر باسمه) اى سمى كل طائر باسمه الّذى هو علامة خاصة له ، و ليس المراد اللّفظ ، بل المراد جعل الحقيقة لكل طائر (و كفل له برزقه) فلكلّ طير ياكل

وَأَنْشَأَ «السَّحَابَ الثِّقَالَ» فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا. فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

تجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ،

رزق الله المقدّر له .

(وانشأ) اى خلق (السّحاب الثّقال) اى الثّقيلة بالماء (فاهطل ديمها) اى مطرها فان ديم – على وزن هِمم – جمع ديمة، وهو مطر يدوم فى سكون و اهطال، جعلها بحيث تتابع بالمطر (وعدّد قسمها) بمعنى احصى ما قدر من تلك الأمطار لكل بقعة من بقاع الأرض (فبلّ الأرض) اى جعلها مرطوبة، بماء المطر (بعد جفوفها) اى يبسها (واخرج نبتها بعد جدوبها) اى ان اجدبت – ضد اخصبت – لانقطاع المطر عنها .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

و تجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه خطبة

(ما وحده من كيفيّة) اى لم يجعل الله سبحانه واحدا، من جعل له كيفا، اى حالة، اذ الحالة غير الذّات، فيوجب ذلك الاثنينية مثلا ((زيد)) شئ، و ((المرض)) شئ، وكذلك ((العلم)) و ((القوة)) و ((الكرم)) و غيرها، و انّما الله سبحانه صفاته عين ذاته (ولا حقيقته اصاب من مثله) اى جعل له

وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ . كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ . فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ ، مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ ،

سبحانه مثالا ، اذ المثال لما كان ممكنا لزم ان يكون الممثّل ايضا ممكنا ، و من وصفه سبحانه بصفات الممكنات لم يصب حقيقية اللّه تعالى ــ الّتى هى وا جب وجود ه غير مماثل للممكنات ٠

(ولا ايّاه عنى) اى قصد (من شبّهه) اى جعل له شبيها ــ لما تقدم فى دليل نفى المثال ــ ٠

(ولا صمده) اى قصده (من اشار اليه) لأن الاشارة تستلزم الجسمية و الجهة ، واللّه ليس بجسم ولا له جهة (و توهّمه) اى تصوّره فان كنهه سبحانه مخفى ، فمن تصوّر كنهه فانما المتصوّر غير اللّه سبحانه ٠

(كل معروف بنفسه) اى كل ما كان ذاته معروفة ، و نفسه واضحة لدى الانسان (مصنوع) اى مخلوق ، اذ ذات الخالق لا تعرف ، فانّها غير محدودة ، و الذهن المحدود لا يمكن ان يحتوى على ما ليس بمحدود ٠

(و كلّ قائم فى سواه) اى ما كان قيامه و وجوده بسبب غير نفسه (معلول) اى له علة ، بخلاف ما كان قيامه بذاته ــ و هو اللّه سبحانه ــ فانه علّة و ليس بمعلول لشئ ٠

(فاعل لا باضطراب آلة) اى لم يضطرب سبحانه فى خلق الأشياء ، كما يتحرك و يضطرب آلات الانسان ــ اى جوارحه ــ لدى ارادته ان يعمل عملا ما (مقدّر) للأشياء (لا بجول فكرة) فانّ الانسان اذا اراد ان يقدر شيئا و يخطّطه لابد و ان يحرّك فكره اولا ، و ذلك ليس فى اللّه سبحانه ، اذ لا فكر له وانما علم و ارادة ٠

غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ. لَا تَصْحَبُهُ ٱلْأَوْقَاتُ ، وَلَا تَرْفِدُهُ ٱلْأَدَوَاتُ ؛ سَبَقَ ٱلْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ ، وَٱلْعَدَمَ وَجُودُهُ ، وَٱلِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ. بِتَشْعِيرِهِ ٱلْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ ٱلْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ ٱلْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ .

(غنى لا باستفادة) الثروة والقدرة من غيره ،و انما هو سبحانه غنىّ بذاته .

(لا تصحبه الأوقات) فانّ الوقت حادث ، والقديم يستحيل عليه مقارنة الحادثات (ولا ترفده) اى تعينه (الأدوات) اى الآلات كما تعين الانسان فى حوائجه (سبق الأوقات كونه) اى وجوده سبحانه اذ الوقت حادث وهوقديم .

(و) سبق (العدم وجوده) وليس كالممكنات التى يسبقُ على وجودها العدم ، اذ انها معدومة ثم توجد (و) سبق (الابتداء ازله) فهو اول و لاابتداء له (بتشعيره المشاعر) جمع مشعر ، بمعنى آلة الشعور والادراك ، كالعين ، والاذن ، اى بجعله سبحانه لهذه المشاعر (عرف ان لا مشعر له) اى لا حاسة له ، اذ هو سبحانه لا يشابه خلقه ، فاذا جعل شيئا فى الخلق دلّ ذلك على نفيه عن وجوده سبحانه (و بمضادّته بين الأمور) اى جعل بعضها ضدّ بعض ، كالحرارة ضد البرودة ،و السواد ضد البياض (عرف ان لا ضدّ له) اذ الضدّان امران وجوديان يخلف احدهما الآخر ، والله سبحانه لا يخلف مكانه شئ ، كما انه لا يخلف شيئا ..

(و بمقارنته بين الأشياء) بان جعل بعضها قرين بعض ، كجعل اللحم قرين الدم فى جسم الانسان (عرف ان لا قرين له) فانّ الاقتران حدوث حالة للشئ بعد عدمها ، والله سبحانه لا تتبدّل عليه الأحوال و الا لزم ان يكون ممكنا، ومن المحتمل ان يراد من ((المقارنة)) المماثلة ، والمعنى انه لا مثل لهتعالى ــ وانكان الظاهر هو المعنى الأول ــ .

ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ ، وَالْحَرُورَ بِالصَّرَدِ . مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا ، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا ، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا ، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا . لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ ، وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ الْآلَةِ إِلَىٰ نَظَائِرِهَا .

(ضاد النّور بالظّلمة) اى جعل بينهما تضادّا (و الوضوح بالبهمة) فان الظهور ضد الخفاء — فى كل شئ — و البهمة بمعنى الخفا ، من الابهام (و الجمود بالبلل) فان البلة سيالة ، و الجمود ثابت ، كالماء ، و الحجر (و الحرور) اشدة الحر (بالصّرد) اى شدة البرد .

(مؤلّف بين متعاديانها) فانه سبحانه جمع فى جسم الانسان بين الحرارة و البرودة ، و الرطوبة و اليبوسة ، كما ثبت فى الطب (مقارن بين متبايناتها) و المباين يراد به المضاد (مقرّب بين متباعداتها) مما يبعد بعضها عن بعض فى الطبيعة ، كالماء و النار (مفرّق بين متدانياتها) اى ما كان دانيا لآخر كجزئين من عنصر واحد فى جسمين مختلفى المزاج .مثلا السكر الأبيض و الشير خشت مختلفان من حيث الحرارة و البرودة ، و كلاهما ابيض ، ففرق سبحانه بين البياضين المتدانين بجعل كل فى شئ يخالف الآخر و يتباينه (لا يشمل) سبحانه (بحد) بان يمكن تحديده ، اذ هو تعالى غير محدود ، فان الحد زمان او مكان او كيف او ما اشبه ، و كلها من لوازم الامكان .

(و لا يحسب بعد) اى انه واحد ، لكن ليس بالعدد الذى هو من جنس الثانى و الثالث ، مما يطرء على الممكنات المعدودة (و انّما تحدّ الأدوات انفسها) اى الأدات التى تحدد الأشياء ، كالزمان و المكان انما تحدد ما من قبيلها فى الامكان ، و لا يمكن ان تحد ((الله)) سبحانه الذى ليس من قبيل هذه الأشياء (و تشير الآلة الى نظائرها) اذ الاشارة من صفات الجسم ،مشيرا،

مَنَعَتْهَا «مُنْذُ» ٱلْقِدْمِيَّةَ، وَحَمَتْهَا قَدُ ٱلْأَزَلِيَّةَ، وَجَنَّبَتْهَا «لَوْلَا» ٱلتَّكْمِلَةَ! بِهَا تَجَلَّىٰ صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وَبِهَا ٱمْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ ٱلْعُيُونِ، لَا يَجْرِي عَلَيْهِ ٱلسُّكُونُ وَٱلْحَرَكَةُ،

ومشارا اليه (منعتها ((منذ)) القدميّة) اى كونه سبحانه قديما ، مانع من اطلاق ((منذ)) عليه ، اذ ((منذ)) دالة على الزمان ، و القدم قبل الزمان، والضمير فى ((منعتها)) راجع الى ذاته سبحانه و ((القدمية))فاعل(منعتها)) و المفعول له ((منذ)) (و حمتها) اى منعت عن ذاته سبحانه (قد) اى من اطلاق لفظة ((قد)) عليه (الأزليّة) اى كونه ازليا ، و هذا فاعل ((حمتها)) فان كونه تعالى ازليا ، يمنع من ان يقال بالنسبة اليه ((قد يكون))و((قد لا يكون))

(و جنّبتها ((لولا)) التكملة) فان المخلوق يقال فيه ((لولا فاعله ما وجد)) فهى تكملة للمهية و الله سبحانه حيث لا علّة له يمتنع فى حقه ((لولا)) و لا يخفى ان فى هذه الجمل الثلاث يحتمل احتمالات اخر ايضا (بها) اى بتلك الصفات التى ذكرت له سبحانه (تجلى صانعها) اى صانع الأشياء (للعقول) او المراد به ((منذ)) و ((قد)) و ((لولا)) تجلى صانع هذه الثلاثة ، و المعنى انه حيث نرى ان الأشياء لها ((زمان)) و ((عدم)) و ((وجود)) و ((علة)) نعرف ان الخالق ليس له شئ منها ، فضمير ((بها)) و ((صانعها)) يرجع الى ((قد)) و ((منذ)) و ((لولا)) ــ و هذا اظهر ــ .

(و بها امتنع عن نظر العيون) اى بسبب احتفاء هذه الأشياء ((قد)) و ((منذ)) و ((لولا)) بالممكنات ، امتنع تعالى عن الرؤية ، فان العين تحتف بـه هذه الثلاثـة ، و ما يكون كذلك لا يشاهد ، ما هو منزّه عن هذه الثلاثة ، اذ الرؤية تحتاج الى المجانسة و لا مجانسة بين الله و بين العين .

(لا يجرى عليه) سبحانه (السّكون و الحركة) اذ هما من اوصاف الجسم،

وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ ! إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ ، وَلَاَمْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ ، وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ ، وَلَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ . وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ

وليس سبحانه جسما (وكيف يجرى عليه ما هو) سبحانه (اجراه) فانهما مخلوقان له ، وكيف يصدق المخلوق على خالقه ؟ (و) كيف (يعود فيه) اى يكون عود هذين فى الله تعالى ـ بان يصدق عليه ـ (ما هو ابداه) اى الشئ الذى الله تعالى ابداه واظهره ؟ (و) كيف (يحدث فيه) تعالى (ما هو احدثه) فان الله احدث واوجد الحركة والسكون ، فلا يحدثان فيه (اذا) اى اذا كان تعالى محل للحركة والسكون (لتفاوتت ذاته) اى لاختلفت باختلاف الاعراض عليه (ولتجزا كنهه) اى صار صفتها وذو اجزاء ، اذ الحركة والسكون من خواص الجسم ، والجسم مجزء منقسم (ولا متنع من الأزل معناه) لأن الذى يطرء عليه الأحوال ليس الا ممكنا ، والممكن حادث لا ازل .

(ولكان له وراء) وخلف (اذ وجد له امام) فان الحركة والسكون من اثار الجسم ، والحركة لا بد فيها ان يكون المتحرك بها ذا خلف معرض عنه ، و امام مقبل اليه ، والا لم تتحقق مفهوم الحركة (ولا لتمس التّمام اذ لزمه النقصان) اذ الحركة لا تكون الا لدرك الناقص ، فيلزم ان يكون سبحانه ناقصا يلتمس ان يتم نفسه بالحركة (واذا) اى اذا كانت هذه صفاته (لقامت آية المصنوع فيه) اى علامة كونه مصنوعا ومخلوقا (ولتحوّل دليلا) على اله آخر (بعد ان كان مدلولا عليه) بالآثار ، فان الاله يستدل عليه بآثاره .

(وخرج) عطف على قوله : لا يجرى عليه السكون ، اى انه سبحانه

بِسُلْطَانِ ٱلامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ . الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ ٱلْأُفُولُ . لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً . جَلَّ عَنِ ٱتِّخَاذِ ٱلْأَبْنَاءِ ، وَطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ ٱلنِّسَاءِ . لَا تَنَالُهُ ٱلْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ ٱلْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ ، وَلَا تُدْرِكُهُ ٱلْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ ،

خرج (بـ) سبب (سلطان الامتناع) اى كونه ممتنعا عليه صفات المخلوقين (من ان يؤثر فيه ما يؤثر فى غيره) فالأشياء التى توثر فى المخلوقات ، لا تؤثر فيه سبحانه ، مثلا النار و الجمد يوثرا فى الأشياء ، بالحرارة و البرودة ، ولا يؤثران فيه تعالى ، و هكذا .

هو الله سبحانه (الذى لا يحول) من حال الى حال (و لا يزوال) بالفناء كما يزول سائر الأشياء (و لا يجوز عليه الافول) اى الغياب ، فانه حاضر عند كل شئ ، و فى كل زمان و مكان لا غيبة له (و لم يلد فيكون مولودا) اذ يتلازم المولودية و الولادة ، فكل شئ يلد ، لا بد و ان يكون هو مولودا (و لم يولد) اى لم يلد الله شئ (فيصير محدودا) لأنه يكون له بدء ، و يكون مشمولا لغيره ، و كلاهما حد (جلّ) اى ارتفع (عن اتّخاذ الأبناء) فليس المسيح و عزير و الملائكة عليهم السلام ابناء له ، كما زعم النصارى و اليهود و المشركون (و طهر) اى تنزّه (عن ملامسة النّساء) بان تكون له زوجة ، كما زعم الكفار ، قال سبحانه : ((و جعلوا بينه و بين الجنة نسبا)) .

(لا تناله الأوهام) اى لا تصل الى كنه معرفته العقول (فتقدّره) بان تجعل له تقديرا (و لا تتوهمه الفطن) جمع فطنة ، بمعنى الادراك (فتصوره) بان تجعل له صورة (و لا تدركه الحواس) الخمسة الباصرة ، و الذائقة ، والشامة و السامعه و اللامسة (فتحسّه) اى يكون سبحانه محسوسا لها .

وَلَا تَلْمِسُهُ ٱلْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ . لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ . وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَٱلْأَيَّامُ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَٱلظَّلَامُ . وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْأَجْزَاءِ ، وَلَا بِٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَعْضَاءِ ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ ٱلْأَعْرَاضِ ، وَلَا بِٱلْغَيْرِيَّةِ وَٱلْأَبْعَاضِ . وَلَا يُقَالُ : لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ ، وَلَا ٱنْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ ، وَلَا أَنَّ ٱلْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ

(ولا تلمسه الأيدى فتمسّه) والمسّ غير الحس ، اذ يمكن المسّ بلاحس، كما فى الاشل (لا يتغير) سبحانه (بحال) بان ينتقل من حال الى حال (ولا يتبدّل) ذاته (بالأحوال) كان يكون شابا و هرما و ما اشبه (ولا تبليه اللّيالى و الأيام) كما تبلى سائر المخلوقات ، كالثوب ، و الجلد ، وما اشبه (ولا يغيّره الضّياء و الظّلام) كان يقع عليه النور ، عند شروق الشمس ، و يحويه الظلام اذا جاء الليل .

(ولا يوصف بشئ من الأجزاء) فلا يقال ان له جزءا ماديا كاللحم و الدم او جزءا عقليا ، كالجنس و الفعل (ولا) يوصف (بالجوارح و الأعضاء) كان يقال له يد او رجل او عين او ما اشبه .

(ولا) يوصف (بعرض من الأعراض) كالأحمر ، والأبيض ، والطّويل ، والقصير ، (ولا بالغيرية) كان يقال انه تعالى ((غير الشئ الفلانى)) كما يوصف الممكن بذلك ، فيقال زيد غير عمرو ، فان الغير يطلق على الأشياء المتشابهة ، ولا شبه له تعالى (والأبعاض) فلا يقال ان بعضه سبحانه كذا و بعضه كذا ، كما يقال بعض الانسان يد و بعضه دم ، و بعضه روح .

(ولا يقال له حدّ) اى مقدار محدود (ولا نهاية) اى آخر ، فهو غير محدود الصفات و باق الى الأبد (ولا انقطاع ولا غاية) فلا ينقطع ذاته او صفاته ، ولا امد لوجوده سبحانه (ولا انّ الأشياء تحويه) فليس محويا للسماء

فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ ، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ . لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ . يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ. يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ ، وَيُبْغِضُ وَ

او الأرض او ما اشبه (فتقلّه) اى ترفعه ، كالأرض التى تقل الانسان (او تهويه) اى تخفضه ، كالسماء التى تظل الانسان (او انّ شيئا يحمله) كان يكون فرق العرش (فيميله) الى جانب من الجوانب ، كما يميل الحامل حمله (او يعد*له) بان يكون مستويا عليه لا ميل له الى جانب (ليس) سبحانه(فى الاشياء بوالج) اى داخل ، كدخول الماء فى الاناء (ولا عنها بخارج) بان يكون غير مسلط عليها بالعلم والقدرة .

(يخبر) سبحانه (لا بلسان ولهوات) جمع لهات ، وهى : اللحمة المتدلية فى اقصى الفم ، اذ ليس سبحانه جسما (ويسمع لا بخروق) جمع خرق ، كخرق اذن الانسان (وادوات) اى ادات الاستماع ، كمافى الانسان من الطبلة الأذنية ، والعظم وما اشبه (يقول) الكلام بخلق الصوت (ولا يلفظ بلسان (ويحفظ) الأشياء عن الفساد والزوال ــ حسب ما قدر لها ــ (ولا يتحفظ) اى لا يكلف نفسه الحفظ ، كما يتكلف الانسان حفظ الأشياء ،قال سبحانه : ((ولا يؤده حفظهما)) .

(ويريد) سبحانه الأشياء (ولا يضمر) كما يضمر الانسان ، لأنه تعالى ليس ضمير وباطن ــ كما للانسان ــ .

(يحب) الأشياء (ويرضى) بالأعمال الصالحة (من غير رقة) قلبية ،كما فى الانسان ، فان حب الانسان ورضاه ، يلازم رقة فى قلبه ، وذلك لأنه تعالى لا قلب له ، ولا تطرء عليه الأحوال (ويبغض) الأشياء الفاسد (و

يَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّة. يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ؛ وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ كَائِناً، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلٰهاً ثَانِياً لَا يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ،

يغضب) على من يخالف اوامره (من غير مشقّة) وعناء ، كما تعرض المشقه النفسية للانسان حينما يبغض ويغضب ، اذ انه تعالى لا نفس له (يقول لمن اراد كونه) اى ايجاده (كن ف) بمجرد صدور هذا الأمر (يكون) ذلك الشخص (لا بصوت يقرع) الأسماع ويصطك بها (ولا بنداء يسمع) كما يسمع نداء الانسان (وانّما كلامه سبحانه فعل منه) فارادة ، وفعل بلا تكلم بلفظة ((كن)) وانّما هذا اشارة الى الفعل الصّادر منه تعالى (انشاه) اى ابدع واوجد ذلك الفعل المراد .

(ومثله) اى مثل هذا الانشاء لم يكن (من قبل ذلك كائنا) اذ الايجاد امر حادث (ولو كان قديما لكان الها ثانيا) اذ القديم الذى لا اول له ((اله)) لعدم الخالق له ، حتى يكون مخلوقا فالقول بقديم الكلام يستلزم القول بتعدد الآلهة ، ثم لا يخفى ان كون كلامه تعالى فعله ، لا يستلزم ان لا يكون له كلام بمعنى ايجاد الأصوات فى الهواء ونحوه ، كما قال سبحانه : ((وكلّم اللهموسى تكليما)) (لا يقال) للّه سبحانه (كان) بمعنى وجد (بعد ان لم يكن) له وجود ـ كما يقال ذلك بالنسبة الى المخلوقات ـ (فتجرى عليه الصّفات المحدثات) اذ الوجود بعد العدم من صفات الحادث ، لا من صفات القديم تعالى .

(ولا يكون بينها) اى بين الصّفات (وبينه) تعالى (فصل) بان تكون

وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ ، فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ ، وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِئُ وَالْبَدِيعُ . خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَىٰ خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ . وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ ، وَأَرْسَاهَا عَلَىٰ غَيْرِ قَرَارٍ ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ ،

الصفة شيئا و الموصوف شيئا آخر – كما يكون فى الانسان كذلك – اذ لو كان كذلك لزم الاثنينية ، و تعدد الالهة ، بل صفاته سبحانه عين ذاته (ولا له) اى لله تعالى (عليها) اى على الصفات (فضل) و زيادة ، بان تكون ذاته قديما ، و الصفات حادثة – اذ للقديم فضل على الحادث – لأن ذلك يستلزم كونه سبحانه محلا للحوادث ، ومعرضا للتغير و التبدل (فيستوى الصّانع و المصنوع) اذ المصنوع صفاته غير ذاته ، ولذاته فضل التقدم على صفاته (ويتكافا المبتدى) اى يتماثل الله الذى كان بدء الأشياء وقبلها (و البديع) اى المصنوع الذى خلق و ابتدع .

(خلق) سبحانه (الخلائق على غير مثال خلا) اى بقى ذلك المثال (من غيره) تعالى بان يكون خلقه للخلق بتعلّم من اله سابق كما يتعلّم التلميذ من استاذه (و لم يستعن على خلقها) اى خلق الخلائق (باحد من خلقه) بان يتخذه معينا و ظهيرا (و انشا الأرض فامسكها) من الانفراط عن فلكها (من غير اشتغال) فان انشائه سبحانه بالارادة لا بالشغل و العمل – كما فى احدنا حيث نشتغل بما نريد ايجاده – .

(و ارساها) اى جعلها راسية لا تضطرب و لا تزلزل (على غير قرار) اذ لا موضع وضعت فيه الأرض ، و انما هى كرة معلقة فى الفراغ (و اقامها) اى جعلها قائمة غير زائلة (بغير قوائم) جمع قائمة ، بمعنى العمود .

(و رفعها) فى الفضاء ، ليس تحتها مقر و محل (بغير دعائم) جمع

وَحَصَّنَهَا مِنَ ٱلْأَوَدِ وَٱلِاعْوِجَاجِ ، وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَٱلِانْفِرَاجِ . أَرْسَىٰ أَوْتَادَهَا ، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا ، وَٱسْتَفَاضَ عُيُونَهَا ، وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا ؛ فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ . هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ ٱلْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَٱلْعَالِي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ . لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ

دعامة ، بمعنى العمود (وحصنها) اى حفظها (من الاود) اى الانحراف (و الاعوجاج) اى الزيغ و الميل ، الى جانب ..

(و منعها من التهافت) اى التساقط قطعة قطعة (و الانفراج) اى الانشقاق بان تنشق فتكون بين ابعاضها فواصل من الفضاء ، كانها اجسام متعددة (ارسى) اى اثبت و احكم (اوتادها) جمع وتد ، و المراد بها الجبال التى هى كالمسامير الثابتة فى اللوح (وضرب اسدادها) اى جعل الفواصل الجبلية بين قطعات الأرض ، فان الجبال كالسدود بين طرفيها (و استفاض عيونها) اى جعل العيون تفيض بالماء ، فان الماء الغائر يعلو اطراف العين (و خد) اى شق (اوديتها) جمع وادى ، بمعنى : النّهر (فلم يهن) اى لم يضعف (ما بناه) تعالى بمعنى انه خلق كلشئ من خلقه ببناء محكم مستحكم (و لا ضعف ما قوّاه) اى ما جعله قويا .

(هو) تعالى (الظّاهر عليها) اى المسلط على المخلوقات (بسلطانه وعظمته) فان سلطته تعالى مستولية على كل شئ (و هو الباطن لها) اى العالم ببواطن الأشياء (بعلمه و معرفته) من البواطن و المخفيات (و العالى على كلّ شئ منها) اى انه اعلى من كل شئ من المخلوقات (بجلاله و عزته) اى لأنه جليل و عزيز .

(لا يعجزه شئ منها طلبه) فمطلوبه لا يتمكن من الامتناع منه (ولا يمتنع)

عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ، وَلَا يَفُوتُـهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ. خَضَعَتِ ٱلْأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ، لَا تَسْتَطِيعُ ٱلْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ فَتَمْتَنِـعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ ، وَلَا نَظِيرَ لَـهُ فَيُسَاوِيَهُ . هُوَ ٱلْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا ، حَتَّىٰ يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ٱبْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَٱخْتِرَاعِهَا .

ذلك المطلوب له سبحانه (عليه) تعالى (فيغلبه) اذ لو تمكن من الامتناع عنه سبحانه ، لكان غالبا عليه (و لا يفوته السّريع) السير (منها) اى من الأشياء (فيسبقه) كما قد يفوت السائر سريعا عمن يطلبه و يريد اخذه (و لا يحتاج) تعالى (الى ذى مال فيرزقه) تعالى .

(خضعت الأشياء له) فكل شئ طوع ارادته (و ذلّت مستكينة) اى متضرعة (لعظمته) تعالى (لا تستطيع) الأشياء (الهرب) اى الفرار (من سلطانه) تعالى (الى غيره) كما قد يهرب الانسان من سلطان الى سلطان (فتمتنع) تلك الأشياء ، بسبب هى بها منه (من نفعه و ضرّه) بان لا تكون مشمولة لنفع انه لها ، ولا لضده عليها (ولا كفوء له) اى لا مثل له تعالى (فيكافئه) اى يماثله (و لا نظير له فيساويه) فى الذات و الصفات (هو المفنى لها) اى للأشياء (بعد وجودها) فانه تعالى يعدم الموجودات (حتى يصير موجودها كمفقودها) عدما بعد ان كان .

(و ليس فناء الدنيا بعد ابتداعها) اى خلقها و ايجادها (باعجب من انشائها و اختراعها) فان كلا منهما ، لغير القادر محال و للقادر ممكن ، فمن قال كيف لا تكون بعد ان كانت ؟ يقال له : كيف كانت بعد ان لم تكن ؟ .

وَكَيْفَ وَلَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا ، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا ، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا ، عَلَىٰ إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ ، مَا قَدَرَتْ عَلَىٰ إِحْدَاثِهَا ، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ إِيجَادِهَا ،

(وكيف) يتمكن احد من انكار وجود الصّانع ، والحال انه لا يتمكن المخلوق باجمعه من خلق بقة واحدة ؟ فاذا لم يكن صانع فمن الخالق لهذه الكثرة المدهشة من الخلق ؟ فـ (لو اجتمع جميع حيوانها) اى اقسام حيوانات الدنيا (من طيرها و بهائمها) جمع بهيمة ، هى الحيوانات ، سميت بها لأنها لا تقدر على النطق ، من بهم بمعنى اختفى (و ما كان من مراحها وسائمها) اى ما كان من الحيوان فى ماواه وما كان فى مرعاه ، فان السائم الحيوان حال الرعى ، من سام اذا رعى ، و المراح اسم مفعول من اراح الابل اذا ردّه الى مكانه (و اصناف اسناخها) اى اصولها ، فان السنخ بمعنى : الأصل ، والمراد الأجناس العالية ، كالطير ، والوحش ، و السّمك (و اجناسها) اى الأنواع كالحمامة ، و البلبل ، و الدراج — فى الطير — والأسد ، و النمر ، والثعلب — فى الوجوش ، و هكذا .

(و متبلّدة اممها) جمع امة ، بمعنى : الطائفة ، فان كل حيوان امة قال سبحانه : ((و ما من دابّة فى الأرض و لا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم)) و المراد بالمتبلدة : الغبية من الحيوانات (و اكياسها) جمع كيس ، بمعنى : الفطن الجاذق (على احداث) اى ايجاد (بعوضة) اى بقة — و ((على)) متعلق بقوله : ((لو اجتمع)) (ما قدرت على احداثها و لا عرفت كيف السبيل الى ايجادها) فان الشخص قد يعرف الطريق ، لكنه لا يتمكن من المسير ، و لا قد يتمكن من المسير و لا يعرف الطريق .

وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذٰلِكَ وَتَاهَتْ ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً ، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ ، مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا !

وَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ . كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا ، كَذٰلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا ، بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ . عُدِمَتْ عِنْدَ ذٰلِكَ الْآجَالُ وَالْأَوْقَاتُ ،

(و لتحيّرت عقولها فى علم ذلك) الطريق الى ايجادها (و تاهت) اى ضلت (وعجزت) عن ايجادها (قواها) جمع قوة (و تناهت) اى وصلت الى النهاية بدون ان تقدر على الايجاد .

(و رجعت) قواها (خاسئة) اى ذليلة (حسيرة) اى كليلة (عارفة بانّها مقهورة) قد قهرت و ردّت (مقرّة بالعجز عن انشائها) اى ايجادها (مذعنة بالضعف عن افنائها) اى لا تقدر افنائها ، وانما تقدر على ازهاق روحها ، وسحقها ، اما الافناء فهو خاص بالله سبحانه .

(و ان الله سبحانه يعود) تعبير مجازى (بعد فناء الدنيا وحده لا شئ معه ، كما كان قبل ابتدائها) اى ايجاد الدنيا (كذلك يكون) الله (بعد فنائها) واعدامها .

(بلا وقت و لا مكان) اى يفنى حتى الوقت والمكان (و لا حين ولا زمان) ولا يخفى ان هذا الكلام صريح فى انعدام الكون ، لا فى تفرق اجزائه ، كما هو المسلك الآخر فى المسألة ، واما شبهة لزوم ذلك و اعادة المعدوم ، عند الحشر ، فهى مدخولة .

(عدمت عند ذلك) اى عند فناء الدنيا (الآجال) جمع اجل ، اى مدة الأشياء (و الأوقات) اى الازمنة .

وَزَالَتِ ٱلسُّنُونَ وَٱلسَّاعَاتُ . فَلَا شَيْءَ إِلَّا ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٱلَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ ٱلْأُمُورِ . بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ٱبْتِدَاءُ خَلْقِهَا ، وَبِغَيْرِ ٱمْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا ، وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَىٰ ٱلِامْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا . لَمْ يَتَكَاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ ، وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ ، وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا خَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَىٰ نِدٍّ مُكَاثِرٍ ، وَلَا لِلِاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ ،

(و زالت السنون و الساعات) فلا سنة ، و لا ساعة ، كما لا مكان ولا يكن . (فلا شئ الا الواحد القهّار) الذى يقهر كل شئ حسب ارادته (الّذى اليه مصير جميع الأمور) فان كل الأشياء ترجع الى قدرته سبحانه .

(بلا قدرة منها) اى من الأمور (كان ابتداء خلقها) فانها لم تكن قادرة عند خلقها (و بغير امتناع منها كان فناؤها) فان الله اذا اراد فناء الأشياء لم تقدر الأشياء من الامتناع ، فلا قدرة لها عند الايجاد ، ولا امتناع لها عند الاعدام (و لو قدرت على الامتناع) بان تمتنع عن اعدام الله لها (دام بقائها) الى الأبد (لم يتكاده) تعالى ، اى لم يشق عليه (صنع شئ منها اذ صنعه) و اوجده ، لا مثل الانسان الذى يثقل عليه صنع شئ .

(ولم يؤده) اى لم يثقله (منها) اى من الكائنات (خلق ما خلقه وبرأه) اى اوجده (ولم يكوّنها لتشديد سلطان) اى لتقوية سلطانه و ملكه (و لا خوف من زوال و نقصان) فاراد بذلك ان يصنع ما يعينه حتى لا يزول ، او لا ينقص عديده ، كما يكوّن السلطان الجيش ، حتى لا يزول ملكه ، ولا ينقص عديده فى مقابل خصمه (ولا للاستعانة بها) اى بالأشياء المخلوقة (على ند) اى مثل للاله (مكاثر) يباهى بكثرته ـ اذ لا مثل له سبحانه ـ (و لا للاحتراز) و التجنب (بها) اى بسبب الأشياء المخلوقة (من ضد مثاور) يريد الثورة و

وَلَا لِلازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِه ، وَلَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ ، وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا .

ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا ، لَا لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا ، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ ، وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لَا يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَىٰ سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا ، وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا

الهجوم على الله سبحانه ـ فانه لا اله الاّ هو سبحانه ـ .

(ولا للازدياد بها) اى بتلك المخلوقات (فى ملكه) تعالى (ولا لمكاثرة شريك فى شركه) بان يريد ان يبين لشريكه ، انا أكثر منك خلقا ـ اذ لا شريك له تعالى ـ .

(ولا لوحشة كانت منه) تعالى ، عند وحدته قبل خلق الخلق ،والوحشة حالة رعب تلزم النفس عند الوحدة ، وان لم يخف من شئ (فاراد ان يستأنس اليها) اى الى المخلوقات .

(ثم هو) سبحانه (يفنيها بعد تكوينها) وايجادها (لا لسأم) وملل (دخل عليه) سبحانه (فى تصريفها وتدبيرها) كما يسام الانسان اذا طال عنده تصريف ما تحت يده لا فائدة كانت منه اليه (ولا) لأجل (راحة واصلة اليه) تعالى ، كما قد يريد الانسان الراحة من عمله المتعب فيترك عمله (ولا لثقل شئ منها عليه) سبحانه اذ لا تثقله الأشياء .

(لم يملّه طول بقائها فيدعوه) الملل (الى سرعة افنائها) وانما الافناء لما جعل لكل شئ من امد حسب حكمته البالغة ـ الا الجنة والنار ، فلا امد لهما ، ولا انتهاء للنعيم والعذاب فيهما ـ .

(لكنه سبحانه دبّرها بلطفه) وفضله على الخلق (وامسكها) اى حفظها

بِأَمْرِهِ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَىٰ حَالِ اسْتِئْنَاسٍ، وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَىٰ حَالِ عِلْمٍ وَالْتِمَاسٍ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

(بأمره) لتلك الأشياء بان تبقى (واتقنها بقدرته) فكل شئ منها فى غاية الاتقان و الدقة فى الصنع و الخلق (ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه) تعالى (اليها) فان الاعادة للحشر ، ليست من جهة الحاجة ، بل من باب الصلاح و الحكمة ، كما ان الابتداء كان كذلك (و لا استعانة بشئ منها عليها) اى ان اعادة الكل بلا حاجة ، لا ان اعادة البعض للاستعانة به على ايجاد البعض الآخر ، كما يستعين الانسان بالمنشار لقطع الخشب .

(و لا لانصراف من حال وحشة الى حال استيناس) بان يكون عدم الأشياء ، موجبا لوحشته تعالى ، و لذا يعيدها ، حتى ليستأنس بها (و لا من حال جهل وعمى) اى ضلالة (الى حال علم و التماس) بان يكون عدمها سببا لجهله و لضلالته سبحانه ، فليتمس بالاعادة رجوع العلم و الهداية اليه ، كالانسان اذا فقد كتابه ، جهل وعمى (و لا من فقر و حاجة) يعتريه تعالى عند الفناء (الى غنى و كثرة) يتطلبهما بالاعادة و الايجاد (و لا من ذل وضعة) من — وضع يضع ، على وزن : عدة — (الى عزّ و قدرة) بان يكون قادرا عزيزا لدى الاعادة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وهي في ذكر الملاحم

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي، هُمْ مِنْ عِدَّةٍ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ. أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ. ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فى ذكر الملاحم

(الا بأبى وامّى) الباء للتفدية ، اى افديهم بالأب والأم ، ولا يخفى ان تفدية المفضول للفاضل جائز عقلا و شرعا عند دوران الأمر بينهما ، هذا بالاضافة الى ان الجملة للكفاية من مقام المذكورين فى نفس المفدّى ، وان كان اصلها للتفدية (هم) اشارة الى الأئمة عليهم السلام من ولده (من عدّة) اى جماعة و ((من)) لبيان (اسمائهم فى السّماء معروفة) حيث يعرفهم الملائكة (و فى الأرض مجهولة) عند معظم الناس (الا فتوقّعوا) ايها الناس المؤمنون (ما يكون) بعدى (من ادبار اموركم) فان الأمور تدبر عند حكم الظلمة (وانقطاع وصلكم) اى صلة بعضكم ببعض ، اذ الظلمة يوجبون تفرق الكلمة (و استعمال صغاركم) فان كبار النفوس العقلاء لا يعملون مع الظلمة المنحرفين ، و لذا تستعمل الظلمة ـ دائما ـ الصغار و الاراذل (ذاك) الذى من ادبار الأمور و اخواته (حيث تكون ضربة السّيف على المؤمن اهون) اى اقل تعبا (من

الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ. ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ ٱلْمُعْطَىٰ أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ ٱلْمُعْطِي . ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ ، بَلْ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ وَٱلنَّعِيمِ ،وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ ٱضْطِرَارٍ ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ . ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمُ ٱلْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ ٱلْقَتَبُ غَارِبَ ٱلْبَعِيرِ. مَا أَطْوَلَ هٰذَا ٱلْعَنَاءَ ،وَأَبْعَدَ هٰذَا ٱلرَّجَاءَ !

أَيُّهَا النَّاسُ ،أَلْقُوا هٰذِهِ ٱلْأَزِمَّةَ ٱلَّتِي تَحْمِلُ

الدّرهم من حلّه) فان الظلمة يفسدون المكاسب و يخلطون الحلال بالحرام ، مما يوجب تعسر تحصيل الرزق الحلال ٠

(ذاك حيث يكون المعطى) اى آخذ العطاء ، و هو الفقير (اعظم اجرا من المعطى) الذى هو الغنى ، اذ الأغنياء يتلوثون بالمحرمات ، حيث ان اموالهم لا تحصل الا من الحرام ، فيكون لهم فى الاعطاء اجر الظاهر فقط (ذاك حيث تسكرون من غيرشراب) سكر الغنى ، فان الشراب كما يغطى على عقل الانسان كذلك الغنى يغطى على عقل الانسان (بل من النّعمة و النّعيم) و كانّ الفرق بينهما انّ النّعمة الذات ،و النعيم الوصف (و تحلفون من غير اضطرار) اى بدون حاجة الى الحلف (و تكذبون من غير احراج) اى بدون تضييق ، فان الدين اذا زال عن القلب ، لا يهتم الانسان بهذه الأمور (ذلك اذا عضّكم البلاء كما يعض القتب) هو الاكاف الذى يوضع على الابل (غارب البعير) ما بين عنقه و سنامه ، فان فى دولة الظلمة تكون كلّ هذه الأمور ٠

(ما طول هذا العناء) الذى يلاقيه الناس فى دول الظّلمة (و ابعد هذا الرجاء) الذى يرجو كل واحد ان يصل اليه ، من الخلاص منهم ـ وقيل : ان هذا الكلام منقطع عما قبله ، كما هو عادة الشريف فى اختياره جملا من كل خطبة ـ ٠

(ايّها النّاس القوا هذه الأزمّة) جمع زمام ، كائمة جمع امام (الّتى تحمل

ظُهُورُهَا ٱلْأَثْقَالَ مِنَ أَيْدِيكُمْ ، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَىٰ سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ . وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ ٱلْفِتْنَةِ ، وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا ، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا : فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا ٱلْمُؤْمِنُ ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ ٱلْمُسْلِمِ .

ظهورها) اى ظهور الدواب ذوات الزمام (الأثقال) اى الأحمال ، جمع ثقل (من ايديكم) و المراد ترك البدع و الخطايا ، فكان الانسان العاصى يقود دوابا محمولة من الأثقال ، مما يوجب قودها بالزمام تعبا على القائد ، و القاء الازمة كناية عن ترك الآثام حتى لا يكون ثقلها على الانسان (و لا تصدّعوا) اى لا تفرقوا (على سلطانكم) و المراد به نفسه الكريمة ، اى لا تختلفوا علىّ (فتذمّوا) انفسكم (غبّ) اى بعد (فعالكم) فان الانسان انما يعرف قبح عمله ، بعدان ركبه ، فيذم نفسه : لم فعلت كذا ؟ .

(و لا تقتحموا) اى لا تدخلوا (ما استقبلتم) اى الذى تستقبلونه (من فور) اى ارتفاع (نار الفتنة) و لهبها اى لا تدخلوا فى الفتن (و اميطوا) اى تنحوا (عن سننها) اى طرق الفتنة (و خلّوا قصد السّبيل) اى وسط الطريق (لها) اى للفتنة ، فكانّ الفتنة سائر ذو شر ، يسير فى وسط الطريق فاذا لم يتنكب الانسان عن وسط الطريق شمله وضره ، و لذا من الأفضل ان يتجنب الانسان وسط الطريق لئلا يصطدم بالفتنة .

(فقد لعمرى يهلك فى لهبها) اى اشتعال الفتنة (المؤمن) بان يلقى نفسه فيها بظن حسن فينحرف عن الطريق ، و ذلك يوجب هلاكه فى الدنيا و الآخرة (و يسلم فيها غير مسلم) لأنه لم يصطدم بها ، فيبقى على حياته ــ على الأقل ــ .

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ ، يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا . فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا ، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا .

(و انّما مثلى بينكم مثل السّراج فى الظّلمة) اى المصباح فى اللّيلة الظلماء (يستضئ به من ولجها) اى ولج الظلمة ، بمعنى دخل فيها ، فالمسلمون فى عصر الامام عليه السلام الداخلون فى ليل الفتنة التى قامت منذ ما بعد الرسالة اذ اتبعوا الامام كانوا فى نور ، لا ينحرفون عن الطريق ، و لا ينجرفون مع التيارات الباطلة ٠

(فاسمعوا) كلامى (ايّها النّاس وعوا) اى ادركوا معناه و حقيقته (و احضروا اذان قلوبكم) استعارة لطيفة ، فان الانسان كما يسمع الكلام باذن الراس ، يفهم مغزى الكلام باذن القلب ــ اذ اراد القلب التفهم و الادراك ــ (تفهموا) حقيقة ما ذكرت لكم و ذلك ما يوجب نجاتكم ٠

وَمِنْ خُطبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أُوصِيكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، بِتَقْوَى اللهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَىٰ آلَائِهِ إِلَيْكُمْ ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ . فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ ! أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ !

وَمِنْ خُطبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في الوصية بالتقوى ، و ذكر الموت ، و الاستعداد له

(اوصيكم أيها النّاس بتقوى اللّه) اى الخوف منه سبحانه ، بعمل الصالحات ، و ترك السيئات (و كثرة حمده) سبحانه (على آلائه) جمع ((الى)) بمعنى النعمة (اليكم) اي النعم التى ساقها اليكم (و نعمائه عليكم) بان انعم عليكم بها (و بلائه) اى احسانه (لديكم) فان البلاء يستعمل للخير و الشر ، او المراد المصائب ، فان المصائب المساقة من جانبه سبحانه تستحق الحمد ، لأنها ترفع الدرجات و تحط السيئات (فكم خصكم) سبحانه (بنعمة) لم يعطيها لغيركم (و تداركم برحمة) اى ارسل الرحمة في عقبكم (اعورتم له) اى اظهرتم له تعالى عوراتكم و عيوبكم ـ بالمعاصي ـ (فستركم) و لم يفضحكم (و تعرضتم لأخذه) اى بطشه و عذابه ، و التعرض لذلك ، بالمعاصي ، فان العاصي في معرض نكال الله تعالى (فامهلكم) ولم يعاجلكم بالعقوبة .

وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ وَإِقْلَالِ ٱلْغَفْلَةِ عَنْهُ . وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ ! فَكَفَىٰ وَاعِظاً بِمَوْتَىٰ عَايَنْتُمُوهُمْ ، حُمِلُوا إِلَىٰ قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً ، وَكَأَنَّ ٱلْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً . أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ ،

(و اوصيكم بذكر الموت) بان تذكرون دائما (و اقلال الغفلة عنه) اى اقلوا من الغفلة ، بان يكون اكثر اوقاتكم مصروفا فى ذكره (و كيف غفلتكم عمّا) اى عن الموت الّذى (ليس يغفلكم) ؟ يقال اغفله اذا سها عنه ، اى لا يسهو الموت عنكم ، بل ياتيكم و ان كنتم عنه غافلين (و) كيف (طمعكم فيمن ليس يمهلكم) فان الانسان يطمع فى ابتعاد الموت عنه ، و الحال ان الموت اذا جائه لايمهله ولو لحظة واحدة .

(فكفى واعظا) لكم (بموتى) جمع ميت (عاينتموهم) اى رايتموهم (حملوا الى قبورهم غير راكبين) اى لم يركبوا اكتاف الناس باختيارهم ، و انما قهرا عليهم ، ودون ارادتهم (و انزلوا فيها) اى فى القبور (غير نازلين) باختيارهم ، بل جبرا و كرها .

(فكانّهم لم يكونوا للدّنيا عمّارا) جمع عامر ، فقد انقطع اثرهم (و كانّ الآخرة لم تزل لهم دارا) اى كانّهم من القديم فى الآخرة ، اذ قد محت آثارهم عن الدنيا (او حشوا ما كانوا يوطنون) اى الأمكنة التى اتخذوها اوطانا لهم فى حياتهم ، اوحشوها ، اى جعلوها موحشة فهم ، لا انس لهم بها ، ولا انس لها بهم ، اذ تركوها و هجروها (و اوطنوا ما كانوا يوحشون) اى القبور التى كانت موحشة منهم ، لا تألفهم ، ولا يالفونها ، صارت اوطانهم – من اوحشه اذا هجره – .

وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا ، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا. لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالًا ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً. أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ . فَسَابِقُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - إِلَىٰ مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا ، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا . وَاسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ ،

(و اشتغلوا بما فارقوا) اى بحساب الدنيا التى فارقوها (و اضاعوا ما اليه انتقلوا) اى الى الآخرة ، و معنى الاضاعة عدم امكان عملهم لها بعد الموت ، كالذى يضيع شيئا فلا يعمل له ، او المراد حكاية حالهم فى الدنيا : اى اشتغلوا فى الدنيا بما فارقوها الآن ، و هكذا الجملة الثانية ٠

(لا عن قبيح يستطيعون انتقالا) اذ لا توبة بعد الموت (و لا فى حسن يستطيعون ازديادا) اذ الآخرة دار حساب ، لا دار عمل (انسوا بالدّنيا) حين كانوا فيها (فغرّتهم) وخدعتهم (و وثقوا بها) اى بالدنيا ، ظانين انها تنفعهم (فصرعتهم) اى اهلكتهم ، خلاف ثقتهم بها (فسابقوا - رحمكم الله - الى منازلكم) فى الآخرة ، و المسابقة بالتكثير من العمل الصالح ، فمن كان اكثر عملا كان اسبق احتلال الآخرة و حيازتها (التى امرتم ان تعمروها) فان الانسان امر بالعمل الصالح ليعمر منزله فى الآخرة (و التى رغبتم فيها) اى رغبكم الله سبحانه و شوقكم الى تلك المنازل (و دعيتم اليها) فانه سبحانه دعا النّاس و طلبهم الى تلك المنازل ٠

(و استتموا نعم الله عليكم) اى اطلبوا تمام النعمة (بالصبر على طاعته) فان من اطاع و صبر على مشاق الطاعة ، زادت نعمته (و المجانبة لمعصيته) قال الشاعر :

اذا كنت فى نعمة فارعها   فانّ المعاصى تزيل النّعم

فَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ . مَـا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي ٱلْيَوْمِ ، وَأَسْرَعَ ٱلْأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي ٱلْعُمُرِ !

(فانّ غدا من اليوم قريب) المراد بالغد الآخرة ، و باليوم الدنيا (ما اسرع السّاعات فى) افناء (اليوم) و ابادته (و اسرع الأيام فى) ابادة (الشهر و اسرع الشهور فى) افناء (السنة) و اعدامها (و اسرع السّنين فى) افناء (العمر) فالساعات التى تدرك سرعتها و انقضائها ، انما هى وحدات العمر، فاذا اسرعت الوحدات فى الفناء و الانقضاء ، اسرع المؤلّف منها فى ذلك — و هذا تعليل لقوله : ((فان غدا من اليوم قريب)) .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

فَمِنَ ٱلْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرًّا فِي ٱلْقُلُوبِ ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ وَٱلصُّدُورِ ،« إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ ». فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ ٱلْمَوْتُ ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقَعُ حَدُّ ٱلْبَرَاءَةِ.

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

فى الايمان ، و معنى الهجرة ، و تحمل امر الامامة ، و بيان علمه عليه السلام .

(فمن الايمان ما يكون ثابتا) لا يزول (مستقرّا فى القلوب) بحيث لايتزحزح منها (و منه ما يكون عوارى) جمع عارية (بين القلوب و الصّدور) تارة يخرج من القلب ياتى الى الصدر ، ليخرج من الفم ، فيكفى الشخص ، و تارة يرجع الى القلب ، كما قال سبحانه : ((كلما اضاء لهم مشوا فيه ، و اذا اظلم عليهم قاموا)) (الى اجل معلوم) اى وقت معلوم ، قدّر لخروج الايمان من الانسان ، لأنه لم يأخذه اخذا قويا ،ولم يقوّه بالأعمال الصالحة(فاذا كانت لكم براءة من احد) اى اردتم ان تتبرئوا من شخص ، لما تـرون من سوء اعماله (فقفوه) اى التبرى (حتّى يحضره الموت) اى يموت (فعند ذلك) الموت (يقع حدّ البرائة) فان بقى على ايمانه و لم يظهر منه انحراف و زيغ فلا تتبرئوا منه و ان ظهر منه الكفر و الزيغ فتبرئوا منه .

وَٱلْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَىٰ حَدِّهَا ٱلْأَوَّلِ. مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ ٱلْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ ٱلْإِمَّةِ وَمُعْلِنِهَا. لَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلْهِجْرَةِ عَلَىٰ أَحَدٍ بِمَعْرِفَةِ ٱلْحُجَّةِ فِي ٱلْأَرْضِ. فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ. وَلَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلِاسْتِضْعَافِ

(و الهجرة قائمة على حدّها الأول) اى لم يزل ان حكمها الوجوب ، فقد كان فى اول الاسلام ـ حين هاجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من مكة الى المدينة ـ تجب هجرة سائر المسلمين من مكة ، وذلك قبل فتح مكة ، والسبب انهم لم يكون يتمكنون من اقامة شعائر الاسلام و هم فى مكة ، ولذا وجب الهجرة (ما كان لله فى اهل الأرض حاجة) ((ما)) نافية ، اى ليست الهجرة لأجل حاجة الله الى اهل الأرض ، وانما هى لمصلحتهم (من مستسرّ الأمة و معلنها) اى من يضمر اسلامه ، من الأمة فى بلاد الكفر ، و من يعلن اسلامه فى بلاد الايمان ، و ((من)) لبيان ((اهل الأرض)) و انما تجب الهجرة من بلاد الكفر الى بلاد الاسلام لمن لا يتمكن من معرفة الأصول و الفروع ، الاّ بالهجرة .

(لا يقع اسم الهجرة على احد بمعرفة الحجة فى الأرض) يعنى انه اذا كان مسلم فى بلاد الكفّار ، وعرف الحجة ، اى الأصول و الفروع ، فلا تجب عليه الهجرة الى بلاد الاسلام ، وقد قيد جمع من العلماء ، بامكانه اقامة شعائر دينه هناك ، والا لزم ان يهاجر (فمن عرفها) اى الحجة (و اقرّ بها) بان اسلم و اعتقد بما جاء به الاسلام (فهو مهاجر) هذا تنزيل لتحقق الغاية من الهجرة عند ذلك ، و هى العرفان (و لا يقع اسم الاستضعاف) اى لا يقال ((مستضعف)) وقد اعفى عن المستضعفين من وجوب الهجرة ، كما قال سبحانه : ((الاّ المستضعفين من النّساء و الولدان الّذين لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا)) و سمى مستضعفا ، لعده الكفّار ضعيفا ، ولأنه غير قادر على الهجرة .

عَلَىٰ مَنْ بَلَغَتْهُ ٱلْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ . إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ٱمْتَحَنَ ٱللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ ، وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَأَنَا بِطُرُقِ ٱلسَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ ٱلْأَرْضِ ،

فان اسم المستضعف لا يقع (على من بلغته الحجّة) على الاسلام (فسمعتها اذنه و وعاها قلبه) بمعنى انه قبل الحجة ، و اقبل على الاسلام بكله اذنا وقلبا، ثم بين عليه السلام اذ امر الرسالة و الامامة صعب ، فان ملازمة الانسان للدساتير الواردة عن طريق الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و الأئمة عليهم السلام من اصعب الأمور ، بقوله : (ان امرنا صعب مستصعب) اى انه صعب بذاته، و يستصعبه النّاس ، فى قبال الصّعب الّذى لا يستصعبه الانسان ، لما يرى له من النّتائج ، فانّ النّفس مجبولة على استسهال ما يرى الانسان نتائجه الرابحة ، و انكان صعبا بذاته (لا يحمله) اى ذلك الأمر (الاّ عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للايمان) بمعنى انّ الايمان بالغ من قلبه مركز فيه ، فانّ الايمان اذا صار ملكة للانسان يستسهل الصعاب فى سبيله (و لا يعى حديثنا) اى لا يشتمل عليه اشتمال وعى و دراية ، للتعلم و العمل (الاّ صدور امينة) فيها امانة الحفظ ، لمالها من ملكات الايمان ، مقابل الصدور الخائنة التى تمجّها و لا تقبلها (و احلام) اى عقول (رزينة) وقورة ناضجة عارفة .

(ايّها النّاس سلونى) اى اسئلونى (قبل ان تفقدونى) بان اموت وانتقل من بين ظهرانيكم (فلأنا بطرق السّماء اعلم منّى بطرق الأرض) ((اللام)) للتأكيد و المراد بطرق السماء ، التى ينزل منها الملائكة ، و تصعد فيها اعمال العباد ، و يمكن للانسان ان يصعد منها الى السّماء ، او يسير فيها من مكان الى مكان كما

قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا

اكتشف اخيرا ، ان هناك فى السماء تيارات هوائية و فراغات ممتدة ،اذا سارت الطائرة فى بعضها اصابها عطب ، و بالعكس اذا سارت فى بعضها الآخر و هكذا ، وقوله عليه السلام : ((اعلم)) من باب التاكيد ، لا الأعلمية الحقيقية و المراد انه مع بعد السماء ، وعدم علم الناس بطرقها ، يعلمها جيدا ، فكيف الأرض ، و هذه الجملة كالتعليل ، كقوله : سلونى ، فان العالم بطرق السماء، لابد و ان يعلم كلشئ (قبل ان تشغر برجلها فتنة) يقال شغر برجله اذا رفعها، كانّ الفتنة اذا كانت ساكنةكانت شبيهة بالابل الواقفة ،بخلاف ما اذا تحركت ، فانها كالابل المتحركة التى ترفع رجلها للمشى (تطأ فى خطامها) الخطام الحبل الذى يجعل فى انف البعير كالزمام ، وطى البعير فى خطامها كناية عن تخطيها اذ ذلك لا يكون الآ اذا استقلت فى الحركة بدون قيادة و صاحب (و تذهب) تلك الفتنة (باحلام قومها) اى عقول القوم الداخلين فى تلك الفتنة ، و المراد انه اذا قامت الفتنة ، لا يبقى مجال لسؤالهم عن الامام عليه السلام و جوابه لهم ، اذ الفتن توجب تشتت الأفكار ، فالمقصود السئوال قبل ان يفقدوا الامام و قبل ان يقعوا فى فتن تذهلهم عن مثل تلك الأسئلة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإِنْعَامِهِ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ وَظَائِفِ حُقُوقِهِ ، عَزِيزَ ٱلْجُنْدِ ، عَظِيمَ ٱلْمَجْدِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِهِ ؛ لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذٰلِكَ ٱجْتِمَاعٌ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِ ، وَٱلْتِمَاسٌ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فيها حمد الله ، و الثّناء على نبيّه ، و الوصيّة بالتّقـوى

(احمده) تعالى (شكرا لانعامه) اى ان الحمد لأجل شكره سبحانه على ما انعم علينا (واستعينه) سبحانه (على) اداء (وظائف حقوقه) اى اتمكن من القيام باداء حقّه تعالى من الطاعة و العبادة ، فانه لو لا اعانته سبحانه لايتمكن الانسان من الطاعة ، هو سبحانه (عزيز الجند) لا يغلبون ، و انما يغلب كل من حاربهم (عظيم المجد) اى الرفعة ، فان عظمته سبحانه و رفعته اعظم من كل شئ (و اشهد انّ محمّدا عبده) ليس باله او ولد للاله ، كما ادعى اليهود و النّصارى بالنّسبة الى انبيائهم (و رسوله) الذى ارسله رحمة للعالمين . (دعا) صلى الله عليه و آله و سلم (الى طاعته) اى طاعة الله تعالى (و قاهر) اى غالب و حارب (اعداءه جهادا على دينه) اى لأجل المجاهدة لاعلاء كلمة الاسلام (لا يثنيه) اى لا يسبب انسحاب الرسول عن ميدان الدعوة (عن ذلك) الدعاء (اجتماع) من الكفّار (على تكذيبه) صلى الله عليه و آله (و التماس) اى طلب

لِإِطْفَاءِ نُورِهِ .

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللهِ ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ . وَبَادِرُوا الْمَوْتَ فِي غَمَرَاتِهِ ، وَامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ : فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ ؛ وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ ، وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ !

من الكفار (لاطفاء نوره) فقد كان صلى الله عليه وآله ثابتا لا يحركه شئ ولا يزيله عن دعوته تجمّع القوى ضده .

ثم شرع عليه السلام فى الوصية بالتقوى : (فاعتصموا) اى تمسكوا ايها الناس (بتقوى الله فانّ لها) اى للتقوى (حبلا وثيقا) اى محكما (عروته) هى المحل الذى يتمسك به الانسان ، كعروة الابريق (و معقلا) اى ملجاءا و ملاذا (منيعا ذروته) اى اعلاه ، يعنى ان الانسان اذا اتقى كان كالذى هو فوق جبل ، لا يتمكن ان يصل الأعداء اليه .

(و بادروا الموت) بالأعمال الصالحة ، كانّ الموت يريد اختطاف الانسان قبل ان يعمل ، و الانسان يريد ان يعمل قبل ان يموت ، فهما يتبادران (فى غمراته) اى قبل ان يلقيكم فى اهواله ، جمع غمرة ، و هى المحل المخوف من الماء الّذى يوجب الغرق (و امهدوا له) اى هيئوا مكانكم للموت (قبل حلوله) بالأعمال الصالحة (و اعدوا له) اى خذوا استعدادكم لمواجهة الموت (قبل نزوله) بكم (فان الغاية) التى يصل الانسان اليها فى سيره (القيامة) حيث العرض على الله سبحانه (و كفى بذلك) اى بالموت ، او بالشئ الذى يستقبل الانسان ــ و هو القيامة ــ (واعظا) فانّ الانسان اذا علم بالموت و القيامة لابد و ان يهيّئ لهما بالأعمال الصالحة و ترك الأعمال القبيحة (لمن عقل) وعلم (و معتبرا) اى يعتبر بالموت الانسان (لمن جهل) الأمر بذاته ، فاذا

وَقَبْلَ بُلُوغِ ٱلْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ ٱلْأَرْمَاسِ ، وَشِدَّةِ ٱلْإِبْلَاسِ ، وَهَـوْلِ ٱلْمُطَّلَعِ ،وَرَوْعَاتِ ٱلْفَزَعِ ،وَٱخْتِلَافِ ٱلْأَضْلَاعِ ،وَٱسْتِكَاكِ ٱلْأَسْمَاعِ ، وَظُلْمَةِ ٱللَّحْدِ، وَخِيفَةِ ٱلْوَعْدِ ، وَغَمِّ ٱلضَّرِيحِ ، وَرَدْمِ ٱلصَّفِيحِ .

راى الموت ، ادرك انه صائر اليه ، فلابد ان يتهيأ له ·

(وقبل بلوغ الغاية) اى قبل ان تبلغوا القيامة (ما تعلمون) اى يكون الشئ الذى تعلمونه (من ضيق الارماس) اى القبور ، جمع رمس ، بمعنى القبر (وشدة الابلاس) حزن فى خذلان ويأس ، كما قال سبحانه : ((يبلس المجرمون)) ·

(وهول المطلع) المطلع هو المنزل الذى يطلع الانسان منه على امور الآخرة ، والمراد البرزخ ، او المراد الموت ، وهوله لأنه عالم آخر لم يألفه الانسان ، فلا يدرى ماذا يصنع به (وروعات الفزع) اى نوبات الخوف التى تاخذ الانسان عند انتقاله من هذا العالم الى العالم الآخر ·

(واختلاف الأضلاع) جمع ضلع ، اى دخول بعضها فى بعض من شدة الضغط فى القبر (واستكاك الأسماع) اى صمم الاذان من الأصوات الهائلة التى تسمعها عند الموت ، او من التراب ·

(وظلمة اللحد) وهو الشق الذى يعمل فى القبر فى جانبه الامام لمن توجه الى القبلة ، لوضع الميت فيه (وخيفة الوعد) الذى وعد الانسان به من المحاكمة على اعماله السابقة (وغمّ الضريح) اى الحزن الذى ياخذ الميت عند وضعه فى ضريحه ، والمراد به اللحد (وردم الصفيح) هو الحجر العريض ، و ردمه سد القبر به ، اذ يوضع فى ظهر الميت ـ اذا وضع فى اللحد ـ صفائح من اللبن ·

فَاللّٰهَ اللّٰهَ عِبَادَ اللّٰهِ ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَىٰ سَنَنٍ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ. وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَىٰ صِرَاطِهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا، وَانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ، وَأَخْرَجَتْهُمْ

(ف) اذكروا (اللّه اللّه) يا (عباد اللّه) فى انفسكم ٠ لا تعملوا ما يوجب العقاب و العذاب (فانّ الدّنيا ماضية بكم على سنن) اى تمضى بكم فى طريق من كان قبلكم من اماتتهم و اهلاكهم ٠

(و انتم و الساعة) اى الموت ، او يوم القيامة و هو الأظهر (فى قرن) هو الحبل الذى يقرن به بعيران ، و المراد اقتران الانسان بالقيامة ، لا ينفك احدهما عن الآخر ، و ذلك كناية عن وصول الانسان اليه قطعا (و كانّها) اى الساعة (قد جائت باشراطها) اى مع علائمها (و ازفت) اى قربت (بافراطها) جمع فرط ، و هو العلم الذى يتقدم فى الطريق دآلا عليه ، و المراد بدلائلها الدالة على القيامة (و وقفت) الساعة (بكم على صراطها) اى صرتم الى الصراط الذى هو جسر بين المحشر و بين الجنة معدودا على جهنّم فمن عبره بسلام دخل الجنّة ، و الاّ وقع فى النّار ٠

(و كأنها) اى الساعة (قد اشرفت بزلازلها) اذ قبل القيامة تكون زلازل ، كما قال سبحانه : ((ان زلزلة الساعة شئ عظيم)) ٠

(و اناخت) اى الساعة ، و الأصل فى الاناخة نوم البعير (بكلاكلها) جمع كلكل ، بمعنى الصدر ، و هى كناية عن الاثقال التى ترد على الانسان فى يوم القيامة ، كما يلقى البعير بثقله على الأرض اذا اناخت و نامت ٠

(و انصرمت) اى انقضت و ذهبت (الدنيا بأهلها) اى مع اهلها ، اذ تتم الدنيا اذا جاء المحشر ، و ينتقل اهلها الى دار الآخرة (و اخرجتهم) اى

مِنْ حِضْنِهَا ، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَىٰ ، أَوْ شَهْرٍ ٱنْقَضَىٰ ، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا ، وَسَمِينُهَا غَثًّا . فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ ٱلْمَقَامِ ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا ، عَالٍ لَجَبُهَا ، سَاطِعٍ لَهَبُهَا ، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا ، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا ، بَعِيدٍ خُمُودُهَا ، ذَاكٍ وُقُودُهَا ، مَخِيفٍ وَعِيدُهَا ، غَمٍ قَرَارُهَا ، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا ، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا ،

اخرجت الدنيا ، الناس (من حضنها) كما تخرج المرأة الولد من حضنها (فكانت) الدنيا ــ اذا فكر فيها المفكر ــ (كيوم مضى) اذ لا اثر له (او شهر انقضى) اذ تم وانصرم ، فيقول الانسان فى الآخرة ، مضت الدنيا وتمت.

(وصار جديدها) اى ما كان جديدا فيها (رثا) اى باليا قديما (و سمينها) اى ما عد ثمينا نافعا فى الدنيا (غثا) اى مهزولا تافها .

حيث يصل الانسان (فى موقف ضنك المقام) اى ضيّق محلّه ، ضيقا حسيا ، او ضيّقا معنويا لما ينال الانسان من الضيق بسبب المخاوف والأهوال (و امور مشتبهة) لايعرف الانسان ايها تصل اليه (عظام) جمع عظيم (و نار شديد كلبها) الكلب اكل بغير شبع ، كانّ النار تاكل بلا شبع كلما يلقى فيها (عال لجبها) اى صياحها واضطرابها (ساطع لهبها) اى شعلتها (متغيظ زفيرها) التغيظ الهيجان ، و الزفير صوت رفد النار (متأجج) اى مشتعلة (سعيرها) اى لهبها (بعيد خمودها) كنّ بذلك عن عدم خمودها ، اذ هى دائمة ابدية (ذاك) من زكت النار اذا اشتد لهبها (وقودها) اى ما يوقد به النار، فانه ملتهب مشتعل (مخيف وعيدها) اى يخيف الانسان الوعيد بالنار .

(غمّ) صفة من غمّه اذا غطّاه (قرارها) اى محل الاستقرار فيها ، اى مستو، او مغطى آخر النار الذى يسكن فيه المجرمون (مظلمة اقطارها) اى اطرافها ، فلا يرى الانسان فيها شيئا (حامية قدورها) المنصوبة لأجل ارواء الظمآن من اهل النار

فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا . «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَراً» . قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ ؛ وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ ، وَرَضُوا الْمَثْوَىٰ وَالْقَرَارَ . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً ، وَ أَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً ، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً ، تَخَشُّعاً وَاسْتِغْفَاراً ؛ وَ كَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً ، تَوَحُّشاً وَانْقِطَاعاً .

بماء تقطع منه احشائهم ، و الحامية بمعنى الحارة (فظيعة) أى مهولة (امورها) كلا من الأمور المرتبطة بالنار ، هذا لمن كفر وعصى (و سيق الذين اتقو ربّهم) بالايمان و الأعمال الصالحة (الى الجنة زمرا) جمع زمرة ، بمعنى جماعات جماعات و ذلك الفئ لأن الانسان يتهنأ بالاجتماع اكثر من الانفراد (قد امن) الذى يساق الي الجنة (العذاب و انقطع) عنه (العتاب) فلا يقال له : لم فعلت كذا ؟ .

(و زحزحوا) اى بعّدوا (عن النّار) كما قال سبحانه : ((فمن زحزح عن النار و ادخل الجنة فقد فاز)) (و اطمأنّت بهم الدّار) اى صارت مقرّا لهم بكل اطمينان و استقرار ، و ذلك حيث لا منغصّ فيها (و رضو المثوى) اى محل السكونة (و القرار) اى المحل الذى استقروا (الذين كانت اعمالهم فى الدنيا زاكية) اى نامية مباركة توجب الثمرة الطيبة (و اعينهم باكية) من خوف الله .

(و كان ليلهم فى دنياهم) اى حين كانوا فى الدنيا (نهارا) اى كالنهار فى كونهم يقظين ، لا نائمين (تخشّعا و استغفارا) فقد كانوا فى حال خشوع و استغفار خوفا من الله سبحانه .

(و كان نهارهم ليلا) اى كالليل (توحّشا) من النّاس (و انقطاعا) عن ملذّات الدنيا ، فكما يتوحّش الانسان باللّيل و ينقطع عن مباهج الحياة ، كان اولئك هكذا فى النّهار ، خوفا من ان يصيبهم الاثم .

فَجَعَلَ ٱللهُ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ مَآباً ، وَٱلْجَزَاءَ ثَوَاباً ، « وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا » فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ .

فَٱرْعَوْا عِبَادَ ٱللهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ . وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ . وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ ٱلْمَخُوفُ ، فَلَا رَجْعَةً تَنَالُونَ ،

(فجعل الله لهم الجنّة مآبا) اى من اب ، بمعنى رجع ، اى مرجعا لهم وانما سمى بالمرجع ، لأن ((آدم)) عليه السلام جاء الى الدنيا من الجنة (و الجزاء ثوابا) اى الخير الواصل اليهم مع الاكرام ـ و هذا هو معنى الثواب ـ (و كانوا) هؤلاء (احق بها) اى بالجنّة من سائر النّاس (و) كانوا (اهلها) اى اهل الجنّة فانّ الجنّة بنيت لهم (فى ملك دائم) لا زوال له (و نعيم قائم) اى ثابت مستقر ٠

(فارعوا) يا (عباد الله ما) اى الشئ الذى (برعايته يفوز فائزكم) من الايمان و العمل الصّالح ، فانّ الانسان بهما ينال الدّرجات الرّفيعة ٠

(و باضاعته يخسر مبطلكم) فان العامل بالباطل انّما يخسر لعدم رعايته الايمان و العمل الصّالح ٠

(وبادروا) اى سابقوا (آجالكم) جمع اجل ، و هو الموت (باعمالكم) بان تعملوا قبل ان يخطفكم الموت (فانكم مرتهنون بما اسلفتم) اى عملتم فى الدنيا (و مدينون بما قدمتم) اى ماخوذون باعمالكم التى قدمتموها الى الآخرة قبل ان تموتوا ٠

(و كان قد نزل بكم المخوف) اى الموت (فلا رجعة) الى الدنيا (تنالون) فان الانسان يريد الرجعة الى الدنيا ، لكن لا يستجاب طلبه ٠

وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ . اسْتَعْمَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ .

الْزَمُوا الْأَرْضَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ. وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللهُ لَكُمْ . فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً ، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ ، وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ ؛ وَإِنَّ لِكُلِّ

(ولا عثرة تقالون) اى لا تقال عثرتكم ، بمعنى لا يغفر ذنبكم ــ و المراد ما ليس قابلا للمغفرة ــ (استعملنا الله و اياكم بطاعته) بمعنى ان يوفّقنا حتى نطيع (و طاعة رسوله) صلى الله عليه و آله (وعفا عنّا وعنكم بفضل رحمته) فان العفو ليس بالاستحقاق و انما بالفضل .

(الزموا الأرض) اى كونوا ساكنين غير محاربين فيما اذا لم تتوفر فيكم شروط المحاربة مع اهل الباطل (و اصبروا على البلاء) الذى ينزل بكم ، فان الصبر مفتاح الفرج (و لا تحرّكوا بايديكم) ضربا (و سيوفكم) قتلا و جرحا (فى هوى السنتكم) فان الانسان قد يهوى ان يتكلم كلاما، ومن كلامه تتحرك الفتنة و تقع المحاربة (ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم) من ملك السلطة ، والسيادة الشرعية (فانه من مات منكم على فراشه و هو على معرفة حقّ ربّه) بالايمان (و حقّ رسوله) بالاطاعة (و) حق (اهل بيته) بالولاية (مات شهيدا و وقع اجره على الله) فى صبره وعدم قيامه بالحرب فى غير اوانها (و استوجب ثواب ما نوى) اى قصد (من صالح عمله) بانه انكان الأمر جامعا للشرائط قام بالجهاد .

(و قامت النية مقام اصلاته لسيفه) اصلت سيفه اذا جرده للحرب (وان لكل

شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلًا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اَلْحَمْدُ لِلهِ اَلْفَاشِي حَمْدُهُ ، وَاَلْغَالِبِ جُنْدُهُ ، وَاَلْمُتَعَالِي جَدُّهُ . أَحْمَدُهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ التُّؤَامِ ، وَآلَائِهِ اَلْعِظَامِ . اَلَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا ،

شئ مدّة و اجلا) فالسيادة اهل الحق وقت خاص ، لا تكون الا اذا جاء وقتها كما ان لسيادة اهل الباطل مدة ، لا تنقضى الا بانتهاء تلك المدة .

ومن خطبة له عليه السلام

فى حمد الله ، و الثناء على نبيّه ، و الوصيّة بالتقوى

(الحمد لله الفاشى) اى الشائع بين الناس (حمده) فان المؤمنين به تعالى يحمدونه فى كل مكان ، و ان كفر به اقوام منحرفون (و الغالب جنده) كما قال سبحانه : ((و ان جندنا لهم الغالبون)) فاذا اراد الله شيئا كان ، وليس لأية قوة ان تقف امام ارادته سبحانه (و المتعالى) اى العالى (جدّه) اى عظمته ، كما قال سبحانه : ((و ان تعالى جد ربنا)) .

(احمده على نعمه التّوأم) اى المتواصل ، كالمولودين من بطن واحد ، حين ياتى احدهما بعقب الآخر ـ و اصله على وزن جعفر ، ثم خفف ـ (وآلائه) جمع الى ، بمعنى : النعمة (العظام) جمع عظيم (الذى عظم حلمه فعفا)

وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَىٰ ، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَىٰ ، مُبْتَدِعِ ٱلْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ ، بِلَا ٱقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ ، وَلَا ٱحْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ ، وَلَا إِصَابَةِ خَطَأٍ ، وَلَا حَضْرَةِ مَلَأٍ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، ٱبْتَعَثَهُ وَٱلنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ . قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ ٱلْحَيْنِ ،

عن المجرمين (وعدل فى كلّ ما قضى) اى حكم (وعلم ما يمضى) اى ما يأتى فى المستقبل (وما مضى) فى السّابق .

(مبتدع الخلائق بعلمه) اذ الجاهل لا يتمكن من الابتداء (ومنشئهم بحكمه) جمع حكمته ، وهى بمعنى : وضع الأشياء مواضعها (بلا اقتداء ولا تعليم) من احد ، بل هو المنشى المبدع (ولا احتذاء) اى اقتداء (لمثال صانع حكيم) قبله بان كان هناك صانع ،فصنع الاله مثله (ولا اصابة خطأ) فانه سبحانه لم يخطأ فى عمله ولو خطاءا واحدا (ولا حضرة ملاء) اى لم يحتج الى ان يحضر جماعة حتى يتمكن من انجاز الأمر ـ بعكس عادة السلاطين ومن اليهم حيث اذا ارادوا امرا مهما ، احضروا اولى الراى والحكمة .

(واشهد ان محمّدا عبده ورسوله) اى العبد الحقيقى ، وقدّم لأنه اعظم مرتبة من الرسالة ، او فى مقابل زعم النصارى واليهود، ان ابنائهم شركاء للّه فى الالوهية ، وابناء له تعالى .

(ابتعثه) اى بعثه (والنّاس يضربون فى غمرة) اى فى الجهالة التى كانت تغمرهم الى رؤسهم كما يغمر الماء الغريق .

(ويموجون) اى يضطربون (فى حيرة) من امرهم ، لا يعرفون كيف يسعدون (قد قادتهم ازمة الحين) ـ بالفتح ـ بمعنى : الهلاك ، فان الأهواء والشهوات التى تقود الانسان تورث هلاكه فى الدنيا والآخرة ،والازمة

وَٱسْتَغْلَقَتْ عَلَىٰ أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ ٱلرَّيْنِ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ ! بِتَقْوَىٰ ٱللهِ فَإِنَّهَا حَقُّ ٱللهِ عَلَيْكُمْ ، وَٱلْمُوجِبَةُ عَلَىٰ ٱللهِ حَقَّكُمْ ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِٱللهِ ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَىٰ ٱللهِ : فَإِنَّ ٱلتَّقْوَىٰ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْحِرْزُ وَٱلْجُنَّةُ ، وَفِي غَدٍ ٱلطَّرِيقُ إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ . مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ ، وَسَالِكُهَا

جمع زمام (و استغلقت) اى اغلقت (على افئدتهم) اى قلوبهم ــ عن معرفة الحق ــ (اقفال الرّين) اى الطبع ، فانها طبعت عليها بالضلال و الجهل ، فلا يتمكنون من ازالته ، كما لا يتمكن الانسان من فتح الباب المغلق بالقفل .

(اوصيكم عباد الله بتقوى الله) الخوف منه (فانّها) اى التّقوى (حقّ الله عليكم) اراد ها منكم فى مقابل خلقه لكم ، و رزقه اياكم (و الموجبة على الله حقكم) اى انكم بالتقوى تصيرون ذوى حقوق على الله سبحانه ــ و هو حق جعله على نفسه ، لا الحق الحقيقى كما لا يخفى ــ قال تعالى : ((وكان حقّا علينا نصر المؤمنين)) .

(و ان تستعينوا عليها) اى على التّقوى (بالله) فان الله عون للمتقى (و تستعينوا بها) اى بالتّقوى (على الله) اى فى النجاة من عذابه ، فان هناك مخوفين : الأول : الخوف من الناس ، والثانى : الخوف من الله ،والتقوى توجب حفظ الانسان من وصول اى المكروهين اليه (فانّ التّقوى) فائدتها (فى اليوم) و نحن فى الدنيا (الحرز) اى حفظ الانسان (و الجنّة) الواقية عن المكاره (و فى غد) فى الآخرة (الطريق الى الجنّة) والنجاة ــ من النّار ــ و هذا على ترتيب اللف و النشر المرتب ــ .

(مسلكها) اى طريق التقوى (واضح) لا خفاء فيه (و سالكها) اى الذى

رَابِــحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ . لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَىٰ ٱلْأُمَمِ ٱلْمَاضِينَ وَٱلْغَابِرِينَ ، لِحَاجَتِـهِمْ إِلَيْهَا غَداً ، إِذَا أَعَادَ ٱللهُ مَا أَبْدَىٰ ، وَأَخَذَ مَا أَعْطَىٰ ، وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَىٰ . فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا ، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا ! أُولٰئِكَ ٱلْأَقَلُّونَ عَدَداً ، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ : «وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ» . فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا ، وَكَظُّوا

يمشى فى طريق التّقوى (رابح) قد ربح سعادة الدنيا و الآخرة .

(و مستودعها حافظ) اى الذى تكون التقوى وديعة عنده ــ و هواللهسبحانه ــ حافظ لا يخون ، بل يعطى جزائها للانسان (لم تبرح) اى لم تزل التقوى (عارضة نفسها على الأمم الماضين) و ذلك ببيان انبيائهم لهم كيفية التقوى (و الغابرين) اى الباقين ــ فان غابر يستعمل بمعنى : الماضى و الباقى ــ و انما كانت التقوى عارضة نفسها على الكل (لحاجتهم اليها غدا) اى فى الآخرة (اذا عاد الله ما ابدى) اى اعاد الله الناس الذين خلقهم اولا ،فى دار الدنيا (و اخذ ما اعطى) كانّ خلق البشر فى الدنيا اعطاء ، ثم اعادتهم للحساب اخذ (وسأل ما اسدى) اى ما اعطاه من النعم ، فانه يسئل عن نعمه كيف صرفوها العباد، و هل ادوا حق الله سبحانه فيها ؟ .

(فما اقل من قبلها و حملها) صيغة تعجب ، لقلة من قبل التقوى و عمل بها (حق حملها) و ذلك بالمواظبة الكاملة عليها (اولئك الأقلون عددا) من الذين لم يقبلوها اوقبلوها،لكنهم لم يعملوا بها حق العمل (وهم اهل صفةالله) اى مصداق لوصفه (سبحانه اذ يقول) فى القرآن الحكيم : (((و قليل من عبــادى الشكور))) اى الشاكرون حق الشكر ، قلبا و لسانا و عملا .

(فاهطعوا) الاهطاع : الاسراع (باسماعكم اليها) بان تعجلوا فى الاستماع الى موازين التقوى و كيفيتها (و كظّوا) الكظاظ ــ لكتاب ــ الممارسة

بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا ، وَٱعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً ، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً. أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ، وَٱقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ ، وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ ، وَٱرْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ ، وَدَاوُوا بِهَا ٱلْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا ٱلْحِمَامَ ، وَٱعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ،

و طول الملازمة (بجدّكم) اى باجتهادكم (عليها) اى على التقوى فان ملازمة التقوى فى جميع الأمور تحتاج الى جدّ و اجتهاد .

(و اعتاضوها من كلّ سلف خلفا) اى اجعلوا التقوى عوض كل شئ فان منكم سابقا ، فان من عنده التقوى لم يفته شئ .

(و من كلّ مخالف موافقا) فان الذى يوافق التقوى لا يهتم بمن خالفه ، لأنه يوافق اعظم الأشياء و اربحها .

(أيقظوا بها) اى بالتقوى (نومكم) فان من يريد التقوى لا بد و ان يستيقظ وقت المنام لأداء الصلاة و العبادة (و اقطعوا بها يومكم) اى سيروا من اول النهار الى الليل مصاحبين لتقوى .

(و اشعروها قلوبكم) حتى يكون قلبكم متقيا ، لا ان تعمل جوارحكم حسب التّقوى ، بدون ان يكون ذلك نابعا من القلب (و ارحضوا) اى اغسلوا (بها) اى بالتقوى (ذنوبكم) فان الحسنات يذهبن السّيئات (و داووا بها الاسقام) الأمراض النفسية ،فانّ المتقى لا يبخل ولا يجبن ولا ينافق ، وما اشبه من امراض القلب ، و الأمراض البدنية ، فانّ النّفس المعلقة باللّه سبحانه تؤثر فى البدن ، فتشفيه من امراضه ــ كما ثبت فى علم النفس ــ .

(و بادروا بها الحمام) اى الموت ، اى اتقوا قبل ان ياخذكم الموت (و اعتبروا بمن اضاعها) انظروا الى من ضيع التقوى ، لتروا كيف شقى ،فيكون ذلك عبرة لكم ، حتى تلازموا التقوى .

وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا . أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً ،وَإِلَىٰ ٱلْآخِرَةِ وُلَّاهاً . وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَىٰ ، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا . وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا، وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا ، وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ، وَنُطْقَهَا

(ولا يعتبرن بكم من اطاعها) اى لا تكونوا ممن ضيّع التقوى حتى تكونواعبرة للمطيعين ، فان الشقى عبرة للسعيد ، و العاصى عبرة للمطيع (الا فصونوها) اى احفظوا التقوى ، بمعنى اعلموا بها (و تصوّنوا بها) اى تحفظوا على انفسكم من الشقاء ، بسبب التّقوى (و كونوا عن الدّنيا نزّاها) جمع نازه ،وهو العفيف (و الى الآخرة ولّاها) جمع واله ، و هو المشتاق .

(و لا تضعوا من رفعته التقوى) اى لا تفعلوا فعلا يوجب خفة المتقى و اسقاطه عن الرفعة و السمو (و لا ترفعوا من رفعته الدّنيا) اى لا تفعلوا فعلا يوجب رفعة غير المتقى من اهل الدّنيا (و لا تشيموا) اى لا تنظروا (بارقها) اى سحاب الدنيا ، و المعنى لا تنظروا لما يغركم من مطامع الدنيا ، من شام البرق ، اذا نظر اليه اين يمطر(ولا تستمعوا ناطقها) اى من ينطق نطق الدنيا ، فان اللازم ان يستمع الانسان الى من ينطق حول الآخرة (و لا تجيبوا ناعقها) اى من يتكلم و يصيح لأجل الدنيا ، و انما اللازم ان يجيب الانسان داعى من يدعوا الى الآخرة (و لا تستضيئوا باشراقها) اى لا تذهبوا حيث تضئ الدنيا ، كناية عن موقع ملذاتها و شهواتها (و لا تفتنوا باعلاقها) جمع علق بالكسر بمعنى : النفيس ، اى لا تخدعوا بنفائس الدّنيا .

(فانّ برقها خالب) الخالب من السحاب ما لا مطر فيه ، اى المكان الذى ترى الدنيا نفسها منه خدعة وغرور ، لا يعطى للانسان ما يأمل (و نطقها) اى

كَاذِبٌ ، وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ ، وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ . أَلَا وَهِيَ ٱلْمُتَصَدِّيَةُ ٱلْعَنُونُ ، وَٱلْجَامِحَةُ ٱلْحَرُونُ ، وَٱلْمَائِنَةُ ٱلْخَؤُونُ ، وَٱلْجَحُودُ ٱلْكَنُودُ ، وَٱلْعَنُودُ ٱلصَّدُودُ ، وَٱلْحَيُودُ ٱلْمَيُودُ . حَالُهَا ٱنْتِقَالٌ ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ ،

كلامها حول نفسها (كاذب) لا اصل له (و اموالها محروبة) اى منهوبة فانها لا تعطى للانسان مالا ، الا وتنهبه منه (و اعلاقها) اى نفائسها (مسلوبة) تسلبها من الانسان بعد اعطائها ·

(الا و هى) اى الدنيا (المتصدّية) هى المرأة التى ترى نفسها للرجال تميلهم الى نفسها (العنون) مبالغة ، من ((عنّ)) اذا ظهر ، فانها ترى كل يوم لرجل ، و لا تفى لأى شخص منهم (و الجامحة الحرون) من جمحت الدابة اذا صعب ركوبها ، و الحرون التى اذا طلب منها السير وقفت (والمائنة) اى الكاذبة (الخئون) اى كثيرة الخيانة ، فانها لا تفى لأحد ·

(و الجحود) التى تجحد خدمات الانسان لها (الكنود) من كند، بمعنى كفر النّعمة ، فان الانسان مهما خدم الدنيا وجد فى عمرانها ، فانها لابد و ان تصرع الانسان و تهلكه (و العنود) كثير العناد و المخالفة (الصّدود) كثيرة الصد و الهجران (و الحيود) مبالغة فى الحيد بمعنى الميل ، اى كثيرة الميل و الانحراف عن الانسان (الميود) من ماد بمعنى اضطرب اى تضطرب بالانسان من رفعة الى ضعة و من ضعة الى رفعة ، و هكذا ·

(حالها انتقال) من حال الى حال فمن الفقر الى الغنى ، و بالعكس ومن الصحة الى المرض و بالعكس ، و هكذا (و وطاتها زلزال) فانها لا تستقر باحد فمن وطئها و اراد الاستقرار فيها زلزلت به و حركته من حال الى حال (و عزّها ذلّ) اى ينتهى الى الذلة ، او انه ذلة واقعية ، اذ العزة الواقعية لأهل

وَجِدُّهَا هَزْلٌ ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ . دَارُ حَرَبٍ وَسَلَبٍ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ . أَهْلُهَا عَلَىٰ سَاقٍ وَسِيَاقٍ، وَلَحَاقٍ وَفِرَاقٍ. قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا ، فَأَسْلَمَتْهُمُ ٱلْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمُ ٱلْمَنَازِلُ ، وَأَعْيَتْهُمُ ٱلْمَحَاوِلُ: فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ،

الآخرة ·

(وجدّها هزل) اذ هو فى النتيجة كالهزل ، لا حقيقة باقية له (وعلوّها سفل) فان الدنيا سافلة ، حتى اذا كان الانسان فى أعالى مراتبها (دار حرب) الحرب سلب كل مال الانسان (وسلب) هو اعم من الحرب (ونهب) للأموال (وعطب) اى هلاك للانسان ، لأن الدنيا تهلك مال الانسان وبدنه ·

(اهلها على ساق) اى قائمون على ساق استعدادا لما يأتى من اجالهم (و سياق) اى يساقون الى الآخرة · (ولحاق) فيلتحق الباقى بالماضى ،اذا مات (وفراق) لمن يموت عن اهله واصدقائه (قد تحيرت مذاهبها) اى تحير الناس فى طرقهم ، لا يدرون كيف يعملون لينالوا السعادة ، ونسبة التحيّرالى المذاهب بعلاقة الحال والمحل (واعجزت مهاربها) اى عجز النّاس عن الهروب من الاتعاب التى تصل اليهم (وخابت) اى خسرت (مطالبها) اى طلب الانسان فيها يبوء بالخيبة والفشل ·

(فاسلمتهم المعاقل) جمع معقل ،بمعنى الملجأ كناية عن عدم وجود ملجأ امين فى الدنيا يقى الانسان شر المهالك والنوازل (ولفظتهم) اى طرحتهم بشدة ، كما يطرح الفم النوات (المنازل) بان اخرجتهم الى القبور (واعيتهم) أى اعجزتهم (المحاول) جمع محال ــ بفتح الميم ــ بمعنى الحذق وجودة النظر اى ان فكرهم وفطنتهم لم يفدهم فى الخلاص ، ودرك السعادة ·

(فمن ناج) من الموت ، لم يمت بعد (معقور) اى مجروح من عقره

وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ ،وَدَمٍ مَسْفُوحٍ ، وَعَاضٍّ عَلَىٰ يَدَيْهِ ، وَصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ ، وَزَارٍ عَلَىٰ رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ ؛ وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ ،« وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ».وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا ،

بمعنى جرحه(و لحم مجزور) اى مسلوخ اخذ عنه جلده ، كناية عن شدة بلائه حتى لم يبق منه الا اللحم بلا جلد (و شلو مذبوح) الشلو البدن ، اى هو كالمذبوح فى كثرة البلايا عليه .

(و دم مسفوح) قد اريق ، بان قتل الانسان فاريق دمه (و عاضّ على يديه) ندما ، فان الانسان اذا ندم على ما فات عض على اصبعه ، فى اليدين ، اذا كان الندم شديدا (و صافق بكفّيه) فان المتحسّر يصفق كفّا على كف (و مرتفق بخدّيه) اى وضع طرفى وجهه على مرفقيه ، كما يفعل المتحير ، يرفع ساقيه، و يضع يديه عليهما ، ثم يضع وجهه على يديه (و زار) من زرى ، بمعنى : قبّح (على رايه) اي يقبّح رايه السابق حينما يرى ما جرّ عليه من الندم (و راجع عن عزمه) فيما اذا عزم شيئا ، ثم تبين له انه باطل .

(وقد ادبرت الحيلة) اى طريق العلاج ، فلا يتمكن من علاج ما فات من منافعه (و اقبلت الغيلة) اى الشر الذى اضمرته الدنيا له خفية وغيلة .

(ولات حين مناص) ((لات)) اصلها ((لا)) النافية ، زيدت عليها ((التاء)) لتانيث الكلمة ، و ((المناص)) بمعنى الخلاص ، و اسم ((لات)) محذوف ، اى ليس الوقت وقت الخلاص من المشكلة التى وقع الانسان فيها .

(و هيهات هيهات) اشارة الى تبعيد الأمر فى الخلاص من الشقاء الذى هيئه الانسان لنفسه (قد فات ما فات) اى مضى فلا يمكن تداركه (و ذهب ما ذهب) فلا يمكن الابقاء عليه (و مضت الدّنيا لحال بالها) اى للحالة التى

«فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ» .

تريد هى لا التى يريد ها النّاس ، فان البال بمعنى الخاطر (فما بكت عليهم السماء و الأرض و ما كانوا منظرين) اى لم ياسف لموتهم شئ لا سماء و لا ارض ، و لا امهلهم الله سبحانه حتى يتداركوا الأمر .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

تسمى القاصعة

وهي تتضمن ذم إبليس على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام، وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته.

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لَبِسَ ٱلْعِزَّ وَٱلْكِبْرِيَاءَ، وَٱخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

((تسمى القاصعة)) من قصعه بمعنى حقّره لأنه عليه السلام حقّر فيها حالة المتكبرين (وهى تتضمن ذمّ ابليس على استكباره و تركه السّجود لآدم عليه السلام وانه اوّل من اظهر العصبية و تبع الحميّة و تحذير النّاس من سلوك طريقته) العصبية الاعتزاز بالعصبة و هى قوم الرجل ، فى حق او باطل ، والحمية حفظ الحمى حقّا كان ام باطلا ، وكلاهما باطل .

(الحمد لله الذى لبس العزّ و الكبرياء) اى انهما كاللباس له سبحانه ، ملاصقان به (واختارهما لنفسه دون خلقه) فلم يرد لهما التكبر و الاعتزاز ، بخلاف بعض صفاته الآخر ، حيث اختارها لخلقه ايضا ، كالعلم والحلم و ما اشبه (و جعلهما حمى) هو ما حميته عن وصول الغير اليه و التصرف فيه (و

حَرَماً عَلَىٰ غَيْرِهِ ، وَٱصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ . وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَىٰ مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ . ثُمَّ ٱخْتَبَرَ بِذٰلِكَ مَلَائِكَتَهُ ٱلْمُقَرَّبِينَ ، لِيَمِيزَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ ٱلْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ ٱلْقُلُوبِ ، وَمَحْجُوبَاتِ ٱلْغُيُوبِ : « إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ❁ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ❁ فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ❁ إِلَّا إِبْلِيسَ »

حرما) المحل المحترم الذى لا يدخله الا من شاء الانسان (على غيره) فلا يجوز لأحد ان يتكبر (واصطفاهما) اى اختارهما (لجلاله) اى لذاته الجليلة (و جعل اللّعنة) اللعن الطرد عن الخير (على من نازعه فيهما من عباده) اى من اراد ان ياخذ بهما ، كانّه منازع للّه سبحانه ، حيث يريد سلب ما يخصه تعالى

(ثم اختبر) اى امتحن (بذلك) الاختصاص (ملائكته المقرّبين) فى درجات الطاعة و العبادة (ليميز المتواضعين منهم) الذين لا يغترون و لا يتكبرون (من المستكبرين) الذين يلصقون الكبرياء بانفسهم .

(فقال سبحانه : و هو العالم بمضمرات القلوب) اى ما تضمره و تخفيه قلوب النّاس (و محجوبات الغيوب) اى ما هو مستور فى الغيب ، مما هو غائب من الحواس ، و بيان هذه الجملة لدفع توهم انه سبحانه انّما يمتحن حتّى يعلم المخفيات ، اذ اللّه تعالى يعلم كلشئ و انما يمتحن ليظهر ما خفى ، لا ليعلم ما اختفى ــ و ذلك اتماما للحجّة على العباد (انّى خالق بشرا من طين فاذا سوّيته) اى صنعته و اكملته (و نفخت فيه من روحى) بان اعطيته الرّوح المضافة الى تشريفا ، كما يضاف البيت الحرام اليه سبحانه ، فيقال : بيت الله ،تشريفا (فقعوا له ساجدين) امر من ((وقع)) ((يقع)) و المخاطب الملائكة (فسجد الملائكة كلّهم اجمعون الآ ابليس) الشّيطان ، و سمّى ابليسا ، لأنه ابلس من

اَعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَىٰ آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ. فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ ، وَنَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ .

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللهُ بِتَكَبُّرِهِ ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيراً ؟!

رحمة الله ٠

(اعترضته الحميّة) اى عرضت له الكبرياء (فافتخر على آدم بخلقه) اذ خلق الشّيطان من جنس النّار ، وخلق آدم من جنس الطّين ، فزعم الشّيطان انّ النّار افضل من الطّين ، ولذا لا ينبغى لمثله ان يسجد لمثل آدم (وتعصّب عليه) اى على آدم (لأصله) المخلوق منه ، وقد كان القياس باطلا ، اذ لا دليل على اشرفيّة النّار ، وعلى تقدير ان تكون اشرف فالاطاعة تشريف للآمر لا للمأمور به (فعدوّ الله) ابليس (امام المتعصّبين) اى مقتداهم ، والسّالك لهذا الطّريق قبلهم (وسلف المستكبرين) اى السّابق عليهم ٠

(الّذى وضع اساس العصبية) حيث اظهرها (ونازع الله رداء الجبريّة) اى فى جبروته وكبريائه ، فانه كالرداء له سبحانه خاص به (وادّرع) اى لبس الدّرع ، وهو قسم من الثّياب (لباس التعزّز بذاته) ، بان يعد نفسه عزيزا (وخلع قناع التّذلّل) امام الله سبحانه ، كانّ الذلّة قناع فى وجه الانسان يمنعه عن ادعاء ما ليس له ٠

(الا ترون كيف صغّره الله بتكبّره) فطرده من الجنّة وجعله لعينا (ووضعه بترفّعه) اى بسبب ان عد نفسه رفيعا (فجعله فى الدّنيا مدحورا) اى مطرودا يلعنه كلّ احد (واعدّ له فى الآخرة سعيرا) اى نار ملتهبة ٠

وَلَوْ أَرَادَ ٱللهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ ٱلْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ ، وَيَبْهَرُ ٱلْعُقُولَ رُوَاؤُهُ ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ ٱلْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ ، لَفَعَلَ. وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ ٱلْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَلَخَفَّتِ ٱلْبَلْوَى فِيهِ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ. وَلٰكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ ، تَمْيِيزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ ، وَنَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُمْ .

فَٱعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ ٱللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ ٱلطَّوِيلَ ، وَجَهْدَهُ

(ولو اراد الله ان يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه) خطف البصر كناية عن عدم تمكنه من الرؤية ، كانّها مخطوفة فى عدم انتفاع صاحبها بها (ويبهر) اى يورث تعجّب (العقول) وحيرتها (رواؤه) اى حسن منظره (و) من (طيب ياخذ الأنفاس عرفه) اى رائحته ، اذا كانت شديدة الطّيب اخذت بالنّفس ، فلا يتمكن الانسان الشام لها ان يتنفّس بسهولة ، لأنّ الهواء النّقى النّافعة للرئة يخلطها العصر الّذى لا تهضمه الرّئة (لفعل) جواب ((لو)) .

(ولوفعل) سبحانه ذلك (لظلّت له الأعناق خاضعة) اى خاضعة لآدم عليه السلام طبيعة لاحسب امره سبحانه ، وبذلك لم يكن امتحان فى خضوعهم لآدم (ولخفت البلوى) اى الابتلاء (فيه) اى فى آدم عليه السلام (على الملائكة) فلم يكونوا يترفعون عن السجدة لآدم (و لكنّ الله سبحانه يبتلى خلقه ببعض ما يجهلون اصله) حتى يتبيّن المطيع منهم من العاصى .

(تمييزا) اى لأجل التّمييز بينهم (بالاختبار لهم) اى بالامتحان لهم (ونفيا للاستكبار عنهم) فانّ الانسان اذا اعتاد اطاعة الأوامر ، ذابت فى نفسه ملكة التّكبّر (وابعادا للخيلاء) هو الكبر والاختيال (منهم) اى من الخلق .

(فاعتبروا) ايها النّاس (بما كان من فعل الله بابليس اذ أحبط عمله الطّويل) ومعنى الاحباط محو الحسنات ، لما فعل من السّيّئة (وجهده

ٱلْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ ٱللهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ ، لَا يُدْرَىٰ أَمِنْ سِنِي ٱلدُّنْيَـا أَمْ سِنِي ٱلْآخِرَةِ ، عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ . فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَىٰ ٱللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَـةِ ؟ كَلَّا ، مَا كَانَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً . إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْـلِ ٱلسَّمَاءِ وَأَهْلِ ٱلْأَرْضِ لَوَاحِدٌ . وَمَا بَيْنَ ٱللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَىٰ ٱلْعَالَمِينَ .

الجهيد) توصيف للجهد بيانا لكثرته ، مثل ليلة ليلاء (وكان) ابليس (قد عبد الله ستّة آلاف سنة) قبل امره بالسّجود لآدم عليه السلام (لا يدرى) فى العرف (امن سنى الدنيا) كانت تلك السّنوات السّتة الآلاف (ام سنـــى الآخرة) انما احبط عمله (عن) جهة (كبر ساعة واحدة) اذ تكبّر فى لحظة، فلم يسجد لآدم .

(فمن ذا بعد ابليس) بتلك العبادة الطّويلة (يسلم على الله) من عقابه والاتيان ب ((على)) لأنه يشبه الضرر فى ان الله يريد شيئا ، ويريد العاصى شيئا آخر خلاف اراد ته سبحانه (بمثل معصية) اى فى حال كونه آتيا بمثـــل معصية الشّيطان ، وهو الكبر (كلاّ) ليس كما زعم المتكبّر ، انّه يتكبّر ، ثم يدخل الجنّة (ما كان الله سبحانه ليدخل الجنّة بشرا) اذا كان عاملا (بأمر) هو الكبر (اخرج به) اى بسببه (منها) اى من الجنّة (ملكا) وهو ابليس، وسمى ملكا ، للتغليب ، والاّ فهو من الجنّ كما نصّ القرآن الحكيم ، والملك من نور ، والجنّ من نار (ان حكمه) سبحانه (فى اهل السّماء) من الملائكة (واهل الأرض) من البشر (لواحد) فالكبر مذموم عنده فى الطّائفتين (وما بين الله وبين احد من خلقه هوادة) اى لين ورخصة (فى اباحة حمى حرّمه علـــى العالمين) فالمعاصى حمى الله سبحانه ، حرّمها على العالمين اجمعين ، لا

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ . فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، وَقَالَ: «رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

يقتحمها احد الآ عاقبه و نكل به ·

(فاحذروا) يا (عباد الله ان يعديكم) اى يصيبكم الشيطان (بدائه) و هو الكبر و العصيان (و ان يستفزكم) اى يحركم لاطاعة اوامره (بندائه) اى دعوته لكم الى المحرمات (و ان يجلب عليكم) اى يغلب عليكم (بخيله) اى ركبانه (ورجله) اى مشاته ، كما يجلب قائد الجيش على العدو ، بالركبان و الراجلين من اصحابه ، و المراد بهم هنا النّاس الأشرارا ، فقويهم كالراكب و ضعيفهم كالراجل ·

(فلعمرى) قسم بنفسه الكريمة (لقد فوق لكم) اى هيّ لكم (سهم الوعيد) فانّ الشيطان يوسوس الى الانسان انه لو لم يفعل المحرم الفلانى يقع فى محذور كذا ، مثلا لو لم يسرق افتقر ، و لو لم يقتل ذهبت هيبته و هكذا ·

(و اغرق لكم بالنزع الشّديد) الرامى اذا اراد ان يرمى بكلّ قوّة ، نزع وتر القوس بكلّ شدّة ، و يسمى ذلك بالاغراق فى النزع (و رماكم من مكان قريب) لأن موضع الشيطان فى نفس الانسان ، و لذا يوسوس اليه من اقرب الأماكن الى الانسان ·

(وقال) الشيطان لله سبحانه ، حين طرده عن الجنّة : يا (ربّ بما اغويتنى) اى من اجل اغوائك لى ــ بان امرتنى بالسجود لآدم الذى صار سببا لضلالى ــ (لأزيننّ لهم) اى للبشر (فى الأرض) و المراد تزيين المحرّمات

وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » ، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْماً بِظَنٍّ مُصِيبٍ ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ . حَتَّىٰ إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَةُ مِنْهُ فِيكُمْ ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ ،

فى اعينهم (ولأغوينهم اجمعين) اى اضلّنهم (قذفا بغيب بعيد) اى كان الشيطان فى كلامه هذا ، يقول رميا بالغيب اذ من اين علم انه يتمكن من اضلال النّاس (و رجما بظنّ مصيب) الرجم رمى الحجر ، اى انه كان يرمى ظنّه الى الانسان وقد اصاب ظنه ، كما قال سبحانه : ((و لقد صدق عليهم ابليس ظنّه فاتّبعوه الاّ فريقا من المؤمنين)) (صدّقه به) اى بظنّه (ابناء الحميّة) الّذين لهم عصبيّة الجاهليّة ، كما قال سبحانه : ((اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحميّة حميّة الجاهليّة)) .

(و اخوان العصبيّة) اى الّذين لهم عصبيّة و كبر (و فرسان الكبر والجاهليّة) كأنّهم فى شدّتهم و قوّتهم فى التّكبر ، كالفرسان ، اى راكبو الأفراس ، فى الحرب لا كالمشاة .

(حتّى اذا انقادت له الجامحة منكم) اى النّفوس الّتى تمّت ، فانّ الجموح عق الفرس وعدم انقيادها للرّكوب (و استحكمت الطماعية منه) اى الطمع من الشيطان (فيكم) ولا يخفى انّ قوله : ((حتّى)) للغاية ، اى انّهم صدقوه حتى اذا وصل الأمر الى الانقياد و الاستحكام و ياتى جواب قوله ((اذا)) (فنجمت) اى ظهرت (الحال) اى حال العصيان (من السّر الخفىّ) الذى كان وسوسة فى الصّدور ، و ميلا فى القلوب (الى الأمر الجلىّ) بان جاهروا بالعصيان و اطاعة الشّيطان .

(استفحل سلطانه عليكم) استفحل الأمر اذا اشتدّ ، اى قوّى سلطة

وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَؤُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ ، طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ ، وَحَزّاً فِي حُلُوقِكُمْ ، وَدَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَىٰ النَّارِ الْمُعَدَّةِ فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحاً، وَأَوْرَىٰ فِي دُنْيَاكُمْ

الشّيطان على النّاس (و دلف) اى اقترب (بجنوده نحوكم) اى مع جنوده من الشّياطين و اتباعه من افراد الانسان (فاقحموكم) اى ادخلوكم (ولجات الذلّ) جمع وليجة ، و هى المحل الّذى يدخل فيه الانسان ، فانّ الأمور الّتى يأمر بها الشّيطان ، توجب الذلّة فى الدّنيا و الآخرة (و احلّوكم ورطات القتيل) جمع ورطة ، و هى الشدّة التى يتورط فيها الانسان ، اى ادخلوكم الشيطان وجنوده فى موجبات قتل بعضكم بعضا ، من الشّقاق و التّشتّت و ما اشبه (واوطؤوكم اثخان الجراحة) يقال اثخنه الجرح ، اذا اضعفه ، اى ان الشيطان و جنده اوطئوكم وطئا مثل وطى ضعف الجراحة ، فقد اجرحوا النّاس بجراحات المعاصى و الآثام حتى ضعف (طعنا فى عيونكم) فلا تبصر الحق ، كالذى طعن فى عينه (وحزّا فى حلوقكم) حتى لا تذوق مذاق الايمان ، كالذى حزّ — اى قطع حلقه — .

(و دقّا لمناخركم) جمع منخر ، بمعنى : الأنف ، فقد ارغم الشيطان الانسان و اذله ، كما يدق انف الذليل (وقصد لمقاتلكم) جمع مقتل ، بمعنى موضع القتل — و هى الحنجرة — اى قصد الشيطان اهلاككم ، كما يقصد القاتل حنجرة القتيل (و سوقا) اى يسوقكم سوقا (بخزائم القهر) جمع خزامة ، وهى حلقة تدخل فى انف البعير ليشدّ بها الحبل الّذى يجر به ، و اضافتها الى القهر ، لأن الشيطان يقهر الانسان و يجبره سوقا (الى النّار المعدة)للعاصين

(فاصبح) الشيطان (اعظم فى دينكم جرحا) كان الدين — عند المتدين — جسد صحيح ، فاذا عصى جرح فى دينه بمقدار تلك المعصية (و اورى فى دنياكم

قَدْحاً ، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ . فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ ، وَلَهُ جِدَّكُمْ ، فَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَىٰ أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ ، وَقَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُمْ ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ . لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ،

قدحا) اي اشد قدحا ـ واخراجا ـ للنّار المحرقة لدنياكم (من الذين اصبحتم لهم مناصبين) اى انّ الشيطان اشد عداوة لكم من سائر اعدائكم الذين تناصبونهم ـ اى تحاربونهم ـ (وعليهم متألّبين) التألب التجمع لأجل المحاربة .

(فاجعلوا) ايّها النّاس (عليه) اى على الشّيطان (حدّكم) اى غضبكم وحدتكم (وله) اى للشيطان (جدّكم) واجتهادكم ، اوقطعكم ، فان ((جد)) بالفتح ، بمعنى : القطع (فلعمر الله) قسم بالله سبحانه (لقد فخر على اصلكم) اى افتخر الشيطان على اصلكم الذى هو آدم عليه السلام حيث قال : انا خير منه (ووقع فى حسبكم) اى فى شرفكم ، اذا ذهب شرفكم بايجابه المعاصى عليكم ، فان شرف الانسان فى الطاعة (ودفع فى نسبكم) فان انتساب الانسان بالأنبياء يوجب رفعته فاذا اطاع الشيطان ابتعدعن نسبه الرفيع وصار وضيعا بسبب العصيان ، وهذا دفع لشرافة النسب (واجلب بخيله عليكم) اى احضر لكم اتباعه الأقوياء ـ كانهم راكبو الخيل ـ لاضلالكم واغوائكم .

(وقصد برجله) اى اعوانه الضعفاء ، الذين هم كالجند الراجلين ،لاخيل لهم (سبيلكم) ليحرّفكم عن الطريق (يقتنصونكم) الاقتناص اخذ الصياد للصيد دفعة (بكلّ مكان) لاضلالكم (ويضربون منكم كلّ بنان) اى الأصابع ، فانه اذ ضربت اصابع الانسان لم يقدر على اخذ السّيف والمجاهدة ، وهذا كناية عن تضعيف الشيطان لقوى الانسان الايمانية (لا تمتنعون) عنه (بحيلة)

وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ ، فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ ، وَحَلْقَةِ ضِيقٍ وَعَرْصَةِ مَوْتٍ ، وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ . فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ . وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ ،

تخلصكم من يده (ولا تدفعون) الشيطان عن انفسكم (بعزيمة) اى بارادة قوية ، فانتم (فى حومة ذل) اى محل ذلة ، اذ المعصية توجب الذلة (و حلقة ضيق) فان اتباع الشيطان يوجب ضيق الدنيا وضيق الآخرة ، قال سبحانه : ((و من اعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكا)) .

(وعرصة موت) العرصة الساحة ، اى انتم فى ساحة الموت ، و هى الدنيا (وجولة بلاء) يجول عليكم البلاء ، اى كيف تتبعونه و انتم هكذا لا تدرون مصيركم ؟ .

(فاطفئوا ما كمن فى قلوبكم من نيران العصبيّة) فانّ الصّفات الرذيلة ملكات فى قلب الانسان ، اذا فكر الانسان فى رذالتها وعالجها ، اطفئت و خمدت (واحقاد الجاهلية) فانّ اهل الجاهليّة كان يحقد بعضهم على بعض بمناسبات الانتساب الى القبائل المختلفة (فانّما تلك) الأحقاد و (الحميّة) التى يتّبعها فى حق و باطل من غير مراعاة موازين الحق (تكون فى المسلم من خطوات الشيطان) اى ما يوجب الشيطان ان يخطر بذهن المسلم (و نخواته) جمع نخوة ، بمعنى التكبر و التعاظم (و نزغاته) جمع نزغة ، بمعنى الافساد (و نفثاته) جمع نفثة ، بمعنى النفخة ، كانه ينفخ فى الانسان بوساوسه ، و تلك النفخة توجب تلك العصبيّات .

(و اعتمدوا) اى اطلبوا (وضع التذلّل على رؤوسكم) بان تكونوا متواضعين

وَإِلْقَاءِ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ ؛ وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ ؛ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً ، وَرَجِلاً وَفُرْسَاناً ، وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ

(والقاء التعزّز تحت اقدامكم) بان لا تظهروا العزّة والعصبيّة (وخلع التكبر من اعناقكم) فان التكبر يظهر فى العنق كانه طوق فيه .

(واتخذوا التواضع مسلحة) الثغر ، او محل السلاح الذى يؤخذ منه السلاح لمحاربة العدو (بينكم وبين عدوّكم ابليس وجنوده) كانه الحدّ الفاصل بين بلاد الايمان وبلاد الشيطان ، فان تواضع الانسان لم يتمكن ابليس من السيطرة عليه ، اما اذا تكبر كان الشيطان مسيطرا عليه (فانّ له) اى للشيطان (من كلّ امة جنودا واعوانا) يتخذهم لمحاربة المؤمنين (ورجلا وفرسانا) اى جنودا راجلين ، وجنودا راكبين .

(ولا تكونوا كالمتكبّر على ابن امّه) اى اخيه ، والمراد به قابيل الّذى حسد اخاه هابيل عليه السلام (من غير ما فضل جعله اللّه فيه) اى بدون ان يكون له فضل عليه ، و ((ما)) زائدة .

(سوى ما الحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد) اى لا فضل له سوى الحسد الذى يوجب الحاق العظمة بنفس هذا الانسان المتكبر ، فان الانسان اذا حسد اخاه ، زعم ان نفسه عظيمة (و) سوى ما (قدحت الحمية فى قلبهنار الغضب) فانّ الحمية الجاهلية تورث اشتغال نار الغضب فى قلب الانسان على اخيه (ونفخ الشيطان فى انفه من ريح الكبر) حتى تكبر وتعاظم (الّذى اعقبه

اللهُ بِهِ النَّدَامَةَ ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ ، مُصَارَحَةً لِلّٰهِ بِالْمُنَاصَبَةِ ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ . فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ! فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَآنِ ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ ، الَّتِي خَدَعَ

الله به النّدامة) فانّ الله سبحانه يعقب المتكبر الندامة (والزمه آثام القاتلين) اى خطاياهم (الى يوم القيامة) فان قابيل شريك فى قتل كل مقتول بغير حق ،، لأنه اول من علم الناس القتل حسدا و بغيا ، والانسان المتكبر يكون حاله حال قابيل حيث حسد اخاه بلا سبب ولا مبرر .

(الا وقد امعنتم) ايها الناس (فى البغى) اى الظلم فقد كان عمر وضع اسس الحمية العربية ، حيث قال : ((ان قريش تابى ذلك)) و ((انّ العرب لا ترضى بذلك)) واشباه هذا ، وامتدت هذه الحمية ـ بعد ان زادت فى زمن عثمان ـ الى ايام الأيام ، ولذا عنفهم عليه السلام بهذا الخطاب

(وافسدتم فى الأرض مصارحة لله بالمناصبة) اى صارحتم واظهرتم المحاربة لله سبحانه حيث انه سبحانه جعل الميزان التقوى ، وانتم جعلتم الميزان العصبيات(و مبارزة للمؤمنين بالمحاربة) فقدكان العرب فى زمن الامام وما قبله لا يهتمّون بالمسلمين الذين ليسوا من هذا العنصر ، ويقولون لهم ـ الموالى ـ لا يزوجونهم ولا يرون انهم فى الكفائة ، اما حين جائت نوبة دولة معاوية وبنى امية ، فقد اشتد الأمراشتدادا هائلا كما هو مذكور فى التاريخ (ف) اذكروا (الله الله فى كبر الحمية) اى التكبر الناشى من الحمية (وفخر الجاهلية) الذين كانوا يفخرون بانسابهم لا باحسابهم (فانه) اى كبر الحمية وفخر الجاهلية (ملاقح الشنآن) جمع ملقح ، اى لقاح البغض ، بمعنى الذى يولده بين الناس (ومنافخ الشيطان) جمع منفخ ، بمعنى : النفخ ، اى انه من نفخ الشيطان فى قلوب الناس (التى خدع) الشيطان

بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ . حَتَّىٰ أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ ، وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ، ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ ، سُلُساً فِي قِيَادِهِ . أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ .

(بها) اى بتلك المنافخ (الأمم الماضية) فكان يوسوس اليهم انهم خير من الأمم الأخرى ، حتى يوجب بينهم شقاقا و اختلافا (و القرون الخالية) اى الماضية :

(حتى اعنقوا) اولئك الأمم ، و الأعناق الاختفاء (فى حنادس) جمع حندس ، بمعنى : الظلام الشديد (جهالته) اى انهم اختفوا فى ظلمات الجهالة التى هيئها لهم الشيطان حيث زعموا انهم افضل من جيرانهم — بسبب الدم — كما زعم اليهود انهم شعب الله المختار (و مهاوى) جمع مهوى بمعنى محل الهوى و التردّى (ضلالته) فقد اضلهم الشيطان بهذه الوسوسة و اهلكهم:

(ذللا على سياقه) جمع ذلول ، من الذل ضد الصعوبة ، و السياق السوق ، اى ان الأمم كانوا سلسى القياد للشيطان يسوقهم كيف يشاء (سلسا) جمع سلس ، بمعنى السهل (فى قياده) اى فى الانقياد لقيادة الشيطان ، و هى التسيير بالدابة من امامها ، و السوق التسيير بها من خلفها (امرا تشابهت القلوب فيه) اى اطاعوا امر الشيطان ، الذى تشابهت قلوب الناس فى اطاعته (و تتابعت) اى توالت (القرون) جمع قرن ، و هى القطعة من الزمان الممتدة بامتداد عمر جيل من الناس (عليه) فكلهم يسلكون سبيل الشيطان (و كبرا) اى يتبعون تكبر و نخوة (تضايقت الصدور به) فان الكبر يوجب ضيق صدر الانسان ، بخلاف التواضع ، فان القلب — الذى فى الصدر — يتسع لكل شئ بسببه .

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللَّهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لِآلائِهِ. فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ ، وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً ،

(الا فالحذر الحذر) منصوب بفعل مقدر ، اى احذروا الحذر (من طاعة ساداتكم وكبرائكم الّذين تكبروا عن حسبهم) فان حسبهم ـ اى موهلاتهم و فضائلهم كانت قليلة ، و اظهروا للناس انها اكبر من الواقع (و ترفّعوا فوق نسبهم) بان تكبروا و اظهروا انفسهم كبراء اكثر من كبرهم الواقعى الذى كان مقتضى نسبهم (و القوا الهجينة) اى الصفة القبيحة (على ربّهم) فانهم باحتقارهم الناس انما احتقروا خلق الله سبحانه (و جاحدوا اللّه ما صنع بهم) يعنى جحدوا و انكروا ما فعل الله بهم من ضعة النسب و قلة الفضيلة ، فبمقتضى كبرهم تمنوا ان لو كان لهم فوق مقامهم نسبا و حسبا .

(مكابرة لقضائه) اى تكبروا عن قضاء اللّه و حكمه فيهم (و مغالبة لآلائه) جمع ((الى)) بمعنى النعمة ، اى ارادوا ان يغلبوا النعم ، بان يكون لهم فوق ما قدر اللّه لهم (فانهم) اى اولئك السادات الذين كان امرهم كما تقدم (قواعد اساس العصبية) فان العصبية انتشرت الى الناس منهم (و دعائم اركان الفتنة) فان الفتنة بين النّاس و الاضطراب انما تنشئ منهم ، لأنهم يوجدون التفرقة ، و التمايز حسدا و كبرا (و سيوف اعتزاء الجاهلية) الاعتزاء التفاخر بالنسب ، فان الجاهلية انما تشهر السيوف بعد التفاخر الذى ينجر الى المحاربة (فاتقوا اللّه) خافوا عقابه ، فلا تفخروا بمثل هذه المفاخرات ، ولا تعتزوا بمثل هذه الجهالات و العصبيات (ولا تكونوا لنعمه عليكم اضداد) بان يضاد بعضكم بعضا ،لأنّ الله

وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً. وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ. اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِي

انعم على ذلك دون هذا .

(ولا لفضله عندكم حسادا) بان يحسد بعضكم بعضا ، لأنه سبحانه تفضل على هذا دون هذا (ولا تطيعوا الأدعياء) جمع دعي و هو الذي يدعي الدين و يلصق نفسه به (الذين شربتم بصفوكم كدرهم) فان الانسان في نفسه سالم وانما يتخذ العصيان و الانحراف من غيره فشبه عليه السلام الاطاعة بالصفو ، و العصيان بالكدر (وخلطتم بصحّتكم) عن الرذائل (مرضهم) و تلوثهم بالآثام (وادخلتم في حقّكم باطلهم) بان اخذتم منهم بعض الأباطيل فاختلط بما تعملون من الحق (و هم اساس الفسوق) اى الخروج عن طاعته سبحانه ، فان اصحاب العصبية هم اول من يظهر منه الفسق (و احلاس العقوق) جمع حلس - بالكسر - وهو غطاء رقيق على ظهر البعير ملازم له فقيل لكل ملازم لشئ هو حلسه ، و العقوق العصيان ، اى الملازمون له (اتخذهم ابليس مطايا ضلال) فان ضلاله يحمل عليهم ثم يتعدى الى سائر الناس .

(وجندا بهم يصول) الشيطان (على النّاس) اى يحارب المتدينين بسببهم لأنهم اصحاب المنكر و اعداء المعروف .

(و تراجمة) يترجمون كلام الشيطان و يبينونه (ينطق على السنتهم) بايحاء ما يشاء الى قلوبهم (استراقا) اى سرقة من الشيطان (لعقولكم) لأنه لو كان للانسان عقل ثابت غير مسروق لم يبع آخرته بالاضلال و الضلال (و دخولا في

عُيُونِكُمْ ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ . فَجَعَلَكُمْ مَرْمَىٰ نَبْلِهِ ، وَمَوْطِىءَ قَدَمِهِ ، وَ مَأْخَذَ يَدِهِ .

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَصَوْلَاتِهِ ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ ، وَ اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ .

عيونكم) للحيلولة بينها و بين رؤية الحق (و نفثا) اى نفخا (فى اسماعكم) اذ لو كان السمع صحيحا لم يستمع الانسان الى كلام باطل .

(فجعلكم) الشيطان (مرمى نبله) النبل السهم ، و المرمى محل الرمى (و موطئ قدمه) كأنّه يطئهم تحت اقدامه ، و هذا كناية عن سيطرته واستدلاله لهم (و ماخذ يده) ياخذهم بايديه ليتصرف بهم كيف شاء ، .

(فاعتبروا) ايها الناس (بما اصاب الأمم المستكبرين من قبلكم) حيث استكبروا عن قبول الحق (من بأس اللّه) اى عذابه سبحانه (و صولاته) الصولة الهجوم بقصد الأضرار (و وقائعه) جمع واقعة ، و المراد بها عذابه سبحانه اياهم (و مثلاته) اى عقوباته التى توجب ان يضرب بها المثل (و اتعظوا بمثاوى خدودهم) جمع مثوى ، بمعنى المنزل ، و مثوى الخد الموضع الذى يوضع فيه فى القبر ، و المراد الاعتبار بمصارع اولئك القوم كيف اهلكوا لما خالفوا الأنبياء و تكبروا (و مصارع جنوبهم) جمع مصرع ، و هو محل صرع الجنب على التراب (واستعيذوا باللّه من لواقح الكبر) جمع لاقحة ، و هى التى تلقح فى النفس ، كما يلقح الذكر الانثى ، و اللاقح هنا ابليس .

(كما تستعيذونه) اى تطلبون منه سبحانه (من طوارق الدهر) جمع طارقة ، و هى المصيبة التى تطرق الانسان و تأتيه فجئة .

فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَ أَوْلِيَائِهِ ، وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ ، فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ . وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانُوا أَقْوَاماً مُسْتَضْعَفِينَ . وَقَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ بِالْمَخْمَصَةِ ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ ، وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ. فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَىٰ وَالسُّخْطَ

(فلورخص الله الكبر لأحد من عباده) بان اباح لأحد ان يتكبر (لرخّص فيه) اى فى الكبر (لخاصّة انبيائه و اوليائه) اى الأنبياء و الأولياء المخصوصون بفضله و كرمه سبحانه (و لكنه سبحانه كره اليهم التكابر) اى جعله مكروها لديهم . و التكابر هو ان يتكبر بعضهم على بعض (و رضى لهم التواضع) بعدم اظهار الانانية .

(فالصقوا) اى الأنبياء و الأولياء (بالأرض خدودهم) فى حال السجود له سبحانه ، تواضعا (و عفّروا فى التراب وجوههم) و التعفير هو التقليب على التراب (و خفضوا اجنحتهم للمؤمنين) كما يخفض الفرخ جناحه لأمه و ابيه تذللا و تواضعا قال سبحانه : ((و اخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين)) .

(و كانوا اقواما مستضعفين) يستضعفهم الناس بعد هم ضعفاء مع انهم كان فى ايديهم قوى الكون ــ باذنه سبحانه ــ (و قد اختبرهم الله بالمخمصة) اى امتحنهم بالجوع (و ابتلاهم بالمجهدة) اى المشقة الموجبة للجهد .

(و امتحنهم بالمخاوف) اى الأمور المخوفة ، بان كانوا فى خوف من الأعداء (و مخضهم) يقال مخض اللبن اذا حركه ليخرج زبده (بالمكاره) اى بالأمور المكروهة لدى الانسان ، فان المكاره تظهر قوة ايمان الانسان ، و مزاياه العقلية و فضائله النفسية (فلا تعتبروا الرّضا) اى رضاه سبحانه (و السّخط) اى

بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالاِخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَىٰ وَالاِقْتِدَارِ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «أَيَحْسَبُونَ أَنَّ مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ؟ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ ـ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ـ عَلَىٰ

غضبه (بالمال والولد) فاذا رايتم انه تعالى اعطى لشخص مالا وولدا كثيرا تستدلّون بذلك على انّه سبحانه رضي من المعطى، وسخط على من لم يعطه.

(جهلا) منكم ـ اذا اعتبرتم ذلك ـ (بمواقع الفتنة) اى الامتحان (و الاختبار) بان تجهلوا كيف امتحانه سبحانه (فى مواضع الغنى والاقتدار) فتظنون ان الغنى المقتدر مرضى له تعالى، وعكسه مسخوط عليه من قبله سبحانه (وقد قال سبحانه وتعالى:) فى نفى ذلك (ايحسبون انما نمدّهم به من مال وبنين) اى اتظنون انّ اموالهم واولادهم، التى منحناها لهم انما ذلك لأجل انّا (نسارع لهم فى الخيرات) ؟ اى نسرع لاعطاء هذا الخير لهم هنا، وهناك عندهم افضل، كما قال احدهم فيما حكى القرآن عنه: ((ولئن رددت الى ربى لاجدنّ خيرا من هذا منقلبا)) والاستفهام فى الآية للانكار، ولذا قال سبحانه: (بل لا يشعرون) ان الأمر ليس كذلك، بل انما ذلك لازهاق انفسهم.

(فانّ اللّه سبحانه يختبر عباده المستكبرين فى انفسهم) انصراف متعلق بالمستكبرين (باوليائه المستضعفين فى اعينهم) فانّ الأولياء اقوياء بنظر الواقع، وانما ضعفاء بنظر المستكبرين، واللّه يمتحن اولئك بهؤلاء فان اكرموهم واتخذوا باقوالهم نجوا والا هلكوا.

(ولقد دخل موسى بن عمران ومعه اخوه هارون ـ عليهما السلام ـ على

فِرْعَوْنَ ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ ، فَشَرَطَا لَهُ ـ إِنْ أَسْلَمَ ـ بَقَاءَ مُلْكِهِ ، وَدَوَامَ عِزِّهِ ؛ فَقَالَ : «أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ ؛ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَ الذُّلِّ ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ» ؟ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ ! وَلَوْ أَرَادَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ

فرعون) حين ارسلهما الله سبحانه اليه (وعليهما مدارع الصّوف) جمع مدرعة و هى ثوب قصير ضيق لا يلبسه الا المتواضع ، لعدم كونه فضفاضا يلائم الكبرياء (و بايديهما العصى) جمع عصى ، و هذا ايضا ظاهرة اخرى للتواضع (فشرطا له) اى لفرعون (ان اسلم) للّه سبحانه (بقاء ملكه و دوام عزّه) فانه لم يك يهلك ، على تقدير ايمانه ، و المراد بالبقاء و الدوام ، الاستطالة ، لا الأبدية ـ كما لا يخفى ـ .

(فقال) فرعون لمن حوله : (الا تعجبون من هذين) الشخصين (يشرطان لى دوام العزّ و بقاء الملك و هما بما ترون من حال الفقر و الذّل) ؟! و كيف يمكن ان يكون الفقير الذليل معطيا للعزّ و البقاء ، فانّ ذلك للغنى العزيز (فهلاّ القى عليهما اساورة من ذهب) لو كانا صادقين فى دعواهما النبوة من قبله سبحانه ؟ و اساورة : جمع اسورة ، جمع سوار ، و هو ما يجعل زينة فى اليد ، و قد كان الملوك فى السابق يلبسون السوار ، و لذا اخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعض اصحابه بانه يلبس سوار كسرى ملك الفرس ، و كان كما قال صلّى اللّه عليه و آله ، و قد كان هذا الكلام من فرعون (اعظاما للذّهب و جمعه) كانّه معيار النبوة (و احتقارا للصّوف و لبسه) كانّه ينافى البعث من طرفه تعالى.

(و لو اراد اللّه سبحانه بانبيائه ـ حيث بعثهم ـ ان يفتح لهم كنوز

الذُّهْبَانِ ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الأَرْضِ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاءُ ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ ، وَاضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا .

الذهبان) جمع ذهب (ومعادن العقيان) هو نوع من الذهب ينمو فى معدنه (ومغارس الجنان) جمع مغرس ، اى محل غرس الأشجار فى البساتين بان يكون لهم بساتين واشجارا (وان يحشر معهم) اى يجمع لديهم ، فانّ الحشر بمعنى الجمع (طيور السّماء) حيث ذهبوا ذهبت (ووحوش الأرض) جمع وحش ، وهو الحيوان غير الأهلى ، سواء كان سبعا ام لا (لفعل) جواب ((لو)) (ولو فعل) سبحانه ذلك بالأنبياء ، بان اعطاهم هذه الهبة ، و هذا الملك (لسقط البلاء) اى الامتحان ، اى لم يمتحن الناس بالأنبياء لأن الناس يتبعون الملك والسلطة ، اينما كانا ، فلم يتميز الخبيث من الطّيب .

(وبطل الجزاء) اذ الجزاء على اتباع الحق عن اختيار ورغبة ، لا عن اضطرار اتباع المال والسلطة (واضمحلّت) اى بطلت وذهبت (الأنباء) اى اخبار السماء بالوعد لمن آمن والوعيد لمن كفر ، لعدم الحاجة الى ذلك (ولما وجب للقابلين اجور المبتلين) اى ثواب الذين ابتلوا واختبروا ، فخرجوا ناجحين من الاختبار ، وادوا حق الله فى المضايق والمهالك ، عن طيب نفس ورغبة قلب .

(ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين) لأنهم لم يحسنوا باتباع الأنبياء ، بل اتبعوا شهواتهم فى المال والسّلطة (ولا لزمت الأسماء معانيها)فمثلا المؤمن ليس بمعناه الحقيقى ، وهو الّذى نبع ايمانه من القلب ، وانما يسمى به من انقاد ، والانقاد خوفا وطمعا للسلطة ،نشوية ليس ايمانا حقيقيا .

وَلٰكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى ٱلْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ ٱلْقُلُوبَ وَٱلْعُيُونَ غِنًى ، وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ ٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَسْمَاعَ أَذًى .

وَلَوْ كَانَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ ٱلرِّحَالِ ، لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى ٱلْخَلْقِ فِي ٱلْاعْتِبَارِ ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي ٱلِاسْتِكْبَارِ ،

(ولكنّ الله سبحانه) عرض ان يزود الرسل بالمال و الجاه (جعل رسله اولى قوّة فى عزائمهم) جمع عزيمة ، بمعنى الارادة (و) حطهم (ضعفة) جمع ضعيف (فيما ترى الأعين من حالاتهم) المادية ، و الجاهية (مع قناعة) للرسل عن المال و الجاه (تملأ القلوب و العيون غنى) فانّ قلبهم لا يميل الى زخارف الدّنيا ، وعينهم لا تنظر الى زينتها نظر تطلب و اشتهاء (وخصاصة) اى فقر (تملأ الأبصار و الأسماع اذى) كما يتاذّى النّاس من رؤية الفقراء واستماع احاديثهم .

(ولو كانت الأنبياء اهل قوّة لا ترام) اى لا تقصد ، بمعنى ان احدا لا يقصدهم لكثرة قوّتهم ، او ان قوتهم من الكثرة بحيث لا يتوقع احد ان يكون مثلهم فى القوّة (وعزّة لا تضام) اى لا تغلب بحيث تكون عزتهم فوق كل عزة لا يتمكن احد من ظلمهم (وملك تمتد نحوه اعناق الرجال) تعجّبا و تطلّبا .

(و تشد اليه عقد الرّحال) جمع عقدة ، الحبال التى تعقد على الرحل لئلاّ يقع من ظهر الدابة ، فانّ اصحاب السّلطة يسافرون النّاس اليهم طلبا لدنياهم (لكان ذلك) الملك (اهون على الخلق فى الاعتبار) اى اضعف تاثيرا فى القلوب من جهة اعتبارها و اتعاظها (وابعد لهم فى الاستكبار) اى لا يتكبّرون عليهم بل يؤمنون بهم فورا ، لأنّ النّاس على دين ملوكهم ، او المعنى انه

وَلآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً ، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً . وَلٰكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الاِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ ، وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ ، وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ ، وَالاِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ ، وَالاِسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ ، أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً ، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ . وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَىٰ وَ الاِخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ .

بسبب استكبار النّاس ، لأنهم يرون الأنبياء و هم قدوة ، في هالة من الكبرياء .

(ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم او رغبة مائلة بهم) اى لم يكن ايمانهم عن رهبة النار ، او رغبة الجنة ، لأنهم في منتاى عنهما ، بل كان الايمان لسلطة الأنبياء وثروتهم .

(فكانت النّيات مشتركة) اى نية المؤمن حقيقة ، والمؤمن لأجل السلطة ، مشتركة غير معلومة ان ايهما عن حقيقة ، وايهما عن رغبة في سلطة الأنبياء . (و الحسنات مقتسمة) بينما ينبغى ان يكون للمؤمن الحقيقى الحسنة لا لكل من اظهر الايمان .

(و لكنّ الله سبحانه اراد ان يكون الاتباع لرسله و التصديق بكتبه) السماوية (و الخشوع لوجهه) اى ذاته المقدسة وسميت بالوجه لتوجه الانسان اليها ، فباعتبار ذات ، وباعتبار وجه ، وباعتبار جنب ، وباعتبار عين ، وهكذا (و الاستكانة) اى التضرع (لأمره) تعالى (و الاستسلام) اى الانقياد (لطاعته) سبحانه (امورا له خاصة) بان يكون المؤمن انما آمن لذاته تعالى ، لا لما يرى من سلطة الأنبياء (لا تشوبها من غيرها) اى من غير هذه الأمور (شائبة) بان لا تدخلها ريبة سلطة وثروة .

(و كلما كانت البلوى) اى الابتلاء (و الاختبار اعظم) حيث يكون الايمان اشكل (كانت المثوبة و الجزاء اجزل) لأن الأجر بقدر المشقّة .

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ ٱللهَ ، سُبْحَانَهُ ، ٱخْتَبَرَ ٱلْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ ٱللهِ عَلَيْهِ ، إِلَىٰ ٱلْآخِرِينَ مِنْ هٰذَا ٱلْعَالَمِ ، بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ «ٱلَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً» . ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ ٱلْأَرْضِ حَجَراً ، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ ٱلْأَرْضِ مَدَراً ،

(الا ترون) فى مثال الاختبار بالأشياء الشاقة ، لا بالأشياء المشتهات لنفس الانسان (انّ اللّه سبحانه اختبر) اى امتحن (الأوّلين من لدن آدم صلوات اللّه عليه الى الآخرين من هذا العالم) اى من اهل الأرض (باحجار) هى الكعبة المعظّمة ، التى بنيت من الأحجار ، وامر النّاس ـ حتى آدم عليه السلام ـ بالحج اليها والطواف حولها (لا تضر ولا تنفع) بذاتها (ولا تبصر ولا تسمع) حسب الظاهر ، وهذا لا ينافى ضررها ونفعها حسب امر اللّه سبحانه ، وبصرها وسمعها حسب الواقع ، حيث ورد ان الحجر الأسود ملك يسمع ، ولذا نقول له : ((امانتى اديّتها)) كمالا تنافى بين قوله سبحانه : ((ولا تدع من دون اللّه ما لا يضرّك ولا ينفعك)) مع كون الأصنام ضارّة بلا اشكال .

(فجعلها) اى تلك الأحجار (بيته الحرام) اى المحترم (الّذى جعله) قبلة للأنام و (للنّاس قياما) اى موجبا لقيام امورهم الاجتماعية والاقتصادية وما اليهما .

(ثم وضعه) اى هذا البيت ، وثم : لترتيب الكلام ، لا للترتيب الخارجى (باوعر بقاع الأرض حجرا) اى اكثرها وعورة وخشونة ، فان مكة سلسلة جبال خشنة (واقلّ نتائق الأرض) جمع نتيقه ، بمعنى : المرتفع ومكة مرتفعه باعتبار انها جبال (مدرا) هو قطع الطين اليابس ، فانه كلما قل المدر ـ والمراد به الطين ـ يقل النبات .

وَأَضْيَقِ بُطُونِ ٱلْأَوْدِيَةِ قُطْراً . بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ ؛ لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ . ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ . تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ ٱلْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ

(و اضيق بطون الأودية) جمع وادى ، بمعنى : الصّحراء (قطرا) اى من حيث السعة ، فان الجبال قريبة بعضها الى بعض ، فلا سهل يوجب الانبساط فى النّفس ، و السّعة فى محل الحركة و العمل .

(بين جبال خشنة) لا لين فى احجارها (و رمال دمثة) لينه يصعب السير فيها (وعيون وشلة) اى قليلة الماء ، لقلة الأمطار هناك (وقرى) جمع قرية (منقطعة) اى بعيدة بعضها عن بعض (لا يزكو بها خفّ) اى الجمل ، فان جمال مكة ــ لقلة نبتها ــ لا تنمو كنمو جمال المناطق الخصبة (و لا حافر) اى الخيل (و لا ظلف) اى البقر و الغنم ، فان جميع هذه الحيوانات ، هناك هزال .

(ثم أمرَ) سبحانه (آدم) عليه السلام (و ولده ان يثنوا اعطافهم) جمع عطف ، و هو طرف الجنب (نحوه) اى نحو البيت الحرام ، و ثنى العطف كناية عن التوجه و الميل اليه ، و الطواف حوله (فصار) هذا البيت (مثابة) اى مرجعا ، من ثاب اذا رجع (لمنتجع اسفارهم) اى محل الفائدة من الاسفار فان مكة بسبب الحج اليها محل لفائدة الناس حيث يتجر اليها و منها .

(و غاية لملقى رحالهم) اى لالقاء رحلهم عن ظهور دوابهم (تهوى اليه) اى تميل الى البيت الحرام (ثمار الأفئدة) اى الأرواح الكائنة فى القلوب، كانها ثمرتها (من مفاوز) جمع مفازة ، بمعنى الصحراء (قفار) جمع قفر، الصحراء

سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا يُهَلِّلُونَ لِلّٰهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ. قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ؛ ابْتِلَاءً عَظِيماً، وَامْتِحَاناً شَدِيداً، وَاخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً:

التى لاماء لها ولا كلاء ولا انيس (سحيقة) اى بعيدة (ومهاوى) جمع مهوى ، وهو المحل المنسرح من الجبل (فجاج) جمع فج ، بمعنى الطريق (عميقة) النهاية ، اى ان الناس ياتون اليه من الصحارى والجبال (وجزائر) جمع جزيرة ، قطعة الأرض فى وسط البحر (بحار منقطعة) تلك الجزائر عن الاتصال بالأرض ، لأنها محاطة بالماء (حتى يهزّوا) اى يحركوا حول الكعبة (مناكبهم) جمع منكب ، ما بين العنق والعضد (ذللا) اى اذلة خاضعين

(يهلّون) اى يرفعون صوتهم من الاهلال ، ومنه الاهلال بالتلبية والأدعية (لله حوله) اى حول هذا البيت (ويرملون) الرمل ضرب من السير السريع (على اقدامهم شعثا) جمع اشعث ، وهو ضد التمشيط للرأس واللّحية (غبرا) جمع اغبر ، وهو المغبر بالغبار (له) اى له تعالى ، فانهم يطوفون بالبيت ، ويسعون بين الصفاء والمروة فى هذه الأحوال .

(قد نبذوا السرابيل) جمع سربال ، بمعنى الثوب (وراء ظهورهم) اذ المحرم يتجرد عن ثوبه فيدخل فى ثوب الاحرام (وشوّهوا) اى غيروا (باعفاء الشعور) تركها بلا تمشيط ولا حلق ولا تقصير (محاسن خلقهم) من وجه وراس وجسد ، ابتلاهم الله سبحانه بذلك (ابتلاءا) اى امتحانا (عظيما) لا يناله الانسان الا بمشقة .

(وامتحانا شديدا) على النفس (واختبارا مبينا) اى واضحا ظاهرا (وتمحيصا) التمحيص تحريك الشئ حتى يؤخذ لبّه (بليغا) اى بالغا فى

جَعَلَهُ اللهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَىٰ جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِيَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَىٰ، مُتَّصِلَ الْقُرَىٰ، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَىٰ حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ.

التمحيص (جعله اللّه) اى البيت الحرام (سببا) وعلة (لرحمته) على خلقه المطيعين له (و وصلة الى جنّته) اى سببا لوصول الانسان الى جنّته ·

(و لو اراد سبحانه ان يضع بيته الحرام و مشاعره العظام) جمع مشعر ، و هو محل الشعار ، كالصفا و المروة ، وعرفات ، و كالمشعر ، و منى (بين جنّات و انهار) اى بساتين و حدائق (و سهل) من الأرض ، لا بين الجبال (وقرار) اى موضع مطمئن من الأرض ، لا علو و لا انخفاض فيها، فى حال كونها (جمّ الأشجار) اى كثير الشّجر (دانى الثّمار) فيها ثمار دانية او ان قطفها (ملتفّ البنا) جمع بنية ، و هى ما يبتنيه الانسان ، و المراد كثير العمران بحيث كانت الأبنية متلاصقة بعضها ببعض (متّصل القرى) لخصب الأرض وطيب هوائها ، كثرت قراها ، حتى اتصل بعضها ببعض ·

(بين برة) اى حنطة (سمراء) و هى اجود انواع الحنطة (و روضة) اى حديقة (خضراء) مخضرة (و ارياف) جمع ريف و هى الأرض الخصبة (محدقة) اى محيطة بالبيت (وعراص) جمع عرصة الساحة الواسعة التى ليس بها بناء (مغدقة) من اغدق المطر اذا كثر مائه (و رياض) جمع روضة ، بمعنى : الحديقة (ناضرة) من النضارة ، بمعنى البهجة و الزينة · (وطرق عامرة) بالمارة ، و بوسائل الراحة (لكان) جواب ((لو)) (قد صغر قدر الجزاء) لمن حج (على حسب ضعف البلاء) اى قلة الامتحان ، لأن مثل

وَلَوْ كَانَ ٱلْإِسَاسُ ٱلْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ، وَٱلْأَحْجَارُ ٱلْمَرْفُوعُ بِهَا ، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ ، لَخَفَّفَ ذٰلِكَ مُسَارَعَةَ ٱلشَّكِّ فِي ٱلصُّدُورِ ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ ٱلْقُلُوبِ ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ ٱلرَّيْبِ مِنَ ٱلنَّاسِ ، وَلٰكِنَّ ٱللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ ٱلشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ ٱلْمَجَاهِدِ ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ ٱلْمَكَارِهِ ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ ،

ذلك المكان يذهب اليه الانسان بدون امر و زجر .

(ولو كان الأساس المحمول عليها) بناء الكعبة ، اى اساس الكعبة (و الأحجار المرفوع بها) الكعبة ، اى الأحجار التى بنيت الكعبة منها (بين زمردة خضراء) نوع من الجوهر الثّمين (و ياقوتة حمراء و نور و ضياء) بان كانت الاحجار تشع نورا (لخفف ذلك مسارعة الشك فى الصدور) فان كل انسان لم يك يشك فى انه من اللّه و شئ حسن ، و انما يجعل الله سبحانه موضع شك و ريبة ليحتاج الى الدلالة ، و مجاهدة النفس ليكثر الأجر و يظهر الفضل (و لوضع) اى لابطل (مجاهدة ابليس عن القلوب) اى لم يكن الانسان يحتاج الى الجهاد مع الشيطان ، فى صحة الحج ، و لم يكن ابليس يقدر على الوسوسة فى قلب الانسان لابطال الحج (و لنفى معتلج الرّيب) اى الريب الذى اعتلج ــ بمعنى التطم بالقلب ــ (من الناس) فلم يكونوا يرتابون فى الحج .

(و لكن الله يختبر عباده بانواع الشدائد) التى يسوقها اليهم ، يظهر صبرهم و تحملهم و اطاعتهم (و يتعبّدهم) اى يامرهم على نحو الاستعباد (بانواع المجاهد) جمع مجهد ، مصدر ميمى ، بمعنى : الجهد (و يبتليهم بضروب المكاره) التى يكرهونها (اخراجا للتّكبر من قلوبهم) فان المشاق تصفّى نفس الانسان ، و تلطّف الأفئدة عن خشونتها (و اسكانا للتذلّل فى نفوسهم)

وَلِيَجْعَلَ ذٰلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَىٰ فَضْلِهِ ، وَأَسْبَابا ذُلُلًا لِعَفْوِهِ .

فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الكِبْرِ ، فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَىٰ ، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَىٰ ، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ ، فَمَا تُكْدِي أَبَداً ، وَلَا تُشْوِي أَحَداً ،

فان المشاق ترشد الانسان على انه ضعيف لا يقدر على شئ فيسكن الذل والانكسار فى قلبه .

(وليجعل ذلك) الاختبار بالمشاق (ابوابا فتحا) اى مفتوحة (الى فضله) فان الشخص اذا عمل بالمشاق نال فضله تعالى (واسبابا ذللا) اى سهلة (لعفوه) تعالى ، فان العفو عن المذنب لا يكون الا بالاطاعة .

(ف) اذكروا (الله الله فى عاجل البغى) اى لا الظلم فى الدنيا (وآجل وخامة الظّلم) اى شدّته على الظالم (وسوء عاقبة الكبر) اى لا تفعلوا مايسبب ذلك لكم غدا (فانّها) اى هذه الرذائل (مصيدة ابليس) التى يصيد بها النّاس لالقائهم فى النّار (العظمى) اذ النفوس مائلة الى الظلم و الكبر (ومكيدته الكبرى) اى اكبر انواع كيده و مكره لتحريف الناس عن سبيله سبحانه (التى تساور) اى تقاتل و تحارب (قلوب الرّجال مساورة السّموم القاتلة) فكما ان السم يغالب الصحة ، حتى يغلبها و يتلق الانسان ، كذلك الكبر و الظلم و البغى ــ و هو اخص من الظلم ــ تغالب قلب الانسان النقى ، حتى تلوثه بها ، و توجب هلاك الانسان .

(فما تكدى) اى ما تعجز هذه المكيدة عن التاثير ــ من اكدى الحافر اذا عجز عن التاثير فى الأرض ــ (ابدا) بل تعمل مكيدة الشيطان دائما (و لا تشوى) الا تخطاء ، من اشوت الضربة ، اذا اخطات فلم تقتل (احدا) من

لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقِلاً فِي طِمْرِهِ. وَعَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ ٱللهُ عِبَادَهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ، وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ، لِمَا فِي ذٰلِكَ

الناس (لا عالما لعلمه) فان العلم لا يقف سدا دون هذه المكيدة (ولا مقلاً) اى فقيرا (فى طره) اى كسائه البال ، فكيف بالجاهل و الغنى ،اى ان الظلم و البغى و الكبر آلات لابليس يصيد بها كل احد (وعن ذلك) الكيد الشيطانى (ما حرس الله) ((ما)) زائدة ، او مصدرية اى حراسة الله ، اى حفظ الله (عباده المؤمنين) حتى لا يتمكن الشيطان من اغرائهم و بث هذه الرذائل فيهم (بالصّلوات و الزّكوات) فانهما ترقق القلب ، و تقربه الى الله ، فلا يتمكن الشيطان من اغرائهم بادخال الكبر و الظلم و البغى ، فى قلوبهم و جوارحهم .

(و مجاهدة الصّيام) اى الصيام الموجب للجهد (فى الأيّام المفروضات) كشهر رمضان و ما اشبه (تسكينا لأطرافهم) اى ايديهم و ارجلهم و سائر جوارحهم ، فان كلا من الصلاة و الصيام يسكن اطراف الانسان (و تخشيعا لأبصارهم) اى ايجابا لها على الخشوع و الانكسار (و تذليلا لنفوسهم) لئلا تطغى ، فان الانسان فى الصلاة ، و هكذا الجائع العطشان تسكن فورة نفسه (وتخفيضا لقلوبهم) اى التهاب القلب نحو الشهوات (و اذهابا للخيلاء) اى الكبر (عنهم) فان الوقوف امام الله و الضعف يشعر ان الانسان بضعته و عدم قوته على شئ ، فيذهب عنه الكبر (لما فى ذلك) الشئ الواجب ـ وهوالصلاة ـ و من هذا يظهر ان الجمل السابقة انما هى بالنسبة الى الصلاة ، و يؤيده قوله بعدا ((من الصيام)) الخ ٠ و يحتمل ان يكون الى هنا للأعم من الصلاة و الصيام ، و تكون هذه الجملة خاصة بالصلاة ، كما جرينا على ذلك فى التفسير ـ

مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ ٱلْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً، وَٱلْتِصَاقِ كَرَائِمِ ٱلْجَوَارِحِ بِٱلْأَرْضِ تَصَاغُراً، وَلُحُوقِ ٱلْبُطُونِ بِٱلْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً؛ مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ ٱلْأَرْضِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَىٰ أَهْلِ ٱلْمَسْكَنَةِ وَ ٱلْفَقْرِ.

ٱنْظُرُوا إِلَىٰ مَا فِي هٰذِهِ ٱلْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ ٱلْفَخْرِ، وَقَدْعِ طَوَالِعِ ٱلْكِبْرِ! وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِينَ

والأول اظهر لفظا، والثانى معنى.

(من تعفير عتاق الوجوه بالتراب) اى وضعها فى التراب، والعتاق جمع عتيق، بمعنى الكريم، اى الوجوه الكريمة التى هم اكرم اعضاء البدن (تواضعا) لله سبحانه (والتصاق كرائم الجوارح) من يدين و رجلين (بالأرض تصاغرا) لله سبحانه (و لحوق البطون بالمتون) اى الظهور (من الصّيام) فان المعدة اذا خلت من الطعام و الشراب التصق البطن بالظهر (تذلّلا) لله سبحانه (مع ما فى الزكاة من صرف ثمرات الأرض) من حنطة و شعير و تمر و زبيب ـ واجبا ـ و سائر الحبوب و ما اشبه ـ استحبابا ـ (و غير ذلك) من ابل و بقر و غنم و ذهب و فضة ـ وجوبا ـ و اسائر الأمور الزكوية ـ استحبابا ـ (الى اهل المسكنة و الفقر) و يسمى الفقير مسكينا، لأن الفقر يسكنه فلا يتمكن ان يتحرك كما يتحرك الغنى.

(انظروا) ايها الناس (الى ما فى هذه الأفعال) العبادية من صلاة و صيام و زكاة (من قمع نواجم الفخر) جمع ناجمة، من نجم بمعنى طلع، اى قلع ما يظهر من الفخر فى القلب (و تدع) اى كف (طوالع الكبر) جمع طالعة اى ما يظهر من الكبر فى الانسان، فان الاخضاع الذى تاتى به هذه الأفعال يحصد كل فخر و كبر (و قد نظرت فما وجدت احدا من العالمين) و المراد

يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلَاءِ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ لَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ. أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَىٰ آدَمَ لِأَصْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ.

الأشخاص الظاهرين المعروفين لديهم ، لا ان العموم شمول حقيقى (يتعصب لشئ من الأشياء) و يبذل فى سبيله نفسه و ماله ، فى خلاف الحق (الآ عن علة تحتمل تمويه الجهلاء) اى علة تحتمل التموية لدى الجاهل ، اى ان المتعصب جاهل ، فموّه عليه و لذا يتعصب (او حجة) اى دليل له على تعصبه (تليط) اى تللتصق تلك الحجة (لعقول السفهاء) فيظن السفيه المتعصب صحة تلك الحجة على العصبية ، و لذا يتعصب بخلاف الحق ·

(غيركم) و المراد بهم من خاطبهم الامام عليه السلام ، فان تعصبهم عبث و اعتباط (فانكم تتعصبون لأمر لا يعرف له سبب و لا حجة) لا عن حجة يقبلها السفيه و لا عن علة تتحمل التموية ، فان تعصبهم كان للعرب ، و ذلك كان محض الباطل ، اذا كان يوجب تفرق المسلمين عنهم · و بغض الناس لهم ، و ا- برا تمكن غيرهم ان ينقض عليهم بثورات مستمرة ، حتى قلعوا جذور التعصب عن بلاد الاسلام ، ثم بين عليه السلام علة بعض اقسام التعصبات التى كانت مقترنة بحجة مموهة ·

(اما ابليس فتعصب على آدم) عليه السلام ، اى قام ضد آدم تعصبا لنفسه (لأصله) اى لأجل ان اصل آدم كان من الطين (و طعن عليه) اى على آدم (فى خلقته فقال : انا نارى) اى اصلى مخلوق من النار (و انت) يا آدم (طينى) و النار اشرف ، و لذا فلا ينبغى لها ان تسجد لآدم عليه السلام ·

وَأَمَّا ٱلْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ ٱلْأُمَمِ ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ ٱلنِّعَمِ ، فَقَالُوا : «نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ». فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ ٱلْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ ٱلْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ ٱلْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ ٱلْأُمُورِ ، ٱلَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا ٱلْمُجَدَاءُ وَٱلنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ ٱلْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ ٱلْقَبَائِلِ ، بِٱلْأَخْلَاقِ ٱلرَّغِيبَةِ ، وَٱلْأَحْلَامِ ٱلْعَظِيمَةِ ،

(و اما الأغنياء من مترفة الامم) المترف بصيغة المفعول ، هو الموسع عليه فى النعم الذى يصرف ثروته فى غير حق (فتعصبوا) لأنفسهم ، و جعلوها فوق الناس (لآثار مواقع النعم) فان موقع النعمة كالأرض الخصبة ينبت الكبر و الفخر، فان الانسان يطغى اذا راى الغنى ، فكانّ النعم تسقط فى مواقع ، و من تلك المواقع تنبت آثار الكبر و ما اليه (فقالوا) فى ضدّ الأنبياء (نحن اكثر اموالا و اولادا) منكم ، فكيف نتبعكم ايها الأنبياء ؟ (و ما نحن بمعذّبين) فى الآخرة ، لأن الله يحبنا بدليل انه اعطانا فى الدنيا الأموال و الأولاد ، فما وجه احتياجنا لأتباعكم ؟ (فانكان لابد) لكم (من العصبية) بان تتعصبوا الأمر تجتمعون حوله و تعادون من لا يوافقكم عليه .

(فليكن تعصبكم لمكارم الخصال) اى الصفات الكريمة (و محامد الأفعال) اى الأفعال المحمودة (و محاسن الأمور) اى الأمور الحسنة (التى تفاضلت فيها المجداء) جمع مجيد و هو الرفيع (و النجداء) جمع نجيد و هو الشجاع الماضى عزمه (من بيوتات العرب) البيت القبيلة ، وسميت بيتا لأجتماعهم فى بيت واحد (و يعاسيب القبائل) جمع يعسوب ، و هو امير النحل ، و رئيس القبيلة ، اى تعصبوا للصفات الحسنة التى كانت فى العرب ،لاان يكون تعصبكم للعرب (بالاخلاق الرغيبة) اى الحميدة المرغوب فيها ، و الظرف متعلق بقوله : ((تفاضلت)) (و الأحلام) اى العقول (العظيمة) فى الرزانة و

وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ . فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ ، وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ . وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ . فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ ،

المعرفة (والأخطار) جمع خطر ، بمعنى : العظمة والشرف (الجليلة) اى ذات الجلال والرفعة (والآثار المحمودة) التى بقيت منهم وحمدها الناس لهم .

(فتعصبوا لخلال الحمد) اى الصفات التى تورث الحمد من الناس لذى الصفة (من الحفظ للجوار) اى من جاور الانسان ، باحتمائه عن الظلم ، والقيام بقضاء حاجته (والوفاء بالذمام) اى العهد (والطاعة للبر) بان يطيع الانسان البر ، بمعنى ان يعمله (والمعصية للكبر) بان لا يستجيب الانسان لداعى الكبرياء من نفسه (والأخذ بالفضل) بان يعمل الانسان بالفضل (والكف) اى الامتناع (عن البغى) اى الظلم على الغير (والاعظام للقتل) بان يعد الانسان قتل النفس بلا سبب عظيما ، فيتركه (والانصاف للخلق) بان يجعل بينهم وبينه نصفه يحب لهم ما يحب لنفسه (والكظم للغيظ) فاذا غضب لم يظهر غضبه (واجتناب الفساد فى الأرض) بالايذاء ، والفتنة ، واكل اموال الناس وما اشبه (واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات) اى العقوبات التى صارت مثلا للناس ، يرهب الصالحون بها المفسدين .

فقد نزلت بهم العقوبة (بـ) سبب (سوء الأفعال وذميم الأعمال) اى الأعمال المذمومة (فتذكروا فى الخير والشر احوالهم) اى احوال تلك الأمم

وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ . فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ ، وَزَاحَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ ، وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ فِيهِ عَلَيْهِمْ ، وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ ، وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ مِنَ الِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ ، وَاللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ ، وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا ، وَالتَّوَاصِي بِهَا ،

حتى تفعلوا الخير ، و تتركوا الشر خوفا من ان ينزل بكم ما نزل بهم .

(و احذروا ان تكونوا امثالهم) فى نزول العقوبة بكم (فاذا تفكرتم فى تفاوت حاليهم) اى حالى السعادة و الشقاء ، فى تلك الأمم (فالزموا كل امر) حسن (لزمت العزة به) اى بسبب ذلك الأمر .

(شانهم) اى انظروا ما ذا كان سبب عزة اولئك الأمم فالزموه ، ويأتى بيان ((الأمر)) فى قوله ((من الاجتناب ..)) (و زاحت) اى بعدت (الأعداء له) اى لالتزامهم بذلك الأمر (عنهم) اى عن تلك الأمم .

(و مدت العافية فيه) اى فى ذلك الأمر و بسببه (عليهم و انقادت النعمة) اى جائت النعمة (له) اى لأجل ذلك الأمر (معهم) فكانت النعمة معهم .

(وصلت الكرامة عليه) اى على ذلك الأمر (حبلهم) بان اتصلوا بحبل الكرامة (من الاجتناب للفرقة) اى التفرقة و التشتت ، هذا بيان لقوله :((كل امر)) اى الزموا الاجتناب من التفرق ــ اى الاتحاد ــ فانه صار سببا لتلك الفضائل فيهم .

(واللزوم الألفة) بان يالف بعضكم بعضا (و التحاض عليها) بان يحض بعضكم بعضا بالائتلاف وعدم التشتّت (و التواصى بها) بان يوصى بعضكم بعضا بالألفة و الاتّحاد .

وَٱجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ ، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ ؛ مِنْ تَضَاغُنِ ٱلْقُلُوبِ ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ ، وَتَخَاذُلِ ٱلْأَيْدِي وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ ٱلْمَاضِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَٱلْبَلَاءِ . أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ ٱلْخَلَائِقِ أَعْبَاءً ، وَأَجْهَدَ ٱلْعِبَادِ بَلَاءً ، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً . ٱتَّخَذَتْهُمُ ٱلْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً

(واجتنبوا كل امر كسر فقرتهم) هى ما انتظم من العظام فى الظهر من الكاهل الى مطلع الذنب ، وهى كناية عن تبديد شملهم (واوهن منّتهم) المنّة القوّة ، واوهن ، بمعنى : اضعف (من تضاغن القلوب) الضغن :الحقد، اى تحاقد بعضهم لبعض (وتشاحن الصّدور) الشحناء : البغضاء ، (وتدابر النّفوس) بان ادبرت نفس بعضهم عن نفس الآخرين (وتخاذل الأيدى) بان خذلت يد بعضهم بعضا ، فلم تساعده ، وهكذا العكس .

(وتدبروا احوال الماضيين من المؤمنين قبلكم) اى : طالعوا سيرتهم (كيف كانوا فى حال التمحيص) اى تمحيص الله لهم ، لأخذ خيارهم وتمييز صلحاهم (و البلاء) اى الابتلاء والامتحان ، والأمر بالتدّبر فى احوال اولئك لتخفيف وطائة المصائب على المخاطبين ، اذ الانسان بالتّفكر فى احوال المبتلين يسرعن نفسه الهموم الواردة عليه ، كما يقال : اذا عم البلاء طاب .

(الم يكونوا اثقل الخلق اعباء) جمع عبء ، وهو الثّقل (واجهد العباد بلاء) اى كان بلائهم اكثر اجهادا لهم ، من اجهاد البلاء على سائر النّاس .

(واضيق اهل الدّنيا حالا) ؟ ثم بين عليه السلام سبب ضيق اولئك المؤمنين بقوله : (اتّخذتهم الفراعنة) جمع فرعون ، وهو لقب عام لملوك مصر، فى زمان موسى عليه السّلام وحواليه (عبيدا) يذبحون ابنائهم ويستحيون نسائهم

وَجَرَّعُوهُمُ ٱلْمُرَارَ ، فَلَمْ تَبْرَحِ ٱلْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ ٱلْهَلَكَةِ وَقَهْرِ ٱلْغَلَبَةِ ، لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي ٱمْتِنَاعٍ ، وَلَا سَبِيلًا إِلَىٰ دِفَاعٍ . حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ ٱلصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى ٱلْأَذَىٰ فِي مَحَبَّتِهِ ، وَٱلِٱحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ ٱلْبَلَاءِ فَرَجاً ، فَأَبْدَلَهُمُ ٱلْعِزَّ مَكَانَ ٱلذُّلِّ ، وَٱلْأَمْنَ مَكَانَ

(فساموهم سوء العذاب) ای انزلوا بهم اشدّ انواع العذاب (وجرعوهم المرار) شجر شديد المرارة ، حتّى انّ الابل اذا اكلته تقلّصت منه شفاهها (فلم تبرح الحال بهم) ای لم تزل حالة العذاب باولئك المؤمنين (فی ذلّ الهلكة) ای الذّل الملحق بهم بسبب اهلاك الفراعنة لهم .

(وقهر الغلبة) فانّ الغالب يقهر المغلوب و يجبره على ما يريد (لا يجدون حيلة) ای وسيلة و طريقا (فی امتناع) ای لأن يمتنعوا عن تعذيب الفراعنة .

(ولا سبيلا الی دفاع) عن انفسهم حتی لا ينصب عليهم عذاب فرعون و قومه (حتّى اذا رأى الله جدّ الصّبر منهم) ای الصّبر الجدی الحقيقی منهم ،لا يتركون دينهم ، ليكفّ فرعون منهم ، بل صامدون صابرون (على الأذى فی محبّته) تعالى (و الاحتمال للمكروه) ای احتمل المؤمنين المكروه – ای العذاب (من خوفه) سبحانه ، فانّهم لم يتركوا دينهم خوفا منه تعالى (جعل) جواب ((اذا)) (لهم من مضايق البلاء فرجا) فانّ البلاء يضيق على الانسان حركاته و اعماله .

(فابدلهم العزّ مكان الذّلّ) حيث صاروا سادة ، بعد ان كانوا عبيدا ، و ذلك حين اغرق فرعون و جنوده ، و نجاهم من مصر و القبط (و الأمن مكان

الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً ، وَأَئِمَّةً أَعْلَاماً ، وَ بَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغِ الْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ .

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً، وَالْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً ، وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً ، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً ، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً ، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً . أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الْأَرَضِينَ .

الخوف) من فرعون وملأه (فصاروا ملوكا حكّاما) يحكمون البلاد ٠

(وائمّة اعلاما) للدّين ، بهم يهتدى النّاس ويقتدى (وبلغت الكرامة من الله لهم) اى اكرمهم الله كرامة (ما لم تبلغ الآمال) اى آمالهم (إليه) الضّمير عائد الى ((ما)) (بهم) اى مقدار لم تبلغ الآمال بذلك المقدار بهؤلاء ، فلم ترفعهم الآمال الى حيث الاحتمال لمثل هذه الكرامة ٠

(فانظروا كيف كانوا) اى بنو أسرائيل (حيث كانت الاملاء) جمع ملأ ، بمعنى : الجماعة (مجتمعة) تحت لواء الدّين (والأهواء) اى الآراء لهم (متّفقة) فى تنفيذ احكام الشّريعة ٠

(والقلوب معتدلة) لا افراط فيها ولا تفريط (والأيدى مترادفة) بعضها اثر بعض ، يعمل الكل العمل الواحد لأجل الشّريعة وتعمير الأرض ٠

(والسّيوف متناصرة) اذا هجم بهم العدو اجتمع الكلّ لحربه (والبصائر نافذة) تنفذ من الدّنيا ومن ظواهر الأمور الى الآخرة ، والى عواقب الأشياء و اعماقها (والعزائم) جمع عزيمة ، بمعنى : الارادة (واحدة) بلا تشتّت و لا اختلاف ٠

(الم يكونوا اربابا) اى سادات وحكّاما (فى اقطار الأرضين) ففى كل قطر وقطعة كان منهم السّادة والملوك ٠

وَمُلُوكاً عَلَىٰ رِقَابِ ٱلْعَالَمِينَ ! فَٱنْظُرُوا إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ ٱلْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتَتِ ٱلْأُلْفَةُ، وَٱخْتَلَفَتِ ٱلْكَلِمَةُ وَٱلْأَفْئِدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ ٱللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ. فَٱعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

(وملوكا على رقاب العالمين) يحكمون على النّاس ، وذكر الرقاب ، لأنّ البيعة تتعلق بالرقبة ، وذلك لأنها مكان السّيف ان لم تقبل الاطاعة ، فالحكم نافذ فيها ، كما انّ السّيف نافذ فيها — بعلاقة المماثلة — .

(فانظروا الى ما صاروا اليه فى آخر امورهم) اى آخر امور بنى اسرائيل — بعد تلك الرّفعة و العزّة — .

(حين وقعت الفرقة) اى التّفرقة بينهم (و تشتّت الألفة) اى : الائتلاف الّذى كان بينهم (و اختلفت الكلمة) بان صار لكل واحد منهم كلام غير كلام الآخر (والأفئدة) جمع فؤاد (و تشعّبوا مختلفين) اى صاروا شعبا مختلفة .

(و تفرّقوا متحارين) اى صار كل جماعة منهم حزبا مخالفا لجماعة اخرى (قد خلع الله عنهم لباس كرامته) الّتى اكرمهم بها حين كانوا مجتمعين (و سلبهم غضارة نعمته) اى سعتها .

(و بقى قصص اخبارهم فيكم) اى رواياتها (عبرا للمعتبرين) ((عبر)) جمع عبرة ، بمعنى : ما يسبب اعتبار الانسان ، و ايقاظه الى جهة الصّلاح و الفساد ، وعاقبة الأعمال (فاعتبروا بحال ولد اسماعيل) جدّ الرّسول صلّى الله عليه و آله ، ومنه عرب الحجاز غالبا .

(و بنى اسحاق) بنى يعقوب ابن ابراهيم عليه السلام (و بنى اسرائيل) اسرائيل اسم يعقوب عليه السلام ، ولعل ذكرهم فى قبال ((بنى اسحاق))العدم

فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ !

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ ، لَيَالِيَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا ، إِلَىٰ مَنَابِتِ الشِّيحِ ، وَمَهَافِي الرِّيحِ ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ

اشتهار بعض بنى اسحاق باسم بنى اسرائيل (فما اشدّ اعتدال الأحوال) اى تناسب حال اولئك باحوالكم انتم معاشر المسلمين (واقرب اشتباه الأمثال) اى تشابه اولئك بكم .

(تأمّلوا امرهم فى حال تشتّتهم) اى تفرّقهم الأول قبل ظهور محمّد صلّى الله عليه وآله ، وظهور دولتهم ببركته (ليالى كانت الأكاسرة) جمع كسرى ، وهم ملوك الفرس .

(والقياصرة) جمع قيصر ، ملوك الرّوم (اربابا لهم) اى ساداتهم (يحتازونهم) اى يقبضونهم (عن ريف الآفاق) اى الأراضى الخصبة فى اطراف الأرض (وبحر العراق) فقد كان العراق ـ فى الاصطلاح السّابق ـ يقال لقطعة من الأرض يحيط بها ثلاثة ابحر ، البحر الأسود ، وبحر قزوين ، و الخليج الفارسى ، وكان العرب واليهود منتشرين على بعض هذه الأبحر .

(وخضرة الدّنيا) اى محلاّتهم الخضرة (الى منابت الشّيح) جمع منبت ، والشيح قسم من النّبات القليل الفائدة (ومهافى الرّيح) المواضع الّتى تهفو ـ اى تهب ـ فيها الرّياح ـ وهذا كناية عن تبعيدهم فى الصّحارى حيث لا زرع ولا فائدة (ونكد المعاش) اى صعوبته (فتركوهم) القياصرة و الأكاسرة (عالة مساكين) عالة ، جمع عيل ، وهم الذين لا نفقة لهم وانما ينفق عليهم شخص آخر ، ومساكين جمع مسكين ، وهم الّذين اسكنهم الفقر (اخوان دبر)

وَوَبَرٍ ، أَذَلَّ ٱلْأُمَمِ دَاراً ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً ، لَا يَأْوُونَ إِلَىٰ جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا ، وَلَا إِلَىٰ ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ عِزِّهَا . فَٱلْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ ، وَٱلْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَٱلْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ ، فِي بَلَاءِ أَزْلٍ ، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ ! مِنْ بَنَاتٍ مَوْؤُودَةٍ ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتٍ

اى ظهر مقروح (و وبر) هو شعر الجمل ، و المراد ازالتهم عن المدن واسكانهم فى الصّحارى فى الخيام ، يمتطون الدّواب المقروحة الظهر من كثر التّعب (اذلّ الأمم دارا) اى ان دارهم ذليلة لا يهتمّ بها ولا يعتنى من شانها .

(واجد بهم قرارا) اى انّ قرارهم و مستقرّهم جدب لا نبت فيه مقابل الخصب (لا ياوون الى جناح دعوة) اى لم يكن فى بينهم من يدعوا الى الحق فياوون و يجتمعون اليه بحيث (يعتصمون بها) اى يحفظون انفسهم بتلك الدّعوة عن اذلال الملوك لهم .

(ولا) ياوون (الى ظل الألفة) فيما بينهم (يعتمدون على عزّها) فانّ الألفة توجب العزّة . (فالأحوال منهم مضطربة) غير مستقرّة (و الأيدى مختلفة) لا تعاون بينها (و الكثرة متفرّقة) لا اجتماع لها (فى بلاء ازل) بمعنى الشّدة ، اى بلاء شديد (و اطباق جهل) قد شملهم الجهل لا يعلمون من الحياة و من الآخرة شيئا .

(من بنات موؤودة) وئد بنته ، اى : دفنها و هى حيّة ، فقد كانت من عادة اهل الجاهلية ، ان يدفنون البنات احياء قائلين نعم الصهر القبر ، كارهين للبنات ، كما قال سبحانه : ((و اذا بشّر احدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم)) وقال : ((و اذا الموئودة سئلت باىّ ذنب قتلت ؟)) (و اصنام معبودة) فانّهم كانوا يعبدون الأصنام ينحتونها بايديهم ثم يعبدونها .

(و ارحام مقطوعة) يقطع بعضهم البعض ، فلا تزاور و لا تألف (وغارات

مَشْنُونَةً.

فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَوَاقِعِ نِعَمِ ٱللهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَىٰ دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ: كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَٱلْتَفَّتِ ٱلْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَعَنْ خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ. قَدْ تَرَبَّعَتِ ٱلْأُمُورُ بِهِمْ، فِي ظِلِّ

مشنونة) يشن بعضهم الغارة ـ اى الهجوم ـ على بعض ، فيقتل و يهتك و يسلب ، هذه كانت حالهم قبل الاسلام .

(فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا) هو نبيّ الاسلام محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم (فعقد بملّته) اى بطريقته السّماوية (طاعتهم) فقد كانت الطّاعة بينهم متفرّقة ، كل يطيع شيئا و شخصا ، فجمع الرّسول طاعتهم حول شئ واحد .

(وجمع على دعوته الفتهم) فالّفهم جميعا حول دعوة الاسلام (كيف نشرت النّعمة عليهم جناح كرامتها) كما ينشر الطّائر جناحه على فراخه لئلاّ يصيبهم اذى .

(واسالت) النّعمة الالهيّة (لهم جداول) جمع جدول ، بمعنى النّهر (نعيمها) الموجبة لريهم من الظماء (والتفت الملّة) اى الطريقة الاسلاميّة (بهم) اى جمعتهم كما يلتف الحبل بحزمة القصب (فى عوائد بركتها) اى فى بركاتها العائدة اليهم (فاصبحوا فى نعمتها غرقين) كما يغرق الشّخص فى البحر ، وهذا كناية عن كثرة النّعمة عليهم (وعن خضرة عيشها) كناية عن العيش الهنئ ، تشبيه بخضرة النبات فى مقابل يبسه (فكهين) اى راضين يتفكهون بتلك العيشة .

(قد تربّعت الأمور بهم) اى اقامت امورهم بعد التفرق و التّشتّت (فى ظل

سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ. فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ. يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ! لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ!

سلطان قاهر) للأعداء هو سلطان الاسلام (وآوتهم الحال) اى اعطتهم حالتهم الاسلامية الايواء والسكن (الى كنف عزّ غالب) اى الى جهة عزّة غالبة لا يتمكن شئ من ازالتها ·

(وتعطّفت الأمور عليهم) كانّ الأمور كانت شاردة عنهم فى زمن الجاهليّة، ثم مالت نحوهم (فى ذرى) جمع ذروة، بمعنى الجهة الأعلى من كل شئ (ملك ثابت) اى حيث صاروا رؤساء الدّولة الثابتة ·

(فهم حكام على العالمين) المراد بالعالمين الأقطار المختلفة، (وملوك فى اطراق الأرضين) ببركة الاسلام ·

(يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم) فانّهم صاروا ملوكا على امم كسرى وقيصر، بعد ان كانت تلك الأمم ملوكا عليهم ·

(ويمضون الأحكام) اى يجرون احكامهم (فيمن كان يمضيها فيهم) من الفرس والرّوم (لا تغمز لهم قناة) كناية عن قوتهم، والقناة الرمح، وغمزها كناية عن الضغط عليها لتعديلها فى ما اذا كانت معوجة، والقناة اذا كانت صلبة لا يمكن غمزها، وهكذا صارت العرب بفضل الاسلام اقوياء، لا يتمكن احد من غمزهم ·

(ولا تقرع لهم صفاة) هى الحجر الصلب، وقرعها صدمها لتكسر، وهذا ايضا كناية عن قوتهم وشدة بأسهم ببركة الاسلام، ثم بعد ما بين الامام عليهم السلام حالهم قبل الاسلام، وحالهم بعد الاسلام، عطف بالكلام نحو حالهم فى زمانه، حيث رجعوا الى حالة الجاهليّة ·

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَىٰ جَمَاعَةِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هٰذِهِ الْأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَىٰ كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

(الا و انكم قد نفضتم ايديكم) نفض اليد كناية عن الانعزال عن الأمر، كما اذا نفضت اليد ـ اى حركت تحريكا عنيفا ـ يسقط كل ما فيها (مـ حبـ ـل الطّاعة) كانّ الطّاعة حبل يوصل الحاكم بالرعية، و يجمع بينهما.

(و ثلمتم) الثلم، الثقب، و الخرق (حصن الله المضروب عليكم) وهو حصن الشّريعة التى تجمعهم و تسعدهم و تمنع الأعداء من الوصول اليهم(بـ) سبب اتباعكم لـ (احكام الجاهليّة) من التّفرّق و التّشتّت و المخالفة لمواليكم (فانّ الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الأمة) وياتى متعلق ((امتن)) فى قولـــه : ((بنعمة)) والجهل بينها اعتراض (فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة) اى تاليف بعضهم الى بعض، كما قال سبحانه : ((و اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداءا فالّف بين قلوبكم، فاصبحتم بنعمته اخوانا)) وقال : ((لو انفقت ما فى الأرض ما الّفت بين قلوبهم)) (الّتى ينتقلون) اى المسلمون (فى ظلّها) اذ لولا الفتهم لم يتمكنوا من السّير فى آفاق الأرض و السيطرة على البلاد و العباد.

(و ياوون الى كنفها) اى يستريحون الى جانب هذه الألفة، فى امن مـن الأخطار (بنعمة) متعلق بـ ((امتن)) (لا يعرفون احد من المخلوقين لها قيمة) اى لا تقدر بثمن، من عظم ثمنها (لأنها) اى الألفة (ارجح من كـلّ ثمن) يقدّر (و اجل من كلّ خطر) اى من كل عظيم، اذ بها تؤتى كل شئ، و بدونها لا يحصل الشخص على اىّ شئ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ ٱلْهِجْرَةِ أَعْرَاباً ، وَبَعْدَ ٱلْمُوَالَاةِ أَحْزَاباً . مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ إِلَّا بِٱسْمِهِ ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ . تَقُولُونَ : النَّارَ وَلَا ٱلْعَارَ ! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا ٱلْإِسْلَامَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ٱنْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ ٱلَّذِي وَضَعَهُ ٱللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ ،

(واعلموا انّكم صرتم بعد الهجرة) وهى كناية عن الالتزام باحكام الاسلام (اعرابا) كناية عن صيرورتهم كاهل البادية ــ الذين قال الله تعالى فيهم : ((الأعراب اشدّ كفرا ونفاقا ،واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله)) ــ (وبعد الموالاة) لجهة واحدة (احزابا) كل حزب له جهة خاصة ، وآراء مخصوصة .

(ما تتعلّقون من الاسلام الاّ باسمه) فتسمون مسلمين ، بدون ان تعملوا باحكام الاسلام (ولا تعرفون من الايمان الاّ رسمه) اى علامته ، بدون انتكونوا مؤمنين عاملين بشرائط الايمان ، والاسلام هو الشهادتان ، والايمان العمل جنانا ولسانا واركانا بماء جاء به الرسول صلى الله عليه وآله (تقولون النّار ولا العار) اذا دعيتم الى حكم من احكام الاسلام ينافى تقاليدكم وعاداتكم ، كالمتزوج من غير العربى ، وهكذا ، والمعنى نقدم نار جهنّم ــ بتركنا حكم الاسلام ــ ولا نقدم على ما يصير سببا للعار علينا .

(كانّكم تريدون ان تكفئوا) اى تكبّوا (الاسلام على وجهه) بعدم عملكم باحكام الاسلام (انتهاكا) منكم (لحريمه) اى حرمة الاسلام ، فانّ الاتيان بالمحرّمات اذهاب لحرمة الاسلام (ونقضا لميثاقه) اى عهده الّذى اخذ منكم ، باتباع احكامه فى مقابل اسعاده لكم فى الدّارين ، وحقنه لدمائكم واموالكم و اعراضكم .

الميثاق (الّذى وضعه الله لكم حرما فى ارضه) لأنّ بذلك الميثاق حفظتم ،

وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ. وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ.

كما يحفظ من فى حرم ملك او كبير (وامنا بين خلقه) اذ انّ امنكم انما نشاء من ذلك الميثاق (وانكم ان لجاتم الى غيره) اى لذتم الى غير الاسلام ، اوغير ميثاق (حاربكم اهل الكفر) لأنّ لكلّ ملّة اعداء .

(ثمّ لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا انصار) الّذين هاجروا مع الرّسول الى المدينة ، والّذين نصروه من اهل المدينة ــ الّذين هم اقوى ايمانا منكم ، واشهرعند النّاس ولذا يهابونهم (ينصرونكم) اذ من انحرف عن طريق الاسلام لا ينصره الله بارسال الملائكة ، ولا اصحاب الرّسول الأخيار ، فلا يبقى فى الميدان لمحاربة الكفّار (إلاّ) هو وحده لائذا بـ (المقارعة بالسّيف) فسيفه ناصره ــ فقط ــ (حتّى يحكم الله بينكم) ان شاء غلبتم ، والاّ غلب الكفّار ، بخلاف العامل بالاسلام حقيقة ، فانّ الله ينصره حتما كما قال : ((ان تنصروا الله ينصركم)) .

اقول : لقد صار حال المسلمين ــ اليوم ، وانا اكتب هذا الشّرح ــ كما قال الامام عليه السّلام اذ تركوا العمل بالاسلام ، فوكلهم الله الى انفسهم ،فقارعوا مع الكفّار وحدهم ، وغلب عليهم الكفّار ، حتّى انّ اليهود وهم اذلّ خلق الله سيطروا على بلادهم ــ فى فلسطين ــ ولم يتمكنوا من تحرك ساكن ، بله الأمم الكبار ، الّذين لا يعد دولة المسلمين امامهم شئ ينكر وقد ابتلعوا بلاد الاسلام واحدة تلو الأخرى ، فذهبت من ايديهم ((اسپانيا)) والهند ،والصّين ، و تاجكستان ، وبلاد افريقيا ، وغيرها ، والبلاد الباقية فى ايديهم لاشان لهم فيها ، وانّما هى خاضعة لقوانين الكفّار وسلطتهم ومكرهم وكيدهم ،هدى الله المسلمين ، وانقذهم من ايدى اعدائهم بمحمّد وآله الطّاهرين .

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَقَوَارِعِهِ ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ ، وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ . فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَلَعَنَ اللهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي !

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ ،

(وانّ عندكم الأمثال من باس اللّه) اى عذابه الذى صبّه على الّذين لا يمتثلون اوامره (وقوارعه) جمع قارعه ، وهى : العذاب الشّديد الّذى يقرع الأمة (وايّامه) الّتى صنع فيها بعض الأشياء غير المترقّبة ، يقال : يوم فلان اذا وصلت اليه فرحة او فاجعة غير مترقّبة (ووقائعه) جمع واقعه ، وهى القصّة الّتى تقع من قبله سبحانه على النّاس (فلا تستبطئوا وعيده) اى : لا تظنّوا انّ وعيده تعالى بالعذاب على المخالفين (جهلا) منكم (ب) كيفيّة (اخذه) تعالى للعصات (وتهاونا) منكم اى : تساهلا (ببطشه) اى ضربه وتعذيبه (ويأسا) منكم (من باسه) اى عذابه وشدّته . (فانّ اللّه سبحانه لم يلعن القرن الماضى بين ايديكم) والمراد بهم امّا بنو اسرائيل ، او الأمم الّذين كانوا فى الرّوم والفرس ، الّذين غلب المسلمون عليهم واخذوا بلادهم (الّا لتركهم الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر) تهاونا بهذين الواجبين .

(فلعن اللّه السّفهاء) أى طردهم عن رحمته ، والسّفهاء هم الّذين ارتكبوا المعاصى (لركوب المعاصى) وعلمهم بها (والحلماء) العقلاء منهم (لترك التّناهى) أى تركهم النّهى عن المعاصى ، و((التّناهى)) من باب التّفاعل ، لنهى بعض بعضا (الا وقد قطعتم قبل الاسلام) الّذى كان عليكم ، والمراد بقيد الاسلام

وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ.

أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِيَ ٱللّٰهُ بِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَٱلنَّكْثِ وَٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا ٱلْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ وَرَجَّةُ صَدْرِهِ.

احكامه، وقطعه، تركهم لها (وعطّلتم حدوده) الّتي جعلها اللّه سبحانه (وامتّم احكامه) فانّها اذا تركت كانت كالميّت لا ياتی منه خير.

(الا وقد امرنی اللّه بقتال اهل البغی) ای الظلم (والنّكث) ای الّذين نقضوا البيعة (والفساد فی الأرض) ای الّذين افسدوا فيها (فامّا النّاكثون) وهم طلحة والزّبير واصحاب الجمل الّذين بايعوا الامام عليه السّلام نقضوا بيعته حبّا للرّئاسة (فقد قاتلت) معهم.

(واما القاسطون) ای الظّالمون ـ كما قال سبحانه: ((وامّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبا)) ـ والمراد بهم الخوارج (فقد جاهدت) ای حاربت (وامّا المارقة) من مرق، بمعنى: خرج، وهم اصحاب معاوية الّذين خرجوا عن الدّين (فقد دوّخت) ای اضعفتهم واذللتهم، فی صفّين، وان بقی منهم شئ.

(واما شيطان الرّدهة) هی النّقرة فی الجبل، يجتمع فيها الماء، والمراد بشيطانها، ذو الثدية، رئيس الخوارج فقد وجد مقتولا فی ردهة (فقد كفيته) ای كفيت شرّه (بصعقة) ای غشية اصابته من الهول (سمعت لها) ای لتلك الصّعقة (وجبة قلبه) ای خفقانه واضطرابه (ورجّة صدره) ای اهتزازه وارتعاده، فقد اضطرب ذو الثدية عند قتله اضطرابا عظيما.

وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ ، وَلَئِنْ أَذِنَ ٱللهُ فِي ٱلْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ ٱلْبِلَادِ تَشَذُّراً .

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ ٱلْعَرَبِ ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ .وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِٱلْقَرَابَةِ ٱلْقَرِيبَةِ ، وَٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْخَصِيصَةِ . وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَىٰ صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ ،

(وبقيت بقيّة من اهل البغي) كمعاويه واصحابه (ولئن اذن الله في الكرة عليهم) اى فى رجوعى الى قتالهم ، واذن الله عبارة عن تهيته سبحانه للأسباب ، وابقائه للعمر (لاديلنّ منهم) اى آخذ الدّولة منهم (الآما يتشذّر) اى يتفرّق (فى اطراف البلاد تشذّرا) فانّ من فرّ منهم من يدى فله نصيبه ، امّا من بقى ، فسوف احاربهم وآخذ الدولة منهم ـ ان شاء الله ـ .

ثم بين عليه السلام انه قادر على ذلك بقوله : (انا وضعت فى الصّغر) اى فى حال صغر سنّى (بكلاكل العرب) جمع كلكل ، بمعنى الصّدر ، والمراد بها : رؤساء الكفّار الّذين قتلهم الامام عليهم السّلام (وكسرت نواجم) جمع ناجمه ، بمعنى : ما ظهر من الشئ (قرون ربيعة ومضر) اى ما كان يظهر من هاتين القبيلتين من الكفّار المحاربين للرّسول صلّى الله عليه وآله .

(وقد علمتم) ايها النّاس (موضعى من رسول الله) اى ارتباطى به صلّى الله عليه وآله ، وصلتى معه (صلّى الله عليه وآله) .

وذلك (بالقرابة القريبة) فانا ابن عمّه صلّى الله عليه وآله وسلّم (والمنزلة الخصيصة) اى الّتى كانت تخصنى دون غيرى .

(وضعنى) رسول الله (فى حجره وانا ولد) صغير (يضمّنى الى صدره) حبّا وعطفا ، كما يضمّ الأب الرّؤف ولده الى صدره (ويكنفنى الى فراشه) اى :

وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ . وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ. وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ

يؤوينى معه فى فراشه صلّى اللّه عليه وآله (ويمسّنى جسده) كما يمسّ الانسان جسده بجسد ولده حبّا وحنانا ، ولأجل التّقبيل والتّلطيف .

(ويشمّنى عرفه) هى الرّائحة الطّيبة ، فانّ الانسان اذا شمّ آخر ، دخل حبّه فى قلبه ، ولذا يشمّ الانسان ولده وحبيبه ، ولعلّ الرّسول صلّى اللّه عليه وآله كان يامر عليّا عليه السلام بذلك ليتمازج الحبّان ، اوانّه كناية عن تقريبه صلّى اللّه عليه وآله ، له عليه السّلام حتى كان يشمّ رائحته الطّيبة .

(وكان يمضغ الشى) باسنانه صلّى اللّه عليه وآله (ثمّ يلقمنيه) كما يفعل الانسان ذلك لولده ، حبّا له وعطفا عليه ، فقد اوتى بالامام الى الرّسول وهو رضيع (وما وجد) صلّى اللّه عليه وآله (لى كذبة فى قول) اذ لم اكذّب قط (ولا خطلة) اى خطأ (فى فعل) من الأفعال .

(ولقد قرن اللّه به — صلّى اللّه عليه وآله — من لدن) اى من وقت (ان كان فطيما) قد اخذ من الرضاع وشرب اللّبن (اعظم ملك من ملائكته) لعلّه الرّوح ، اوجبرائيل عليه السّلام (يسلك) ذلك الملك (به) صلّى اللّه عليه وآله (طريق المكارم) اى يرشده اليها (ومحاسن اخلاق العالم) اى الأخلاق الحسنة ، كالصدق ، والأمانة ، والوفاء ، وما اشبه ، (ليله ونهاره) اى كان الملك مع الرّسول صلّى اللّه عليه وآله ليلا ونهارا لا يفارقه ابدا .

(ولقد كنت اتّبعه) اى اتّبع الرّسول صلّى اللّه عليه وآله (اتّباع الفصيل

أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي. وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ. وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هٰذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ

اثر امّه) الفصيل ولد النّاقة ، ويسمّى بذلك لأنه فصل منها (يرفع لى كلّ يوم من اخلاقه علما) وسمّى ذلك بالعلم ، تشبيها باعلام الطّريق الدّالة على المسلك فانّ الأخلاق سبيل السّعادة فى الدّارين (ويامرنى بالاقتداء به) زيادة فى التّربية والتّوجيه .

(ولقد كان يجاور كلّ سنة بحراء) جبل على القرب من مكة ، كان النّبى صلّى اللّه عليه وآله يذهب اليه للخلوة بنفسه ومناجات ربّه (فاراه) صلّى اللّه عليه وآله (ولا يراه غيرى) حيث كنت معه ، ولم يكن معه احد .

(ولم يجمع بيت واحد يومئذ) اى يوم اذ بعث (فى الاسلام غير رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وخديجة) زوجته المفضلة عليها السلام (وانا ثالثهما) وكان العابد للّه سبحانه منحصرا فيهم (ارى نور الوحى والرّسالة) الظّاهرارادة ضيائهما المعنوى ، فانّ للحقّ نورا يعرفه اهله (واشمّ ريح النّبوة) شمّا معنويّا، وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ، او انّ المراد امر خارق ، كان يشمّه الامام .

(ولقد سمعت رنّة الشّيطان) اى انينه (حين نزل الوحى عليه صلّى اللّه عليه وآله ، فقلت يا رسول اللّه ما هذه الرّنة) ؟ الّتى اسمعها (فقال): صلّى

هٰذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَىٰ مَا أَرَىٰ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلٰكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَيْرٍ.

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَ أَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ

الله عليه وآله (هذا الشّيطان) وهذه رنّته (قدايس من عبادته) فكان الشّيطان كان عازما على اضلال النّاس الى حدّ ان يعبدوه حتّى تهيّئ اذهان اهل جزيرة العرب لمثل هذا النّحو من الكفر ـ كما نرى من بعض عباد ابليس فى بلاد سنجار ونحوها فى العراق ، فلمّا بعث الرّسول صلّى الله عليه وآله تاوّه لما راى من احباط الله سبحانه لمكره ومؤامراته ضدّ البشر ، ببعثه من يكون سببا لهدايتهم ، ثمّ قال الرّسول صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام (انّك تسمع ما اسمع) من صوت الوحى ، ورنّة الشّيطان ، وما اشبه (وترى ما ارى) من صورة الملائكة ، والشّيطان (الاّ انّك لست بنبىّ) اذ النّبى من امر ابتداءً بتبليغ الرّسالة (ولكنّك وزير) معيّن لى (وانّك لعلى خير) فى المستقبل .

(ولقد كنت معه صلّى الله عليه وآله لما اتاه الملأ من قريش) اى الاشراف منهم ، وانّما سموا بالملأ ، لأنهم يملئون الصّدور والعيون هيبة وجلالا (فقالوا له يا محمّد انّك قد ادّعيت عظيما) من الأمر (لم يدعه آباؤك) الأقربون (ولا احد من بيتك) من قريش ومطلب وهاشم (ونحن نسالك امرا ان اجبتنا اليه و اريتناه) بان اتيت بهذه المعجزة الّتى نسئلك ايّاها ، حتّى نشاهدها بأعيننا (علمنا انّك نبىّ ورسول ، وان لم تفعل) تلك المعجزة (علمنا انّك ساحر

كَذّابٌ . فَقالَ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «وَمَا تَسْأَلُونَ؟» قَالُوا : تَدْعُو لَنا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ حَتّىٰ تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «إِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ ٱللهُ لَكُمْ ذٰلِكَ ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟» قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَىٰ خَيْرٍ . وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي ٱلْقَلِيبِ وَمَنْ يُحَزِّبُ ٱلْأَحْزَابَ» ، ثُمَّ قَالَ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي

كذّاب) لست نبى (فقال صلى الله عليه وآله : وما تسالون) عنّى ؟ (قالوا : تدعو لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع) عن الأرض (بعروقها) جمع عرق (و) تاتيك فـ (تقف بين يديك) مثل اتيان شخص اليك .

(فقال صلّى الله عليه وآله : إنّ الله على كلّ شئ قدير) فيقدر على مثل ذلك الّذى طلبتموه (فان فعل الله لكم ذلك) الّذى سالتموه (اتؤمنون) بى ؟ (وتشهدون بالحقّ) الّذى بعثت به ؟ (قالوا : نعم ، قال) صلّى الله عليه وآله (فانّى ساريكم ما تطلبون ، وانّى لأعلم انّكم لا تفيئون) اى لا ترجعون (الى خير) فلا تؤمنون بى (وانّ فيكم من يطرح فى القليب) اى فى بئر بدر ـ والبئر تسمّى قليبا ـ وذلك انهم جائوا الى حرب الرّسول ـ وهو فى المدينة ـ وتحارب الطرفان فى محل يسمّى ((بدرا)) وقتل جمع من الكفّار ، و طرحوا فى تلك البئر الّتى كانت موجودة هناك .

(ومن يحزّب الأحزاب) وهم كبراء قريش ، الّذين جمعوا احزابا مختلفة ، وجائوا الى حرب الرّسول ، فى غزوة ((خندق)) المشهورة (ثم قال صلى الله عليه وآله : يا ايّتها الشّجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين انّى

رَسُولُ ٱللهِ ، فَٱنْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّىٰ تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ ٱللهِ».

فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِٱلْحَقِّ لَٱنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا ، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ ٱلطَّيْرِ ؛ حَتَّىٰ وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرَفْرِفَةً ، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا ٱلْأَعْلَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَىٰ مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ ٱلْقَوْمُ إِلَىٰ ذٰلِكَ قَالُوا ـ عُلُوًّا وَٱسْتِكْبَاراً ـ : فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَىٰ نِصْفُهَا ، فَأَمَرَهَا

رسول الله فانقلعي بعروتك) عن الأرض (حتّى تقفى بين يدىّ باذن اللـــه) تعالى .

ثم قال الامام عليه السّلام ، وهو يحكى هذه القصّة (فوالّذى بعثه بالحقّ) ((الواو)) للقسم ، والّذى بعث الرّسول بالحقّ هو الله سبحانه (لانقلعت) الشّجرة ، و ((اللام)) للتاكيد (بعروقها) اى مع عروقها (وجائت) الى الرّسول صلّى الله عليه وآله (ولها دوى) اى صوت (شديد وقصف) اى : صوت (كقصف اجنحة الطّير) وقت رفيفها بشدّة .

(حتّى وقفت بين يدى رسول الله صلّى الله عليه وآله مرفوفة) رفرف الطّائر اذا بسط جناحه على شئ ، والمراد انّ الشّجرة بسطت اغصانها على الرّســول صلّى الله عليه وآله (والقت بغضها الأعلى على رسول الله صلّى الله عليه وآله) لعلّ المراد حماسته لجسمه الشّريف (وببعض اغصانها على منكبىّ) والمنكب ما بين العنق والعضد (وكنت عن يمينه صلّى الله عليه وآله) اذ ذاك .

(فلمّا نظر القوم) الكفّار (الى ذلك قالوا ـ علوّا واستكبارا ـ) لاتفهما واستظهارا (فمرها فلياتك نصفها ويبقى نصفها) فى مكانها (فامرها) الرّسول

بِذٰلِكَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالُوا - كُفْراً وَعُتُوّاً - : فَمُرْ هٰذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ نِصْفِهِ كَمَا كَانَ ، فَأَمَرَهُ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ ؛ فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ ، وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ . فَقَالَ ٱلْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ،

صلّى الله عليه وآله (بذلك) الذى طلبوا (فاقبل اليه) صلّى الله عليه وآله (نصفها كاعجب اقبال) بسرعة وعدو (واشدّه دويّا) اى صوتا (فكادت) اى اقترب ان (تلتفّ برسول الله صلّى الله عليه وآله) من شدّة الالتصاق به .

(فقالوا - كفرا وعتوّا -) اى ظلما ، اى انّ قولهم كان ناشئا عن ذلك ، لا عن تفهّم الحق ، والايمان به (فمر هذا النّصف) الّذى جائك (فليرجع الى نصفه) الباقى (كما كان) حتّى يستويان شجرة (فامره صلّى الله عليه وآله فرجع) كما طلبوا وارادوا .

(فقلت انا : لا اله الاّ الله ، فانّى اوّل مؤمن بك يا رسول الله) و ليس المراد ايمانه عليه السّلام هناك ، وانّما تجديد لاظهار ايمانه ، تقوية ، لأزر الرّسول صلّى الله عليه وآله وتشجيعا لمن يريد الايمان (واوّل من اقرّ بأنّ الشّجرة فعلت ما فعلت) من الانقلاع والمجئ اليك (بامر الله تعالى ،تصديقا بنبوّتك واجلالا لكلمتك) حتّى لا يضع كلامك فارغا هباءا (فقال القوم) الحاضرون (كلّهم : بل ساحر كذّاب) اى كثير الكذب فى دعواه النّبوة (عجيب السّحر) حيث يطيعه الكائنات (خفيف فيه) فانّ الخفّة فى الأعمال دليل الحذق .

وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا ! (يَعْنُونَنِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي ٱللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ ، سِيمَاهُمْ سِيمَا ٱلصِّدِّيقِينَ ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ ٱلْأَبْرَارِ ، عُمَّارُ ٱللَّيْلِ وَمَنَارُ ٱلنَّهَارِ. مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ ؛ يُحْيُونَ سُنَنَ ٱللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ ؛ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ ، وَلَا يَغُلُّونَ وَلَا يُفْسِدُونَ . قُلُوبُهُمْ فِي ٱلْجِنَانِ ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي ٱلْعَمَلِ !

(وهل يصدّقك) يا محمّد (فى امرك) العمل (الآمثل هذا) الشّخص (يعنونى) اى يعنون بـ ((هذا)) الامام عليه السلام ؟ (وانّى لمن قوم لا تاخذهم فى الله لومة لائم سيماهم) اى ظاهرهم (سيّما الصّديقين) هم الّذين يكثرون تصديق الله و الرّسول فانّ سيماء الصديق وقر ، متواضع ، خاشع ، قليل الكلام ، وما اشبه ذلك .

(وكلامهم كلام الأبرار) الّذين لا يكذبون ، ولا يستغيبون ، ولا يبهتون ولا يستهزئون ، اى انّى من اولئك القوم (عمّار اللّيل) اى القائمون بالطّاعة و العبادة ليلا ، وعمّار جمع عامر (ومنار النّهار) بهم يستنير النّاس فى امور دينهم

(متمسّكون بحبل القرآن) كان القرآن حبل الله ، الّذى القاه للنّاس ، فمن تعلّق به رفعه الله الى الجنان .

(يحيون سنن الله) احياء السّنة عبارة عن العمل بها وحضّ النّاس عليها (وسنن رسوله) ما ورد عنه صلّى الله عليه وآله ، وان لم يكن فى القرآن الحكيم (لا يستكبرون) اى لا يتكبّرون (ولا يعلون) اى لا يريدون علوّا فى الأرض ، وانّما همّهم الآخرة (ولا يغلّون) اى لا يخونون (ولا يفسدون) فى الأرض.

(قلوبهم فى الجنان) يريد الذّهاب اليها (واجسادهم فى العمل) الصّالح الموجب لسعادة النّشأتين .

وَمِنْ خُطبةٍ لهُ عَليهِ السَّلام

يصف فيها المتقين

روي أن صاحبا لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلاً عابداً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم . فتثاقل عليه السلام عن جوابه ثم قال : يا همام ، اتق الله وأحسن : فـ« ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » . فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي – صلى الله عليه وآله – ثم قال عليه السلام :

وَمِنْ خُطبةٍ لهُ عَليهِ السَّلام

يصف فيها المتّقين (روى انّ صاحبا لأمير المؤمنين عليه السّلام يقال له همام، وكان رجلا عابدا ، فقال يا امير المؤمنين صف لى المتّقين حتّى كانّى انظر اليهم ، فتثاقل عليه السّلام) اى تباطئ (فى جوابه ، ثم قال : يا همام اتّق اللّه و احسن) و الاحسان فوق التّقوى ، بان يعمل الانسان بالرّغائب و المندوبات (فانّ اللّه مع الّذين اتّقوا و الّذين هم محسنون) و لعلّ تثاقل الامام و اختصاره فى الجواب لما يعلم من انّ التفصيل موجب لهلاكه ، كما ياتى فى آخر الخطبة (فلم يقنع همّام بهذا القول حتّى عزم عليه) اى اصر ان يجيبه اجابة مفصلة ،واقسم الامام على ذلك (فحمد اللّه و اثنى عليه ، و صلّى على النّبى صلى الله عليه و آله ثم قال) عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - خَلَقَ ٱلْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ. فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ : مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ، وَمَلْبَسُهُمُ الِاقْتِصَادُ ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ ،

(اما بعد) اى بعد الحمد و الصّلاة (فانّ اللّه سبحانه و تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيّا عن طاعتهم) اى لم يكن محتاجا لطاعتهم (آمنا من معصيتهم) فلم يكن يخاف من عصيانهم (لأنه لا تضرّه معصية من عصاه) و انّما تضرّ المعصية ذات العاصى (ولا تنفعه طاعة من اطاعه) و انّما تنفع الطّاعة نفس المطيع .

(فقسم بينهم معيشتهم) اى ارزاقهم التى يعيشون بها (و وضعهم من الدّنيا مواضعهم) اى جعل كلّ واحد من النّاس فى الموضع اللّائق به ، بحيث ان بمثل هذه المواضع تدار امور الكون .

(فالمتّقون فيها) اى فى الدّنيا (هم اهل الفضائل) الّتى تزين الانسان و تحلّيه (منطقهم الصّواب) اى كلامهم صواب لا هذر ولا محرم فيه ، و المنطق مصدر ميمى ، بمعنى : النطق .

(و ملبسهم) اى لباسهم (الاقتصاد) فالاقتصاد فى الأمور ، و التّوسّط بلا زيادة و نقيصة ، كاللّباس لهم الّذى به يعرف الانسان ، و يحتمل ان يكون المراد انهم متوسطون فى ثيابهم ، لا يلبسون غاليا ، ولا مبتذلا (و مشيهم التواضع) اى يمشون فى الأرض متواضعين ، او المراد بالمشى السلوك ، فانّ الانسان المتواضع قلبه يتواضع فى كل سلوكه .

(غضّوا ابصارهم عمّا حرّم اللّه عليهم) اما المراد غض البصر عن مثل النظر الى

وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ لَهُمْ . نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي ٱلْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي ٱلرَّخَاءِ . وَلَوْلَا ٱلْأَجَلُ ٱلَّذِي كَتَبَ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، شَوْقاً إِلَى ٱلثَّوَابِ ، وَخَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ . عَظُمَ ٱلْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، فَهُمْ وَٱلْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا ، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ ،

الأجنبيّة ، او المراد غض البصر عن المحرّمات مطلقا ، اى انّهم لا ينظرون الى المحرّمات بنظر الارادة و التّعاطى (و وقفوا اسماعهم على العلم النّافع لهم) فلا يضيعون اسماعهم فى استماع اللّغو فكيف بالمحرم ؟ ٠

(نزّلت انفسهم منهم فى البلاء كالّتى نزّلت فى الرّخاء) اى نفوسهم فى البلاء و الرّخاء على حدّ سواء ، لا انهم يجرعون عند البلاء ، شان الذين لا رزانة لأنفسهم (و لولا الأجل الّذى كتب لهم) اى كتب اللّه لهم ، و المدّة المقرّرة عنده تعالى لهم (لم تستقرّ ارواحهم فى اجساد هم طرفة عين) اى مقدار ان يحرك الانسان عينه (شوقا الى الثّواب ، وخوفا من العقاب) فانّ كثرة الرغبة و الرهبة توجبان ـ فى الأولى ـ خلو القلب من الدم ، لأنّ الدم يتوجه الى الخارج للتملى من اللّذة ـ و فى الثانية ـ كثرة الدم فى القلب ، لأن الدم يتوجه الى الداخل فرارا من المؤلم و فى كل واحد من هذين الأمرين هلاك الانسان

(عظم الخالق فى انفسهم) حيث ادركوا بعض عظمته سبحانه (فصغر ما دونه فى اعينهم) اذ الانسان اذا عرف شيئا عظيما قاس سائر الأشياء بذلك الشئ ، و لذا تصغر تلك الأشياء فى عينه ٠

(فهم و الجنة كمن قد راها) فانّ الانسان اذا طال فكره فى شئ ارتسم ذلك الشئ فى نفسه حتّى كانه حسه باحدى حواسه (فهم فيها منعّمون) فانّ ارتسام

وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا ، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ . قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ ،وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ ،وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً . تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ . أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا ، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا .

النعمة رتبة من رتب التنعم (وهم والنّار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون) على غرار ما ذكر فى الجنّة .

(قلوبهم محزونة) لأنهم لا يدرون ماذا يصنع بهم ، وهذا لا ينافى قوله تعالى : ((الا انّ اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) لأنّ ذلك الحزن على الأمور الدّنيوية ، والحزن فى امر الآخرة ، الذى يلازم العصات ، و الحزن هنا ما يلازم المتّقين من جهة الدّرجات وما اشبه (وشرورهم مامونة) يامن النّاس شرّهم ، لأنهم لا ياذون احدا (واجسادهم نحيفة) لكثرة تفكرهم و عملهم ، وقلّة اكلهم ، فانّ ذلك كلّه يوجب نحافة الجسم .

(وحاجاتهم خفيفة) اذ المؤمن لا يرغب فى كثير من الدنيا حتى تكون حاجته اليها كثيرة (وانفسهم عفيفة) عفّت عن الآثام والمعاصى وتنزّهت من ارتكاب المحرمات (صبروا ايّاما قصيرة) اى ايام الدنيا (اعقبتهم) تلك الأيّام اى الصّبر فيها (راحة طويلة) فى الآخرة لهم (تجارة مربحة) فانّ عمل الانسان فى الدّنيا فى حكم التّجارة ، اذ يعمل هنا ، وياخذ هناك .

(يسّرها) اى سهّل هذه التجارة (لهم ربهم) اذ جعل الثواب بازاء العمل ، وبيّن ذلك لهم بسبب الأنبياء (ارادتهم الدّنيا فلم يريدوها) بمعنى انّهم اعرضوا عن الدنيا ، ولم يصرفوا وقتهم فى تحصيلها ، وانما صرفوه فى تحصيل الآخرة .

(واسرتهم) اى جعلتهم الدّنيا اسيرا لنفسها (ففدوا انفسهم منها)

أَمَّا ٱللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ ٱلْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً . يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ . فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً ، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً ، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ . وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا

تاسير الدنيا عبارة تزيين الدنيا نفسها لهم حتى يطلبوها ، وتغدية انفسهم بترك الدنيا و زخارفها ٠

(امّا اللّيل فصافون اقدامهم) اى يصطفون احدى رجليهم بازاء الأخرى قائمين (تالين) اى قارئين (لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلا) و الترتيل اظهار الحروف و الوقف على الوقوف او التدبر ، او هما معا ٠

(يحزنون به) اى بالقرآن (انفسهم) فانّ الانسان اذا تذكر الأمور المحزونة حزن ، كماانه اذا تذكر الأمور المفرحة فرح ، و القرآن حيث يشتمل على التخويفات يوجب الحزن ٠

(و يستثيرون) اى يهيجون (به) اى بسبب القرآن (دواء دائهم) المراد به البكاء ، و الداء الكمد الحاصل للانسان من الهموم و الأحزان ، فاذا بكى سكن الدّاء الكائن فى قلبه ، او انّ المراد التعرّف على علاج الرّذائل الّتى هى داء ٠

(فاذا مروا بآية فيها تشويق) الى الثواب (ركنوا اليها طمعا) اى اتكلوا الى تلك الآية راجين ان يصلهم ذلك الثّواب (و تطلّعت نفوسهم اليها) اى الى تلك الآية ، و التطلع النظر الى المحبوب ليطلع عليه (شوقا) الى الثواب ٠

(وظنّوا انّها نصب اعينهم) من كثرة اشتياقهم ، فان الانسان اذا اشتاق الى شئ تفكر فيه كثيرا ، و ذلك ما يوجب ارتسامه فى ذهنه ٠

(و اذا مرّوا بآية فيها تخويف) عن العقاب (اصغوا اليها) الاصغاء

مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ ، يَطْلُبُونَ إِلَىٰ ٱللهِ تَعَالَىٰ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ . قَدْ بَرَاهُمُ ٱلْخَوْفُ بَرْيَ ٱلْقِدَاحِ

الاستماع (مسامع قلوبهم) بمعنى انّهم التفوا اليها بقلوبهم ، لا باسماعهم فقط

(وظنّوا انّ زفير جهنّم و شهيقها) الزّفير و الشّهيق صوت تنفّس الانسان ، جذبا للهواء و اخراجا لها الى الخارج ، و النّار لها هذان الصوتان حين اشتعالها و التهابها (فى اصول آذانهم) اى فى اعماق آذانهم ، و ذلك كناية عن شدّة تاثّر النفس بها (فهم حانون) حتى يحنو اذا انحنى (على اوساطهم) فانّ الانسان الخائف يحنى نفسه ، و ذلك ليكون الضّغط على قلبه اكثر ، فيحس بالطمأنينة ، مما يسببها تجمع الدم فى القلب ، او المراد الرّكوع .

(مفترشون لجباههم و اكفّهم و ركبهم و اطراف اقدامهم) هى المواضع الّتى تصل الى الأرض حال السّجود (يطلبون الى اللّه تعالى فى فكاك رقابهم) اى خلاصها من النّار ، و انّما نسب الى الرّقبة ، لأنها محل الذنب ، بعلاقةانها محل السيف ، فى الشخص المجرم ، قال الشاعر بالنسبة الى الامام عليه السلام :

وضربته كبيعته نجم   مواقعه من النّاس الرقاب

(و اما النهار ف) هم (حلماء) جمع حليم ، فى اعمالهم (علماء) جمع عالم (ابرار) جمع بر ، و هو المحسن (اتقياء) جمع تقى ، بمعنى المجتنب عن المعصية (قد براهم الخوف) اى نحتهم الخوف من اللّه و الخوف من الذنب (برى القداح) جمع قدح بالكسر ، و هو السهم ، قبل ان يراش ، فانّ الخوف يوجب اذابة اللّحم ، فقد رقق اجسادهم كما ترقق السهام بالنحت .

يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ ٱلنَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَىٰ ، وَمَا بِٱلْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ ؛ وَيَقُولُ : قَدْ خُولِطُوا !

وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ! لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ ٱلْقَلِيلَ ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ ٱلْكَثِيرَ . فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ هُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ ، فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ بِنَفْسِي !

(ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى) لما يرى عليهم من آثار الضّعف و صفرة الوجه و ما اشبه (وما بالقوم من مرض) اذ ما يشاهد فيهم من آثار الصيام والصلاة والسهر (ويقول) الناظر (قد خولطوا) اى خلط عقلهم خلل لما يراهم من الانقطاع عن النّاس و البكاء و ما اشبه ــ مما قد يكون مثل ذلك فى المجانين ،ــ

(ولقد خالطهم امرعظيم) هو الخوف من الله سبحانه الذى اقلقهم و اسهرهم .

(لا يرضون من اعمالهم القليل) فانّ الانسان اذا علم بالثّواب الّذى امامه ، لابد وان يستقل عمله ولا يرضى بقليله .

(ولا يستكثرون الكثير) اذ الثواب من الكثرة بحيث كل عمل كثير لا يفى بـه (فهم لأنفسهم متهمون) يتهمونها بالتقصير و الكسالة (ومن اعمالهم) الّتى عملوها (مشفقون) اى خائفون ، هل قبلت حسناتهم ؟ وهل يعاقبون على غير الحسنات ؟ (اذا زكى احد هم) اى مدحه النّاس (خاف مما يقال لـه) خوف من يخشى ان لا يكون كذلك فيفضح غدا او يخشى ان يسبب المدح له كبرا و نخوة .

(فيقول :) لرد المادح (انا اعلم بنفسى من غيرى) وهذا عبارة اخرى عن القدح (وربّى اعلم بى من نفسى) اذ ــ حتى الانسان نفسه ــ لا يعـرف

اَللّٰهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ .

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ ، وَحَزْماً فِي لِينٍ ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ ، وَقَصْداً فِي غِنًى ، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ ،

نفسه ، ثم يتوجهون الى الله سبحانه تواضعا قائلين ·

(اللّهمّ لا تؤاخذنى بما يقولون) مؤاخذة من يرضى بما ليس فيه ، كما قال سبحانه : ((لا تحسبنّ الّذين يفرحون بما اوتوا و يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب)) (واجعلنى افضل ممّا يظنّون) اى يظنّ هؤلاء المادحون فىّ من الخير و الصلاح · (واغفر لى ما لا يعلمون) من هفواتى و تقصيرى ·

(فمن علامة احدهم) اى احد هؤلاء المتّقين (انّك ترى له قوّة فى دين) اى انّ دينه قوىّ لا يزول بمجرد زخارف الدنيا و شهوات النّفس و ما اشبه (وحزما فى لين) اى انّه متقن لأموره ، لكن بدون عنف ، بل يعاشر النّاس و يعمل بكل رفق و لين ·

(وايمانا فى يقين) فهو مؤمن فى الظّاهر متيقّن فى الباطن (وحرصا فى علم) اى فى التعلم و التعليم · (وعلما فى حلم) فانّ العالم يحتاج الى الحلم الكثير ، لأنه ـ بعلمه ـ يرى انحراف النّاس ، فيلزم ان يكون حليما حتّى يتمكن من اجابة المسائل و من الاصلاح ·

(وقصدا فى غنى) اى انّه و لو كان غنيّا ، يتوسّط فى اموره ، بدون سرف ولا بخل (وخشوعا فى عبادة) اى يعبد خاشعا خاضعا للّه سبحانه ، لامجرد اتيان الظواهر (وتجمّلا فى فاقة) اى الفقر ، فانّ الفقراء غالبا لا يهتمّون

وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ ، وَطَلَباً فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَىٰ وَجَلٍ . يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً ؛ حَذِراً لَمَّا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ .

باصلاح ظواهرهم ، وذلك ممّا يوجب ذلّتهم علاوة على فقرهم ،ويستحب للانسان ان يتجمل ، فان الله جميل يحب الجمال ، كما ورد .

(وصبرا فى شدّة) فانّ المصائب اذا وردت على الانسان لم يكن امامه الآ الصبر او الجزع ، وفى الأول خير الدنيا بسكون النفس ، وخير الآخرة بالثواب والأجر .

(وطلبا فى حلال) مقابل الطلب كيفما كان حلالا ام حراما (ونشاطا فى هدى) اى الجد والقوة فى الهداية ، بان يعمل بلا كلل فى سبيل الهداية والاهتداء (وتحرّجا) بمعنى : عدّ الشئ حرجا اى اثما وصعبا (عن طمع) فلا يطمع فى مال النّاس ، اوما اشبه ذلك .

(يعمل الأعمال الصّالحة وهو فى وجل) اى خوف ، هل انه عمل بما يلزم عليه ام لا ؟ (يمسى) اى يدخل المساء ، بمعنى : العصر ، او اللّيل .

(وهمّه الشّكر) للّه سبحانه ، على ما انعم عليه من اوّل الصباح .، فان الشكر بعد النّعمة (ويصبح وهمّه الذّكر) للّه تعالى ، فانّ الانسان يتذكر اللّه سبحانه عند الصّباح كانه وجود من جديد (يبيت) اى يدخل اللّيل (حذرا) لا يدرى يبقى الى الصّباح فى امن وسلامة وذكر (ويصبح فرحا) حيث مرّ عليه اللّيل بسلام (حذرا من الغفلة) بان يعد من الغافلين ــ وهذا مصداق لقوله : ((حذرا)) (وفرحا بما اصاب) وادرك (من الفضل والرّحمة) من طرفه سبحانه .

إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى ، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ . تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ ، قَلِيلاً زَلَلُهُ ، خَاشِعاً قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُهُ ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ ، سَهْلاً أَمْرُهُ ، حَرِيزاً دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ .

(ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره) اى اذا لم تطاوعه نفسه فيما يشق عليها من الطّاعة (لم يعطها سؤلها فيما تحب) بان يترك الطّاعة ، و ياخذ بالشّهوات الّتى تريدها نفسه ٠

(قرّة عينه) اى فرحه و الأصل فيه ان عند الفرح تستقر العين ، فلا تتحرك كالمضطرب الذى ينظر هنا و هناك ليجد الملجا و المفر (فيما لا يزول) اى : الآخرة (و زهادته) اى تفرقه (فيما لا يبقى) اى الدنيا ٠

(يمزج الحلم بالعلم) اى يتّصف بالحلم مع انّه عالم ، وذلك لأنّ العلم يحتاج الى حلم كبير ليعلّم الجهّال ، ويتعلم هو بنفسه المسائل العضال ٠

(و القول بالعمل) فلا يكتفى بالأقوال فقط (تراه) ايها الرّائى (قريبا امله) لا يامل بعيدا ، كامل اهل الدّنيا الذين يرون انفسهم باقين فيها مدّة مديدة ، فانّ طول الأمل ينسى الآخرة ٠

(قليلا زلله) جمع زلة ، بمعنى : العصيان ، وفعل ما لا ينبغى ، فانّ الانسان اذا كان واعيا ملتفتا تقل خطاياه (خاشعا) اى خاضعا للّه سبحانه (قلبه) لا ان يكون قلبه صلدا ، و انّما الخشوع سمة جوارحه فقط ، كالمرائى (قانعة نفسه) بما اعطاه اللّه سبحانه ٠ (منزورا اكله) اى قليلا ، من النزر (سهلا امره) لا يتكلّف فى اموره كما يتكلّف اهل الدّنيا فى امورهم ٠

(حريزا) اى حصينا محفوظا (دينه) لا ينثلم بالشّهوات (ميّتة شهوته) كناية عن عدم اتّباعه للشهوات (مكظوما غيظه) الكظم الاخماد ، اى لا يظهرغضبه

الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ . إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، بَعِيداً فُحْشُهُ ، لَيِّناً قَوْلُهُ ، غَائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ ، مُدْبِراً شَرُّهُ. فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ ، وَفِي الرَّخَاءِ

اذا غضب (الخير منه مامول) يامل النّاس خيره ، لأنه من اهل الخير (و الشّر منه مامون) اذ لا يريد شرّا بالنّاس .

(ان كان) بجسده (فى الغافلين) بان كان فى جملتهم جسما (كتب فى الذّاكرين) للّه سبحانه لأنه ذاكر بقلبه .

(وانكان فى الذّاكرين) بجسده (لم يكتب من الغافلين) لأنه ذاكر كما هم ذاكرون ، لا انه كالغافل فى وسط الذين يذكرون اللّه سبحانه (يعفو عمّن ظلمه)، كما قال سبحانه : ((و ان تعفوا اقرب للتّقوى)) (و يعطى من حرمه) لأنه لا يريد الانتقام فاذا كان الذى حرمه اهلا لأن يعطى اعطاه .

(ويصل من قطعه) فانه لا يفعل القطيعة المذمومة ، انتقاما ، ولو ان طرفه قطعه (بعيدا فحشه) اى كلامه القبيح ، و السباب ، ومعنى بعده عدم تناوله له .

(ليّنا قوله) لا خشنا و لا جافيا (غائبا منكره) اى لا يفعل الأفعال المنكرة (حاضرا معروفه) اى يعمل العمل المعروف (مقبلا خيره مدبرا شرّه) اى يعمل الأول ويترك الثانى .

(فى الزّلازل وقور) اى لا يضطرب فى الشّدائد ، فانّ الاضطراب فيها يوجب عدم التمكن من مقاومتها ، وعدم المجال لفكر كيفية حلّها و التّخلص منها .

(و فى المكاره صبور) يصبر عند الأمر المكروه ، حتى يمر بسلام (وفى الرّخاء)

شكُورٌ . لَا يَحِيفُ عَلَىٰ مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ ، وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّىٰ يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ .

والسعة (شكور) كثير الشكر له سبحانه (لا يحيف) اى لا يجور (على من يبغض) كما هو عادة كثير من الناس اذا غضبوا جاروا بالقول والعمل على من غضبوا عليه (ولا يأثم) اى لا يعصى الله (فيمن يحب) لارضاء حبيبه ،، فلا يفرط فى لوازم المحبّة ، كان يعطى من يحبه اكثر من استحقاقه ــ مثلا ــ .

(يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه) اى يطلب منه الشّهادة حرصا له على احقاق الحق (لا يضيع ما استحفظ) اى ما جعل عنده وديعة ، ليحفظها .

(ولا ينسى ما ذكر) فلو ذكره الله سبحانه شيئا ، او ذكره احد ، لا ينسى ذلك الشئ ، اهمالا وتساهلا (ولا ينابز بالألقاب) اى لا يدعو غيره باللقب الذى يكره ، كما قال سبحانه : ((ولا تنابزوا بالألقاب)) .

(ولا يضار بالجار) اى لا يكون سببا لضرر الجار (ولا يشمت بالمصائب) فلا يفرح اذا نزل بغيره مصيبة ، ولا يقول قول المتشفى .

(ولا يدخل فى الباطل) كيفما كان من قول او عمل (ولا يخرج من الحق) بان يتركه (ان صمت) اى سكت (لم يغمّه صمته) اى لم يحزن لسكوته ، لأنه يرى الصّمت فضيلة (وان ضحك لم يعل صوته) فانّ ذلك قبيح ، وانّما ضحكه التّبسم .

(وان بغى عليه) اى ظلم (صبر حتّى يكون الله هو الّذى ينتقم له) فانّ

نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .

قال : فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : أَهكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا ؟

الله ياخذ بحق المظلوم من الظالم .

(نفسه منه فى عناء) اى فى تعب من الأعمال الصّالحة (والنّاس منه فى راحة) لأنه لا يؤذى احدا (اتعب نفسه لآخرته) عبادة وعملا صالحا (واراح النّاس من نفسه) فلا يكلّفهم ولا يؤذيهم .

(بعده عمّن تباعد عنه زهد ونزاهة) فانه اذا تباعد عن شخص كان لأجل اطاعة الله فى الابتعاد ، ولأنه يريد ان لا يتلوث باثامه ، لا ان يكون ابتعاده لأجل هوى نفسه (ودنوّه ممّن دنا منه) اى اقترب اليه (لين) اى دنو لين (ورحمة) يرحمه بها ، لا خدعة وابتزاز لماله ، او نحو ذلك .

(ليس تباعده بكبر وعظمة) كما ذلك عادة الجبّارين (ولا دنوّه بمكر وخديعة) وهاتان الجملتان مصداقان لما سبق .

(قال) الراوى (فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها) اى فى تلك الصعقة اى الغشوة ((نفسه)) بان مات من شدة التاثّر بهذه الخطبة ((فقال امير المؤمنين عليه السلام)) :

(اما والله لقد كنت اخافها) اى الصعقة ، (عليه) اى على همام (ثم قال) عليه السلام : (اهكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها) ؟ الاستفهام للتعجّب عن صنع الموعظة ، وانما يموت الانسان لشدة الفرح الموجبة لخلو

فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ؟

فقال : وَيْحَكَ ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ ، وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ . فَمَهْلًا ، لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا ، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِكَ !

القلب عن الدم ، او لشدة الحزن الموجبة لامتلاء القلب بالدم (فقال له قائل : فما بالك يا امير المؤمنين) ؟ اى لماذا لا تموت انت مع اطّلاعك على هذه الموعظة .

(فقال :) (ويحك) كلمة توبيخ ، وقد تستعمل فى الاطراء (اذ لكلّ اجل) فى انقضاء عمر الانسان (وقتا لا يعدوه) اى لا يتجاوز عنه (وسببا) اى للموت (لا يتجاوزه) ولو الى قبل ذلك الوقت (فمهلا) اى انتظر فى كلامك وترو (لا تعد لمثلها) اى لمثل هذه الكلمة (فانّما نفث) اى نفخ (الشيطان على لسانك) حتى تكلمت بهذا الكلام ، والسر ان النفوس الكبيرة لا تتاثّر بما تتاثّر به النّفوس الصغيرة ، ولذا ترى شدّة فرح انسان صغير بدمية ، او شدة حزنه لفقد درهم ، مما لا يؤثر اضعاف ذلك ، فى النفس الكبيرة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً ، وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً. وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، خَاضَ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ . وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ ، وَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يصف فيها المنافقين

(نحمده) تعالى (على ما وفّق له من الطّاعة) اى من الطاعة له تعالى (وذاد) اى دفع (عنه) سبحانه (من المعصية) اى دفع المعصية عن نفسه بارشاد الانسان الى مواضع سخطه (و نسئله لمنّته) اى فضله (تماما) بان يتم فضله علينا (و بحبله اعتصاما) اى يوفقنا لأن نعتصم بحبله ، والمراد دينه ·

(و نشهد انّ محمّدا عبده و رسوله) ذكرنا سابقا ان تقديم ((عبده)) لعلّه فى مقابل اليهود و النّصارى الذين يجعلون انبيائهم ابناء الله و شركائه ·

(خاض الى رضوان الله كل غمرة) اى دخل فى كل شدة لأجل رضاه سبحانه (و تجرّع فيه) اى فى رضاه (كلّ غصّة) اذا شرب الانسان الماء فلم يسغه بان لم ينزل من حلقه بسهولة ، يقال : غص بالماء (وقد تلوّن له الأدنون) اى تقلب له اقربائه صلى الله عليه و آله فكانوا يوما له و يوما عليه ، الآ النّادر منهم (و

تَأَلَّبَ عَلَيْهِ ٱلْأَقْصَوْنَ ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ ٱلْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا ، وَضَرَبَتْ إِلَىٰ مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا ، حَتَّىٰ أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا ، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ ، وَأَسْحَقِ ٱلْمَزَارِ .

أُوصِيكُمْ ، عِبَادَ ٱللهِ ، بِتَقْوَىٰ ٱللهِ ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ ، **فَإِنَّهُمُ** الضَّالُّونَ ٱلْمُضِلُّونَ ، وَالزَّالُّونَ ٱلْمُزِلُّونَ ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً ، وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً .

تالب) اى اجتمع على عداوته (الاقصون) اى الأبعدون الذين لم يكن لهم قرابة معه صلى الله عليه وآله .

(وخلعت اليه العرب اعنّتها) جمع عنان ، وهو الزمام ، اى انهم صاروا ضده يعادونه (وضربت الى محاربته بطون رواحلها) جمع راحلة ، وهى الناقة ، اى انهم ساقوا ركائبهم لمحاربته ، فان الانسان اذا اراد سرعة مشى دابته ضرب برجله بطنها (حتّى انزلت) العرب (بساحته) اى بفناء محله ، و المراد المدينة المنورة (عداوتها) اى جائوا الى هناك لمعاداته (من ابعد الدار) وهى مكة (واسحق المزار) اى اقصى محل الزيارة ، فان السحق بمعنى البعد .

(اوصيكم) يا (عباد الله بتقوى الله) اى الحذر منه و اجتناب محرّماته (و احذركم اهل النفاق) اى اخوّفكم من المنافقين ، لا تغتروا بهم (فانهم الضالون) الذين تاهوا عن الطريق (المضلّون) الذين يضلون من عداهم .

(والزالون) من زل بمعنى : اخطأ (المزلون) اى الموقعون للناس فى الخطأ (يتلونون الوانا) فلهم كل يوم لون ، اذ انهم لا يسيرون على مبدأ ، و انما يسيرون وفق مصالحهم ، فاين ما كانت مصالحهم انحازوا نحوها (و يفتّنون) اى ياخذون فى فنون من العمل و القول (افتنانا) لا ياخذون طريقة واحدة ، مثل اصحاب المبادى .

وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ . قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّــةٌ . يَمْشُونَ ٱلْخَفَاءَ ، وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ . وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ ٱلْعَيَاءُ . حَسَدَةُ الرَّخَاءِ ، وَمُؤَكِّــدُو ٱلْبَلَاءِ ، وَمُقْنِطُواْ الرَّجَاءِ . لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ ، وَإِلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ ،

(و يعمد ونكم بكلّ عماد) اى يقيمونكم بكل ما يعتمد عليه لتتبعوا طريقتهــم ، فان من يريد الجاء غيره الى جانبه ياتى اليه بكل وسيلة (و يرصد ونكم بكلّ مرصاد) اى يترقّبونكم فى كل مكان ، ليصيد ونكم بحبائلهم ، و يد خلونكم فى جمعهـــــم (قلوبهم د ويّه) اى مريضة من الدّوى بالقصر بمعنى المرض .

(وصفاحهم) جمع صفحه ، و المراد صفحة وجههــم (نقية) عن آثـــار العد اوة ، لأنهم يظهرون انفسهم ، فى صورة البرئ ، و قلوبهم تملئ من النفاق او المراد نقائها من آثار الطاعة و العبادة (يمشون الخفاء) اى مشى التستر لئلا يطّلع احد على باطن امرهم (ويدبّون الضّراء) الدّب هو المشى الخفى ، اى : يسيرون فى المجتمع سير المرض فى الجسم اينما وصلوا افسد وا .

(وصفهم دواء) اى يصفون الد واء للأمراض الاجتماعية (ليراهم النـــاس مصلحين ــ (و قولهم شفاء) عن الأمراض لأنهم يرشد ون النّاس الى اد ويـــة امراضهم النفسية (و فعلهم الداء العياء) اى الداء الذى اعجز الأطباء و اعياهم عن علاجه (حسد ة الرخاء) جمع حسود ، اى يحسد ون الناس على السعة (و مؤكد وا البلاء) اى اذا نزل البلاء باحد اكد وه و زاد وه بالشماتة و السعى لاعضالـه (ومقنّطوا الرجاء) اى اذا رجى احد ا شيئا اوقعوه فى القنوط و الياس .

(لهم بكلّ طريق صريع) اى انهم كثيرا ما خدعوا اناسا فاهلكوهم ، كما يهلك القاتل من يصرعه ، و يطرحه على الأرض (و الى كل قلب شفيع) فهم يجعلــون

وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ . يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ، وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ : إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا ، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا ،

وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا . قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا ، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا ، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا ، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً ، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً . يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ

الى كل انسان وسائل ليقضوا مآربهم اذا احتاجوا اليها (ولكل شجو) اى حزن (دموع) يبكون لكل انسان مفجوع تصنّعا و تزلّفا حتى يقربوا انفسهم الى قلبه (يتقارضون الثّناء) اى كل واحد منهم يثنى على الآخر و يطربه ، ليثنى الآخر عليه ، لا لاستحقاق احدهم للثناء ·

(ويتراقبون الجزاء) اى يعمل كل للآخر ليعمل الآخر له ، لا كالمؤمنين الذين يعملون لله سبحانه (ان سالوا الحفوا) اى الحّوا فى السؤال و بالغوا (و ان عذلوا) اى لاموا احدا (كشفوا) اى فضحوا من يلومونه ،اذ ليس قصدهم الاصلاح بل الفضيحة و الانتقام ·

(و ان حكموا اسرفوا) فى الحكم بان يزيدون فى التقدير (قد اعدوا لكلّ حق باطلا) اى جعلوا قبال كل حق باطلا لصرف الناس الى ذلك الباطل ـ الذين البسوه لباس الحق ـ (لكلّ قائم مائلا) اى جعلوا بازاء كل شئ مستقيم شيئا منحرفا (ولكلّ باب مفتاحا) حتى لا يصعب عليهم ولوج كل مكان لقضاء مأربهم (ولكلّ ليل مصباحا) فاذا ادلّهم خطب هيئوا ـ قبلا ـ لذلك ما ينيرهم حتى لا يسقطوا فى الظلمة ·

(يتوصلون الى الطّمع باليأس) اى انهم باظهارهم اليأس عما فى ايدى النّاس يتوصلون الى مطامعهم الدنيوية ، فان الناس يقضون حوائج الذين يظهرون اليأس عما فى ايديهم ، ولذا قال عليه السلام : (ليقيموا به) اى :

أَسْوَاقَهُمْ ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ . يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ ، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ . قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ ، فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ ، وَحُمَةُ النِّيرَانِ : «أُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ » .

(وينفّقوا) اى يروجوا (به) اى بذلك الياس (اعلاقهم) جمع ((علق)) بمعنى الشئ النفيس (يقولون فيشبّهون) اى يشبهون الحق بالباطل ، والباطل بالحق (ويصفون فيموّهون) التمويه التلبيس ، والمراد وصف الأشياء بما ليس من اوصافها (قد هوّنوا) اى سهلوا على الناس (الطّريق) الذى يسيرون عليه بان قالوا لهم ان طريقتنا الذى نسير عليه طريق سهل يسير ، حتى يتبعهم النّاس ·

(واضلعوا المضيق) اى عوّجوا مضائق الطرق ، والمضائق كناية عن الداخل الدقيقية ، التى يظهر فيها باطنهم ونفاقهم ، وتعويجها ، ارائة الناس انهم لا يقصدون هذا الطريق ، وانما يريدون غيره ، تعمية عليهم ، اذلو دخلوا فى المضائق بدون التعمية ظهر باطنهم الفاسد ·

(فهم لمّة الشيطان) اللّمة الجماعة ، اى انهم من جماعة الشيطان (وحمة النّيران) الحمة ابرة العقرب التى تسلع بها ، فكان نار جهنم بواسطة هؤلاء تلسع الناس وتوصل المها اليهم (((اولئك حزب الشيطان الا انّ حزب الشّيطان هم الخاسرون))) الذين خسروا دنياهم وآخرتهم ·

وَمِن خُطبة لهُ عَليه السّلام

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ، شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ.

وَمِن خُطبَة لهُ عَليهِ السّلام

فيها الحمد للّه، والثّناء على رسوله، و الوعظ

(الحمد للّه الذى اظهر من آثار سلطانه) اى آثار سلطته على الكون ، فان الخلق من آثار سلطة اللّه سبحانه (و جلال كبريائه) اى ارتفاع عظمته (ما حيّر مقل العيون) جمع مقلة ، و هى شحمة العين التى تجمع السواد و البياض (من عجائب قدرته) بيان ((ما)) (و ردع) اى منع (خطرات هماهم النّفوس) جمع همهمة ، و هى صوت خفى عند حديث النّفس ، و المراد تشبيه ما يخطر بالبال عند ارادة ادراك كنهه سبحانه (عن عرفان كنه صفته) اى كنه ذاته و صفاته .

(و اشهد ان لا اله الاّ اللّه شهادة ايمان و ايقان) لا كشهادة المنافقين الذين لم يدخل الايمان قلوبهم ، و لا كشهادة ضعفاء الايمان من المؤمنين الذين لم يتيقنوا يقينا راسخا (و اخلاص) لا شرك فيه (و اذعان) اى خضوع للّه

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَىٰ دَارِسَةٌ ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ ، وَهَدَىٰ إِلَىٰ الرُّشْدِ ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ ،

وَاعْلَمُوا ، عِبَادَ اللهِ ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً ، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصَىٰ إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ، فَاسْتَفْتِحُوهُ ، وَاسْتَنْجِحُوهُ ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ ،

سبحانه ·

(واشهد انّ محمّدا عبده ورسوله ارسله واعلام الهدى دراسة) الواو للحال ، والمراد باعلام الهدى الأحكام والآثار التى تدل على الأصول ، ودارسة بمعنى منهدمة ·

(ومناهج الدّين) جمع منهج ، بمعنى الطريق (طامسة) من طمس بمعنى انمحى واندرس (فصدع بالحقّ) اى قام بالحق واصل الصدع الكسر ، و المراد كسر الباطل بصدمة الحق (ونصح للخلق) بان ارشدهم الى مايسعدهم فى الدّارين ·

(وهدى الى الرّشد) مقابل الغى ، بمعنى الضلال (وامر بالقصد) اى يسلك الناس سلوكا وسطا لا افراط ولا تفريط ، فى جميع امورهم ·

(واعلموا عباد الله) منادى حذف حرف النداء منه ، نحو ((يوسف اعرض عن هذا)) (انّه) تعالى (لم يخلقكم عبثا) اى بلا غاية و بدون مصلحة (ولم يرسلكم) تشبيه للخلق بالارسال (هملا) اى بدون اوامر ونواهى (علم) سبحانه (مبلغ نعمه عليكم) اى مقدارها (واحصى احسانه اليكم) فليس احسانه بلا حساب (فاستفتحوه) اى اطلبوا منه ان يفتح عليكم الأبواب التى اغلقت فى وجوهكم (واستنجحوه) اى اطلبوا منه نجاح اموركم ·

(واطلبوا) حوائجكم (اليه) اى منتهيا اليه تعالى (واستمنحوه) اى

فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ؛ لَا يَثْلِمُهُ ٱلْعَطَاءُ، وَلَا يَنْقُصُهُ ٱلْحِبَاءُ، وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ، وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلَا يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ،

اطلبوا منه العطاء و المنحة ٠

(فما قطعكم عنه) تعالى (حجاب) اى لا حجاب بينه و بين خلقه (ولا اغلق عنكم دونه) سبحانه (باب) بالعكس من الملوك و الكبراء ٠

(وانّه) سبحانه (لبكلّ مكان) اللام للتاكيد ، ومعنى انه فى كل مكان، نفوذ علمه وقدرته ، اذ ليس سبحانه جسما ، وهو منزه عن الزمان و المكان ٠

(وفى كلّ حين واوان) جمع آن بمعنى الزمان ، وليس كالموجودات ، التى تكون حينا ولا تكون حينا ـ قبل خلقها ، وبعد انعدامها ـ (ومع كلّ انس وجان) معية العلم و القدرة ، لا معية الأجسام (لا يثلمه) اى لا ينقصه (العطاء) لأنّ العطاء لا يخرج عن ملكه ، ولأنه قادر على خلق ما لا يحصى ٠

(ولا ينقّصه الحباء) الحباء العطية بدون مكافئة ، اى لا تنقص خزائنه عن اعطاء شئ (ولا يستنفده سائل) استنفده اى جعله نافذ المال ، لا شئ عنده فان السائلين لا يتمكنون من ذلك ، اذ لا ينفذ ما لديه تعالى (ولا يستقصيه نائل) استقصا ، بمعنى اتى على آخر ما عنده ، اى ان الذين ياخذون منه لا ياتون على آخر ما عنده تعالى ، اذ عطائه ابدى لا آخر له ٠

(ولا يلويه شخص عن شخص) فاذا توجّه سبحانه الى شخص لم يكن ذلك سببا لأن ينصرف ويميل عن التوجه الى الآخرين (ولا يلهيه صوت عن صوت) الهاء بمعنى اشغله ، فانّ الله سبحانه يسمع جميع الأصوات فى آن واحد ، لا كالانسان الذى اذا استمع الى صوت لم يقدر ان يستمع الى آخر ٠

وَلَا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ ، وَلَا تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ ،وَلَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ. قَرُبَ فَنَأَىٰ ، وَعَلَا فَدَنَا ، وَظَهَرَ فَبَطَنَ ،

(ولا تحجزه) اى لا تمنعه (هبة) لأحد (عن سلب) لآخر ، و بالعكس من ذلك الانسان ، فانه اذا اشتغل بالعطاء لم يتمكن من السلب ، اذ لا حواس له تفى بالجهتين و الله ليس بجسم ، فانه يعطى لهذا و ياخذ من هذا فى حال واحد .

(ولا يشغله غضب) على احد (عن رحمة) لآخر ، فانه يرحم هذا و يغضب على ذلك فى حال واحد ، (ولا تولهه) اى لا تحيّره (رحمة عن عقاب) بان يرحم احدا و يعاقب غيره ، او المراد الرحمة و العقاب بالنسبة الى انسان واحد ، فى حال واحد ، من جهتين ، كان يعطيه الحياة رحمة ، و يمرضه عقابا .

(ولا يجنّه) اى لا يستره (البطون) اى كونه تعالى مخفيا (عن الظهور) لخلقه ، بآثاره فهو باطن بذاته ، ظاهر بآثاره (ولا يقطعه الظّهور) بآثاره (عن البطون) ومعنى يقطعه يمنعه ، اى ظهوره لا يمنع عن كونه باطنا .

(قرب) الى الناس علما وقدرة (فناى) اى بعد ، فان قربه الى كل احد موجب لبعده عن مشابهة الأجسام ، اذ لوكان شبيها بالأجسام لما قرب الى كل احد ، فان نسبة الجسم لابد وان تختلف ، قربا الى بعض الأشياء و بعدا عن بعض الأشياء .

(وعلا) اى ارتفع عن مشابهة المخلوقات (فدنا) اليها بالعلم والقدرة ، اذ علوه سبحانه سبب قربه (وظهر) للنّاس بآثاره (فبطن) اى لم يعرف كنهه ، والظهور سبب البطون ، اذ لو لم يكن له هذه الآثار الظاهرة ، لم يكن

وَبَطَنَ فَعَلَنَ، وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ. لَمْ يَذْرَإِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللهِ، بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ

باطنا مخفيا، فان مثل الآثار الكثيرة لا تاتى الا من الواجب وجوده، وذلك يلازم خفاء الكنه.

(وبطن) اى اختفى كنهه (فعلن) بآثاره ـ على عكس ما تقدم ـ ولا يخفى ان تعليل كل من الضدين بالآخر، من جهة كونهما معلولا لشئ واحد فباعتبار هذا علة ذاك، وباعتبار آخر بالعكس (ودان) اى حاسب الخلائق (ولم يدن) اى لم يحاسبه احد (لم يذر) اى لم يخلق (الخلق باحتيال) اى بتفكر وطلب علاج، فان الحيلة بمعنى معالجة الأمر للوصول اليه.

(ولا استعان بهم) اى بالخلق (لكلال) اى ملل من التعب، كما يستعين الانسان بشخص اذا ملّ وكل عن عمله.

(اوصيكم عباد الله بتقوى الله) اى الخوف منه المسبب لاجتناب معاصيه والاتيان باوامره (فانّها) اى التقوى (الزّمام) الذى ياخذ بها الانسان ليوجهه نحو السعادة، مثل زمام الفرس وشبهه (والقوام) اى ما يقوّم الانسان، فلا ينحرف ولا يضل.

(فتمسّكوا بوثائقها) اى اعتصموا بالأمور الوثيقة المحكمة من التقوى، التى ليس فيها رياء ونفاق وبدعة (واعتصموا بحقائقها) اى بالتقوى الحقيقية، لا مثل الوسوسة التى توجب كثرة تطهير الانسان ليده وثوبه، فيسمى فى العرف منقيا، وليس به (تؤل بكم) تلك التقوى، اى تصيّركم وتنتهى بامركم (الى اكنان الدّعة) اكنان جمع كن بالكسر وهو ما يستكن به، والدعة خفض العيش

وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَمَنَازِلِ الْعِزِّ في «يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ» ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْدَارُ ، وَيُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ . وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ ،

وسعته ٠

(واوطان السّعة) اى المحلات التى هى وسيعة من حيث المساحة ومن حيث النعمة وما اشبه (ومعاقل الحرز) جمع معقل بمعنى الحصن ، والحرز الحفظ من كل آفة وبلاء (ومنازل العزّ) الموجبة لعزّة الانسان فلا ذلّة فيها (فى يوم تشخص فيه الأبصار) وذلك يوم القيامة ، وشخوص البصر كناية عن دهشة الانسان ، فان الشخوص بمعنى السفر ، والمراد هنا حركة الأبصار هنا وهناك لتجد ملجأً ومفرّا ، كما هو شان الخائف ٠

(وتظلم له) اى لذلك اليوم (الأقطار) جمع قطر ، بمعنى : القطعة من الأرض ، او اطرافها ، فان فى يوم القيامة تشمل ظلمة حالكة المحشر ــ كما ورد ــ ٠

(ويعطل فيه صروم) جمع صرمة ، وهى : القطعة من الابل من عشرة الى خمسين (العشار) جمع عشراء ، وهى : الناقة مضى لحملها عشرة اشهر ، وحيث انّ الابل من نفائس اموال العرب كنى بذلك عن شدّة الهول المسيطرة على الموقف ، حتّى انّ النّاس يذهلون عن اهم وانفس اموالهم ، فلا يراعونها ، اذ التعطيل معناه الاهمال قال سبحانه : ((واذ العشار عطّلت))

(وينفخ فى الصّور) وهو بوق ينفخ فيه اسرافيل مرتين مرة عند انقضاء الدنيا فيموت كل انسان ، ومرّة عند قيام الآخرة ، فيحيى كل انسان ٠

(فتزهق كلّ مهجة) المهجة النفس ، ومعنى زهوقها دهشتها ، كأنّها زاهقة باطلة ، لا تقدر ان تعمل شيئا (وتبكم) الأبكم الأخرس (كلّ لهجة)

وَتَدِكَّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ ، والصُّمُّ الرَّوَاسِخُ ،فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً ،وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً ، فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ ، وَلَا حَمِيمٌ يَدْفَعُ وَلَا ، مَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ .

اى لسان ، فلا يتكلم انسان من الخوف (وتدك الشّم) جمع اشم ، بمعنى : الرفيع (الشوامخ) جمع شامخ ، وهو الكثير الارتفاع ، والمراد بذلك الجبال ، ودكها عبارة عن نسفها حتى تكون كالصوف المندوف كما قال سبحانه : ((ودكت الجبال دكا دكا)) .

(والصّم) جمع اصم ، وهو المحكم الذى لا تجويف فيه (الرّواسخ) جمع راسخ ، بمعنى الثابت الذى لا يضطرب ، وهذا عبارة اخرى عن الجبال (فيصير صلدها) اى الصلب الأملس من الجبال (سرابا) اى كالسراب ، الذى هو شبه الماء فى طرف الأفق ، وليس بماء ، قال سبحانه : ((وسيرت الجبال فكانت سرابا)) .

(رقرقا) اى مضطربا ، ومنه يسمى الماء الرقراق ، لأنه لا يستقر(ومعهدها) اى محل الجبال الذى كان يعهد وجودها فيه (قاعا) القاع المطمئن من الأرض الذى لا نتوء فيه (سملقا) اى مستويا ، كما قال سبحانه : ((لا ترى فيهاعوجا ولا امتا)) (فلا شفيع يشفع) لمن لا يستحق الشفاعة ، فان الشّفاعة هناك ليست كالشفاعة فى الدنيا يشفع كل انسان لصديقه ، بل ((لا يشفعون الآ لمن ارتضى)) (ولاحميم) اى صديق (يدفع) الأهوال والعذاب عن الانسان (ولا معذرة) اى عذر (تنفع) حتى تخلّص صاحبها عن العذاب ، اذا كان مستحقّا له .

وَمِنْ خُطبة لهُ عَليه السَّلام

بعثة النبي

بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ قَائِمٌ ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ ، وَلَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ . أُوصِيكُمْ ، عِبَادَ اللهِ ، بِتَقْوَى اللهِ ، وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ ، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ ،

وَمِنْ خُطبة لهُ عَليه السَّلام

حول : بعثة الرسول (ص) ، و موعظة الناس

(بعثه) اى ارسل الله رسول الاسلام صلى الله عليه و آله (حيث لا علم قائم) اى دين و شريعة تكون علما للنّاس يهديهم الى الطريق الموصل الى السعادة ، تشبيها باعلام الطرق التى توضع لتدل عليها (و لا منار ساطع) المنار الموضع المرتفع الذى يوضع عليه النور ليلا ليهتدى المارّة الى الطريق ،والى محلّ الضيافة ، و الساطع المرتفع الظاهر (و لا منهج) اى طريقة (واضح) يعرفه الانسان فيسلكه ليوصله الى السّعادة .

(اوصيكم) يا (عباد الله بتقوى الله) الخوف منه ، الموجب لعبادته و طاعته و اجتناب معاصيه .

(و احذّركم الدّنيا) اى اخوّفكم من التلوّث بالدنيا الموجبة لذهاب آخرتكم (فانّها دار شخوص) اى الذهاب و الانتقال ، لا يبقى الانسان فيها (و محلّة تنغيص) اى محلّ ينغّص عيش الانسان بالهموم و الاكدار (ساكنها ظاعن) اى

وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ ، تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ ، فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ ، وَمِنْهُمُ النَّاجِي عَلَىٰ بُطُونِ الْأَمْوَاجِ ، تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَىٰ أَهْوَالِهَا ، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَىٰ مَهْلَكٍ !

عِبَادَ اللهِ ، الْآنَ فَاعْلَمُوا ،

مسافر ، فانّ الانسان وانكان ساكنا فيها ، فانه لابد وان يسافر الى الآخرة (و قاطنها) اى الذى قطن وسكن فيها (بائن) اى مبتعد منفصل عنها ، بعد قليل ، وذلك حين يموت ·

(تميد) اى تضطرب (باهلها ميدان السفينة) اى مثل اضطراب السفينة فى امواج البحار ، فانها تقلب الناس من حال الى حال (تقصفها) ،اى تكسرها (العواصف) جمع عاصفة ، وهى الريح الشديدة (فى لجج البحار) جمع لجة وهى وسط البحر ·

(فمنهم الغرق) الذى غرق عند انكسار سفينته (الوبق) اى الهالك ، و هم الذين غرّتهم الدنيا فتعاطوا المحرمات ، حتى افسدوا آخرتهم ·

(ومنهم النّاجى على بطون الأمواج) بان ركب قطعه من الأخشاب المتكسرة من السفينة وبقى على بطن الموج لا يدرى مصيره ومسيره (تحفزه) اى تدفعه (الرّياح باذيالها) جمع ذيل ، اى اطرافها (وتحمله) الرياح (على اهوالها) فهول الغرق ، وهول ان يكون طعمة للأسماك ، وهول البقاء فى البحر حتى يموت بلا اكل واستراحة ·

(فما غرق منها) اى من السفينة بمن فيها (فليس بمستدرك) اى لا يمكن ان يدركه الانسان وينجيه (وما نجا منها فالى مهلك) اى الناجى غالبا ، يبقى فى البحر حتى يهلك ويموت ·

وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالْأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ ، وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ. فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ .

يا (عباد الله ، الآن فاعملوا) للنجاة من اهوال الآخرة ، وانتم فى الدنيا (والألسن مطلقة) يمكنكم الذكر والتسبيح والنطق بالخير ، قبل قيد الألسن عند الموت (والأبدان صحيحة) تتمكنون من عمل الخير والعبادة (والأعضاء) اى الجوارح (لدنة) اى لينة تطيعكم ، قبل ان تيبس ولا تتحرك (والمنقلب فسيح) اى ان مكان الانقلاب من الضلال الى الهدى واسع يمكنكم ذلك .

(والمجال عريض) اى واسع يمكنكم التدارك لما فات منكم (قبل ارهاق الفوت) ارهقه الشئ اى اتعبه ، والفوت ذهاب الفرصة بحلول الأجل ، وصول الموانع (وحلول الموت) اى مجيئه .

(فحققوا عليكم نزوله) اى اجعلوه كالمحقق الكائن لا محاله ، ولا تكونوا غافلين كالذين لا يهتمون بالموت كانهم شاكون فيه (ولا تنتظروا قدومه) حتى تعملوا ، بل اعملوا قبل ان يرد الموت بكم ، كالذى يعمل للضيف قبل نزوله به

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ. وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيه قصّته مع الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، ويحرض أصحابه على الجهاد ·

(ولقد علم المستحفظون) اى الذين اودعهم النبى صلى الله عليه وآله علمه وامانته ، والعلماء الذين استحفظوا الدين فان استحفظ متعد ، وليس بلازم (من اصحاب محمّد صلى الله عليه وآله انّى لم اردّ على اللّه) بان لا اقبل له حكما ، كما كان بعض الصحابة يفعل ذلك (ولا على رسوله) بان يامر النبى بامر فلا اطيعه ،كما كان غيرى يفعل ذلك ، والفرق ان الأول ردّ لحكم من احكام القرآن ، والثانى ردّ لأمر من اوامر الرسول صلى الله عليه وآله (ساعة قطّ) اى ابدا ، حتى فى لحظة واحدة ، فان الساعة لغة بمعنى : الجزء من الزمان ·

(ولقد واسيته) اى الرسول صلى الله عليه وآله (بنفسى) بان اشركت نفسى مع الرسول صلى الله عليه وآله فى الشّدة ، اوقدّمت نفسى لاقى الرسول فان المواسات تستعمل فى الأمرين (فى المواطن التى تنكص فيها الأبطال) نكص

وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا ٱلْأَقْدَامُ ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي ٱللهُ بِهَا .

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَىٰ صَدْرِي . وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي ، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَىٰ وَجْهِي . وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَٱلْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي ، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَٱلْأَفْنِيَةُ : مَلَأٌ يَهْبِطُ ، وَمَلَأٌ يَعْرُجُ ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ ،

بمعنى فرّ ، ولم يقدم (وتتاخّر فيها الأقدام) جمع قدم ، وذلك كيوم حنين وخيبر واحد وغيرها ، ممن فرّ الصحابة فيها ، وثبت الامام كالجبل الاشم ، يدافع عن الرسول صلى الله عليه وآله حتى قال ابن ابى الحديد يصف شيخيه : ((لو يكن فيهما شجاعة قرم)) ((فلماذا فى الدين ما بذلاها)) .

(نجدة) اى كانت تلك الاقدامات نجدة ، وشجاعة (اكرمنى الله بها) اذ الانسان لا يكرم الا عند الامتحان اذا نجح .

(ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله) اى قبض الله روحه عن جسده (وانّ راسه لعلى صدرى) وهذا البيان انه كان مع الرسول صلى الله عليه وآله الى آخر لحظة من لحظات حياته صلى الله عليه وآله وسلم . (ولقد سالت نفسه) اى روحه الطاهرة (فى كفّى) فانّ الرّوح كما ثبت جسم لطيف ـ من قبيل الهواء و الضّياء ـ يراها اولياء الله تعالى (فامررتها على وجهى) تبركا بها (ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله) اى فوض الى غسله صلى الله عليه وآله .

(والملائكة اعوانى) فى التغسيل (فضجّت الدّار والأفنية) اى ازدحمت بالملائكة ، وافنية جمع فناء ، وهو ما اتسع من الدار والساحة (ملأ) اى جمع من الملائكة (يهبط) اى ينزل الى الأرض (وملأ يعرج) اى يصعد الى السماء (وما فارقت سمعى هينمة) هى الصوت الخفى (منهم) اى من الملائكة

يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ . فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَ مَيِّتاً ؟ فَانْفُذُوا عَلَىٰ بَصَائِرِكُمْ ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ . فَوَالَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَىٰ جَادَّةِ ٱلْحَقِّ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ مَزَلَّةِ ٱلْبَاطِلِ . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَأَسْتَغْفِرُ ٱللَّهَ لِي وَلَكُمْ !

(يصلّون عليه) اى على الرسول صلى الله عليه وآله (حتّى وارينا) اى دفنّاه (فى ضريحه) اى قبره .

(فمن ذا احق به منّى حيّا وميّتا) حتى ياخذ مقامه بعده ؟ .

(فانفذوا على بصائركم) اى سيروا الى العدو عن بصيرة بامامكم ، لا ريبة فى قلوبكم من الأمر (ولتصدق نياتكم فى جهاد عدوّكم) لا ان تكون نياتكم مدخولة بالشك فى صحة هذا الجهاد وعدمه (فو الذى لا اله الاّ هو انّى لعلى جادة الحقّ) الموصلة اليه (وانهم) اى الأعداء (لعلى مزلّة الباطل) مكان الزلل الموجب للسقوط فى الهلكة (اقول ما تسمعون) هذا كتاكيد للمطلب ، و اصله ان الانسان يمكن فيه الاشتباه ، فاذا قال مثل هذه الكلمة اراد افادة انه واع لكلام نفسه ، لا اشتباه ولا غفلة عنده (واستغفر اللّه) اى اطلب غفرانه (لى ولكم) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ ، وَاخْتِلَافَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ ، وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللهِ ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ .

ومن خطبة له عليه السلام

فى علم اللّه ، و الحثّ على التّقوى ، و بيان فضل الاسلام ، و الرّسول ، و القرآن ٠

(يعلم) سبحانه (عجيج الوحوش فى الفلوات) عجيج الوحش اصواتها ، و فلوات جمع فلات ، بمعنى الصّحراء (و معاصى العباد فى الخلوات) حيث ليس هناك احد يطلع عليها (و اختلاف النّينان) جمع نون ، بمعنى الحوت و اختلافها ذهابها و مجيئها و حركتها (فى البحار الغامرات) اى العميقة الكثيرة الماء (و تلاطم الماء) اى تحركه و اضطرابه (بالرّياح العاصفات) الّتى تعصف اى تهب بشدّة ٠

(و اشهد انّ محمّدا نجيب اللّه) اى مختاره الذى انتجبه (و سفير وحيه) اى الواسطة الذى ياخذ الوحى من ناحيته تعالى ، ليوصله الى العباد (و رسول رحمته) الذى بعثه ليرحم العباد ببيان المنهاج المسعد للانسان فى دنياه و آخرته ،

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِي ٱبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَىٰ رَغْبَتِكُمْ ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ . فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ ، وَبَصَرُ عَمَىٰ أَفْئِدَتِكُمْ ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ ،

فانّ منهاج الاسلام يوجب للانسان الخلاص من كل هم وحزن ، وكل مشكلة وعقدة في الحياة الدنيوية ، اما الآخرة فالاسلام كفيل بالجنّة للمسلم العامل .

(امّا بعد) الحمد و الصلاة (فانّى اوصيكم بتقوى اللّه الّذى ابتدا خلقكم) بان كان مبرئكم منه (و اليه يكون معادكم) اى عودكم ، و معنى ((اليه)) الى حكمه و قضائه و حسابه (و به نجاح طلبتكم) فان طلب الانسان لا ينجح الاّ بارادة اللّه سبحانه (و اليه منتهى رغبتكم) فان انتهاء رغبة الانسان الكمال المطلق الذى لا يتاتى الا من قبله سبحانه (و نحوه) تعالى (قصد سبيلكم) فانّ طريق الانسان ينتهى الى جنابه تعالى – اى الى ثوابه وعقابه – (و اليه مرامى مفزعكم) مرمى الفزع ما يدفع اليه الخوف ، و هو الملجأ الذى يتوجّه اليه الانسان ليامن من خوفه و المفزع مصدر ميمى .

(فانّ تقوى اللّه دواء داء قلوبكم) و داء القلب الرّذائل ، فاذا اتّقى الانسان ذهبت الرذيلة عن قلبه ، لأنها منهية للّه سبحانه فيتركها الانسان حسب تقواه (و بصر عمى افئدتكم) جمع فؤاد ، و هو القلب ، فانّ القلب غير المتّقى اعمى لا يبصر العواقب ، فاذا اتّقى الانسان ابصر قلبه حقائق الأمور وعواقبها .

(و شفاء مرض اجسامكم) فان الأمراض غالبا ولائد المحرّمات و ما اشبه ، فاذا اتقى الانسان شفى جسمه – ولذا يكون الطابع العام للمجتمع المتدين الصحة ، و للمجتمع غير المتدين المرض – . (و صلاح فساد صدوركم) بالحقد

وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ، وَجِلاَءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ . فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ ، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاَعِكُمْ ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ ، وَمَنْهَلاً لِحِينِ وُرُودِكُمْ ، وَشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ ،

و الغل و الكبر و ما اشبه ، فانّ التقوى تذهب امراض الصّدر (و طهور دنس انفسكم) فلا تكون نفوسكم جبانة او بخيلة او ما اشبه ·

(و جلاء غشاء ابصاركم) العشوة الضعف فى البصر و جلائها ذهابها (وامن فزع جاشكم) الجاش ما يضطرب فى القلب عند الفزع ، فان التقوى حيث توجب تعلق الانسان بالخالق ، تامن من الأهوال و الفزع (وضياء سواد ظلمتكم) اى ظلمة الكفر و العصيان ·

(فاجعلوا طاعة اللّه شعارا) هو الثوب اللاصق بالجلد ، و المراد ان تكون التقوى فى القلب (دون دثاركم) هو الثوب ما فوق الشعار ، اى لا ظاهرا فحسب ، كما فى المنافق الذى يظهر الايمان و يبطن الكفر و النفاق ·

(و دخيلا) اى داخلا فى انفسكم (دون شعاركم) اى لا ملاصقا بالجسم فحسب (و لطيفا بين اضلاعكم) اى فى قلبكم الذى هو بين الأضلاع (واميرا فوق اموركم) فكل ما رضى به التقوى ائتوا به و ما لم ترضه اتركوه (و منهلا) هو ما يرده الشارب من الماء للشّرب (لحين ورودكم) اى وقت ورودكم فى الماء ، و المعنى خذوا الأمور من نحو التّقوى لا كيف ما كان ·

(و شفيعا لدرك طلبتكم) فانّ التقوى توجب ان يدرك الانسان مطلبه قال سبحانه : ((و من يتّق اللّه يجعل له مخرجا)) (و جنة ليوم فزعكم) فاذا خاف الانسان المتقى نجّاه اللّه سبحانه (ومصابيح لبطون قبوركم) فان القبر مظلم و

وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ ، وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ فَإِنَّ طَاعَةَ ٱللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ، وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا ، وَٱحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا ، وَٱنْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا ، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا ، وَهَطَلَتْ

ضيائه التّقوى .

(وسكنا) اى انيسا (لطول وحشتكم) فى القبر ، فانّ قبر غير المتقى موحش (و نفسا) اى موجبا لخروج الهم (لكرب) جمع كربة ، بمعنى : الهم (مواطنكم) ، فانّ الانسان لابد و ان يتوجه اليه الهم و الغم ، فاذا كان متّقيا نفس كربه و ازيل همّه .

(فانّ طاعة اللّه حرز) اى حافظ (من متالف مكتنفة) متالف جمع متلف ، اى محل التلف ، و مكتنفة المحيطة بالانسان .

(و مخاوف) جمع مخوف مصدر ميمى (متوقّعة) اى اقسام متوقّعة من الخوف (و اوار) حرارة النّار و لهيبها (نيران موقدة) و المراد نيران الحروب الحروب و الفتن ، و انما شبهت بالنّار لأنها توجب حرارة جسم الانسان ، و افناء الأشياء كما انّ النّار توجب ذلك ، و ايقاد النّار اشعالها .

(فمن اخذ بالتقوى عزبت) اى بعدت و غابت (عنه الشّدائد بعد دنوّها) و اقترابها ، فانّ الله سبحانه يكفى المتقى امره ، و يجعل له مخرجا من حيث لا يحتسب .

(و احلولت له الأمور) اى صارت حلوا (بعد مرارتها) فانّ امر المتّقى الى خير (و انفرجت عنه الأمواج) اى امواج الفتن و البلايا (بعد تراكمها) اى تجمّعها (و اسهلت له الصّعاب) اى سهلت له المشكلات (بعد انصابها) اى اتعابها لهذا الشخص (و هطلت) اى انصبت كالمطر .

عَلَيْهِ ٱلْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا ، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا ، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا ، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ ٱلْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا .

فَٱتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَٱمْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ . فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ ، وَٱخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ . ثُمَّ إِنَّ هٰذَا ٱلْإِسْلَامَ دِينُ ٱللهِ ٱلَّذِي ٱصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَٱصْطَنَعَهُ عَلَىٰ عَيْنِهِ ،

(عليه الكرامة بعد قحوطها) اى كونها قحطا لا توجد (و تحدّبت) اى عطفت (عليه الرّحمة بعد نفورها) اى شرود ها عنه (و تفجّرت عليه النّعم) جمع نعمة و تفجّرها كناية عن كثرتها كما تتفجّر العيون (بعد نضوبها) يقال نضب الماء اذا غار فى الأرض و ذهب (و وبلت عليه البركة) الوابل المطر الشّديد (بعد ارذاذها) الرذاذ المطر الضعيف ٠

(فاتّقوا اللّه الّذى نفعكم بموعظته) حيث ارشدكم الى مواقع السّعادة ، و مواقع الشّقاء (و وعظكم برسالته) التى ارسلها اليكم بواسطة الأنبياء (و امتنّ عليكم) اى منّ عليكم (نعمته) و فضله ٠

(فعبّدوا) اى ذلّلوا (انفسكم لعبادته) و طاعته (و اخرجوا اليه من حقّ طاعته) وحقّ الطاعة ان يطيع الانسان فى كلّ ما امر سبحانه و نهى (ثمّ) لتراخى الكلام ، لا لفصل الزمان بين الكلامين (انّ هذا الاسلام دين اللّه الّذى اصطفاه لنفسه) اى اختاره لأن يكون سبيلا الى رحمته سبحانه فى الدّارين ٠

(و اصطنعه) اى صنعه ، بان قرّر مناهجه (على عينه) هذا كناية عن اكماله ، كما ان من ينظر الى الشئ الذى يصنعه لابد و ان ياتى ذلك الشئ وفق مراده ، فان اصطناع الشئ على العين الأمر بان يضع تحت النظر ، خوف المخالفة فى المطلوب ان صنع بعيدا عن النّظر ٠

وَأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ. أَذَلَّ ٱلْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ ، وَوَضَعَ ٱلْمِلَلَ بِرَفْعِهِ ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ ٱلضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ. وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ ، وَأَتْأَقَ ٱلْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ ثُمَّ جَعَلَهُ لَا ٱنْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ ،

(و اصفاه) اى اعطى الاسلام (خيرة خلقه) اى خير البرية ، و هو الرسول صلى الله عليه و آله ، ليبلغه للنّاس (و اقام دعائمه) اى دعائم الاسلام و هى اركانه و احكامه (على محبّته) اى محبّة الرّسول صلّى اللّه عليه و آله ، فانه لا يقبل الاسلام بدون حبّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله (اذلّ الأديان) السابقة كاليهودية و المسيحية (بعزّته) اى بسبب ان اعز الاسلام و لم يقبل سواه (ووضع الملل) التى لا تعانق الاسلام (برفعه) اى بسبب ان رفع الاسلام ، فانمن الطبيعى ان الشئ اذا ارتفع على اقرانه ، انخفضوا .

(و اهان اعدائه) اى اعداء الاسلام (بكرامته) اى بسبب ان كرم الاسلام فان الشئ اذا اكرم كان ملازما لاهانة من ناواه (و خذل محادّيه) جمع محاد، و هو الشديد المخالفة (بنصره) اى بنصر الاسلام .

(و هدم اركان الضّلالة بركنه) اركان الضلاله طرقها و اتباعها ، فانه حيث جعل للاسلام طرق لم يبق للضلالة طرق مشروعة ، و انما جاء الناس الى طرق الاسلام .

(و سقى من عطش) الى الايمان و الفضيلة (من حياضه) جمع حوض ، و المراد معارف الاسلام و احكامه (و اتاق الحياض) اى املأ حياض الاسلام من تئق الحوض بمعنى امتلأ (بمواتحه) جمع ماتح ، و هو الذى ينزع الماء من البئر للحوض و نحوه (ثمّ جعله لا انفصام لعروته) العروه يد الابريق و نحوه ، و المعنى ان من تمسك بالاسلام ، لا ينقطع عنه الخير ، اذ لا انقطاع له .

وَلَا فَكٌّ لِحَلْقَتِهِ ، وَلَا انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ ، وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ ، وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ ، وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ ، وَلَا وَعْثَ لِفَجِّهِ ، وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ . فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ

(ولا فكّ لحلقته) التى يتمسك بها الانسان ليجره الى السعادة فى الدارين (ولا انهدام لأساسه) كما يهدم اساس البناء ، بان ياتى دين جديد فيهدم الاسلام (ولا زوال لدعائمه) اى احكامه (ولا انقلاع لشجرته) معارف الاسلام واصوله وفروعه (ولا انقطاع لمدّته) اذ هو باق الى يوم القيامة

(ولا عفاء) اى لا دروس ولا اضمحلال (لشرائعه) جمع شريعة ، اى احكامه وسائر ما يتعلق به (ولا جذّ) اى لا قطع (لفروعه) بل فروعه باقية لا تغير (ولا ضنك) اى لا ضيق (لطرقه) بل طرقه واسعة ، كناية عن سهولة الأحكام وعدم العسر فيها .

(ولا وعوثة لسهولته) الوعوثة رخاوة فى الأرض تغوص بها الأقدام عند السير فيعسر المشى فيه .

(ولا سواد لوضحه) الوضح بياض الصبح ، فلا انحراف لأحكام الاسلام ، حتى يكون كالسواد فى بياض الصبح (ولا عوج) والتواء (لانتصابه) اى : لاستقامته (ولا عصل) هو الاعوجاج الذى يصعب تقويمه (فى عوده) تشبيه للاسلام بعود مستقيم لا عوج فيه (ولا وعث) الوعث الطريق الذى يعسر فيه المشى (لفجّه) الفج الطريق الواسع بين جبلين .

(ولا انطفاء لمصابحه) فنور الاسلام باق ابد الدهر (ولا مرارة لحلاوته) فالاسلام حلو الأصول والفروع (فهو دعائم اساخ) اى اثبت (فى الحقّ

أَسْنَاخَهَا ،وَثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا ، وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا ، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا ، وَمَنَارٌ اقْتَدَىٰ بِهَا سُفَّارُهَا ، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا ، وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا . جَعَلَ فِيهِ مُنْتَهَىٰ رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ ،

اسناخها) جمع سنخ ، بمعنى : الأصل ، فاصوله نابتة فى الحق لا فى الباطل (وثبت لها) اى للدعائم (اساسها) فهى محكمة متقنة (و) هو (ينابيع) جمع ينبوع ، بمعنى : العين (غزرت) اى كثرت (عيونها) من الماء (و) هو (مصابيح شبّت) ارتفعت من الايقاد (نيرانها) فضوئه عال مرتفع (و) هو (منار) هو المحل المرتفع الذى يوضع فيه النور لهداية المارّة ٠

(اقتدى بها سفّارها) اى ذوو السفر ، و هم المسافرون ليلا ، و الضمير عائد الى النيران ، و الاقتداء بها معرفة الطريق بسببها (و اعلام) جمع علم ، و هو ما ينصب فى الطريق ليهتدى به المسافر (قصد بها) اى بسبب تلك الأعلام (فجاجها) جمع فج ، و هو : الطريق ، و كانّ المنار لليل و الأعلام للنّهار ٠

(و مناهل) جمع منهل ، محل الشرب الماء (روى بها) من الظمأ (و رادها) اى من وردها لشرب الماء ٠

(جعل) سبحانه (فيه) اى فى الاسلام (منتهى رضوانه) فمن عمل به رضى اللّه عنه (و ذروة دعائمه) الذروة المحل المرتفع من الشئ فكان الأديان دعائم ، و الاسلام ذروتها ٠

(و سنام طاعته) السنام من البعير الموضع المرتفع فى ظهره ويشبه به كلشئ مرتفع (فهوعند اللّه وثيق الأركان) اى محكم الأصول و الفروع (رفيع البنيان)

مُنِيرُ ٱلْبُرْهَانِ ، مُضِيءُ النِّيرَانِ ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ ، مُشْرِفُ ٱلْمَنَارِ ، مُعْوِزُ ٱلْمَثَارِ . فَشَرِّفُوهُ وَٱتَّبِعُوهُ ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ .

ثُمَّ إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِٱلْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا ٱلِانْقِطَاعُ ، وَأَقْبَلَ مِنَ ٱلْآخِرَةِ ٱلِاطِّلَاعُ ، وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَىٰ سَاقٍ ، وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ ،

فلا بناء مثله في الرفعة (منير البرهان) دليله واضح لا خفاء فيه (مضئ النيران) فمصابيحه موقدة (عزيز السّلطان) اى رفيعه الذى لا يغالب (مشرف المنار) اى مناره مرتفع يشرف على الطرق لهداية النّاس .

(معوز المثار) اى لو اراد احد اثارة هذا الدين ، بان يخلطه ويحرفه ،لا يتمكن من ذلك ، من اعوذ اذا احتاج اليه فلم ينله ، والمثار مصدر من ثار الغبار اذا هاج .

(فشرفوه) اى تشرفوا به (واتّبعوه) بالتزام احكامه (وادّوا اليه حقّه) من الأخذ به ، والدّعوة اليه (وضعوه مواضعه) اى لا تحرّفوا احكامه .

(ثمّ انّ اللّه) سبحانه (بعث محمّدا صلّى اللّه عليه وآله بالحقّ حين دنا من الدنيا الانقطاع) اى قبل آخر الدنيا ، فان الرسول صلى الله عليه وآله من علائم السّاعة (واقبل من الآخرة الاطّلاع) اى الاتيان ، يقال اطلع فلان علينا اى اتانا .

(واظلمت بهجتها) اى بهجة الدنيا (بعد اشراق) فقد اشرقت الدنيا بوجود الأنبياء السابقين ، فلما اظلمت بفقدهم وترك النّاس احكام اللّه سبحانه جاء الرسول ليشرقها من جديد .

(وقامت باهلها على ساق) اى حاربتهم ، يقال : قامت الحرب على ساق اذا استعرتْ (وخشن منها) اى من الدّنيا (مهاد) فلم يتمكنوا من

وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَاقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وَانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ اللّٰهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ،

الاستراحة عليها ، كما اذا خشن فراش الآثام (و ازف منها قياد) ازف اى قرب والمعنى اقترب من الدنيا ان تنقاد للزوال .

(فى انقطاع من مدّتها) اى انّ الدنيا انقطعت من مدتها المقرّرة لها ، كانّها انقضى اجلها و اقتربت من القيامة (و اقتراب من اشراطها) اى علائم زوالها .

(و تصرم من اهلها) اى تقطع من اهل الدنيا فانهم ذهبوا الى الآخرة (و انفصام من حلقتها) اى انقطعت الروابط بين الدنيا و بين اهلها فلاهم يتنعمون فيها ، ولا هى تعمّر بهم (و انتشار من سببها) اى تفرق اسباب الحياة في الدّنيا حتّى لا تضبط ، و كلما تقلص النظام صارت الأسباب منتشرة لا ينتفع بها (وعفاء) اى انطماس (من اعلامها) جمع علم ، و هى النصب التى توضع فى الطريق للدلالة على الطريق .

(و تكشف) اى ظهور (من عوراتها) اى سيّئات الدنيا كالفقر و الحرب و المرض وما اشبه(وقصر من طولها) فانّ الدنيا اقتربت من الآخرة ، و ذهب جزء منها او انّ الأعمار صارت قصيرة بسبب الفوضى السائدة فيها (جعله اللّه) الضّمير للرّسول صلّى اللّه عليه وآله و سلّم (بلاغا لرسالته) اى سببا لأن يبلغ النّاس رسالة الله تعالى .

(و كرامة لأمته) فانّ المسلمين علت منزلتهم بسبب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم (و ربيعا لأهل زمانه) فكما ان الربيع يوجب انعاش اهله ، كذلك

وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ ، وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ . ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ ، وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ ، وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ ، وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ ، وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ ، وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ ، وَتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ ، وَعِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ ، وَحَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ . فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ ،

الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان ربيعا للنّاس (و رفعة لأعوانه) فانّهم ارتفعت مكانتهم (و شرفا لأنصاره) عظموا به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و صارت لهم عزّة و سيادة ٠

(ثمّ انزل) اللّه سبحانه (عليه) صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (الكتاب) اى القرآن الحكيم (نورا لا تطفا مصابيحه) اى احكامه و ارشاداته (و سراجا لا يخبو) اى لا يطفئ (توقّده) اى اشتعاله (و بحرا لا يدرك قعره) من العمق و الغور (و منهاجا) اى طريقا الى الحق (لا يضلّ نهجه) اى لا يسبب ضلال النّاس الذين تمسكوا به ٠

(و شعاعا لا يظلم ضوءه) فضوئه مستمر موجب للهداية (و فرقانا) اى فارقا بين الحقّ و الباطل (لا يخمد برهانه) بل دليله باق الى الأبد (و تبيانا) اى بيانا للحق (لا تهدم اركانه) اى شرائعه و احكامه (و شفاءا) لأمراض القلب و امراض الجسم و امراض المجتمع (لا تخشى اسقامه) اذ لا يوجب سقما ومرضا ، حتى يخشى من ذلك ٠

(وعزّا لا تهزم انصاره) فى ميدان الاستدلال و الاحتجاج اذ حجّته فوق كلّ حجّة (و حقّا) مطابقا للواقع (لا تخذل انصاره) فانصاره غالبون دائما لا يغلب احد عليهم (فهو) اى القرآن (معدن الايمان) اى المحل الذى يؤخذ منه الايمان (و بحبوحته) اى وسط الذى يوجد فيه معظمه ٠

وَيَنَابِيعُ العِلْمِ وَبُحُورُهُ ، وَرِيَاضُ ٱلْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ ، وَأَثَافِيُّ ٱلْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ ، وَأَوْدِيَةُ ٱلْحَقِّ وَغِيطَانُهُ . وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ ٱلْمُسْتَنْزِفُونَ ، وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا ٱلْمَاتِحُونَ ، وَمَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا ٱلْوَارِدُونَ ، وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا ٱلْمُسَافِرُونَ ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَىٰ عَنْهَا السَّائِرُونَ ، وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا ٱلْقَاصِدُونَ .

(وينابيع العلم) جمع ينبوع ، بمعنى : العين (و بحوره) التى لا تنزف (و رياض العدل) جمع روضة ، بعنى الحديقة ، او محل الماء (و غدرانه) جمع غدير ، و هو الموضع المنخفض الذى يجتمع فيه ماء المطر و نحوه ، يعنى انّ كل مطلب من مطالب الكتاب عدل لا ظلم ولا زيغ فيه (و اثا فـــى الاسلام) جمع اثفية ، و هى الحجر الذى يوضع عليه القدر ليطبخ اى ان القرآن اساس الاسلام (و بنيانه) اى هيكل بنائه فهو الأصل و الفرع .

(واودية الحقّ) جمع وادى ، و هو الشط (وغيطانه) جمع غوط بمعنى المكان المطمئن من الأرض يزكو نبته لاجتماع المياه فيه .

(و بحر لا ينزفه) اى لا يتم مائه (المستنزفون) اى الآخذون لمائه (و عيون لا ينضبها) اى لا يتمها (الماتحون) اى آخذون الماء منها ، جمع ماتح وهونازع الماء من البئر ونحوها (و مناهل) جمع منهل محل الشرب من النهر و نحوه (لا يغيضها) اى لا ينقصها (الواردون) الذين يردونها للشرب .

(و منازل لا يضل نهجها المسافرون) فان من اراد السفر الى الحق يرى الطريق اليه مستقيما بسبب القرآن الحكيم (و اعلام) جمع علم ، و هو العلامة التى تنصب فى الطريق للدلالة عليه (لا يعمى عنها السّائرون) لأنها واضحة جلية فلا تخفى على من اراد السير (وآكام) جمع اكمة ، و هو الموضع المرتفع فى الصّحراء (لا يجوز عنها) بل يحطون الرحال عليها (القاصدون) فان السائر ينزل فى المرتفعات لأنها انظف و اشرف .

جَعَلَهُ ٱللهُ رِيًّا لِعَطَشِ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ ٱلْفُقَهَاءِ ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ ، وَحَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَهُدًى لِمَنِ ٱئْتَمَّ بِهِ ، وَعُذْراً لِمَنِ ٱنْتَحَلَهُ ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ ؛

(جعله الله) الضمير للقرآن (ريّا للعطش العلماء) لأنّ فيه من العلوم ما يرتوى العاطش للعلم بسببه (و ربيعا) اى منعشا (لقلوب الفقهاء) الّذين يريدون فهم الحقائق و معرفتها (و محاجّ) جمع محجة ، بمعنى الطريق (لطرق الصلحاء) فان الصالح الذى يريد السير الى الله سبحانه يكون القرآن طريقه الموصل له الى ما يريد ·

(و دواءا ليس بعده داء) و مرض (و نورا ليس معه ظلمة) اذ القرآن ينير سبيل الحق كاملا (و حبلا وثيقا) اى محكما (عروته) و هى الحلقة الّتى فى الحبل اذا تمسّك الانسان بها اوصلها الى السّعادة و الجنّة (و معقلا) اى حصنا (منيعا ذروته) فاذا علاه الانسان يمنعه عن مكاره الدنيا و الآخرة ·

(وعزّا لمن تولّاه) اى اتّخذه وليّا لنفسه (و سلما لمن دخله) يوجب سلامة دينه و ماله و سائر ما يتعلق به (و هدى) يرشده الى الطريق (لمن ائتمّ به) اى اقتدى به و جعله امامه (وعذرا لمن انتحله) اى نسب نفسه اليه ،فان المنافق اذا انتحل القرآن ، كان عذرا له فلا يقتل و لا يسلب ماله و اهله (و برهانا) اى حجّة (لمن تكلم به) و جعله حجّة لكلامه ·

(و شاهدا لمن خاصم به) فانه يغلب على خصمه اذا احتجّ بالقرآن (وفلجا) اى ظفرا و فوزا (لمن حاج به) المحاجة المباحثة و المجادلة ، فان من باحث

وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ . وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلْأَمَ . وَعِلْماً لِمَنْ وَعَىٰ ، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَىٰ ، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَىٰ .

بواسطة القرآن غلب على خصمه (وحاملا لمن حمله) اى من حمل القرآن بان عمل به كان القرآن حاملا له على الخير والسعادة (ومطيّة) هى الدابة التى يركبها الانسان للوصول الى مقاصده (لمن اعمله) اى جعله بحيث يعمل فى المجتمع فانه يسبب وصول الانسان الى مقاصده ٠

(وآية لمن توسّم) اى اراد التفرس عن الأمور المستقبلة فان القرآن آيـة و دليل على ذلك (وجنّة) ما به يتقى الضرر (لمن استلائم) اى لبس الملامة وهى ادات الحرب التى يلبسها الانسان لتقيه من الأعداء (وعلما لمن وعى) اى ادرك (وحديثا لمن روى) اى اراد ان يروى القصص (وحكما لمن قضى) اى اراد القضاء بين النّاس ٠

وَمِن كَلام لهُ عَليه السَّلام

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاةِ ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَٱسْتَكْثِرُوا مِنْهَا ، وَتَقَرَّبُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا « كَانَتْ عَلَىٰ ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً » . أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَىٰ جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟ قَالُوا : لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ » . وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ ٱلْوَرَقِ ،

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

في الصلاة ، و الزكاة ، و الأمانة ، و الوعظ

(تعاهدوا امر الصّلاة) اى واظبوا شانها لئلا تضيع (و حافظوا عليها) بادائها فى اوقاتها (و استكثروا منها) باتيان النوافل و التبرع بها فان الصلاة خير موضوع (و تقرّبوا بها) الى الله سبحانه فانها معراج المؤمن (فانها كانت) الفعل لمجرد الربط ، لا بمعنى الماضى (على المؤمنين كتابا موقوتا) اى مكتوبا محتوما .

(الا تسمعون الى جواب اهل النّار) كما يحكيه القرآن الحكيم (حين سئلوا: ((ما سلككم))) اى ادخلكم ((فى سقر))) ؟ اى فى النّار (((قالوا : لم نك من المصلّين))) و هذا من اسباب دخولنا فى النّار (و انها) اى الصلاة (لتحت الذنوب) اى تسقطها (حت الورق) اى مثل سقوط اوراق الأشجار عند الخريف .

وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ ٱللهِ -صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- بِٱلْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَىٰ بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَىٰ أَنْ يَبْقَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ؟ وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ. يَقُولُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ

(وتطلقها) اى الذنوب (اطلاق الرّبق) حبل فيه عدة عرى كل منها ((ربقة)) يربط بها الدواب، فكان الذنوب ربق فى الأعناق فاذا صلى الانسان فكت ((ربقة)) كما تفك الربق عن اعناق الدواب.

(وشبهها) اى الصلاة (رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم بالحمّة) العين التى تنبع الماء الحار فيستشفى به من العلة (تكون على باب الرّجل فهو يغتسل منها فى اليوم واللّيلة خمس مرّات) حسب اعداد اليومية الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء.

(فما عسى ان يبقى عليه من الدّرن) ؟ استفهام انكار اى هل يمكن ان يبقى على ذلك الرجل المغتسل كل يوم خمس مرات شئ من الأوساخ ؟ وهكذا من صلى الخمس لا يبقى عليه شئ من الذّنوب.

(وقد عرف حقّها رجال من المؤمنين) فادوها حق ادائها (الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرّة عين) اى الأموال والأولاد، ويسمى الولد قرّة عين، لأنه يوجب استقرار العين، وذلك يكون عند الفرح، اما عند الخوف فان العين تضطرب هنا وهناك لتجد ملتجأ.

(من ولد ولا مال) على اللف والنشر المشوش (يقول الله سبحانه : ((رجال لا تلهيهم) اى لا تشغلهم (تجارة ولا بيع) التجارة اعم من البيع

عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ » . وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ نَصِباً بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِٱلْجَنَّةِ ، لِقَوْلِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ : «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا » ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ .

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ ٱلْإِسْلَامِ ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا ، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً ، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً وَوِقَايَةً . فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ ،

لأنها تشمل الرهن و المزارعة و المساقات و ما اشبه (عن ذكر الله و) عن (اقام الصلاة) اصله اقامة الصلاة ، مصدر باب الأفعال من اقام يقيم ((وايتاء الزكاة))) اى اعطائها (و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم نصبا) اى : اذا تعب (بالصلاة) من كثرة اتيانه صلّى الله عليه و آله و سلم بها (بعد التبشير له) من الله سبحانه (بالجنّة) و انما كانت يتعب نفسه بالصلاة مع علمه بانه يذهب الى الجنة (لقول الله سبحانه : ((و امر اهلك بالصلاة و اصطبر عليها))) اى كن صابرا فى ادائها متحمّلا للمشاق فى سبيلها (فكان يامر) بالصلاة و اهله (ويصبر عليها نفسه) فلا يتركها لتعبها .

(ثم ان الزكاة جعلت مع الصّلاة قربانا) اى موجبة للتقرب الى مرضات الله سبحانه (لأهل الاسلام فمن اعطاها طيّب النفس بها) بان لم يرها مغرما ثقيلا و انما فرضا يسيرا (فانّها) اى الزكاة (تجعل له كفّارة) لذنوبه ، يقال : كفر الذنب اى ستره و محاه (و من النّار حجازا) اى حاجزا و مانعا فلا تلفحه النّار (و وقاية) اى حافظا (فلا يتبعنّها احد نفسه) اى لا يكون نظره وراء تلك الزكاة لتعلق نفسه بها .

(و لا يكثرن عليها لهفه) بان يتلهف على ذلك المال المدفوع كانه شئ

فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا ، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا ، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ ، مَغْبُونُ الْأَجْرِ ، ضَالُّ الْعَمَلِ ، طَوِيلُ النَّدَمِ .

ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ ، وَالْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ ، فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ ، وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا . وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعْنَ ؛ وَلَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ ،

ذهب من يده اعتباطا (فانّ من اعطاها غير طيّب النفس بها) كانه يراه مغرما بان (يرجو بها ما هو افضل منها) من ثواب الله وفضله (فهو جاهل بالسنة) غير عالم بما اعدّ الله سبحانه لمعطى الزكاة من الأجر و الفضل (مغبون الأجر) اى منقوصه (ضال العمل) قد بطل عمله بلا فائدة تعود اليه (طويل النّدم) يندم فى الآخرة طويلا ، لماذا لم يعط عن طيب خاطر حتى ينال ثواب الله .

(ثمّ) لترتيب الكلام لا للتدرج فى الخارج (فقد خاب من ليس من اهلها) اى خسر من ليس مؤدّيا للأمانة (انها) اى الأمانة (عرضت على السّماوات المبنيّة) الّتى بناها الله بقدرته (و الأرضين المدحوة) اى المبسوطة من دحاها بمعنى : بسطها ، (و الجبال ذات الطّول المنصوبة) على الأرض (فلا اطول و لا اعرض و لا اعلى و لا اعظم منها) بالنسبة الى الكائنات الأرضية .

(ولو امتنع شئ بطول اوعرض او قوة اوعزّ لامتنعن) اى لو كان ظواهر الشئ سببا لتمكنه من حمل الأمانة الذى يحتاج الى نفس قوية ، لكانت الجبال احق الأشياء بالامتناع و التمكن ، و المراد الامتناع عن الخيانة ، باداء الأمانة سالمة كما اخذت .

(و لكن اشفقن) اى خفن (من العقوبة) التى تترتب على خيانة الأمانة

وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ ، «إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولًا » .

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ . لَطُفَ بِهِ خُبْراً ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً . أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ ،

(وعقلن) اى ادركن (ما) اى الشئ الذى (جهل) ذلك الشئ (من هو اضعف منهنّ) اى من السّماوات ٠٠ الخ (و هو الانسان) فقبلها ٠

(انه كان ظلوما) بخيانة الأمانة بعد قبولها (جهولا) يجهل العقاب المترتّب على ذلك وكلام الامام عليه السلام اشارة الى قوله سبحانه : ((انّا عرضنا الامانة على السّماوات و الأرض و الجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)) والمراد من الآية ، اما المجاز لبيان صعوبة قبول الأمانة و ادائها او حقيقة ، بان قد عرضت الأمانه على تلك الأشياء عرض اختيار ، فلم تقبل لما علمت من صعوبتها ــ وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى كتاب ((تقريب القرآن)) فراجع ــ ٠

(انّ اللّه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه ما) اى الشئ الذى (العباد مقترفون) اى عامرون به من اقترف بمعنى كسب وعمل (فى ليلهم و نهارهم لطف به) الضمير عائد الى ((ما)) (خبرا) اى علما ومعنى ، اللّطف الدقة ، اى ان علمه نافذ فى دقائق الأشياء (و احاط به علما) فعلمه محيط بالأشياء لا تخرج شئ من علمه ٠

(اعظائكم شهود) على اعمالكم قال سبحانه : ((اليوم نختم على افواههم و تكلّمنا ايديهم و تشهد ارجلهم بما كانوا يعملون)) (و جوارحكم جنود) اى جند اللّه سبحانه ياتمرون بامره (وضمائركم) اى سرائركم (عيونه) اى جواسيسه فاذا

وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في معاوية

وَٱللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي ، وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ . وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ ٱلْغَدْرِ لَكُنْتُ

فعلتم شيئا اخبرت اللّه سبحانه بذلك ، وهذا من بديع التّعبير (وخلواتكم عيانه) اى مشاهد اليه لا يخفى عليه .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في معاوية

لقد كان معاوية يتوسل بالحيل و مختلف انواع المكر و الخدعة لبلوغ مآربه فكان النّاس يقولون انّ معاوية داهية ، وفى قباله الامام كان يتحرج الاّ من العمل الصحيح المرضى للّه سبحانه ، ولذا كان يفوته كثير من المنافع الدّنيوية ،وقد بين فى هذا الكلام وجه ذلك بقوله : (واللّه ما معاوية بادهى منّى) اى اكثر دهاءاً ، وهو التمكن من الوصول الى المطلب بواسطة الوسائل الملتوية المخفية (ولكنه يغدر) اذا رأى فى الغدر نفعا له فلا يلتزم بالعهد .

(ويفجر) اى يعصى اللّه سبحانه عصيانا كبيرا ، اذا راى فى ذلك صلاح نفسه .

(ولولا كراهية الغدر) اى انى اكرهه لأنه خيانة ومنقصة ومعصية (لكنت

مِنْ أَدْهَىٰ النَّاسِ ، وَلٰكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ، وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ . « وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » .

وَٱللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِٱلْمَكِيدَةِ ، وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ .

من ادهى النّاس) لأنى اعرف بوجه الحيلة من كل احد (ولكن كلّ غدرة فجرة) اى فجور وعصيان (وكلّ فجرة كفرة) فانّ الكفر على قسمين : كفر فى العقيدة ، و كفر فى العمل ، كما قال الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم : كفر من هذه الأمة عشرة النمام ... والمراد كفر العمل لا كفر العقيدة .

(ولكلّ غادر لواء) اى علم (يعرف به يوم القيامة) كانّه علامة له ، اذ لكلّ انسان ياتى الى المحشر طابع خاص وشكل مخصوص ، كما قال سبحانه :((يعرف المجرمون بسيماهم)) .

(واللّه ما استغفل بالمكيدة) اى انا اعرف الكيد فليس تسلط ذى الكيد علىّ لأنى غافل بل من جهة انى متحرّج لا اريد الكيد (ولا استغمز بالشديدة) اى انّ القوّة الشّديدة لا توجب ضعفى وانما اتقى الله سبحانه ، ولذا لا اقدم فى كثير من الموارد ، يقال : غمزه ، اذا اثر فيه بالضغط .

وَمِن كَلَام لَهُ عَلَيهِ السَّلَام

يعظ بسلوك الطريق الواضح

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ .

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضاَ وَالسُّخْطُ. وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ

وَمِن كَلَام لَهُ عَلَيهِ السَّلَام

فى الوعظ و الارشاد

(ايّها النّاس لا تستوحشوا فى طريق الهدى لقلة اهله) فاذا رايتم اهل الحق قليلا فلا يسبب ذلك توحشكم ، وخوفكم بل سيروا فى الطريق مهما كان انصاره قليلين (فانّ النّاس) اهل الباطل (قد اجتمعوا على مائدة) هى مائدة الدّنيا و التّلذّذ بلذائذها كيفما كانت من حل او حرام (شبعها قصير) لأن ايام الدنيا قليلة قصيرة (وجوعها طويل) فانّ من شبع من الدّنيا المحرمة ،جاع فى الآخرة ٠

(ايّها النّاس) اذا تركتم الدنيا تقوى و زهدا ، فلا ترضوا باعمال المتكالبين عليها ، فانّ الانسان كما يؤخذ بعمله كذلك يؤخذ برضاه ٠

(انّما يجمع النّاس الرضاء و السّخط) فالرّاضى بفعل شريك له و السّاخط على فعل مجانب له (و انّما عقر ناقة ثمود) قوم صالح (رجل واحد) هو قيدار

فَعَمَّهُمُ ٱللهُ بِٱلْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: « فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ »، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِٱلْخَسْفَةِ خُوارَ السِّكَّةِ ٱلْمُحْمَاةِ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْخَوَّارَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ ٱلْوَاضِحَ وَرَدَ ٱلْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ!

(فعمّهم اللّه بالعذاب) بان انزل العذاب على العاقر وغيره (لمّا عمّوه بالرضا) اى عموا العاقر بان رضوا بفعله فكانوا شركاء له فى الاثم الموجب للعقاب ·

(فقال سبحانه) ناسبا الفعل الى جميعهم (فعقروها) اى جرحوها (فاصبحوا نادمين) من فعلهم الذى اوجب نزول العقاب عليهم (فما كان الآ ان خارت) اى صوتت كخوار الثور (ارضهم بالخسفة خوار السكة المحماة) اى : الحديدة المحمّرة بالنّار (فى الأرض الخوّارة) اى اللّينة السهلة ، فانها لحرارتها تسرع النفوذ فى الأرض ، وكثيرا ما يسمع لها صوت خرقها للأرض و احراقها لما فيها من جذور النّبات وما اشبه ·

(ايّها النّاس من سلك الطريق الواضح ورد الماء) لأن الطرق المسلوكةلا بد و ان تنتهى الى مواضع الماء و الكلاء فيستريح الانسان بالوصول الى محل الراحة (و من خالف) بان ذهب يمينا و شمالا (وقع فى التّيه) الذى لا ماء فيه فيوجب هلاكه ، فسيروا فى الطريق الواضح الذى امر اللّه و رسوله ·

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

روي عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام ، كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قبره

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي ، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ ! قَلَّ ، يَا رَسُولَ اللهِ ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ،

ومن كلام له عليه السلام

عند دفن سيّدة النّساء ، فاطمة عليها السّلام

روى انّ الامام لما اراد ان يضع الصّديقة الطّاهرة عليها السلام فى القبر ، ظهرت يدان شبيهتان بيدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم داخل القبر، و اخذ تا الصّديقة عليها السلام ، و لما علم الامام بموقع الرّسول خاطبه بهذا الخطاب (السّلام عليك يا رسول اللّه عنّى وعن ابنتك) فانّ الانسان يبلّغ السّلام الى من يلقاه عن صديقه ايضا ، اذا علم برضاه لذلك و رغبته فيه (النّازلة فى جوارك) فان الميت ينزل فى القبر (و السّريعة اللّحاق بك) لأنها اوّل اهل بيت الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لحوقا به ، كما اخبرها صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مرضه الّذى توفّى فيه (قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتك) اى انّ القلّة ناشئة من ناحية فاطمة عليها السّلام التى هى مختارة لك (صبرى) و اذا قلّ صبر الانسان اظهر الجزع و الحزن الشّديد .

وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي ، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ، « أَنَا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » . فَلَقَدْ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ ، وَ أُخِذَتِ الرَّهِينَةُ !

(و رق) اى ضعف (عنها تجلّدى) اى تحفّظى على عدم ابداء الجزع فانّى لا اتمكن الآ من اظهار الجزع .

(الآ ان لى فى التأسى) اى الاقتداء (بعظيم فرقتك) اى بفراقك الذى عظم علىّ (و فادح) اى تمثيل (مصيبتك) اى موتك (موضع تعزّ) اى تصبروجلل و المعنى انى اعتبر بالمثال المتقدّم ـ و هو صبرى فى مصيبتك ـ فلا اجزع فى هذه المصيبة ايضا صبرا و احتسابا .

(فلقد وسدتك) اى انمتك وجعلت لك الوسادة (فى ملحودة قبرك) الملحودة الجهة المشقوقة من القبر (و فاضت) اى خرجت (بين نحرى و صدرى نفسك) فانّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان فى حجر على عليه السلام حين النّزع ، فكما انّى صبرت فى تلك المصيبة مع عظمها و مشاهدتى لها ، كذلك اصبر فى مصيبة الزّهراء عليها السّلام .

(انّا للّه و انّا إليه راجعون) هذه الجملة يقولها من اصيب بمصيبة ليعزى نفسه ، اذ المملوك للّه الّذى الى ثوابه وعقابه مصيره لا ينبغى ان يحزن اذا اخذ اللّه سبحانه منه شيئا .

(فلقد استرجعت الوديعة) فانّ الصديقة عليها السلام كانت وديعة الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم عند الامام ، و استرجاعها لأنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اخذها بيديه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الطاهرتين فى قبرها (و اخذت الرّهينة) كانّها كانت عند الامام بازاء عهد الامام الّذى اعطاه للرّسول

أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ ، إِلَىٰ أَنْ يَخْتَارَ ٱللهُ لِي دَارَكَ ٱلَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ . وَسَتُنَبِّئُكَ ٱبْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَىٰ هَضْمِهَا ، فَأَحْفِهَا ٱلسُّؤَالَ ، وَٱسْتَخْبِرْهَا ٱلْحَالَ ؛ هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ ٱلْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ ٱلذِّكْرُ ، وَٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ ، لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ ،

بان يراعيها و يقوم بشانها .

(امّا حزنى فسرمد) اى دائم ما دمت حيّا (و امّا ليلى فمسّهد) اى ينقضى بالسهاد ، اى السهر ، فان المحزون كثيرا لا يقدر ان ينام (الى ان يختار الله لى دارك) اى الجنّة (الّتى انت بها مقيم) ولا يخفى انّ الفاجعة الأليمة توجب دوام الحزن و السهر كلما ذكرها الانسان اذ انها تكمن فى طيات النفس و تغمر النفس بالاسى كلما ذكرتها .

(و ستنبئك) اى تخبرك (ابنتك بتضافر امتك) اى تظاهرهم (على هضمها) اى ظلمها بعضهم بالفعل و بعضهم بالسكوت والتأييد فانهم غصبوا عنها فدكا ، و كسروا ضلعها ، و اسقطوا جنينها ، ولطموا وجهها ، وآذوها فى زوجها و احرقوا باب دارها ، و دخلوها بغير اذنها .

(و استخبرها الحال) اى اطلب منها ان تخبرك عن حالنا بعدك (**هذا**) كله وقع علينا (و لم يطل العهد) الذى عاهدوك فى ان يحسنوا الى اهل بيتك (ولم يخل منك الذّكر) بل كان ذكرك باق بينهم ، وانّما فعلوا ما فعلوا – لا نسيانا – وانّما عصيانا وتكالبا على المال و السلطة (و السلام عليكما سلام مودع) يريد الوداع و الانصراف ، فان السلام يؤتى به عند الدخول وعندالانصراف (لا قال) القال المبغض (ولا سئم) من السامة ، بمعنى : الملالة ، اى انّ انصرافى ليس لأجل انى غاضب و ملول منكما .

فَـإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ ، وَإِنْ أُقِـمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ .

(فان انصرف) وارجع عن قبركما (فلا عن ملالة) من بقائى عندكما (و ان اقم) عند قبركما (فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين) بان اكون بقائى للجزع ، حيث انى اسئ الظن بعقبى الصبر بل انصرافى لأجل ادارة شئون اسباطك يا رسول الله ، والقيام بمهام الاسلام حسب امرك ، ولو بقيت كان ذلك لأجل انى معرض عن الدنيا و زخارفها لا انس لى بها و بأهلها .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ ،

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

فى الوعظ و التّزهيد عن الدّنيا

(ايّها النّاس انّما الدّنيا دار مجاز) اى ممرّ الى الآخرة (و الآخرة دار قرار) التى يستقر فيها الانسان (فخذوا من ممرّكم لمقرّكم) بان تزودوا من الدنيا بالأعمال الصالحة ، حتى يكون لكم هناك المقامات العالية ، فانّ ما يزرعه الانسان فى الدنيا يحصده فى الآخرة .

(ولا تهتكوا استاركم) كانّ ظاهر الانسان الذى لم يعص ستر على باطنه الملئ بالشهوات فاذا عصى انكشف باطنه وهتك ستره (عند من يعلم اسراركم) اشارة الى انّ اللّه سبحانه يعلم الضمائر ، لكنه لا ينظر اليها نظر عقاب وعذاب الا اذا هتكوا الستر باتيان المعصية (واخرجوا من الدنيا قلوبكم) بان يكون قلبكم مربوطا بالآخرة ناظرا اليها (من قبل ان تخرج منها ابدانكم) بالموت و الذهاب تحت التراب .

فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ . إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ : مَا تَرَكَ ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : مَا قَدَّمَ ؟ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ ! فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً ، وَلَا تُخْلِفُوا كُلاً فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ .

(ففيها) اى فى الدنيا (اختبرتم) اى امتحنكم الله سبحانه (ولغيرها خلقتم) اى انّ الانسان خلق للاستقرار فى الآخرة ، وانّما الدنيا ممر ومختبر ، واعلموا فلا ينفعكم الاّ العمل ، اما المال فيبقى فـ (ان المرء اذا هلك) اى مات (قال النّاس : ما ترك) ؟ اى يكون سؤالهم عن امواله ·

(وقالت الملائكة : ما قدم) ؟ اى يكون سؤالهم عن عمله الّذى عمله فى الدّنيا لياخذ جزائه فى الآخرة (للّه آباؤكم) كلمة تستعمل للتضجر ، واصلها ان من كان للّه يجب ان يعمل بما امر اللّه فكيف يخالفه ؟ وتستعمل احيانا للمدح·

(فقدّموا) من اعمالكم (بعضا) ولا تجعلوا عملكم كلّه للدنيا (يكن لكم) ذلك الذى قدمتموه (قرضا) تاخذونه عند ورودكم الى الآخرة (ولا تخلّفوا) اى لا تبقوا فى الدنيا (كلاّ فيكون عليكم) وزرا وعقابا ·

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

كان كثيراً ما ينادي به أصحابه

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللهُ ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا .

ومن كلام له عليه السلام

(كان كثيرا ما ينادى به اصحابهم) يعظهم به و يزهدهم فى الدنيا ٠

(تجهّزوا) اى خذوا جهازكم ، و هو زاد المسافر و ما يلزم فى سفره(رحمكم الله) جملة خبرية فى معنى الانشاء (فقد نودى فيكم بالرّحيل) اى اعلمتم بلزوم السفر من الدنيا الى الآخرة ٠

(اقلوا العرجة) اسم من التعريج بمعنى حبس المطية على المنزل (على الدنيا) اى اجعلوا ركونكم اليها قليلا ٠

(و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم) اى ارجعوا الى الآخرة ، وقد صحبتم احسن ما لديكم (من الزّاد) بان تجعلوا اعماركم واموالكم للآخرة لا تصرفوها لأجل الدنيا (فانّ امامكم عقبة كؤدا) اى صعبة المرتقى (و منازل مخوفة مهولة) توجب الخوف و الهول ، فان القبر ، و الحساب ، و الصراط ، و ما اشبه توجب اشدّ الخوف و الهول (لا بدّ من الورود عليها) فليس للانسان مفرّ منها (والوقوف عندها) بان يقف حتى يحاسب ٠

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ، وَمُعْضِلَاتُ الْمَحْذُورِ. فَقَطِّعُوا عَلَائِقَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَىٰ.

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم، بخلاف هذه الرواية.

(واعلموا انّ ملاحظ المنية) اى منبعث نظر الموت ، كانّ الموت شيء ينظر الى الانسان حين يريد اختطافه (نحوكم دانية) اى قريبة .

(وكانّكم بمخالبها) جمع مخلب ، وهو ظفر الحيوان المفترس (وقد نشبت فيكم) اى علقت بكم (وقد دهمتكم) اى وردت عليكم (فيها) اى فى المنية – اذا نزلت – (مفظعات الأمور) اى الأمور الفظيعة الشديدة (ومعضلات المحذور) اى المحاذير – المخوفات – المشكلة من اعضل الأمر اذا اشكل ولم يعلم وجه حله .

(فقطعوا علائق الدنيا) حتى لا تصيدكم وتقعوا فى شباكها (واستظهروا) اى ليستعينوا (بزاد التقوى) اى الزاد الذى هو التقوى من الله سبحانه .

((وقد مضى شئ من هذا الكلام فيما تقدم بخلاف هذه الرواية)) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما ، والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً ، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً . أَلَا تُخْبِرَانِي ، أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ ؟ وَ أَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عاتبه طلحة و الزبير ، فی انّه علیه السّلام لا یستشیرهما فی الأمور و لا یستعین بهما .

(لقد نقمتما یسیرا) ای غضبتما لأمر یسیر وعدم مشورتی لکما (و ارجاتما) ای اخرتما (کثیرا) ای ان الذی اخرتماه لی ـ غیر النقمة التی اظهرتماها ـ من تجهیز الجیش و القیام بمحاربتی کثیر .

(الا تخبرانی ای شیٔ لکما فیه حق دفعتکما عنه) ؟ ای هل لکما الحق فی لزوم مشورتی لکما ، فلم استشر ، حتی یکون ذلك دفعا لحقکما و سببا لغضبکما (و ای قسم) ای قسمة فی العطاء (استاثرت) ای استبددت (علیکما به) ای بذلك القسم بان اخذته لنفسی ، و حرمتکما فی حال کون ذلك حقا لکما، حتی تغضبان علیّ .

(ام ایّ حق رفعه الیّ احد من المسلمین) فی امور القضاء و نحوها (ضعفت

عَنْهُ ، أَمْ جَهِلْتُهُ ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ !

وَٱللهِ ما كَانَتْ لِي فِي ٱلْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ ، وَلَا فِي ٱلْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ ، وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا ، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَىٰ كِتَابِ ٱللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا ، وَأَمَرَنَا بِٱلْحُكْمِ بِهِ فَٱتَّبَعْتُهُ ، وَمَا ٱسْتَسَنَّ النَّبِيُّ ، صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَٱقْتَدَيْتُهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ إِلَىٰ رَأْيِكُمَا ، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا ، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ

عنه) فلم اتمكن من تنفيذه (ام جهلته) فلم اعلم به (ام اخطات بابه) بما اشتبهت فى المصداق و الجهل ، الخطاء فى الحكم .. فاحتجت الى احد يوازرنى فلم اعتمد عليكما ؟ كل ذلك لم يكن ، و انما ارادا ان يكونا وزيران يكون لهما منصب ، و ان يكون لهما مال زائد على سائر المسلمين ، فلما رايا خلاف ذلك نقما على الامام ، و شقا عصى الطاعة .

(و الله ما كانت لى فى الخلافة رغبة) و ميل حتى تمنا علىّ بانكما نفذتما رغبتى ببيعتكما لى ، فاللازم ان انفذ رغبتكما (ولا فى الولاية) اى تولى شئون المسلمين (اربة) اى غرض و حاجة (ولكنكم دعوتمونى اليها) اى الى الخلافة (و حملتمونى عليها) اى اصررتم علىّ حتّى قبلتها .

(فلمّا افضت) الخلافة ، اى وصلت (الىّ نظرت الى كتاب الله و ما وضع لنا) اى الأحكام التى بيّنها الكتاب للخليفة .

(و امرنا بالحكم به) من احكام الشّريعة (فاتّبعته) و نفذته فى المسلمين (و ما استسنّ اى جعله سنة و طريقة (النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فاقتديته) اى جعلته قدوة لى ، و عملت به .

(فلم احتج فى ذلك) العمل بالكتاب و السّنة (الى رايكما) حتى استشير (ولا راى غيركما) و هل يستشير الانسان بدون الاحتياج ؟ (ولا وقع حكم

جَهِلْتُهُ ، فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا ، وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ ٱلْأُسْوَةِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي ، وَلَا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي ، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَ أَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ ٱللّٰهِ . صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا

جهلته) كيف يكون و كيف ينفذ ؟ (فاستشيركما) فيه (و) استشير سائر (اخوانى من المسلمين) حتى اعرف الحكم ٠

(ولو كان ذلك) بان جهلت شيئا (لم ارغب عنكما) بان اتركـكما و لا استشيركما (ولا عن غيركما) من سائر المسلمين (و امّا ما ذكرتما من امر الأسوة) اى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وآله و سلم فى تسوية العطاء بين المسلمين ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله و سلم يسوى فى العطاء ، وبعده جاء عمر وعثمان ، ففضلا بعضا على بعض على خلاف حكم الله و الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٠

ولما جاء الامام واعاد سنة الرسول صلى الله عليه وآله و سلم و سيرته ، نقم اهل الاثرة عليه و من جملتهم طلحة و الزبير ، اذ كانا يريدان ان يفضلهما فى العطاء ، فابى عليه السلام الا اتباع سيرة الرسول صلى الله عليه وآله و سلم (فانّ ذلك امر لم احكم انا فيه برايى) حتى يكون راى الخاص موجبا لحرمانكما (ولاوليته) اى اتبعت هذا الأمر – و هو التسوية – (هوى منّى) اى بمجرد رغبتى و هوى نفسى ٠

(بل وجدت انا و انتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم) من التسوية فى العطاء (قد فرغ منه) اى انه مفروغ منه ثابت فى الشريعة شهدته و شهدتما ذلك فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله و سلم (فلم احتج اليكما فيما

قَدْ فَرَغَ ٱللهُ مِنْ قَسْمِهِ ، وَأَمْضَىٰ فِيهِ حُكْمَهُ ، فَلَيْسَ لَكُمَا ، وَٱللهِ ، عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هٰذَا عُتْبَىٰ . أَخَذَ ٱللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ ٱلصَّبْرَ .

ثم قال عليه السلام : رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً رَأَىٰ حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ ، أَوْ رَأَىٰ جَوْراً فَرَدَّهُ ، وَكَانَ عَوْناً

قد فرغ اللّه من قسمه) اى جعله من التسوية فى العطاء (و امضى فيه حكمه) بان يكون للكل على حدّ سواء ، و ذلك لأنّ المسلمين اذا كانوا جميعا دخيلا فى تحصيل الغنيمة كان الكل فيه مشاركون على حد سواء الا ما استثنى ــ نحو : من قتل قتيلا فله سلبه ، و ما اشبه ــ فاذا اراد احدهم اكثر كان ظالما لمن ينتقص من حقّه و حيث ان مركز القيادة الاسلامية هى التى تقوم بالجهاد و ما اشبه ، يكون النصيب هناك موزعا .

اما سائر بلاد الاسلام ، فلها حسب الحاجة كما يرى الولات و من ذلك تبين انه لا يلزم تقسيم المال الى جميع افراد المسلمين : حتى يقال : و كيف كان العطاء خاصا بالمدينة مثلا ؟ كما ان ذلك حكم الغنائم و ما اشبه فلا يقال : فكيف يجوز للمجتهد التفضيل فى اعطاء الخمس و الزكاة ؟ و لذا كان الامام اوصى مالكا فى عهده حين ولاه مصر ان يعطى القاضى ما يسدّ حاجته ، الى غير ذلك .

(فليس لكما) يا طلحة و الزبير (و اللّه عندى و لا لغيركما فى هذا) الأمر و هو التقسيم بالسوية (عتبى) اى عتب و اشكال (اخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم الى الحقّ) بان ترضى القلوب باتباع الحق (و الهمنا و اياكم الصبر) على حكم الله سبحانه و ان كان فى ذلك نقص لمال او جاه بالنسبة الينا .

(ثم قال عليه السلام) : (رحم الله امرء راى حقّا فاعان عليه) حتى يستقر و يغلب على الباطل (او راى جورا) اى ظلما (فردّه) بان ابطله (وكان عونا

بِالْحَقِّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ .

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

وقد سمع قوما من اصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ ، وَلٰكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ،

بالحقّ على صاحبه) الذى يظلم ، بان ينبّه صاحبه الذى على الباطل ، حتى يرجع عن غيّه .

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

(وقد سمع قوما من اصحابه يسبّون اهل الشام ايام حربهم بصفّين) و فيه نهى لهم عن السب ، و لا يخفى انه لا ينافى عدم السب لمصلحة طارئه ، جواز السب للقاعدة ، فان لكل شئ موقعا ، ولذا قال سبحانه : ((ولا تسبّوا الذين يدعون من دون اللّه)) وقد كان النّبى صلى الله عليه وآله وسلم يسب الأصنام ، ولذا قال قريشى لأبى طالب انّ ابن اخيك قد سبّ آلهتنا .

(انّى اكره لكم ان تكونوا سبّابين) فان السب يثير الطرف المقابل بلا فائدة (ولكنكم لو وصفتم اعمالهم) اى اعمال معاوية واتباعه (وذكرتم حالهم) لمن يجهل اى الطرفين على الحق (كان اصوب فى القول) لأنه يوجب الفات النّاس الى عدم لياقة معاوية ، وكونه ظالما فى دعواه (وابلغ فى العذر) اى عذرنا فى قتالهم ، اذ كل من يعرف انهم ظالمون يعطينا الحق فى محاربتهم .

وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ : اَللّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ .

(و قلتم مكان سبّكم اياهم اللّهم احقن) اى احفظ (دمائنا و دمائهم) بان يرجعوا الى الحق فلا يحاربوا حتى تراق الدماء (و اصلح ذات بيننا و بينهم) اى الصفة التى بين الطرفين كأنّها شئ متصل اذا فسد حاربا و اذا صلح تالّفا .

(و اهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ من جهله) منهم (و يرعوى) اى ينقلع (عن الغىّ) اى الضلالة (و العدوان) اى التّعدى (من لهج به) اى تكلم بالغى و العدوان ، ممّن علم الحق لكنه يستمر على الباطل ، غيّا و عدوانا .. و لا يخفى ان مثل ذلك بالنسبة الى الخصم يوجب جلبه وترضية خاطره و جلبه الى طرف الحق .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلى الحرب

ٱمْلِكُوا عنّي هٰذَا ٱلْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي ، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهٰذَيْنِ - يَعْنِي ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - عَلَىٰ ٱلْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّىٰ ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قال السيد الشريف : وقوله عليه السلام « املكوا عني هذا الغلام » من أعلى الكلام وأفصحه .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

فى بعض ايّام الصّفين ، حين راى الامام الحسن عليه السّلام يتسرّع الى الحرب (املكوا) اى احفظوا بشدة (عنّى) اى عن طرفى ، و من جهة **امرى** (هذا الغلام لايهدّنى) اى حتّى لا يهدم اركانى بموته اذا قتل (فانّنى انفس) اى ابخل (بهذين) ــ ((يعنى الحسن و الحسين عليهما السلام)) ــ **(على** الموت لئلاّ ينقطع بـ) سبب موت (هما نسل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم) اذ هما الباقيان عن نسل الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم .

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَىٰ مَا أُحِبُّ ، حَتَّىٰ نَهِكَتْكُمُ ٱلْحَرْبُ ، وَقَدْ ، وَٱللهِ ، أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ . لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً ، فَأَصْبَحْتُ ٱلْيَوْمَ مَأْمُوراً ،

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

قاله لمّا اضطرب عليه اصحابه فى امر الحكومة ، فى قصّة صفّين

(ايّها النّاس انّه لم يزل امرى معكم على ما احبّ) من لزومكم الطاعة وائتماركم لأوامرى (حتّى نهكتكم الحرب) اى اضعفتكم (وقد و اللّه اخذت) الحرب (منكم) بعضا ممن قتلوا (و تركت) بعضا و هم الباقون (و هى) اى الحرب (لعدوّكم) اى اصحاب معاوية (انهك) اذ قتل منهم اكثر من اصحاب الامام و هذا الكلام لوم لأصحابه ، كيف جنبوا عن القتال لما اضعفتهم الحرب بينمايجب ان يكونوا كالسّابق ، اذ تاثير الحرب فى اعدائهم كان اكثر .. و انّما الشئ قوىّ و انهم فى اجبار الامام على الحكومة ، خوفهم الذى سرى فيهم من الحرب .

(لقد كنت امس) قبل انهاك الحرب (اميرا) آمركم فتاتمرون (فاصبحت اليوم مامورا) اذ هم الذين الجئوا الامام لأن يقبل قضية التحكيم ، وكان الامام كارها له ، لأنه يعلم انه مكيدة .

وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً ، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيًّا ، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُونَ !

(و كنت امس ناهيا) عن الحكومة حينما اقترحتم علىّ (فاصبحت اليوم منهيّا) اذ انّ اصحاب الامام لما عرفوا المكيدة فى التحكيم جعلوا ينهون الامام عنه بعد ما افلت الزّمام من يده عليه السلام ، و اعطى القول بقبوله ٠

(وقد احببتم البقاء) فى الدّنيا و لذا اجبرتمونا على التّحكيم ، لتنهوا بذلك امر القتال (وليس لى ان احملكم على ما تكرهون) من الحرب ، و هذا توبيخ لهم ، بتركهم الحرب ، و جبنهم و الزامهم للامام بالتّحكيم ، ثمّ ندمهم و نهيهم له عليه السّلام عن التّحكيم ٠

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالبصرة ، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي – وهو من أصحابه – يعوده ، فلما رأى سعة داره قال :

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ ؟ وَبَلَىٰ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ : تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا ،

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(بالبصرة ، وقد دخل على علاء بن زياد الحارثى – و هو من اصحابه – يعوده ، فلمّا راى سعة داره قال :)

(ما كنت تصنع بسعة هذه الدّار فى الدّنيا) ؟ استفهام للانكار، اى انك لا تحتاج الى مثل هذه السّعة ، فما حاجتك لها .. ؟ (اما) للتنبيه (انت اليها) اى الى هذه السّعة (فى الآخرة كنت احوج) بمعنى ان تقدّم بعضها الى آخرتك وتكتفى فى الدّنيا بدابر تكفيك.. وكانّ الامام عليه السلام قال هذه الجملة مقدّمة لكلامه الآتى (و بلى ان شئت بلغت بها الآخرة) بان صرفتها فى تحصيل مرضات الله سبحانه (تقرى فيها الضّيف) اقراء الضّيف اضافته .

(و تصل فيها الرّحم) بان تدعوهم الى دارك للنّزهة و ما اشبه (و تطلع منها) اى من هذه الدّار (الحقوق) الشّرعية (مطالعها) اى الى وجوهها

فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ .

فقال له العلاء ، يا أمير المؤمنين ، أشكو أليك أخي عاصم بن زياد . قال : وما له ؟ قال ، لبس العباءة وتخلى عن الدنيا . قال : عليّ به . فلما جاء قال :

يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ ! لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ ! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ ! أَتَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ! أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذٰلِكَ !

الّتى شرّعها اللّه سبحانه (فاذا) فعلت ذلك (انت قد بلّغت بها) اى بهذه الدّار (الآخرة) لأنها صارت سببا لتحصيلها ٠

(فقال له العلاء : ياامير المؤمنين اشكو اليك اخى عاصم بن زياد ، قال عليه السّلام : وما له ؟ قال : لبس العبائة) الّتى كانت من زى الزهاد (و تخلى عن الدّنيا) اى عن التنعّم بنعمها (قال عليه السلام : علىّ به ٠ فلما جاءقال:)

(يا عدىّ نفسه) تصغيرعدو اما للتصغير او للتّعظيم نحو ((دويهية تصغّر منها الأنامل)) (لقد استهام بك الخبيث) اى الشّيطان ، ومعنى استهام زين الهيام و التوله اليك (اما رحمت اهلك و ولدك) ؟ حيث تركت شانهم لزعمك انّك زهدت فى الدّنيا (اترى اللّه احلّ لك الطّيبات و هو يكـره ان تاخذها) ؟ حيث قال سبحانه : ((قل من حرّم زينة اللّه الّتى اخرج لعباده و الطّيبات من الرّزق ؟ قل : هى للّذين آمنوا فى الحياة الدّنيا ، خالصة يـوم القيامة)) ٠

(انت اهون على اللّه من ذلك) بان يحلّل لك مجبورا فى تحليله ، حتّى اذاعلمت ذلك تركت لتوافق مرضات اللّه سبحانه ، و ذلك لأنّ لذائذ الدّنيا مباحة للانسان و قد خلقها سبحانه له بشرط ان لا ياخذها من حرام ، ولايصرف القوة التى اخذ منها الاّ فى طاعة ، ولا يبعد ان يكون هذا للعامة اما الخواص

قال : يا أمير المؤمنين ، هذا أنت في خشونة ملبسك وجُشوبة مأكلك!

قَالَ : وَيْحَكَ ، إنّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ فَرَضَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ ٱلْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِٱلْفَقِيرِ فَقْرُهُ!

فينطبق عليه قوله عليه السلام : ((ما من احد ظاب مطعمه و ملبسه الآ و طال وقوفه بين يدى اللّه سبحانه)) .

(قال :) عاصم مستفسرا عن الامام كيف ينهاه ، عن ذلك وهو زاهد فى الدّنيا (يا امير المؤمنين هذا انت فى خشونة ملبسك) لا نعومة له حتّى يلتذّ جسمك ((و جشوبة ماكلك)) اى خشونتها لا لين فيه ... ؟ .

(قال) عليه السلام : (ويحك) كلمة تستعمل للاهانة وللمدح (انّى لست كانت) حتّى تقيس نفسك بى (انّ اللّه فرض على ائمّة العدل) مقابل الأئمّة الجائرون ، فانّ اللّه سبحانه لم يمض كونهم اماما ، حتّى يرتب عليهم شئون الأئمّة المنصوبين من قبله (ان يقدّروا) اى يقيسوا (انفسهم بضعفة النّاس) جمع ضعيف ، اى يعيشوا كالضّعفاء فى الماكل و الملبس و ما اشبه (كيلا يتبيّغ) اى لا يهيج (بالفقير فقره) اذ لو راى الفقير انّ امامه يتنعّم بلذائذ الحياة هاج بما لفقر و لم يصبر و انحرف عن الجادة ، اما اذا راى امامه يعيش مثل عيشه كان ذلك سلوة له و تطمينا لقلبه .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلامُ

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال عليه السلام:

إنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا ، وَصِدْقاً وَكَذِباً ، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً ، وَعَامًّا وَخَاصًّا ، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً ،

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلامُ

(وقد سئله سائل عن احاديث البدع وعمّا فى ايدى النّاس من اختلاف الخبر) اى الأخبار المروية عن الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، وما نسب صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بدعة وكذبا ((فقال عليه السّلام)) مقسما الحديث الى اربعة اقسام .

(انّ فى ايدى النّاس حقّا وباطلا وصدقا وكذبا) الحقّ والباطل باعتبار المطالب ــ ككون الاله واحدا ام متعدّدا ــ والصّدق والكذب باعتبار الأخبار ، ككون الرّسول قال كذا ام لم يقله ، وقد يكون الفرق بينهما بالاعتبار ، فيقال للخبر المطابق للواقع ((صدق)) باعتبار كونه مطابقا للواقع و ((حق)) باعتبار انّه مطابق للواقع .

(وناسخا) ازال الحكم السّابق (ومنسوخا) قد ازيل حكمه (وعاما) شاملا لكلّ الأفراد نحو ((اكرم العلماء)) ((وخاصّا)) نحو ((لا تكرم زيدا))(ومحكما) واضح الدّلالة نحو ((قل هو اللّه احد)) (ومتشابها) غير واضح الدّلالة ، نحو

وَحِفْظاً وَوَهْماً. وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَىٰ عَهْدِهِ ، حَتَّىٰ قَامَ خَطِيباً ، فَقَالَ : «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ».وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ يَكْذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ،

((الى ربّها ناظرة)) (وحفظا) اى ما حفظ عن الرّسول صلّى اللّه عليه وآله و سلّم (و وهما) ما لم يتعمد كذبه و لكن توهم خلاف ما قاله الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم .

(و لقد كذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله و سلّم على عهده) اى في زمان حياته (حتّى قام خطيبا فقال : ((من كذب عليّ متعمّدا فليتبوّء مقعده من النّار) اى ليملأ مكانه في الآخرة من النّار ، و هذا كناية عن انّه بذلك يستحـق النّار (و انّما اتاك بالحديث اربعة رجال ليس لهم خامس) و كانّ الامام عليه السّلام قدم تلك المقدمة لبيان انّ بعض النّاس علم بالعام دون الخاص ، او سمع المتشابه و ظنّ محكما ، او ما اشبه ذلك ..

الأول : (رجل منافق) يخالف ظاهر باطنه ، فهو مسلم فى الظاهر،كافر فى الباطن (مظهر للايمان متصنع بالاسلام) اى يصنعه لنفسه دون ان يكون فى الواقع مسلما (لا يتاثّم) اى لا يخاف الاثم (و لا يتحرّج) اى لا يخشى الوقوع فى الحرج ، اى الجرم الموجب للضّيق (يكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله و سلّم متعمّدا) لمصالح شخصية و ذلك كابى هريرة ، و سمرة بن جندب ، و احزابهما .

(فلو علم النّاس انّه منافق كاذب) فى حديثه (لم يقبلوا منه و لم يصدّقوا قوله

وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ رَآىٰ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ ٱللهُ عَنِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ، عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلامُ فَتَقَرَّبُوا إِلَىٰ أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ، وَالدُّعَاةِ إِلَىٰ النَّارِ بِالزُّورِ وَٱلْبُهْتَانِ فَوَلَّوْهُمُ ٱلْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَىٰ رِقَابِ النَّاسِ، أَكَلُوا بِهِمُ

و لكنّهم قالوا صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم راى) الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (و سمع منه) الحديث (و لقف عنه) اى تناول و اخذ (فياخذون بقوله) فيما يرويه عن الرّسول ·

(و قد اخبرك اللّه عن المنافقين بما اخبرك ، وصفهم بما وصفهم به لك) من الصّفات الذّميمة ، كقوله سبحانه : ((و اللّه يشهد انّ المنافقين لكاذبون اتّخذوا ايمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل اللّه انّهم ساء ما كانوا يعملون ، ذلك بانّهم آمنوا ثمّ كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ، و اذا رايتهم تعجبك اجسامهم ، و ان يقولوا تسمع لقولهم كانّهم خشب مسنّدة يحسبون كلّ صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم اللّه انّى يؤفكون)) فهل يتوقّع الانسان بعد ذلك من امثال هؤلاء الصدق و الامانة فى نقل الحديث ؟ ·

(ثمّ بقوا) هؤلاء المنافقون (بعده عليه و آله السّلام) اى بعد موت الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (فتقرّبوا الى ائمّة الضّلالة و الدّعاة الى النّار) جمع الدّاعى (بالزّور) اى الكذب و هذا متعلق بـ ((تقرّبوا)) (و البهتان) اى الافتراء على الرّسول فى خلق الأحاديث ·

(فولّوهم الأعمال) حيث راى اولئك الأئمّة انّ فى بقاء هؤلاء تقوية لسلطانهم، اذ يختلقون لهم احاديث (و جعلوهم حكاما على رقاب النّاس) يتصرّفون فى البلاد و العباد كيف شائوا (و اكلوا) اى اولئك الأمة (بهم) اى بهؤلاء

الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ ، فَهٰذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ .

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، فَوَهِمَ فِيهِ ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً ، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ ، وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ ، وَيَقُولُ : أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ لَرَفَضَهُ !

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ

المنافقين نقلة الأحاديث كذبا (الدّنيا) اذ قووا سلطتهم باختلاف احاديث مجعولة لتحبيبهم الى النّاس .

(وانّما النّاس مع الملوك و) مع (الدّنيا الاّ من عصم اللّه) اى : حفظه حتّى لا يميل اليهم ، اذا كان فى ذلك هلك دينه (فهذا احد الأربعة) الّذين ياتون بالحديث عن الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، ومنه يقع الاختلاف فى الأخبار المروية عنه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، ومن هنا نشئت البدع .

(و) الثّانى من الأقسام الأربعة (رجل سمع من رسول اللّه شيئا لم يحفظه على وجهه) كما قال الرّسول وعلى الجهة الّتى ارادها (فوهم) اى اخطأ و غلط (فيه) اى فى ذلك الشّئ (ولم يتعمّد كذبا) على الرّسول وافتراءا عليه (فهو) اى الحديث الموهوم (فى يديه ويرويه) عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله وسلّم .

(ويعمل به) لنفسه (ويقول : انا سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، فلوعلم المسلمون انّه وهم فيه) واخطأ (لم يقبلوه منه ، ولو علم هو) الرّاوى (انه كذلك) وهم واشتباه (لرفضه) ولم يروه ولم يعمل به .

(و) الثّالث من الأقسام الأربعة (رجل ثالث سمع من رسول اللّه صلّى اللّه

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ ، ثُمَّ نَهَىٰ عَنْهُ ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَىٰ عَنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ .

وَآخَرُ رَابِعٌ ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَىٰ اللهِ ، وَلَا عَلَىٰ رَسُولِهِ ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللهِ ، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَهِمْ ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَىٰ مَا سَمِعَهُ ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ

عليه و آله و سلّم شيئا يامر به ثمّ نهى عنه و هو لا يعلم) بالنّهى ، كسماعه امره صلّى الله عليه و آله و سلّم بذهاب ابى بكر لسورة براءة ثم نهيه عن ذلك، و تبديله بالامام عليه السّلام (او سمعه) صلّى الله عليه و آله و سلّم (ينهى عن شئ ثمّ امر به و هو لا يعلم) كما لو سمع لزوم الكف عن الجهاد فى مكة ثم امر به فى المدينة (فحفظ المنسوخ) الذى زال حكمه (و لم يحفظ النّاسخ) اى الحكم الثّانى ٠

(فلو علم انّه منسوخ لرفضه) و لم يعلم به (و لو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه) و لم يعملوا به ، لكنّهم جهلوا ذلك فاخذوا به ، وهو خلاف الواقع فمن هنا ياتى الاختلاف ٠

(و) القسم الرّابع (آخر رابع) الأقسام الثلاثة الماضية الراوية للحديث (لم يكذب على الله و لا على رسوله) عمدا كالمنافقين (مبغض للكذب خوفا من الله) لئلاّ يعاقبه (و تعظيما لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم) اذ نسبة الكذب اليه قبيح ينافى مقامه الكريم (و لم يهم) اى لم يخطأ ،لا كالقسم الثانى ، و لا كالقسم الثالث (بل حفظ ما سمع على وجهه) اى مع عرفان مقصده الذى قيل لأجله (فجاء به) اى نقل الحديث (على ما سمعه لم يزد فيه

وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ، فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ والعَامَّ ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ ، وَمُحْكَمَهُ .

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْكَلامُ لَهُ وَجْهَانِ :

و لم ينقص منه) كما انه سمع الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ، لا بعضه دون بعض .

(فحفظ الناسخ فعمل به ، و حفظ المنسوخ فجنب) اى تجنب (عنه) فانّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يامر حسب المصالح فى شئون خاصة ، فاذا ذهب ذلك الظرف امر بما يلائم الظرف الثانى ، كالكف عن الجهاد فى مكة ، و الأمر بالجهاد فى المدينة .

(وعرف الخاصّ و العامّ) فلم يامر بالعام حتّى فى مورد الخاص (فوضع كلّ شئ موضعه) العام لجميع الأفراد باستثناء الخاص ، و الخاص لمكانه المخصوص به .

(وعرف المتشابه) الذى يراد به غير معناه الظاهر ، او ما تشابه فلم يعلم المراد منه (و محكمه) نحو ((لا تدرك الأبصار)) الذى هو محكم و ((وجوه يومئذ ناظرة الى ربّها ناظرة)) الذى هو متشابه و هذا الراوى ـ من الأقسام الأربعة ـ هو المعتمد عليه الّذى لا يروى الاّ صدقا و حقّا ، و يمكن الأخذ بقوله .

(و قد كان يكون من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الكلام له وجهان :) من جهة يمكن العمل به و من جهة لا يمكن العمل به ، فانّ الرّسول كان يتكلّم حسب اهل العرف قال سبحانه : ((و ما ارسلنا من رسول الاّ بلسان قومه)) فكما

فَكَلَامٌ خَاصٌّ ، وَكَلَامٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى ٱللهُ سُبْحَانَهُ، بِهِ ، وَلَا مَا عَنَى رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ ، وَمَا قُصِدَ بِهِ ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ ٱلْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِىءُ ، فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَسْمَعُوا ،

انّ كلام البلغاء يحتوى على مختلف الأشكال كذلك كلام الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم (فكلام خاص و كلام عام فيسمعه) اى الكلام العام (من لا يعرف ما عنى اللّه سبحانه به) اى بهذا الكلام العام فيظنّ انّه عنى تمام افراده ، و الحال انّ المقصود باستثناء الخاص .

(و لا ما عنى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم) من بيان هذا الكلام العام (فيحمله السّامع و يوجّهه على غير معرفة بمعناه) المقصود (و ما قصد به) حين اطلق (و ما خرج) اى جاء (من اجله) فقد جاء الكلام من اجل الكناية، كما يحكى انّ الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم قال لبعض اصحابه اقطع لسانه ـ بالنّسبة الى سائل كان يسأله ـ فاراد الرّجل ان يقطع لسانه ، فادركه علىّ عليه السلام و قال : ان مراد السائل اعطائه شيئا ، و هكذا .

(و ليس كل اصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من كان يسأله و يستفهمه) اى يطلب من الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم فهم ما يقول ، اماخجلا او جهلا ، او ما اشبه .

(حتّى ان كانوا ليحبّون ان يجئ الأعرابى) اى البدوى الخارج من المدينة (و الطّارى) اى الّذى طرء اى عرض ، و ليس من الصّحابة (فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا) فاذا كانوا كذلك لم يكن فهمهم للأحاديث فهما صحيحا يمكن

وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ فَهٰذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ .

الاعتماد عليه ·

(وكان لا يمرّ بى من ذلك شئ) من الأحاديث المشكلة (إلآ سألت عنه و حفظته) ولذا قال عليه السّلام علمنى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الـف باب من العلم يفتح لى من كل باب الف باب ·

(فهذه وجوه ما عليه النّاس فى اختلافهم وعللهم) اى علّة هؤلاء فـى الاختلاف (فى رواياتهم) الّتى رووها كما ان منا ظهر منشأ البدعة ، و ان بعضها عمد و بعضها جهل ·

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في عجيب صنعة الكون

وَكَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ ، يَبَساً جَامِداً ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً ، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى عجيب صنعة الكون

(وكان من اقتدار جبروته) الجبروت الحالة التى يمكن بها جبر الأشياء على الاطاعة والانقياد ، فاضافة الاقتدار اليها من باب اضافة العام الى الخاص (و) من (بديع لطائف صنعته) اى الصّنعة الدّقيقة الّتى ابتدعها واوجدها من غير مثال (ان جعل من ماء البحر) وهو البحر الّذى خلقه الله سبحانه قبل خلق الأرض والسّماوات ، واشير اليه فى الخطبة الأولى وغيرها (الزّاخر) اى الطافى الممتلى من زخر البحر اذا امتلأ (المتراكم) اى المجتمع (المتقاصف) اى الذى يقصف بعضه بعضا ، اى يكسره (يبسا جامدا) اى الأرض اليابسة .

(ثمّ فطر منه) اى خلق من ذلك الماء (اطباقا) اى طبقات ، فانّ ماء البحر خض خضا شديدا ، فجعل من زبده الأرض ، ومن بخاره الصاعد السماوات ، وحيث كان البخار شيئا واحدا متصلا ، قال عليه السّلام (ففتقها) اى فرقها بعد ان كانت متصلة (سبع سماوات) اما المراد الاجرام ، او المراد

بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ ، وَقَامَتْ عَلَىٰ حَدِّهِ . وَأَرْسَىٰ أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ ، وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ . وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا ، وَنُشُوزَ مُتُونِهَا ، وَأَطْوَادِهَا ، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا ،

ما يملأ الفضاء من الجسم البسيط الذى كان يسمّى اثيرا ، و تمييز بعض السماوات عن بعض بكونها مدارات لكل مدار نظام خاص (بعد ارتتاقها) اى بعد ان كانت متصلة بعضها ببعض اذ البخار كان جسما واحدا

(فاستمسكت) السماوات ، اى تماسكت (بامره) التكوينى (و قامت على حدّه) اى الحد الذى حد ده لها الأمر الالهى (و ارسى ارضا) اى جعلها ثابتة محكمة (يحملها الأخضر) اى البحر ،فانّ الأرض كالكرة في البحر (المثعنجر) اى معظم البحر ، او المراد البحر السائل ، فانّ السائل يقال له مثعنجر ـ بالكسر ـ (و القمقام) اسم آخر للبحر (المسخّر) الّذى سخّره اللّه سبحانه ،و الأرض و ان لم تكن محمولة للبر حقيقة ، الا ان الانسان يراها كذلك (قد ذلّ) البحر (لأمره) سبحانه ·

(و اذعن لهيبته) اى من خوفه تعالى (و وقف الجارى منه) اى من البحر (لخشيته) اى خوفه تعالى ، وامثال هذه الجمل من باب التّشبيه ، و انّما المراد الاطاعة التكوينيّة من الأشياء للّه سبحانه ، و من الممكن ان يكون للأشياء خوف و خشية و ادراك ، كما يظهر من جملة من الآيات و الرّوايات ·

(و جبل) سبحانه ، اى خلق (جلاميد ها) جمع جلمود ، و هى الصخور الصلبة (و) خلق (نشوز) اى مرتفعات (متونها) كالاكام ، الشبيهة بمتن الانسان فى ارتفاعها (و اطواد ها) جمع طود ، بمعنى : الجبل (فارساها) اى : اثبت تلك الجبال (فى مراسيها) اى محلات استقرارها ·

وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا، فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً، فَسَكَنَتْ عَلَىٰ حَرَكَتِهَا

(و الزمها) اى الجبال (قراراتها) فكلّ واحدة منها مستقرّة فى مكانها ، و اذا جاء يوم القيامة ، ينعكس الأمر ، قال سبحانه : ((و ترى الجبال تحسبها جامدة و هى تمرّ مرّ السحاب)) .

(فمضت رؤسها فى الهواء) شامخة مرتفعة (و رست) اى ثبتت (اصولها فى الماء) فانّ الجبل يخترق الأرض حتّى الماء (فانهد) سبحانه ، اى ارفع (جبالها عن سهولها) السّهل ضد الجبل ،اىجعل الجبال اعلى من الأرض السّهلة .

(و الساخ قواعدها) اى اثبت اصول الجبال (فى متون اقطارها) اى فى المتون من اقطار الأرض و اطرافها (و مواضع انصابها) جمع نصب ، و هو ما جعل علما ليعرف الانسان به الجادة ، اى جعلها فى المواضع التى يراد ان يكون موضع دلالة للطرق و ما اشبه (فاشهق) اى جعلها شاهقة مرتفعة (قلالها) جمع قلة ، وقلة الجبل اعلاه (و اطال) فى الجو (انشاذها) اى متونها المرتفعة فى الأرض ، غير القلال ، جمع نشز ، و هو المرتفع .

(و جعلها للأرض عمادا) تعتمد الأرض على تلك الجبال ، و الا لتفككت و اضطربت (و أرّزها) اى ثبت تلك الجبال (فيها) اى فى الأرض (اوتادا) جمع وتد ، و هو المسمار ، فان الجبال بمنزلة المسامير التى تجمع بين قطع الخشب (فسكنت) الأرض (على حركتها) اى مع كونها متحركة ـ كما يقول العلم الحديث ـ او فى حال كونها متحركة ، اذ كانت قبل خلق الجبال

مَن أنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً! فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي، تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ، وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ؛ «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً

مضطربة (من ان تميد) اى تضطرب (باهلها) وتتزلزل بهم .

(او تسيخ) اى تهبط فى الهواء (بحملها) اى بما تحمل من الانسان و الدّواب وغيرهما ، بان تأخذ غير مدارها ــ كما يقول العلم الحديث ــ (اوتزول عن مواضعها) ذات اليمين اوالشمال او الفوق .

(فسبحان من امسكها) اى حفظ الأرض (بعد موجان) اى تموّج (مياهها) فلم تؤثّر الأمواج الشّديدة فى تحريك الأرض .

(و اجمدها) اى جعلها جامدة (بعد رطوبة اكنافها) اى اطرافها فانّها خلقت من زبد البحر .

(فجعلها) اى الأرض (لخلقه مهادا) موضع الاستقرار و الاستراحة (و بسطها لهم فراشا) كالغرش المبسوط الذى يستريح الانسان اليه (فوق بحرلجّى) كثير الماء (راكد) ذلك الماء (لا يجرى) كما تجرى مياه الأنهار .

(وقائم) فى مكانه (لا يسرى) فى الهواء (تكركره) اى تحركه ذاهبة به وعائدة له (الرّياح العواصف) جمع عاصفة ، وهى الشديدة (و تمخضه) كما يمخض اللبن فى السقاء ليخرج منه الزبد (الغمام) اى السحاب ، و المراد به الجنس ، ولذا جئ بالفعل مؤنّثا (الذوارف) جمع ذارفة ، اى السّائلة ، فانّ الأمطار الشّديدة توجب مخض ماء البحر اذا نزلت فيه ، لأن اعلاه يكون اسفله ، و بالعكس (ان فى ذلك) الذى ذكر من الآيات الأرضية و السّماوية (لعبرة)

لِمَنْ يَخْشَىٰ ».

وَمِن خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

اَللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ، فَأَبَىٰ بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ

اى اعتبارا ، ودلالة على وجود الخالق وعلمه وقدرته وحكمته (لمن يخشى) فيعترف بالاله سبحانه ويطيعه .

وَمِن خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

فيها انهاض لأصحابه الى قتال معاوية ، واعوانه ، بصورة الدّعاء

(اللّهمّ ايما عبد من عبادك) ((ما)) زائدة ، او موصوفة اى شخص وصف بـ ((عبد)) (سمع مقالتنا) اى قولنا (العادلة) فى قصة الخلافة ، وبطلان مزاعم من ابطل خلافة الامام طمعا او جهلا (غير الجائرة) التى لا جور فيها ولا انحراف الى الباطل (والمصلحة) صفة المقالة (فى الدّين والدّنيا) لأنها توجب اطاعة امر الله ، ونظم المسلمين فى سلك واحد ، يوجب قوتهم امام الكفّار .

(غير المفسدة) حال عن ((المصلحة)) اى فى حالكون مقالتنا لا تفسد شيئا (فابى بعد سمعه لها) اى للمقالة (الاّ النّكوص) اى الرجوع وعدم العمل

عَنْ نُصْرَتِكَ ، وَٱلْإِبْطَاءِ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً ، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ ٱلْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ ، وَٱلْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ .

بان اصرّ على باطله (عن نصرتك) بنصر دينك (و الابطاء عن اعزاز دينك) فان اعزاز الدين انما يكون بالالتفاف حول خليفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الشّرعى الذى يعرف الاسلام عرفانا تاما .

(فانّا نستشهدك عليه باكبر الشاهدين شهادة) اى نجعلك شاهدا عليه ، بانّه عرف ولم يعمل ، او المعنى نطلب شهادتك ضدك بسبب شهادة الرّسول او القرآن ، فانّهما شهيدان لنا ، و بشهادتهما الصّادقة نطلب ان تكون انت ايضا شاهدا ــ اذ قال الرّسول : علىّ مع الحق ، والحقّ مع على ، و قال القرآن : اطيعوا اللّه و اطيعوا الرّسول ، و اولى الأمر منكم ــ اما على المعنى الأول فيكون ((باكبر)) شبه ((بدل)) عن ((الكاف)) فى ((نستشهدك))

(و نستشهد عليه جميع من اسكنته ارضك و سماواتك) من الملائكة والانسان والجن و من اشبه ، و لا يخفى انّ استشهاد هؤلاء مثل استشهاد الانسان لانسان آخر فى قضيّة من القضايا (ثمّ انت) يا ربّ (بعد) اى بعد انحرافه عمدا و الاستشهاد منّا عليه (المغنى عن نصره) اى تغنينا حتّى لا نحتاج الى آخر مثل الشّخص (و الآخذ له بذنبه) ذنب الانحراف عن الحقّ عمدا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، الْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَابٍ وَلَا ازْدِيَادٍ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في وصف الله سبحانه

(الحمد لله العلىّ عن شبه المخلوقين) اى انّه ارفع من ان يشبههم ،اذ لو كان شبيها لهم ، كان مساويا معهم ، فلم يكن ارفع (الغالب لمقال الواصفين) اى لا يقطع الواصفون ان يصفوه مهما بالغوا فى الوصف ، كانّه سبحانه يغلب وصفهم (الظّاهر بـ) سبب (عجائب تدبيره) اى تدبيره للمخلوقات العجيبة (للنّاظرين) فانّ من نظر الى الآثار العجيبة عرف حكمة صانعها و قدرتها الفائقة .

(الباطن بجلال عزّته) اى انّ كونه عزيزا سبب جلاله و ارتفاعه فانّ كل عزيز مرتفع (عن فكر المتوهّمين) فلا يصل اليه تعالى فكر النّاس و التّوهم : التّظنّى و التّعقل ، فانّه سبحانه لا يدرك كنهه .

(العالم بلا اكتساب) علم من احد ، بعكس الانسان الّذى يعلم الأشياء بالكسب و التّعلّم (و لا ازدياد) فانّ علمه لا يزداد تدريجا كما يزداد علم

وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ ، ٱلْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ ٱلْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ ، الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلَمُ ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِٱلْأَنْوَارِ ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِٱلْإِبْصَارِ ، وَلَا عِلْمُهُ بِٱلْإِخْبَارِ .

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ ، وَقَدَّمَهُ فِي ٱلِاصْطِفَاءِ ، فَرَتَقَ بِهِ ٱلْمَفَاتِقَ وَسَاوَرَ ، بِهِ

الانسان (ولا علم مستفاد) فلم يستفد العلم من احد ، والاكتساب اعمّ من الاستفادة .

(المقدّر لجميع الأمور) بان يكون لكلّ شئ مقدار خاص طولا وعرضا و زمانا وعمرا ، وما اشبه (بلا رويّة) اى فكر (ولا ضمير) اى اضمار فى النّفس اذ لا نفس له سبحانه (الّذى لا تغشاه الظّلم) جمع ظلمة ، فانّ النّهار واللّيل لا يقعان عليه ، اذ هو سبحانه ليس بجسم (ولا يستضئ بالأنوار) بان يقع عليه نور الشّمس او نور المصباح اوغيرهما .

(ولا يرهقه ليل) اى لا يغشاه (ولا يجرى عليه نهار) وهذا اخصّان من ((الظّلم)) و ((الأنوار)) فى الجملتين السّابقتين .

(ليس ادراكه) تعالى للأشياء (بالأبصار) اذ لا عين له كعيون البشر (ولا علمه بالأخبار) بان يخبره شخص فيعلم بعكس الانسان الّذى علمه باخبار النّاس له .

(ومنها فى ذكر النّبى صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)

(ارسله) سبحانه (بالضّياء) اى النّور الّذى يجب معرفة النّاس لطريق السّعادة (وقدّمه) على غيره (فى الاصطفاء) بان اختاره للرّسالة دون سواه (فرتق به المفاتق) جمع مفتق ، بمعنى الشق ، فانّه كان بين النّاس انشقاقات طبقية وما اشبه ، فجمع شملهم (وساور) اى غالب اللّه سبحانه (به) اى :

ٱلْمُغَالِبَ ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ ، وَسَهَّلَ بِهِ ٱلْحُزُونَةَ ، حَتَّىٰ سَرَّحَ الضَّلَالَ ، عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ .

بسبب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (المغالب) اى الكفّار الّذين يغالبو ن الحق لا رادة الغلبة عليه .

(و ذلّل به) اى بالرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (الصّعوبة) اى المشاكل الّتى كانت تكتنف النّاس من كلّ جانب و مكان (و سهّل به الحزونة) اى الصّعوبة الّتى كانت فى الأخلاق ، و فى طباع النّاس ، فانّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آلهو سلّم ليّن الطّباع و هذّبها (حتّى سرّح الضّلال) اى ابعده عن النّاس (عن يمين و شمال) اى جانب الافراط و التّفريط ، فمثلا الضّلال فى الانفاق الاسراف و البخل و الوسط الجود .

وَمِن خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ ، وَحَكَمٌ فَصَلَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ ، كُلَّمَا نَسَخَ اللهُ ٱلْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ .

وَمِن خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

في الشّهادتين ، و صفة العلماء ، و الوعظ

(و اشهد انّه) تعالى (عدل) بذاته لا ميل فيه ولا اعوجاج (عدل) فى الحكم و فى الخلق ، فلم يظلم مخلوقا ولا فى حكم (وحكم) اى حاكم (فصل) فى القضيّة تفصيلا عادلا .

(و اشهد انّ محمّدا عبده و رسوله) لعلّ تقديم العبد ــ لما تقدّم ــ دلالة على انّ الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم لا يتعدّى منزلة العبودية ، خلافا لزعم اليهود و النّصارى فى انبيائهم (و سيّد عباده) جعله تعالى سيّدا عليهم (كلّما نسخ الله الخلق فرقتين) اى جعلهم جماعتين ، كالعرب و العجم و اولاد سام و اولاد حام و هكذا .

(جعله) اى جعل نطفة الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و نوره (فى خيرهما) اى فى احسن الفرقتين .

(لم يسهم فيه) اى لم يشترك فى نطفته ــ اى آبائه و امّهاته ــ (عاهر)

وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ .

أَلَا وَإِنَّ اللهَ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا ، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً . وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ ، وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةَ . فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ ، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ ،

ای زان (ولا ضرب فيه) صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (فاجر) يقال ضرب فى الشئ اذا صار له نصيب منه ، اى ليس لفاجر نصيب فى الرّسول ، فلم يكن فى آبائه شخص فاجر ابدا .

(الا و انّ اللّه جعل للخير اهلا) هم ياتون بالخير و يعملون له (و للحق دعائم) هم ياخذون الحق ، حتّى لا ينهار (و للطّاعة عصما) جمع ((عصمة)) وهى مايعتصم به والمراد الأشخاص المطيعون الّذين تعتصم بهم الطّاعة من ان تنهار و تفنى ، اذ لولا المطيعون لم تكن طاعة (و انّ لكم عند كلّ طاعة عونا من اللّه) فانّ اللّه يعينكم فى طاعاتكم (يقول) ذلك العون (على الألسنة) اى : يجرى ذلك العون الطّاعة على اللّسان .

(و يثبّت الأفئدة فيه) اى يثبت ذلك العون القلوب فى الاتيان بالطاعة ، لئلاّ يتزلزل القلب و يخاف ، و يرجف اللّسان ولا يتكلّم بالطّاعة (كفاء) ذلك العون الغيبى (لمكتف) اى الّذى يريد الاكتفاء ، لا الّذى يريد ان يتعلّل ليفرّ من الطّاعة (و شفاء لمشتف) اى لمن يريد الشّفاء من امراض المعصية .. وقد ذكر الامام هذه الجمل من قوله ((الأوان)) لحثّ النّاس على الطّاعة و ترغيبهم فى الاطاعة .

(و اعلموا انّ عباد اللّه المستحفظين علمه) اى الّذين اودع اللّه فيهم العلم فحفظوه ــ و هم العلماء الأخيار ــ (يصونون مصونه) اى يحفظون ما يجب

وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ . يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ، وَيَتَلَاقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ ، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ ، لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيْبَةُ وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَةُ . عَلَىٰ ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ، فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَى فَيُؤْخَذُ مِنْهُ

حفظه ، من العلوم لئلا يندرس ويفنى (ويفجّرون عيونه) اى عيون العلم ، بالمدارسة و المذاكرة .

(يتواصلون بالولاية) اى يصل بعضهم بعضا بسبب الولاية و المحبّة الّتى تحلّوا بها من جراء كونهم حافظين لعلم الله تعالى .

(و يتلاقون) اى يلقى بعضهم بعضا (بالمحبّة) فيحبّ احدهم الآخر (و يتساقون) يسقى بعضهم بعضا (بكأس رويّة) اى توجب الارتواء من الظمأ ، و النجات من العطش ، فانّ العلم الذى يقوله احدهم للآخر يوجب ارتواء المتعلم ، لأنّ ذلك العلم ينير الأذهان المظلمة .

(و يصدرون بريّة) اى يخرجون بعد التّفرّق بالرّى اى الامتلاء من الماء ـ ((التاء)) فى رية ، للموحدة ـ .

(لا تشوبهم الرّيبة) اى لا يشك احدهم بالآخر ـ من جهة سوء الظّن او ما اشبه ـ (ولا تسرع فيهم الغيبة) اى لا يغتاب احدهم الآخر ، كما هو شان اهل الجهل اذ يسرع احدهم فى غيبة الآخر ـ لدى غيابه ـ .

(على ذلك) الذى ذكر لهم من الصفات الحسنة (عقد) الله سبحانه (خلقهم و اخلاقهم) فانّ خلقهم من طينة صافية ، و اخلاقهم ظاهرة زاكية (فعليه) اى على ذلك ((العقد)) (يتحابّون) يحبّ بعضهم بعضا .

(و به يتواصلون) يصل احدهم الآخر و لا يهجره (فكانوا كتفاضل البذر) اى انّهم يتفاضلون على سائر النّاس كما يفضل البذر (ينتقى) اى يختار صافيا من ((الزوان)) و ما اشبه ليخرج النّبات جيدا (فيؤخذ منه) اى من ذلك البذر

وَيُلْقَى ، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ ، وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ .

فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا ، وَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ ، فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا ، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ. فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ ، وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ

الجيّد (و يلقى) الردئ ٠

(قد ميّزه) اى ذلك البذر (التّخليص) اى كونه قد خلص من البذور السّيئة (وهذّبه) اى نقاه (التّمحيص) اى الاختيار ـ وهذا هو وصف العلماء الأخيار كما ذكره الامام عليه السّلام ـ ٠

(فليقبل امرء كرامة) اى كرامة عظيمة (بقبولها) اى بقبوله للتقوى (و ليحذر قارعه) اى مصيبة تقرع الانسان ، و المراد به الموت او القيامة (قبل حلولها) بان يعمل صالحا حتى لا تأتيه القارعة بغتة فتصير سببا لعذابه و نكاله ٠

(و لينظر امرء فى قصير ايامه) المراد بالنّظر التّفكر و العمل الصّالح (وقليل مقامه) اى مقامه القليل فى الدّنيا (فى منزل) اى الدّنيا و كانّ التفكير لتحقير شانها ٠

(حتّى يستبدل به منزلا) المراد به الآخرة ، اى يصبر حتّى ينتقل الى ذلك المنزل (فليصنع لمتحوّله) اى المحل الذى يتحوّل اليه (و معارف منتقله) اى المواضع التى يعرف الانتقال اليها ٠

(فطوبى لذى قلب سليم) عن ادران الملكات السّيئة (اطاع من يهديه) اى اللّه سبحانه (و تجنّب من يرديه) اى من يهلكه و هو الشيطان ٠

(و اصاب سبيل السّلامة) اى الطّريق الموجب لسلامته عن المعاصى والآثام

بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ ، وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ ، وَبَادَرَ الْهُدَىٰ قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ ، وَتَقْطَعَ أَسْبَابُهُ ، وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ ، وَأَمَاطَ الْحَوْبَةَ، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ .

(ببصر من بصّره) اى بابصار المرشد الّذى ارشده (و طاعة هاد امره) بالسلوك فى هذا السبيل فسلك كما امر (و بادر الهدى قبل ان تغلق ابوابه) بالموت ، فانّه لا تقبل التّوبة من الانسان اذا مات .

(و تقطع اسبابه) اى اسباب الهدى (و استفتح التوبة) اى فتحها بان شرع فى التوبة (و اماط الحوبة) اى ازال الاثم .

(فقد اقيم على الطّريق) اى اقاموا الانسان على طريق الزوال (و هدى نهج السّبيل) اى اروه الطّريق المستقيم الواضح .

وَمِن دُعاء لهُ عَليْه السَّلام

كان يدعو به كثيراً

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلَا سَقِيماً، وَلَا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ، وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي، وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِي، وَلَا مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي، وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّي، وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي، وَلَا مُلْتَبِساً

وَمِن دُعاء لهُ عَليْه السَّلام

(كان يدعو به كثيرا) وفيه يذكر جملة من النعم

(الحمد لله الّذى لم يصبح بى ميّتا ولا سقيما) اى لم يمتنى ولم يمرض (و لا مضروبا على عروقى بسوء) فانّ العرق اذا ضرب ـ اى اضطرب ـ صار الانسان مريضا (ولا ماخوذا باسوء عملى) اى لم ياخذنى الله سبحانه باعمالى السّيئة، حتّى يهلكنى ويعذّبنى، ولا يخفى انّ المراد بسوء العمل ـ ما ذكرناه سابقا من الأمور اللازمة للجسد، الّتى كان الامام وسائر المعصومين يرونها بعدا عن الله تعالى وسيّئا ـ (ولا مقطوعا دابرى) الدّابر بقية الرجل من ولده ونسله، اى لم يقطع نسلى.

(ولا مرتدّا عن دينى) اى لم ارجع عن دينى (ولا منكرا لربّى) كالجاحدين الّذين ينكرون وجود الله سبحانه (ولا مستوحشا من ايمانى) فانّ بعض النّاس يخافون من ايمانهم، ويرونه شيئا غريبا لاصقا بهم (ولا ملتبسا

عَقْلِي ، وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ ٱلْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي . أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي ، لَكَ ٱلْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي . وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي ، وَلَا أَتَّقِيَ إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي .

ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَٱلْأَمْرُ لَكَ !

ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي ،

عقلى) اى لم يختلط عقلى بجنون و نحوه (ولا معذّبا بعذاب الأمم من قبلى) من قبيل الخسف و الرمي بالحجارة و ما اشبه مما اصيب بها الأمم السابقة .

(اصبحت عبدا مملوكا) للّه سبحانه (ظالما لنفسى) فانّ المعصوم حيث يرى حضور اللّه دائما ، و يعلم علمه الواسع و احاطته الشاملة ، يرى نفسه مقصّرا فى جنبه ، اذ لا يتمكن من الوفاء بحقّه ، لضروريات جسده (لك الحجّة علىّ و لا حجّة لى) فانّ اللّه سبحانه اتم الحجّة على العبد ، بما ليس للعبد حجّة اذا ترك امرا او ارتكب نهيا (ولا استطيع ان آخذ) شيئا من الأشياء (الاّ ما اعطيتنى) من النّعم و الفواضل . (ولا اتقى الاّ ما وقيتنى) اى حفظتنى منه

(اللّهمّ انى اعوذ بك ان افتقر فى) جنب (غناك) الّذى تغنى به كلّ شئ ، بان تحرمنى من فضلك حتّى افتقر (او اضلّ فى هداك) اى مع هدايتك لى ، و فى بمعنى النسبة (او اضام) اى اظلم (فى سلطانك) اى و الحال انّك سلطان تقدر على دفع الظّالمين عنّى (او اضطهد) و يؤخذ حقّى (و الامر لك) تقدر على الدّفاع عنّى .

(اللّهم اجعل نفسى اوّل كريمة تنتزعها من كرائمى) اى الأشياء الكريمة التى اعطيتها لى ، فانّ الجوارح و المشاعر كلّها كرائم تفضّل اللّه بها على الانسان ، و انتزاع النّفس كناية عن الموت ، اذ لو انتزع غيرها ، قبل الموت اصبح الانسان

وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي

اَللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ ، أَوْ أَنْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ ٱلْهُدَىٰ الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ !

ناقصا ، كان يعمى او يصم او يجن او ما اشبه (و أوّل وديعة ترتجعها) اى : تاخذها (من وداع نعمك عندى) فانّ نعم اللّه سبحانه عند الانسان وديعة لابد و ان يرتجعها جميعا ٠

(اللّهمّ أنّا نعوذ بك ان نذهب عن قولك) اى نخالف اوامرك(او ان نفتتن عن دينك) بان نخرج من الدّين بافتتان النّاس و اضلالهم (او تتابع بنا اهوائنا) اى نسير خلف الهوى مرّة فمرّة (دون الهدى الّذى جاء من عندك) بان نتّبع الهوى دون الهدى ٠

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

خطبها بصفين

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

خطبها بصفّين

(أمّا بعد فقد جعل اللّه لى) أيها المسلمون (عليكم حقّا بولاية امركم) اى بكونى واليا لأموركم (و لكم علىّ من الحق مثل الّذى لى عليكم) المماثلة فى اصل الحق ، لا فى الكيفيّة .

(فالحق اوسع الأشياء فى التّواصف) اى فى وصف النّاس له ، فكل انسان يصف الحق (و اضيقها فى التّناصف) اى فى اعطاء الانصاف ، فانّ الانسان لا يستعدّ ان ينصف النّاس من نفسه ، و اصل الانصاف من النّصف ، كانّ كلا الطّرفين ينصفان الأمر نصف لهذا و نصف لذاك .

(لا يجرى) الحق (لأحد الاّ جرى عليه) بان كان عليه الحقّ مثل انّه له الحق ، فمثلا للرّجل الحق على المرئة بحسن التبعل ، كما ان للمرئة الحق على الرّجل بالنّفقة ، و للوالد الحق على الولد بالاطاعة ، و للولد الحق على الوالد

وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَىٰ لَهُ . وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ ، لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصاً لِلهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ ، لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ ، وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ

بالتّربية ، وهكذا .

(ولا يجرى عليه الا جرى له) هذه القضية عكس القضية السابقة (ولو كان لأحد ان يجرى له) بان كان له الحق على غيره (ولا يجرى عليه) فلا يكون عليه حق من احد (لكان ذلك خالصا للّه سبحانه دون خلقه) اذ له حقّ على كل احد ، وليس لأحد حقّ عليه ، والاتيان بـ ((لو)) مجاز لزيادة التقريب فى عدم الانفكاك بين الأصل والعكس .

(لقدرته على عباده) والقادر المطلق ، لاحق عليه ، اذ هو خالق ، و الخالق لا يعطيه احد شيئا حتّى يستحقّ شيئا عليه (ولعدله فى كلّ ما جرت عليه صروف قضائه) فاذا عدل سبحانه فى كلّ شئ لم يكن ظالما ، حتّى ياتى عليه حق المظلوم ، اذ مثار الحق احد شيئين .

الأول : ان يكون شخص متفضلا على الانسان ، فالمتفضّل يكون له الحق على ذلك المتفضل عليه ـ وليس لأحد فضل على اللّه ـ .

الثانى : ان يكون الشخص ظالما لغيره ، فيكون للمظلوم حقّ ، واللّه سبحانه عادل لا يظلم احدا وصروف القضاء تقلبات الأمور الجارية على النّاس ، من افقار واغناء ، وابلال وامراض ، واحياء واماتة ، وما اشبه .

(ولكنّه) مع ذلك الّذى لاحق عليه سبحانه واقعا (جعل حقّه على العباد ان يطيعوه) بان جعل حقّا له ـ جديدا ـ غير اصل الخلقة والانعام (وجعل جزائهم عليه مضاعفة الثّواب) اى الثّواب الّذى هو ضعف العمل ، قال تعالى :

تَفَضُّلًا مِنْهُ ، وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ ٱلْمَزِيدِ أَهْلُهُ .

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً ٱفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا ، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً ،وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ. وَأَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ ٱلْحُقُوقِ حَقُّ ٱلْوَالِي عَلَىٰ الرَّعِيَّةِ ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى ٱلْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلٍّ عَلَىٰ كُلٍّ ،

من جاء بالحسنة فله عشر امثالها (تفضّلا منه و توسّعا) اى سعة فى رحمته(بما هو - المزيد - من اهله) اى بما هو اهله ، مزيدا ، اى زيادة على اصل الأهلية و هذا لزيادة التجليل عنه سبحانه ٠

ثمّ ٠٠ بيّن عليه السّلام حقّ الوالى و حقّ الرّعية - الذى ساق الكلام بصدده - (ثمّ جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض النّاس على بعض)فان استحقاق بعض النّاس على بعض ، انّما هو بجعل اللّه ، و الاّ فمن تصرّف فى ملك الآخر كان الحق للمالك ، لا للملوك ، و النّاس كلّهم ملك للّه سبحانه ، فاذا تصرف احد فيهم بما لا يلائمهم ، كان اللاّزم ثبوت حقّ اللّه تعالى عليه ، لا حق للمتصرّف فيه (فجعلها تتكافأ ، فى وجوهها) فحق فى مقابل حق ٠

(و يوجب بعضها بعضا) فاذا صار من احد حق على غيره ، كان لذلك الغير حقّ ايضا (و لا يستوجب بعضها الاّ ببعض) هذه القضيّة عكس القضيّة السّابقة (و اعظم ما افترض) اى اوجب (سبحانه من تلك الحقوق حقّ الوالى على الرّعية و حقّ الرّعية على الوالى) و انّما كان ذلك اعظم الحقوق ،لأنّ الاجتماع يستقيم بذلك ، بينما سائر الحقوق توجب اقامة الأفراد ، و ما يتوقّف عليه الاجتماع اهم ممّا يتوقّف عليه الفرد ٠

و كل حق هذين الحقين (فريضة فرضها اللّه سبحانه لكلّ على كلّ) اى : لكلّ

فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِـمْ ، وَعِزّاً لِدِينِهِـمْ ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِـمُ الْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذٰلِكَ الزَّمَانُ ، وَطُمِـعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَيَئِسَتْ مَطَامِـعُ الْأَعْدَاءِ .

طرف على كلّ طرف (فجعلها) اى هذه الفريضة (نظاما لألفتهم) به ينتظم الألفة بين الوالى و الرّعية (وعزّا لدينهم) اذ بالألفة تعتزّ الحكومة و الأمة ، مما يوجب عز الدين و رفعته فى نظر الأعداء ·

(فليست تصلح الرّعية الا بصلاح الولاة) فانّ النّاس على دين ملوكهم (ولا تصلح الولاة الاّ باستقامة الرعية) اذ لو انحرفت الرعية ، اضطرب امر الوالى ،ولم يتمكن من ادارة البلاد كما ينبغى ·

(فاذا ادّت الرّعية الى الوالى حقّه) بالنصرة و الموآزرة (و ادّى الوالى اليها) اى الى الرّعية (حقّها) بالرّعاية و العناية (عزّ الحق) بسبب الاجتماع و الألفة و القوة (بينهم ، وقامت مناهج الدين) للتعاون الحاصل بينهما الموجب للرقابة الشديدة على حفظ الدين ·

(و اعتدلت معالم العدل) جمع ((معلم)) و هو ما ينصب فى الطّريق للارشاد الى جهته ، حتّى لا يضل المارة (و جرت على اذلالها) جمع ((ذل)) بكسر الذال بمعنى محجة الطريق (السّنن) اى جرت سنن الله و احكامه ، على وجوهها (فصلح بذلك الزّمان) اذ ليس المراد من صلاح الزّمان و فساده الاّ فساد النّاس و صلاحهم ·

(و طمع فى بقاء الدّولة) اذ الدّولة انما تبقى بمعاضدة الأمة لها ، اما اذا صار الأمر بالعكس سقطت الدولة بتجمع الأمة ضدها (و يئست مطامع الأعداء)

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ

اى اعداء الدين اذ الأعداء انما يتمكنون من الاخلال اذا تشتت الأمر وتفرقت الكلمة فالوحدة عز، والفرقة ذل.

(واذا غلبت الرعية واليها) بعدم الاطاعة والمخالفة (او اجحف الوالى برعيته) اى اظلم الوالى رعيته وسار بهم فى طريق الجور (اختلفت هنالك الكلمة) اى تشتت كلمة الوالى والرعية وعبّر عن التشتت بالكلمة لأنه اذا اختلفت الآراء، اختلفت الكلمات، فكل يقول غير ما يقوله الآخر.

(وظهرت معالم الجور) اذ كل من الطرفين يجور على الآخر (وكثر الادغال فى الدّين) الادغال فى الأمر ادخال ما يفسده فيه، اذ كل جانب يجر الدين الى جانبه ليقوّى جبهته، ومن المعلوم انّ ذلك موجب للتاويل والاختلاف ونسبة ما ليس من الدين الى الدين (وتركت محاج السّنن) جمع محجّة، بمعنى وسط الطريق اى سنن الاسلام.

(فعمل بالهوى) عوض الهدى (وعطّلت الأحكام) اذ لا ينفذها كل جانب عنادا على الجانب الآخر (وكثرت علل النفوس) اى امراضها الباطنيّة من قبيل الحسد والغل والافتراء وما اشبه.

(فلا يستوحش لعظيم حق عطل) اى اذا عطل الحق لا تاخذ النفوس وحشة واستغراب لتعودها على تعطيل الحقوق، واتيان كل جانب بالأعمال الباطلة تجاه الآخر.

(ولا لعظيم باطل فعل) لاستيناس كل جانب بالأعمال الباطلة الصادرة

فَهُنَالِكَ تَذِلُّ ٱلْأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ ٱلْأَشْرَارُ ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ ٱلْعِبَادِ . فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذٰلِكَ ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ ـ وَإِنِ ٱشْتَدَّ عَلَىٰ رِضَىٰ ٱللهِ حِرْصُهُ ، وَطَالَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱجْتِهَادُهُ ـ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا ٱللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ ،وَلٰكِنْ

من الجانب الآخر (فهنالك تذل الأبرار) جمع برّ ، بمعنى : المحسنين ·

(و تعزّ الأشرار) لأنه يروج سوق الدجل والأعمال المنكر ، يستعين بهم كل طرف للتغليق ضدّ الطرف الآخر ، و بمقدار ما يعزّ هؤلاء يذلّ الأبرار ، لأنّ تورّعهم المانع عن الاتيان بالمنكرات يسقطهم عن الانتفاع فى زمان رواج سوقها(و تعظّم تبعات اللّه عند العباد) التّبعة ما يتبع الذنب من الاثم و العقاب ، و المراد انّ النّاس يستوجبون العقاب من جانبه سبحانه ·

(فعليكم بالتّناصح فى دلك) الوقت بان ينصح كل جانب الجانب الآخر ، لتعود الألفة بين الوالى و الرّعية (و حسن التّعاون عليه) بان يحسن كلّ جانب اعانة الجانب الآخر فى الاتّحاد و العمل بامر اللّه سبحانه (فليس احد وان اشتدّ على رضا اللّه حرصه) بان كان حريصا على تحصيل مراضى اللّه سبحانه ، بامتثال جميع اوامره تعالى ·

(و طال فى العمل اجتهاده) بان اكثر جهد نفسه ليل نهار للعمل حسب اوامر اللّه تعالى (ببالغ) متعلق بقوله ((فليس احد)) و الجملة بينهمامعترضة اى لا يبلغ اى انسان (حقيقة ما اللّه سبحانه اهله من الطّاعة له) ((من)) بيان ((ما)) المصدرية ، و انّما لا يبلغ لأنّ الانسان لا يتمكن ان يؤدى مقدار حق اللّه تعالى ، اذ هو ملك له ، فكل ما يصدر منه ليس عوضا من نفسه ، حتّى يكفى و يقابل ما اعطاه اللّه تعالى ·

(و لكن) اذا لم يقدر الانسان على اداء جميع حقّ اللّه تعالى ، يلزم ان

مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلنَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَىٰ إِقَامَةِ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمْ . وَلَيْسَ ٱمْرُؤٌ - وَإِنْ عَظُمَتْ فِي ٱلْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ - بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَىٰ مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ . وَلَا ٱمْرُؤٌ - وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ ، وَٱقْتَحَمَتْهُ ٱلْعُيُونُ - بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَىٰ ذٰلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ .

لا يترك ما يقدر عليه اذ (من اوجب حقوق الله على العباد النصيحة) بان ينصح كل انسان من يتمكن من نصيحته (بمبلغ جهدهم) اى منتهى مقدار طاقتهم (و التّعاون على اقامة الحق بينهم) كل يعين الآخر ، حتى يتمكن من اداء حقوقه تعالى ٠

(و ليس امرءٌ و ان عظمت فى الحق منزلته) بان كان ذا رتبة كبيرة من التّقوى و الورع (و تقدّمت فى الدّين فضيلته ــ) بأن يكون ذا فضل على اقرانه فى الالتزام بالدّين و احكامه (بفوق ان يعاون) اى يعينه النّاس (على ما حمّله اللّه من حقّه) اذ حقّ اللّه لا يمكن ان يؤديه الانسان وحده ، اذ من حقوقه مالا يؤدّى الاّ بالاجتماع و التّعاون ، و قوله : ((بفوق)) متعلق بـ ((ليس امرءٌ)) و الجملة بينهما معترضة ٠

(ولا امرءٌ و ان صغّرته النّفوس) بأن نظر النّاس اليه نظر تصغير وتحقير (و اقتحمته العيون ــ) أى احتقرته ، و النسبة الى العين لأنها آلة ادراك الموجب للاحتقار (بدون ان يعين على ذلك) الحق للّه الواجب على غيره (أو يعان عليه) اى على الحق الواجب على نفسه ، فكل انسان ــ كبيرا كان او صغيرا ــ يلزم ان يعين غيره و يعان من ناحية غيره ، اذ الحقوق الاجتماعيّة لا تتأتى الاّ بالتّعاون ، و قوله ((بدون)) متعلق بـ ((لا امرءٌ)) و الجملة بينهما اعتراض

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل ، يكثر فيه الثناء عليه ، ويذكر سمعه وطاعته له ؛ فقال عليه السلام :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ ـ لِعِظَمِ ذٰلِكَ ـ كُلُّ مَا سِوَاهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ،

(فاجابه عليه السلام رجل من اصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثّناء عليه ، و يذكر سمعه و طاعته له ، فقال عليه السلام) ردا له على اطرائه ما يؤنبه فى ذلك تعليما للنّاس بانّه لا ينبغى اطراء الولات ، اذ ان ذلك يوجب كبرهم و زعمهم التفوق ، و ذلك يكثر المتزلفون حولهم مما يفسد هم ، و يحول بينهم و بين قضائهم لحوائج النّاس او قبول النقد لهم .

(ان من حقّ من عظم جلال اللّه فى نفسه) بان علم انّ اللّه اجل و ارفع من كلّ شئ (و جلّ) اى ارتفع (موضعه) سبحانه (من قلبه) بان رآه اجل من كلّ شئ (ان يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه) ((ذلك)) اى ذلك الجلال و ((كل)) فاعل ((يصغر)) و وجه ذلك انّ الانسان انّما يعظم شيئا اذا لم يدرك اعظم منه ، و الاصغر ذلك العظيم عند الأعظم ، فاذا ادرك الانســـان عظمته سبحانه لم ير لما سواه قيمة و عظمة اذ كل عظيم لا شئ عند عظمة اللّه سبحانه ، فان النّسبة ابعد ممّا بين القطرة و البحر ، او الهبائة و الفضاء ـ اذا اردنا ان نقرب الى الذهن بالتمثيل بالمحسوسات ـ .

(و انّ احقّ من كان كذلك) اى احقّ المعظّمين للّه بتصغير ما سواه (لمن عظمت نعمة اللّه عليه) لأنه كلما عظمت نعمة اللّه على احد ، عرف عظمة اللّه اكثر، و كلّما كان معرفة الانسان بعظمة اللّه اكثر ازداد تصغيرا لمن سواه سبحانه .

وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا ٱزْدَادَ حَقُّ اللهِ عَلَيْهِ عِظَماً . وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ ٱلْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ ٱلْفَخْرِ ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَىٰ ٱلْكِبْرِ ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ ٱلْإِطْرَاءَ ، وَٱسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ ؛ وَلَسْتُ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ كَذٰلِكَ ،

(و لطف احسانه اليه) اى دق فانّ الاحسان قد يشمل الأشياء الكبيرة ،وقد يشمل حتّى الأشياء الدّقيقة .

(فانّه لم تعظم نعمة الله على احد الاّ ازداد حقّ الله عليه عظما) اذ الحق بمقدار النّعمة ، و كلّما زاد الحق زادت المعرفة ـ لمن تفكر ـ و كلّما زادت المعرفة زاد التّصغير لما سواه سبحانه (و انّ من اسخف حالات الولاة) السخف رقّة العقل و ضعفه (عند صالح النّاس ان يظن بهم حبّ الفخر) اى ان حال الوالى سخيف ، اذا ظن الصالحون به انه يحب الفخر ، اذ ان ظنّهم كاشف عن انه بحيث يظنّ به مثل هذا الظن ، بينما اللازم على الوالى ان يسير سيرة تنفى عنه مثل هذا الظّن .

(و يوضع امرهم على الكبر) اى من سخف الولاة ان يظن الصالحون بهم انّهم يبنون امورهم على اساس الكبر ، فحيثما كان رفعة لهم تبعوه .

(و قد كرهت ان يكون جال فى ظنّكم) اى جاء و تحرّك فى اذهانكم (انّى احبّ الاطراء) اى الثّناء و المدح (و استماع الثّناء) اى استمع منكم ثنائكم علىّ .

(و لست بحمد الله كذلك) احبّ الثّناء و المدح ، و انّما قال الامام هذه الجمل ، دفعا لقول ذلك الشّخص الذى مدحه ، بعدما بيّن الامام حقّ الوالى وحقّ الرّعية ، ممّا يستشم منه انه عليه السلام يريد اطراء نفسه بانّه قام بالواجب

وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ. وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ،

عليه تجاه الرّعية ٠

(و لو كنت احبّ ان يقال ذلك) الاطراء فيّ ــ محبّة نفسية ــ (لتركته) اى اخليت قلبى عن ذلك الحب (انحطاطا للّه سبحانه) اى تواضعا له (عن تناول) اى ارادة (ما هو) سبحانه (احقّ به) و بين ((ما)) بقوله (من العظمة و الكبرياء) فانّ اللّه سبحانه احق بان يعظم و يكبّر من كل احد ، اذ فيه حقيقة ، وفى غير مجاز ٠

(و ربّما استحلى النّاس الثّناء بعد البلاء) اى يسرّ بعض النّاس الثّناء بعد اجهاد النّفس و العمل الصّالح حلوا ، لكنّى لست كذلك ٠

(فلا تثنوا علىّ بجميل ثناء) اى بالثّناء الجميل (لاخراجى نفسى الى اللّه و اليكم من التّقيّة) ((لاخراجى)) متعلّق بـ ((لا تثنوا)) اى لا يكن ثنائكم لى ، لأنى خرجت من حقوقكم ، و خرجت من حقوق اللّه سبحانه ، اى اديت الحقوق المفروضة علىّ ، تجاه الله و تجاهكم بدون تقية او خوف (فى حقوق لم افرغ من ادائها) ((فى)) متعلق بـ ((اخراجى)) اى لأنى اخرجت نفسى من الحقوق الّتى لم اتم بعد جميعها ، فانّ الانسان مادام فى الدّنيا لم يرد جميع الحقوق الواجبة عليه ، اذ الحقوق طيلة الحياة ٠

(و) فى (فرائض) على بعد (لابدّ من امضائها) اى انجازها (فلا تكلّمونى بما تكلّم به الجبابرة) جمع جبّار و هو الظالم ، فان الظّالم انّما يمدح بما لا يستحقّ خوفا منه ٠

وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْبَادِرَةِ ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِٱلْمُصَانَعَةِ ، وَلَا تَظُنُّوا بِيَ ٱسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي ، وَلَا ٱلْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي ، فَإِنَّهُ مَنِ ٱسْتَثْقَلَ ٱلْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ ٱلْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ ، كَانَ ٱلْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ . فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِيءَ ، وَلَا آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي ،

(ولا تتحفّظوا منّى بما يتحفّظ به عند اهل البادرة) اى الّذين تبدر منهم بوادر السوء فان الناس يتحفّظون على انفسهم من الجبابرة بمدحهم ، و الموافقة على آرائهم حقّا كانت ام باطلا .

(ولا تخالطونى) اى تعاشرونى (بالمصانعة) اى المدارات و المجاملة بدون ان تفهموا اوامرى وزر اجرى خوفا و تملّقا (ولا تظنّوا بى استثقالا فى حق قيل لى) فانّه مهما قيل لى الحق نفذته بكل ترحات (ولا) تظنّوا بى (التماس اعظام لنفسى) اى انّى اريد ان اعظّم نفسى .

(فانّه من استثقل الحقّ ان يقال له) اى يقال له انّ هذا حق (او) استثقل (العدل ان يعرض عليه) فاذا عرض عليه شئ فيه العدالة استثقله و اباه (كان العمل بهما اثقل عليه) فانّ من لا يستعد ان يسمع الحق و العدل ، كيف يستعدّ ان يعمل بهما ؟ .

(فلا تكفّوا) اى لا تتركوا (عن مقالة بحقّ) اذا رايتم الحق فى شئ فاعرضوه علىّ و قولوا لى ذلك (او مشورة بعدل) بان تستشيرونى فيما رايتم فيه العدل ، لا عمل به .

(فانّى لست فى نفسى) اى مع الغض عن الروح القدسية ــ و انا بصفتى انسانا كسائر افراد الانسان ــ . (بفوق ان اخطئ و لا آمن ذلك) الخطأ (من فعلى) ثمّ استثنى من ذلك بما هو الواقع ، فى المعصومين عليهم السّلام

إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ؛ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَىٰ مَا صَلَحنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَىٰ ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَىٰ .

بقوله : (إلاّ ان يكفى اللّه من نفسى ما هو املك به منّى) اى يكفينى الخطأفانه سبحانه اكثر ملكا للخطأ من الامام ، اذ كل شئ يقع انّما هو بقدرته و ارادته حتّى انّه سبحانه لو شاء ان لا يقع لم يقع ، و هذا كقول يوسف عليه السّلام : ((و الاّ تصرف عنّى كيدهنّ اصبّ اليهنّ و اكن من الجاهلين)) .

(فانّما انا و انتم عبيد مملوكون مربوبونَ) جمع مربوب ، بمعنى : مخلوق (لربّ لا ربّ غيره يملك منّا ما لا نملك من انفسنا) فانّ كلّ شئ صادرعن النفس فانماهوبارادته سبحانه اما فى الخير فظاهر ،واما فى الشر فلأنه سبحانه يملك ان يحول بين العبد و بين ما يريد فعله من الشّر .

(و اخرجنا ممّا كنّا فيه) اى من الجاهليّة الّتى عمّت الآفاق قبل الاسلام ، و هذا باعتبار الاجتماع لا باعتبار الامام نفسه (الى ما صلحنا عليه) من نورالاسلام (فابدلنا بعد الضّلالة) الّتى عمت الدّنيا (بالهدى) الذى جاء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله (و اعطانا البصيرة) فى امر الدّين و الدّنيا (بعد العمى) اى الجهالة ، فانّ الجاهل كالأعمى ، فى كون كل منهما لا يهتدى الى سبيل ،و لا يعرف الطريق المنجى من الطريق المردى .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في التظلم والتشكي من قريش

اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَؤُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَٱصْبِرْ مَغْمُوماً ، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً .

ومن كلام له عليه السلام
فى التّظلّم و التّشكى من قريش

(اللّهمّ انّى استعديك) اى استغيثك و استعينك و الاسم العدوى (على قريش) قـ.لة الامام عليه السّلام (فانّهم قد قطعوا رحمى) فان سلب الانسا ن حقّه اعظم قطع للرحم (و اكفئوا انائى) كناية عن غصب الحق ، اذ كما اذا كفئ الاناء يفرغ ما فيه ، كذلك اذا غصب الحق يذهب عن الانسان حقّه الّذى هو له (و اجمعوا على منازعتى حقّا) هو الخلافة (كنت اولى به من غيرى) اذ عيّنه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و..ام بامر اللّه سبحانه خليفة من بعده ، ثمّ نازعه الخلفاء الثّلاثة مقامه ، و هم من قريش (وقالوا : الا انّ فى الحقّ ان تاخذه) اى ذلك الحق فانت له اهل و كفوء .

(و فى الحقّ ان تمنعه) لينتقل الى غيره و كانّه عليه السّلام يريد ببيان هذا الكلام اظهار المناقضة التى وقعوا فيها ، اذ لو كان حقّا له عليه السّلام كيف يكون من الحق ان يمنعه ، وان لم يكون حقا له كيف يكون من الحق ان يأخذه ..؟ ثم قالوا (فاصبر) يا على (مغموما) فى غم وغصة (او مت متاسّفا) و هذا كناية عن عدم الفائدة و

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِــدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي ؛ فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَــنِ الْمَنِيَّةِ ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى ، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ خَزِّ الشِّفَارِ

قال الشريف رضي الله عنه : وقــد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة ، إلا أني ذكرته ها هنا لاختلاف الروايتين .

عدم ارجاعهم الحق له كقوله سبحانه ــ فاصبروا او لا تصبروا ــ .

(فنظرت) اى تفكرت كيف اصنع (فاذا ليس لى رافد) اى معين (ولا ذابّ) اى دافع يدفع عنّى (ولا مساعد) يساعدنى فى ارجاع حقّى (الاّ اهل بيتى فضننت بهم) الضن ، البخل اى بخلت بهم (عن المنية) فــانّ لازم المحاربة قتل جماعة من اهل البيت عليهم السّلام (فاغضيت) اى غمضت عينى ــ عن الخلافة ــ (على القذى) هو ما يقع فى العين مما يؤذيه ، وهذا كنايــة عن شدّة تاذّيه عليه السّلام على انسلاب حقّه (وجرعت) اى ابتلعت (ريقى) الريق ماء الفم (على الشجى) هو عظم يعترض فى الحلق فيشتد الوجع به ، والم ما يكون اذا اراد الانسان بلع شئ ،وهذا كناية ثانية عن الصبر بكل اذيه وصعوبة .

(وصبرت من كظم الغيظ) اى اخماده وعدم اظهاره (على امرّ من العلقم) هو مادة مرة جدّا (والم) اى اكثر الما (للقلب من خزّ الشّفار) جمع شفرة بمعنى حدّ السّيف ونحوه ، وهذان من باب تشبيه ما يقع على النّفس من المرارة والألم بما يقع على الجسم والحاسة .

(قال الشّريف رضى اللّه عنه : وقد مضى هذا الكلام فى اثناء خطبة متقدمة) هى الشقشقية (الا انّى ذكرته هاهنا لاختلاف الرّوايتين)

وَمِن كَلام لَهُ عَلَيهِ السَّلام

فَقَدِمُوا عَلَىٰ عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِي فِي يَدَيَّ ، وَعَلَىٰ أَهْلِ مِصْرٍ ، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَىٰ بَيْعَتِي ؛ فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ ، وَوَثَبُوا

وَمِن كَلام لَهُ عَلَيهِ السَّلام

في ذكر من سار الى البصرة ، لحربه من اهل الجمل

(فقدموا) اى طلحة و الزبير وعائشة و من اليهم (على عمّالى) جمع عامل، و هو المنصوب من قبل الخليفة لادارة الأمور (وخزّان بيت المسلمين) جمع خازن و هو الحافظ (الّذى فى يدى) اذ الامام لما انتقلت اليه الخلافة الظاهرية صارت جميع بيت الأموال فى البلاد تحت سلطة الامام ، كأنّها فى يده (و) قدموا (على اهل مصر كلّهم فى طاعتى وعلى بيعتى) المراد بالمصر ((البصرة)) (فشتّتوا كلمتهم) بجعلهم فرقتين فرقة معى ، و فرقة مع العصاة (و افسدوا علىّ جماعتهم) اذ بدلوا بالجماعة بالفرقة ·

(و وثبوا) اصل الوثوب القفز ، و يستعمل بمعنى اهتبال الفرصة بغتة

عَلَىٰ شِيعَتِي ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا ، وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَىٰ أَسْيَافِهِمْ ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّىٰ لَقُوا ٱللهَ صَادِقِينَ .

(على شيعتى ، فقتلوا طائفة منهم غدرا) وخيانة اذ لم يكونوا محاربين لهم ، و انما كانوا امناء تحت لواء الاسلام و سلطة الخلافة الشرعية (و طائفة عضّوا على اسيافهم) العض على السيف كناية عن ملازمة العمل بها ، بكل اصرار كما ياخذ العاض باسنانه الشئ بكل شدّة (فضاربوا بها) اسيافهم ، وحاربوا اولئك العصاة (حتّى لقوا الله) اى لقوا ثواب الله سبحانه (صادقين) فى اسلامهم اذ من شرائط الاسلام دفاع الذين يحاربون المسلمين لحب نشر السلطة عليهم .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما مر بطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل :

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهٰذَا ٱلْمَكَانِ غَرِيباً ! أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَىٰ تَحْتَ بُطُونِ ٱلْكَوَاكِبِ !أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(لما مرّ بطلحة وعبد الرّحمان بن عتاب بن اسيد ، وهما قتيلان يوم الجمل)

وكان عبد الرحمان من اعيان بنى امية وكبرائهم والاشداء ضدّ الامام عليه السّلام .

(لقد اصبح ابو محمد) كنية طلحة (بهذا المكان غريبا) اذ ليس ببلده (اما والله لقد كنت اكره ان تكون قريش قتلى) جمع قتيل (تحت بطون الكواكب) اى منتشرين فى الآفاق ، كل واحد منهم تحت كوكب من كواكب السّماء (ادركت وترى) اى ثارى (من بنى عبد مناف) فانّ طلحة كان منهم وكان قاتله ((مروان)) قتله انتقاما لتاليبه الناس على عثمان ، فقد وتروا الامام بتاليب النّاس ضده وعصيانه ، وتشقيق شيعته وقتل جماعة منهم ، والوتر فى الدين من افضل الفضائل ، ولذا قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند فتح مكة حيث عدوا احلاف قريش ، على حلف الرّسول صلى الله عليه وآله ((خزاعة)) ((لا نصرت ان لم انصر خزاعة)) .

وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَىٰ أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ .

(و افلتتنى اعيان بنى جمح) اى شردوا منّى و لم اتمكن عليهم ، و المراد باعيانهم كبرائهم الذين كانوا فى ركب الجمل (لقد اتلعوا) اى رفعوا ، و المراد بهم من كانوا فى ركب الجمل (اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله) فانّهم لم يكونوا اهل الخلافة ، و انما ارادوا الاستيلاء عليها بالقوة و سفك الدماء (فوقصوا) اى كسرت اعناقهم (دونه) اى قبل الوصول الى ذلك الأمر ، و من غريب الأمر انّ هؤلاء هم الذين افسدوا دنياهم و آخرتهم بهذا العصيان ضد الخليفة الشرعى ، و معاوية هو الذى حصد نتاج اتعابهم .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ ، حَتَّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطُفَ غَلِيظُهُ ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَىٰ بَابِ السَّلَامَةِ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في وصف من يريد السّلوك اليه سبحانه بالتّقوى ، و العمل الصّالح

(قد احيا) صاحب التقوى (عقله) و احياء العقل انما هو بالعلم و التّفكر ، و العمل ممّا يوجب جلاء العقل الّذى هو بمنزلة حياته (و امات نفسه) بعدم الانسياق وراء شهواتها (حتّى دقّ جليله) اى خفى الأمر الذى كان كبيرا فى نفسه من حبّ الشّهوات و اتباع الأهواء (و لطف غليظه) فانّ النّفس خشنة بالرّذائل جموح ، و اذا اتقى الانسان ، لطفت النّفس حتّى تمحى خشونتها و تكون لينة حكيمة .

(و برق) اى ظهر (له لامع كثير البرق) فانّه سبحانه يهدى سبيله لمن جاهد من اجله ، كما قال سبحانه : ((و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا)) و هذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس كما ورد : ((ليس العلم بكثرة التّعلّم بل نور يقذفه اللّه فى قلب من يشاء)) (فابان) اى اظهر ذلك البرق (له الطريق) للسّعادة (و سلك به السّبيل) اى سار به فى طريق الحق .

(و تدافعته الأبواب الى باب السّلامة) فانّ الانسان الطّالب للحق يطرق كل باب ، فاذا لم يجد مطلوبه فى ذلك الباب طرق بابا آخر ، و هكذا حتّى

وَدَارِ ٱلْإِقَامَةِ ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ ٱلْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ ، بِمَا ٱسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ ، وَأَرْضَى رَبَّهُ .

ياتى الى باب السّلامة لدنياه و آخرته و هو باب الحق مثلا من يريد الفحص عن المبدء اذا كان صادقا بدون تعصّب يطرق باب الحاد فلا يجد مطلوبه ، ثمّ باب الثنوية ، وهكذا ، حتّى يصل الى باب التّوحيد ، وهذا فى كلّ شاى من الأصول و الفروع .

(و دار الاقامة) اى المحلّ الّذى يقم عليه من الاعتقاديات و الأعمال و الأخلاق (وثبتت رجلاه بطمانينة بدنه) اى بسبب ان بدنه مطمئن غير شاك ولا متزلزل (فى قرار الأمن و الرّاحة) فانّ الانسان اذا كان خائفا شاكا لم يطمئن بدنه ، ومن عدم اطمينانه لا تستقرّ رجلاه فى قرار يوجب امن قلبه و الراحة نفسه ، و انما يكون كذلك (بـ) سبب (ما استعمل عقله) حتى يدرك الواقع (وارضى ربّه) فى العمل بما احب .

وَمِن كَلَامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَامُ

قاله بعد تلاوته :

«أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ. حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ»
يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ وَزَوْراً مَا أَغْفَلَهُ! وَخَطَراً مَا أَفْظَعَهُ!

وَمِن كَلَامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَامُ

(قاله بعد تلاوته ((الهاكم التكاثر حتّى زرتم المقابر)) الهاكم اى صرفكم عن ذكر الله سبحانه المكاثرة و ارادة كل واحد منكم ان يكثر مانه و ثروته ، على اقرانه ، و استمرّ ذلك الالهاء بكم حتّى الموت و زيارتكم المقابر محمولا على الأعواد ، هذا هو المعنى الظّاهر من الآية ، حسب المتفاهم عرفا ، لكن الظّاهر من كلام الامام عليه السّلام انه فسّر ((التكاثر)) بالافتخار بكثرة الآباء و الأجداد كما هو العادة عند النّاس حيث يفتخرون بآبائهم و اجدادهم مع انهم تراب في القبور ، قد فنوا و ذهبوا .

(يا له مراما ما ابعده) ((يا)) حرف نداء و ((اللام)) للتعجّب ، و المنادى محذوف اى يا قوم و الضمير فى ((له)) راجع الى ((المرام)) ، وهو منصوب على التميز ، اى يا للتكاثر مقصدا بعيدا لا يدركه الانسان ، فانّ الانسان لا يصل الى ما يريده و يقصده من التكاثر فى الأموال و الأولاد ، فانّ النّفس غير القانعة لاتصل الى مشتهاها من كثرة الأموال و الأولاد .

(و زورا) اى زائرون للمقابر ، (ما اغفله) اى اكثر غفلتهم ، حيث انهم غافلون عن هذا المصير ، اى الهلاك ، و لذا يكثرون من الأموال و الاتيان بضمير المفرد فى ((ما اغفله)) و الحال ان ((وزرا)) جمع باعتبار كل واحد واحد ، نحو قوله سبحانه : ((و الملائكة بعد ذلك ظهير)) (و خطرا) ذلك التكاثر و تلك الزيارة للمقابر (ما افظعه) اذ يوجب ذلك ذهاب سعادة الانسان .

لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنهُمْ أيَّ مُدَّكِرٍ ، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ! أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ ! أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ !

يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ . وَلأَنْ يَكُونُوا عِبَراً ، أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً ؛

(لقد استخلوا منهم) اى وجد الأحياء خاليا من الأموات (اى مدكر) اى اىّ تذكر و اعتبار ، فلم يعتبروا بهم ، اذ لو وجد الأحياء تذكرا و اعتبارا من الأموات لتذكروا ، فانّ الانسان اذا وجد تذكرة عن احد تذكر ، فاذا لم يتذكر كان معناه انّه لم يجد تذكرا و اعتبارا ، و المذكر مصدر ميمى اصله ((اذ دكر)) من الذكر قلبت الذال دالا لقاعدة باب الافتعال .

(و تناوشوهم من مكان بعيد) أى تنالوا آبائهم الأموات بالمفاخرة بهم ، و الحال انّهم يعيدون عنهم ، فهم فى عالم الآخرة و المكاثرون فى عالم الدّنيا (أفبمصارع آبائهم يفخرون) ؟ الاستفهام للانكار ، أى كيف يفخر هؤلاء الأحياء المكاثرون بالآباء الّذين صرعوا و ماتوا (أم بعديد الهلكى) أى بتعداد الهالكين ، فانّ هلكى جمع هالك (يتكاثرون) يتفاخر بعضهم على بعض ، فيقول هذا لى عشرة من الآباء العظام ، و يقول ذاك لى عشرون ، و هكذا .

(يرتجعون) أى يرجع هؤلاء الأحياء بسبب المفاخرة (منهم) أى من أمواتهم (أجسادا خوت) أى سقط بنائها ، و خلت من الأرواح ، فكان المفاخر بآبائه ، يريد أن يرجعهم الى الدّنيا بعد أن هلكوا ، و صاروا فى القبور رميما (و حركات سكنت) حيث يقول فعلوا كذا و كذا من البطولات و المفاخر (و لأن يكونوا) اى الآباء الميّتون (عبرا) أى سببا لاعتبار الأحياء (أحقّ من أن يكونوا مفتخرا) يفتخر الأحياء بهم ، اذ الانسان يلزم ان يعتبر بالميّت لا أن يفتخر .

وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ !
لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ ٱلْعَشْوَةِ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ،
وَلَوِ ٱسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ ٱلدِّيَارِ ٱلْخَاوِيَةِ، وَٱلرُّبُوعِ ٱلْخَالِيَةِ،
لَقَالَتْ، ذَهَبُوا فِي ٱلْأَرْضِ ضُلَّالًا وَذَهَبْتُمْ فِي

(ولأن يهبطوا) اى ينزل الآباء (بهم) اى بهؤلاء الأحياء المفتخرون (جناب ذلّة) اى على عتبة الاذلال ، بان يكون موتهم سببا لذلّة هؤلاء الأحياء حيث انّ الانسان عند بواعث الضّعف و الهلاك يذل لا ان يطغى (احجى) اى اولى (من ان يقوموا) اولئك الأموات (بهم) اى بهذه الأحياء (مقام عزّة) فيعتزّوا بهم ، ويكون اولئك سببا لطغيانهم حيث يفتخرون بهم ·

(لقد نظروا) اى الأحياء (اليهم) اى الى اولئك الآباء الأموات (بابصار العشوة) اى ضعيفة البصر ، اذ لو كانت ابصارهم ينظر البعيد ، و يدرك اعماق الأشياء ، لروا منهم الموجب للاعتبار لا للفخر و التكاثر (وضربوا) هؤلاء الأحياء (منهم) اى من الأموات (فى غمرة جهالة) اى الجهالة التى تغمرهم و تشملهم كانّ هؤلاء الأحياء بسبب مفاخرتهم الأموات ادخلوا انفسهم فى جهالة كثيرة يقال ضرب بالماء اذا غاص فيه و معنى ((منهم)) من جهتهم و بسببهم ·

(و لو استنطقوا عنهم) اى طلب الأحياء عن قبل الأموات النطق (عرصات تلك الدّيار الخاوية) جمع عرصة ، بمعنى السّاحة و الدّيار الخاوية اى المتهدمة اى لو سئل الأحياء عن عرصات المقابر ، كيف صارت آبائنا (و الرّبوع الخالية) الربوع المساكن ، و الخالية التى خلت عن الانس و الانسان ·

(لقالت) تلك الدّيار و الربوع فى جواب السّؤال (ذهبوا فى الأرض ضلّالا) جمع ضال ، اى انّ آبائكم قد ضلوا تحت التراب ، فلا يعرفون اذ صاروا ترابا و اختلطت اجزاء بعضهم ببعض (و ذهبتم) انتم ايّها الأبناء (فى

أَعْقَابِهِمْ جُهَّالًا ، تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ ، وَتَسْتَثْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا ، وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ .

أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ ، وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ ، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ ،

اعقابهم) اى بعدهم (جهّالا) جمع جاهل ، اذ لم تتذكروا بهم (تطأون فى هامهم) اى تمشون على رؤسهم ،فان الهام اعلى الراس ، و من المعلوم ان الأحياء يمشون فوق الأموات اذ انهم اخفض منهم فى القبور .

(و تستثبتون) اى تطلبون اثبات ما تثبتون من الجدران و الأعمدة (فى اجسادهم) اذ تراب اجساد اولئك الأموات اختلطت بالجص و الآجر و الأرض فيكون البناء و محلّه فى اجساد اولئك الأموات لدى الواقع و الحقيقة (و ترتعون) اى تاكلون و تلذّذون (فيما لفظوا) اى ترك اولئك الأموات من الأموال و الارث.

(فتسكنون فيما خرّبوا) اى فى بيوتهم الّتى خربوها ، خرابا معنويا بانتقالهم عنها (و انّما الأيام بينكم و بينهم بواك) جمع باكية (و نوائح) جمع نائحة (عليكم) اى انّ الأيام تتحسّر عليكم كيف غفلتم و نسيتم ، و هذا مجاز عن انّهم يذهبون الأيام الباقية من عمرهم هدرا بدون تدبّر و تفكر .

(اولئكم) الأموات و ((كم)) للخطاب (سلف غايتكم) الغاية : الموت اى انهم اسلافكم الذاهبون الى الغاية التى انتم تذهبون اليها .

(و فرّاط مناهلكم) فرّاط جمع فارط ، و هو المتقدم من القوم الى الماء و الكلاء ليهيا لهم مكانا حسنا ، و المناهل جمع منهل ، محل ورود الانسان على الماء ، يعنى انّهم الذّاهبون قبلكم الى موارد الماء و المراد بها مناهل الموت (الّذين كانت لهم مقاوم العزّ) مقاوم جمع مقام ، اى مقامات يظهر فيها عزّهم

وَحَلَبَاتُ ٱلْفَخْرِ، مُلُوكاً وَسُوَقاً. سَلَكُوا فِي بُطُونِ ٱلْبَرْزَخِ سَبِيلاً سُلِّطَتِ ٱلْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ؛ فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ، وَضِمَاراً لَا يُوجَدُونَ؛ لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ ٱلْأَهْوَالِ، وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ ٱلْأَحْوَالِ، وَلَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ، وَلَا يَأْذَنُونَ

(وحلبات الفخر ملوكا) جمع حلبة ، وهى الدفعة من الخيل فى الرهان ، و المراد محلات يفتخرون فى تلك المحلاّت (وسوقا) اى كانت لهم الأسواق الرّائجة ، والمراد نفوذ كلمتهم و رواج امرهم او هو جمع سوقة ، بمعنى الرّعية .

(سلكوا فى بطون البرزخ) البرزخ العالم المتوسط بين الدّنيا و الآخرة ، و معنى بطونه اواسطه و بحبوحاته (سبيلا سلّطت الأرض عليهم فيه) اى فى البرزخ و المراد بتسليط الأرض تمكنها من تحويلهم الى التراب (فاكلت) الأرض (من لحومهم) اذ بدلتها ترابا (وشربت من دمائهم) اذ سالت عليها و نفذت فيها .

(فأصبحوا فى فجوات قبورهم جمادا) اى كالجماد الذى لا ينمو ، و فجوات جمع فجوة ، بمعنى الفرجة ، و المراد شقّ القبر (لا ينمون) اى ليس لهم نمو كما ينمو الأحياء .

(وضمارا) اى غائبين خلاف العيان (لا يوجدون) اى لا يجدهم الانسان لاختفائهم فى القبور (لا يفزعهم) اى لا يوجب خوفهم و فزعهم (ورود الأهوال) فى عالم الأرض ، لأنهم بمعزل عن الأرض و اهوالها و مخاوفها .

(ولا يحزنهم تنكر الأحوال) اى تبدّل الحالات الحسنة الى حالات السيّئة لأهل الأرض (ولا يحفلون بالرّواجف) اى لا يبالون بالاضطرابات التى تحصل للأحياء ، و رواجف جمع راجفة ، بمعنى : الاضطراب و الزلزلة (ولا يأذنون)

لِلْقَوَاصِفِ. غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ ، وَشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا ، وَآلَافاً فَافْتَرَقُوا ، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ ، وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ،

وَلٰكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً ،فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَىٰ سُبَاتٍ .

اى لا يستمعون (للقواصف) من قصف الرعد اذا اشتد صوته .

(غيّبا) جمع غائب (لا ينتظرون) اى لا ينتظر احد رجوعهم (و شهودا) جمع شاهد اى حاضرون فى البلاد غير مسافرين ـ اذ المقبرة من البلد ـ (لا يحضرون) فى المجالس و النوادى .

(و انما كانوا جميعا) مجتمعين بعضهم مع بعض و مع اهاليهم (فتشتتوا) اى تفرقوا و آلافا) جمع اليف ، اى مؤتلفين مع غيرهم (فافترقوا) فلا الفة بينهم و بين الأحياء .

(و ما عن طول عهد هم و لا بعد محلّهم عميت اخبارهم) اى انّ جهل الناس باخبارهم و ما مرّ عليهم بعد الموت ، ليس لأجل انهم منذ زمان بعيد افترقوا عن الناس ـ اذ الميت القريب العهد ايضا لا يعرف خبره ـ و ليس لأن محلهم بعيد مكانا عن محل الأحياء ولذالا يعرف خبرهم (و صمت ديارهم) صمّ ، اى: خرس بـ لامة الحال و المحل ، فاذا خرس الحال ينسب الخرس الى المحلّ .

(و لكنّهم سقوا كاسا) هى كاس الموت (بدّلتهم) تلك الكاس ـ و هى مؤنثة سماعا ـ (بالنطق خرسا) فصمتوا ولا يتمكنون من حكاية احوالهم (وبالسّمع) اى استماعهم للأقوال (صمما) فلا يسمعون الكلام بالآذان الجسدية (و بالحركات سكونا) فلم يتمكنون من الحركة (فكانّهم فى ارتجال الصّفة) اى اذا وصفهم واصف مرتجلا بلا [illegible] فى حين ما يشاهد هم ملقين على الأرض (صرعى سبات) اى

جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ .

وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ ، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى التَّعَارُفِ ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ ،

وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ ، لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً

أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً ،

شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا ،

صرعوا و القوا على الأرض من النوم .

(جيران) بعضهم لبعض (لا يتأنسون) اى لا يانس احدهم بالآخر والمراد بهذه الصّفة و ما اشبهها حسب ابدانهم و حالتهم الدّنيوية لا حالة ارواحهم .

(و احبّاء) لأنهم كانوا فى حال الحياة احبّاء (لا يتزاورون) لا يزوربعضهم بعضا (بليت بينهم) اى خلقت و ذهبت بين الأموات (عرى التّعارف) جمع عروة ، اى لا يتعارف احدهم مع الآخر (و انقطعت منهم اسباب الاخاء) فلا اخوّة بينهم (فكلّهم وحيد و هم جميع) اى ان كل واحد منهم منفرد ، لا يرتبط بالآخر و الحال انهم مجتمعون فى قبور متقاربة .

(و بجانب الهجر) اى كل واحد منهم يهجر صاحبه (و هم اخلاّء) جمع خليل بمعنى الصديق ــ اذ كانت بينهم مودّة فى الدنيا ــ (لا يتعارفون لليل و نهارا و صباحا و لا لنهار مساءًا) اى لا يميزون احدهما من الآخر .

(اى الجديدين) اى الليل و النهار ، و يقال لهما جديدان لتجدد كل واحد منهما (ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا) الظعن السفر ، اى ان ماتوا نهارا لم ياتهم ليل بعد ، و ان ماتوا ليلا لم ياتهم نهار بعد فكانه صار ابديا لهم .

(شاهدوا من اخطار دارهم) الجديدة ، اى عالم القبر و الآخرة (افظع ممّا خافوا) فان المخاوف هناك اكثر مما عرفها الانسان ، او يتمكن ان يصفها

وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا،

فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَىٰ مَبَاءَة، فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ

(و راوا من آياتها) اى علاماتها و الأشياء المهمّة من تلك الدّار (اعظم ممّا قدّروا) فانّ الانسان مهما قدّر احوال الآخرة ، اذا وصل اليها رآها اعظم ممّا قدّر ، لأن ذلك عالم وسيع ، نسبته الى الدنيا كنسبة الدنيا الى الرحم .

(فكلتا الغايتين) اى الجنّة و النّار (مدّت لهم الى مباءة) المباءة :مكان التبوء و الاستقرار ، اى انّ الانسان يمدّ فى عمره الى تلك الغاية ، فاسناد الامتداد الى الغاية مجاز ، و انّما الأسناد حقيقة الى مدّة بقاء الانسان فى الدنيا المنتهية تلك المدة الى الغاية _ وجاز الاسناد المجازى الملازمة بين المدة و بين الغاية ، و اذا اريد الحقيقة قيل فكلتا المدتين مدت لهم الى مباءة .

(فاتت) تلك المباءة (مبالغ الخوف و الرّجاء) فان الجنة فوق رجاء الانسان ، و النّار فوق خوف الانسان ، فالمباءة التى هى محل الاستقرار اعظم مما نتصوره نحن فى الدنيا ، فان مبلغ خوفنا هنا لا يصل الى واقع النار العظيمة الخارجة عن التّصور ، فاذا رايناها وجدناها اكثر خوفا مما كنا نخاف منها ، و هكذا الجنة بالنسبة الى الرجاء .

(فلو كانوا) هؤلاء الأموات (ينطقون بها) اى بتلك المباءة _ بان اذنوا فى ان يصفوا لنا مقدار الخوف من النار و الرجاء للجنة _ (لعيوا) اى عجزوا (بصفة) اى بان يصفوا (ما شاهدوا و ما عاينوا) من اهوال النار ونعيم الجنة اذ انهما فوق الوصف (و لئن عميت آثارهم) اى انقطعت عن كل اثر عن الأموات .

(و انقطعت اخبارهم) فلا يخبرون بشئ (لقد رجعت فيهم ابصار العبر)

وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ ٱلْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ ٱلنُّطْقِ ، فَقَالُوا : كَلَحَتِ ٱلْوُجُوهُ ٱلنَّوَاضِرُ ، وَخَوَتِ ٱلْأَجْسَامُ ٱلنَّوَاعِمُ ،

وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ ٱلْبِلَىٰ ، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ ٱلْمَضْجَعِ ،وتَوَارَثْنَا ٱلْوَحْشَةَ ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ فَٱنْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا ،

اى ان ابصارنا التى تعتبر نظرات اليهم ، فانا و ان لم نعتبر بكلامهم ـ لسكرتهم ـ لكن لا بد و ان نعتبر بالأموات انفسهم ، اذ رايناهم هامدين خامدين بعد الحركة و النشاط ، و انما قال عليه السلام ((رجعت)) لأنّ العين كانت ناظرة اليهم حال الحياة ، ثم رجعت اليهم بعد الممات .

(و سمعت عنهم) اى اقوالهم التى يقولونها بلسان الحال (آذان العقول) اى عقولنا (و تكلّموا) اولئك الأموات (من غير جهات النّطق) و انّما من جهات الحال (فقالوا : كلحت) اى تكشر فى عبوس و تجهم (الوجوه النّواضر) جمع الناضرة ، اى التى لها بريق و صفاء من النعمة (و خوت) اى تهدمت و تفرقت الأجزاء (الأجسام النواعم) اى اللينة جمع ناعمة .

(و لبسنا اهدام البلى) جمع هدم بالكسر الثوب البالى و البلى : الفناء و الزوال (و تكاءدنا) اى شق علينا (ضيق المضجع) اى القبر (و توارثنا الوحشة) اى ورثها بعض لاحق عن بعض سابق ، فكانّ الميت السابق الذى كان فى وحشة الانفراد و العزلة اعطى بالارث الوحشة للميّت اللاّحق .

(و تهكمت) اى تهدمت او سخرت (علينا الربوع) اى اماكن الاقامة ، و المراد المقابر (الصّموت) الذى لا ينطق (فانمحت) اى زالت اصله : انمحت (محاسن اجسادنا) اى المحلات الجميلة فى ابداننا (و تنكرت) بحيث اذا راها الانسان الذى كان يعرفها لم يعرفها الآن لتغيرها (معارف صورنا) اى

وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ ٱلْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا ، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً، وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً ! فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ ٱلْغِطَاءِ لَكَ ،

وَقَدِ ٱرْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَٱسْتَكَّتْ وَٱكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ ٱلْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا ، وَهَمَدَتِ ٱلْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى .

المواضع المعروفة من صورتنا ، كالعين و الفم و ما اشبه .

(و طالت فى مساكن الوحشة اقامتنا) فلا نبرح المقابر (و لم نجد من كرب فرجا) اذ المهموم فى القبر لسوء عمله لا يجد مفرّجا لهم و حزنه (و لا من ضيق) اى ضيق القبر (متّسعا) اى محل سعة (فلو مثّلتهم) ايها السامع (بعقلك) اى تصورت حالهم (او كشف عنهم محجوب الغطاء) اى الغطاء الحاجب ، نحو قوله ((حجابا مستورا)) اى ساترا (لك) ايها السامع .

(و قد ارتسخت) اى صارت الهوام راسخة ثابتة فى آذانهم (اسماعهم بالهوام) جمع هامة ، الحيوانات الصغيرة التى تسكن داخل الأرض ، و المراد بها الدود (فاستكت) اى صمّت (و اكتحلت ابصارهم بالتراب) بان دخل التّراب فى اعينهم (فخسفت) وغارت اذ العين تتقلص لدى الجفاف و اليبس (و تقطّعت الألسنة) اى صارت قطعة قطعة (فى افواههم بعد ذلاقتها) اى حدتها فى النطق و فصاحتها .

(و همدت) اى سكنت (القلوب فى صدورهم بعد يقظتها) و حركتها الدائمة (وعاث) اى افسد (فى كل جارحة) اى عضو (منهم جديد بلى)

سَمَّجَهَا وَسَهَلَ طُرُقَ ٱلْآفَةِ إِلَيْهَا ، مُسْتَسْلِمَاتٍ

فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ ، وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ ، لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ ،

وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي . وَكَمْ أَكَلَتِ ٱلْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ

اى فناء جديد اذ الفناء يتجدد ، كما انّ البقاء فى الحىّ يتجدد (سمجها) اى قبحها (وسهل) ذلك البلى (طرق الآفة اليها) والآفة الفساد (مستسلمات) تلك الجوارح للفناء والبلى لا تقدر على دفع شئ يرد عليها من الفساد والآفات.

(فلا ايد تدفع) الفساد كما كان فى ايّام الحياة ، اذ وردت واردة على جسدهم تدفعها ايديهم (ولا قلوب تجزع) وتحزن لورود المصيبة على ابدانهم (لرايت) جواب ((فلو مثلتهم)) (اشجان قلوب) جمع شجن ، بمعنى : الهم ، اى قلوبا محزونة (واقذاء عيون) اى عيونا قد دخلها القذى وهوما يقع فى العين فيؤذيها (لهم) اى لأولئك الأموات (فى كلّ فظاعة) اى امر فظيع شديد (صفة حال لا تنتقل) اى لا تنتقل تلك الصّفة السّيّئة عنهم ، لا مثل المريض الذى اذا طاب ذهبت عنه الحالة السّيئة .

(وغمرة) اى كربة تغمرهم اى تشملهم (لا تنجلى) اى لا تنكشف ولا تذهب (وكم اكلت الأرض) فصيرته ترابا (من عزيز جسد) اى جسد عزيز (وانيق لون) اى لون انيق ، بمعنى الرائق الحسن .

(كان) ذلك الجسد واللّون (فى الدنيا غذى ترف) اى مغذيا بالنعم ، فان غذّى فعيل بمعنى المفعول ، والترف الزيادة فى النعمة (وربيب شرف) اى مربّا بالشّرف والعز (يتعلل بالسّرور) اى يتشاغل باسباب السرور والفرح لينسى احزانه (فى ساعة حزنه) ضنا على قلبه ان يقع فى مخالب الأحزان .

وَيَفْزَعُ إِلَىٰ السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ، ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ! فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَىٰ الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ ، إِذْ وَطِىءَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ ، فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ ، وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ ، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ ، فَفَزِعَ إِلَىٰ مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ ،

(و يفزع الى السّلوة) اى ينصرف الى التّسلى بتخيل السّعادة و الأفراح و اللّذائذ (ان مصيبة نزلت به) يريد انصراف نفسه عن تلك المصيبة (ضنّا) اى بخلا (بغضارة عيشه) اى بطيب عيشه ان ينقص بالمهموم و المصائب (و شحاحة) اى بخلا (بلهوه و لعبه) اى يذهبا من يده ، بسبب المصيبة النّازلة به (فبينا هو يضحك الى الدنيا و تضحك) الدنيا (اليه) فهو فرح مسرور ، و الدنيا مقبلة عليه (فى ظل عيش غفول) اى موجب للغفلة .

(اذ وطى الدهر به حسكه) الحسك شوك شديد اللزقة كثير الألم ، و المعنى ادخل الدّهر فى جسم هذا الانسان الحسك اى اشد الآلام و المصائب (و نقضت الأيام قواه) اى حطمها حتى لا تبقى له قوة (و نظرت اليه الحتوف) اى المهلكات ، جمع حتف (من كثب) اى من قرب ، بمعنى وصول المهلكات اليه (فخالطه بث) اى حزن (لا يعرفه) اى لم يكن يعرفه سابقا ، و انما ورد عليه ورودا و خالطه اى مازج خواطره و افكاره (و نجى همّ) اى هم خفى كانّه يناجيه (ما كان يجده) سابقا .

(و تولدت فيه فترات علل) اى علل تاخذه فى فترات و دفعات (آنس ما كان بصحّته) اى فى وقت كان اكثر الأوقات انسا و فرحا بصحّته (ففزع) اى التجأ (الى ما كان عوّده الأطباء) لشفاء امراضه (من تسكين الحارّ بالقارّ) اى البارد،

وَتَحْرِيكِ ٱلْبَارِدِ بِٱلْحَارِّ ، فَلَمْ يُطْفِىءْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً ، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً ، وَلَا ٱعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ ؛

حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ ،

وسمى قارا لأن من طبع البرودة الاستقرار ، بعكس الحرارة التى من طبعها الحركة ، والحار الأمراض الحارّة التى تولدت من الدم ·

(وتحريك البارد) الذى يقطن البدن فيفسده كالبلغم (بالحارّ) اذ الأدوية الحارة ، تحرك المرض البارد وتزيله (فلم يطفئ ببارد) مرضه الحار (الاّ ثوّر حرارة) اى هيجها و ((الا)) استثناء منقطع ، والمعنى لم ينفع الدواء البارد الا تهيج الحرارة ، اذ يتحرك الطبع الحار بالحرارة لدفع البارد ـ فان الطبع والدواء يتعارضان ـ وذلك يسبب ثوران الحار ·

(ولا حرّك بحارّ) من الدواء ، الذى شربه لتحريك البارد وازالته (الاّ هيج برودة) وصار سببا لازدياد المرض (ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع) اى لم يتمكن المريض من تعديل طبيعته بسبب مزج تلك الأدوية بطبيعته المنحرفة التى يريد تعديلها (الاّ امدّ منها) اى من الطّبائع (كل ذات داء) حتّى قويت وتمكنت من اضافة داء جديد على دائه القديم ·

(حتّى فتر معلله) المعلل من يتولى خدمة المريض ويرجّيه الشفاء ، وفتر بمعنى : ضعف ووهن ، لأنه لم ير له شفاءا (وذهل) اى فوجئ بعدم شفائه الموجب لذهوله (ممرّضه) اى من يداريه (وتعايا اهله بصفة دائه) اى عجز اهله عن ان يصفو للطبيب دائه ، وبذلك اشتركوا فى العجز مع الطبيب والممرض والمعلل ·

وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ فَقَائِلٌ يَقُولُ: هُوَ لِمَا بِهِ

وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَىٰ فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَىٰ الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ. فَبَيْنَا هُوَ كَذٰلِكَ عَلَىٰ جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ

(وخرسوا عن جواب السّائلين عنه) لأنهم لا يريدون ان يقولوا ، انّه اسوء حالا ، ولا يتمكنون ان يقولوا انّه احسن (و تنازعوا دونه) اى حول المريض (شجىّ خبر) اى الخبر المشجى المحزن (لما تكتمونه) من عدم رجاء شفائه ، فانّ الحاضرين يختلفون عند الياس عن برئه ماذا يصنعون ؟ (فقائل يقول هو) اى المريض (لما به) اى انّه يموت لما به من المرض ، وكانّه مملوك للعلّة التى حلّت به ـ ولذا قال : لما به ـ .

(وممّن لهم اياب عافيته) اى يمنّى اهله بان عافية المريض تعود (و مصبّر لهم على فقده) بانّه ان فقد فاللّه يعطيهم الأجر و الصّبر (يذكرهم اسى الماضين) جمع اسوة ، لزوم الاقتداء و التاسّى بعباد اللّه الصّالحين الذين مضوا فانهم كانوا يصبرون على البلايا (من قبله) اى من قبل هذا الجادث اوقبل هذا المريض اوقبل هذا الذى يصيبه (فبينا هو) المريض (كذلك على جناح من فراق الدنيا) تشبيه بالراكب على جناح الطّائر الذى يريد به السّير و الطيران من مكان الى مكان .

(وترك الأحبّة) جمع حبيب (اذ عرض له عارض من غصصه) جمع غصة التى توجب كرب الانسان ، وصعوبة حاله ، فانّ نوبات المرض تاخذ و تفك (فتحيرت نوافذ فطنته) نوافذ الفطنة المحلات التى تنفذ الفطنة و الفكر منها الى الخارج ، و المراد ان افكارها الصائبة قد تجمدت لأن الروح اخذت فى

وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ . فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ لِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ ! وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَهْلِ الدُّنْيَا .

الخروج فلا تعمل اجهزة الفطنة لتاخذ الأفكار و تعطيها ·

(و يبست رطوبة لسانه) فلا يقدر على التكلم (فكم من مهمّ من جوابه عرفه) اى يهم الحاضرين جوابه عن سؤال وجهوه اليه ، و هو يعرف الجواب (فعيّ) اى عجز (عن ردّه) لأنه لا يقدر على الكلام (و دعاء مؤلم لقلبه سمعه) اى دعاه بعض اهله و الحاضرين ، وقد سمعه وكان ذلك النداء مؤلما لقلبه اذ كان مزيجا بالحزن و البكاء (فتصامّ عنه) اى كان كالأصم عن سماعه اذ لم يتمكن على جوابه ليبس لسانه ·

(من كبير كان يعظمه) اى كان الدّعاء له من كبير هو معظم عند المريض (او صغير كان يرحمه) و يرحّب به و يحبّه (و انّ للموت لغمرات) جمع غمرة بمعنى الشدة التى تغمر الانسان و تحيط به (هى افظع من ان تستغرق بصفة) فلا يمكن وصف تلك الشّدائد (او تعتدل على قلوب اهل الدنيا) اى انها لا تستقيم على قلوب النّاس ، لأنهم فى غفلة عنها و لهو و لعب ، او ان قلوب الناس لا يمكن ان تدركها لأنها اعظم من القياس و المعلومات التى للانسان حتى يقيسوا تلك الشّدائد بما علموها ·

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

قاله عند تلاوته : « رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ » .

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ ، وَمَا بَرِحَ لِلّهِ ـ عَزَّتْ آلَاؤُهُ ـ الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ ، وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

(قاله عليه السلام عند تلاوته : ((رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله))) .

(انّ الله سبحانه و تعالى جعل الذكر جلاءً للقلوب) فكما تصفو المرآة بالجلاء ، كذلك تصفو القلوب بالذكر ، لأنه يذكرها بالحقائق فتلين خشونتها (تسمع) القلوب (به) اى بالذكر (بعد الوقرة) هى ثقل فى السمع (و تبصر) القلوب (به) اى بالذكر (بعد العشوة) هى ضعف البصر (وتنقاد) القلوب اى تخضع (به) اى بالذكر (بعد المعاندة) اى عنادها و لجاجها فى ترك الحق و العدل .

(و ما برح لله عزّت آلاؤه ــ) اى مازال ، و اسمه قوله ((عباد)) و معنى عزّت آلائه اى نعمه سبحانه عزيزة رفيعة لأنها من قبل الله عزيز رفيع (فى البرهة بعد البرهة) اى الفترة بعد الفترة (و فى ازمان الفترات) جمع فترة ، هى

عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِـمْ ،

وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِـمْ ، فَٱسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي ٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَسْمَاعِ وَٱلْأَفْئِدَةِ ،

يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ ٱللهِ ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ ،

بِمَنْزِلَةِ ٱلْأَدِلَّةِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ . مَنْ أَخَذَ ٱلْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ ، وَ

الزمان الخالى عن المعالم و الشرائع (عباد ناجاهم) الله سبحانه (مى فكرهم) بان القى سبحانه فى فكرهم .

(وكلمهم فى ذات عقولهم) اى دلت عقولهم ، و الدلالة كانت من اللّـه سبحانه ، كانّها كلامه لهم (فاستصبحوا بنور يقظة فى الأبصار و الأسماع والافئدة) استصبح اى اضاء مصباحه اى اضاء ابصارهم برؤية الحقائق و اسماعهم بالاستماع الى الحق ، و افئدتهم بفهم الحقيقة .

(يذكرون) متعلق بـ ((عباد)) اى ان للّه عباد تلك اوصافهم يذكـــرون النّاس (بايام اللّه) ايام الله هى الأيام التى كانت فيها لله سبحانه نعمة عظيمة على البشر ، او نقمة عظيمة عليهم ، و بالقرينة يعين ، اى المعينين ، و المراد هنا الثانى بقرينة (و يخوّفون مقامه) اى يخوفون الناس ان هم اسددوا فى الغى و الضلال بعذاب اللّه سبحانه ، وقوله ((مقامه)) من باب تشبيه المعقــول بالمحسوس .

فهم (بمنزلة الأدلّة فى الفلوات) ادلة جمع دليل الذين يدلون المسافريـن على الطّريق و فلوات جمع فلات ، بمعنى : الصحراء (من اخذ القصد) اى : الطريق السّوى (حمدوا اليه طريقه) اى استحسنوه فى سيره لهذا الطريـــق المستقيم (و بشّروه بالنّجاة) لأن قصد الطريق ، يوصل الى الغاية المطلوبة (و

مَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ.

وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ،

وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ، وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ،

من اخذ يمينا وشمالا) بان انحرف عن الجادة . ولعلّ المراد الافراط والتّفريط فى الحق (ذمّوا اليه الطّريق) وقالوا انّ طريقك هذا مذموم (وحذّروه من الهلكة) اى الهلاك (وكانوا كذلك) اى كاولئك الأدلّة فى الطرق فى الصحارى (مصابيح تلك الظلمات) ظلمات الجهل و الضلال (و ادلّة تلك الشبهات) الأمور التى تشتبه فى ذهن الانسان فلا يدرى ايها الحق و ايها باطل.

(و ان للذكر لأهلا اخذوه) اى اخذوا الذكر (من الدّنيا بدلا) فلم يشغلوا انفسهم بالدّنيا ، بل اشغلوها بالذكر (فلم تشغلهم تجارة) كالمزارعة والاصطياد ، والمداهنة ، وما اشبه (ولا بيع عنه) اى عن الذكر (يقطعون به) اى بالذكر (ايام الحياة) اى يسيرون مدة عمرهم وهم ذاكرون لله سبحانه (ويهتفون بالزواجر) جمع زاجرة ، وهى المواعظ المخوفة التى تزجر الانسان عن المعاصى (عن محارم الله فى اسماع الغافلين) الذين غفلوا عن الآخرة ، و هتف بمعنى صاح .

(ويامرون) الناس (بالقسط) اى العدل (وياتمرون به) اى : انهم يعملون بالقسط (وينهون عن المنكر) : المحرمات والقبائح (ويتناهون عنه)

فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا ٱلدُّنْيَا إِلَى ٱلْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا ، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَٰلِكَ ،

فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ ٱلْبَرْزَخِ فِي طُولِ ٱلْإِقَامَةِ فِيهِ ، وَحَقَّقَتِ ٱلْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا ، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَٰلِكَ لِأَهْلِ ٱلدُّنْيَا ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى ٱلنَّاسُ ،

وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ . فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ ٱلْمَحْمُودَةِ ، وَمَجَالِسِهِمُ ٱلْمَشْهُودَةِ ،

وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ ،

اى انهم لا ياتون بالمنكر (فكانما قطعوا الدنيا الى الآخرة) اى وصلوا الى الآخرة وتمت دنياهم (وهم فيها) اى والحال انهم فى الدنيا (فشاهدوا ما وراء ذلك) الذى هم فيه من الدنيا .

(فكانّما اطلعوا غيوب اهل البرزخ) اى غيب احوالهم (فى طول الاقامة فيه) اى فى حالكون اهل البرزخ مقيمين فيه طويلا ، فان طول الاقامة يوجب الضّجر والسآمة علاوة على سائر اقسام العذاب (وحققت القيامة عليهم) اى على هؤلاء الأدلآء المرشدين (عداتها) جمع عدة ، بمعنى : الوعد (فكشفوا غطاء ذلك) فانّ الآخرة كالمغطات بغطاء ، ولذا لا يعلم بتفاصيلها و خصوصيتها اهل الدنيا (لأهل الدنيا) اذيبينون تفاصيلها (حتّى كانّهم يرون ما لا يرى النّاس) من الآخرة .

(ويسمعون) من اقوال اهل البرزخ والقيامة والجنة والنار (مالايسمعون) اى لا يسمع النّاس (فلو مثّلتهم لعقلك) اى مثلت اولئك الأدلة المرشدين ، بان تفكرت احوالهم ــ وهم فى الدنيا ــ (فى مقاومهم المحمودة) جمع مقام (ومجالسهم المشهودة) التى يشهدونها اى يحضرونها لأجل الطاعة والعبادة

(وقد نشروا دواوين اعمالهم) جمع ديوان ، وهو الصحيفة التى كتبت

وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَىٰ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا . فَقَصَّرُوا عَنْهَا ، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ ، فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلَالِ بِهَا ، فَنَشَجُوا نَشِيجاً ،وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً يَعِجُّونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًىٰ ،

فيها الحسنات و السّيئات ، و هذا كناية عن تفكرهم فيما عملوا من خير و شر فى ماضى احوالهم ، عند وقايتهم لأنفسهم فان الصالحين يراقبون انفسهم (وفرغوا) عن كل عمل (لمحاسبة انفسهم عن كلّ صغيرة و كبيرة امروا بها) بان ارادوا الاطلاع على خصوصيات اعمالهم كبيرها و صغيرها .

(فقصّروا عنها) اى عن الاتيان بتلك الأشياء الّتى امروا بها (او نهوا عنها ففرّطوا فيها) بان اتوها خلافا للنّهى — و انّما ذكرعليه السلام هذين فقط، لأنّ الصّالحين اذا ارادوا التفكر فى اعمالهم ، و محاسبة انفسهم تذكروا المعاصى فقط لأنها هى محط نظرهم (و حمّلوا ثقل اوزارهم ظهورهم) اى نسبوا الوزر و العصيان الى انفسهم ، لا كعامة الناس الذين لا يعترفون بالعصيان ، و اذا اعترفوا بها علّلوا ذلك بعلل غير انفسهم حتى يبرئوا ساحتهم .

(فضعفوا عن الاستقلال بها) اى علموا بانّهم لا يتمكنون من حمل هذه الأوزار ، لأنها توجب العذاب الذى لا يطاق (فنشجوا) نشج الباكى اذا غص بالبكاء فى حلقه من شدّة تالمه النّفسى (نشيجا و تجاوبوا نحيبا) النحيب اشدّ البكاء ، اى اجاب بعضهم بعضا فى البكاء ، كما يفعل اهل المصيبة ، و هكذا كان عباد الله سابقا ، يجتمعون كل اسبوع مرة او ما اشبه ، ثم يتذكرون ويذاكرون احوال الآخرة ، و ما سلف منهم من المعاصى و الذنوب فيبكون و يعلو نشيجهم و نحيبهم (يعجّون) العجيج : الصّياح (الى ربّهم من مقاوم) جمع مقام(ندم و اعترف) بالخطايا (لرايت) جواب ((فلو مثلتهم)) (اعلام هدى) جمع

وَمَصَابِيحَ دُجًى ، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ ٱلْكَرَامَاتِ ، فِي مَقَامٍ ٱطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ . يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَىٰ فَضْلِهِ، وَأُسَارَىٰ ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ،جَرَحَ طُولُ ٱلْأَسَى

علم بمعنى اللّواء ، او الجبل .

(ومصابيح دجى) اى الظلمة ، فكما ينير المصباح للهداية الى الطريق ،كذلك ينيرون هؤلاء لهداية الناس الى الحق فى ليالى الجهل و الضلال (قد حفّت بهم الملائكة) اى احاطت بهم ، كما قال سبحانه : ((الذين قالوا ربّنا اللّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة)) .

(و تنزّلت عليهم السكينة) اى حالة هدوء و اطمينان و سكون توجب استقرارهم و عدم تزلزلهم فى الحق ، او فى كل امر (و فتحت لهم ابواب السّماء) المراد ان ادعيتهم ترفع الى اللّه سبحانه ، و تنزل الرحمة عليهم (و اعدّت لهم مقاعد الكرامات) اى فى الجنة ، و مقاعد جمع مقعد ، محل القعود و الجلوس (فى مقام اطلع اللّه عليهم) اى انزل عليهم رحمته و فضله (فرضى سعيهم) الذى عملوه لأجله سبحانه .

(وحمد مقامهم) اى مدحه و اجزل ثوابهم لأجل ذلك (و يتنسّمون) اى ينتظرون ، و تنسّم النسيم اى تشممه بانفه (بدعائه) اى بدعائهم له تعالى (روح التّجاوز) عن سيئاتهم (رهائن فاقة) اى احتياج (الى فضله) فكانّه فى رهن الفضل فاذا جاء الفضل فكت رقابهم كما يفك الرهن اذا جاء المال .

(و اسارى ذلّة لعظمته) اى انهم اسرى لعظمته تعالى ، فقد اسرتهم العظمة فيتبعونه تعالى ، اتباع الأسير لمن آسره (جرح طول الاسى) اى :

قُلُوبَهُمْ. وَطُولُ ٱلْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ. لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَىٰ اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ ٱلْمَنَادِحُ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ .

فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ ٱلْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.

الحزن (قلوبهم) و المراد بالجرح الخشوع و الخضوع و الانكسار .

(و طول البكاء) من خشيته سبحانه (عيونهم) فاعينهم مجروحة الأجفان (لكلّ باب رغبة الى الله يد قارعة) اى يقرعون جميع ابواب رحمته باب الخوف، وباب الرجاء ، و باب الشكر ، و باب الذكر ، وهكذا ، و المعنى : انّهم يقبلون عليه سبحانه ، بمختلف انحاء الاقبال و الرجاء (يسالون من لا تضيق لديه المنادح) جمع مندوحة ، والأصل فيها المتسع من الأرض ، و المراد انه لا تضيق لدية الاعطيات (و لا يخيب عليه الراغبون) فمن رغب فضله لا يخيب ، بل يرجع بما رغب و اراد (فحاسب) ايها الانسان (نفسك لنفسك) اى لنجات نفسك (فان غيرها) اى غير نفسك (من الأنفس لها حسيب غيرك) فلا تشغل نفسك بحساب غيرك .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله عند تلاوته :

«يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ».

أَدْحَضُ مَسْؤُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ. يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلَىٰ ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَمَا أَنَّسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ،

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله عند تلاوته (يا ايها الانسان ما غرّك بربّك الكريم) ؟

(ادحض مسئول حجّة) دحض بمعنى بطل ، يعنى انّ الانسان حجته امام حجّة اللّه سبحانه باطلة تافهة لا قيمة لها ، وهذا الكلام بمناسبة قوله سبحانه : ((ما غرّك)) يعنى انه لا حجة له عند احتجاج اللّه سبحانه عليه بانّه لم فعل المحرمات ؟ (واقطع مغترّ) اى مغرور و معناه المخدوع (معذرة) اذ لا عذر له امام حجّته سبحانه (لقد ابرح) اى اعجب (جهالة) اى من جهة جهله (بنفسه) فاعجبته نفسه ، اذ لم يعلم واقعها و حقيقتها ٠

(يا ايها الانسان ما جرّاك على ذنبك) استفهام توبيخى ، اى ما الّذى صار سببا لجراتك حتى تعصى الله سبحانه (ما غرّك بربّك) اى ما الذى خدعك حتى عصيت ربك (وما آنسك بهلكة نفسك) اى ما اكثر انسك بان تهلك نفسك بسبب الآثام و المعاصى ٠

(اما من دائك بلول) ؟ اى شفاء من بل مرضه اذا زال (ام ليس من نومتك) اى غفلتك (يقظة) وانتباه ؟ (اما ترحم من نفسك ما ترحم من

غَيْرِكَ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَىٰ الضَّاحِيَ مِنْ لَحَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ ، أَوْ تَرَىٰ الْمُبْتَلَىٰ بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ! فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ ، وَجَلَّدَكَ عَلَىٰ مُصَابِكَ ، وَعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَىٰ نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ ! وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سطواتِهِ فتداوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ ،

غيرك) ؟ فالانسان يرحم غيره اذا راه فى مشكلة توجب له عاقبة سيئة فكيف لا يرحم نفسه ، وهى معرضة لسخط الله وانتقامه (فربّما ترى الضاحى لحر الشمس) الضاحى البارز الظاهر للشمس (فتظله) لئلا تؤذيه الشّمس .

(او ترى المبتلى بالم يمض جسده) اى يبالغ فى نهك جسده وضعفه

(فتبكى رحمة له) وحزنا لما اصابه (فما صبّرك على دائك) اى مرضك ؟ الذى هو الانحراف فى النّفس وفى العمل ، وهذه صيغة تعجّب (وجلّدك) من التجلد بمعنى التصبر (على مصابك) ؟ اى مصيبتك التى هى الزيغ عن سبيل الرشاد الموجب لهلاك الانسان فى الآخرة .

(و) ما (عزّاك) اى سلاك (عن البكاء على نفسك وهى اعزّ الأنفس عليك) ؟ فغفلت عنها ، وعمّا يراد بها من العذاب والأهوال فى الآخرة فلم تبك خوفا (وكيف لا يوقظك) عن نومة الغافلين (خوف بيات نقمة) اى تبيت بنقمة من الله توجب زوال نعمتك .

(وقد تورّطت بمعاصيه) التورط الوقوع فى المحذور (مدارج سطواته) جمع مدرج ، بمعنى المحل الذى يدرج اليه الانسان درجة ، درجة ، والباء فى ((بمعاصيه)) للسببية ، اى وقعت بسبب معاصى الله سبحانه ، فى مدارج عقوباته ، فان السطوة بمعنى الهجمة للأخذ والنكال (فتداوَ من داء الفترة) اى الفتور عن اطاعة الله سبحانه (فى قلبك) فان مبعث الفتور فى الجسد القلب

بِعَزِيمَةٍ ، وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ ،وَكُنْ لِلهِ مُطِيعاً ، وَبِذِكْرِهِ آنِساً. وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ ، يَدْعُوكَ إِلَىٰ عَفْوِهِ ، وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ. فَتَعَالَىٰ مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ ! وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ ! وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ .

(بعزيمة) اى عزم واضح موجب للعمل (ومن كرى الغفلة) الكرى النوم ، فان الغافل كالنائم (فى ناظرك بيقظة) اى انتباه من الغفلة (وكن لله مطيعا) فى اوامره و نواهيه (و بذكره انسا) اى تانس بذكره ، ولا تضجر ولا تسام ولا تستوحش .

(وتمثل فى حال توليك عنه) اى اعراضك عنه تعالى (اقباله عليك) فانّ الله سبحانه ناظر الى اعمال عبيده دائما ، فهو دائم الاقبال ، وكيف يعرض الانسان عن ملك عظيم مقبل عليه بيده كل رحمة و نقمة ؟ (يدعوك الى عفوه) بان تفعل ما يوجب عفوه من التوبة و الانابة (و يتغمدك) اى يغمرك (بفضله) و نعمته .

(و انت متولّ عنه الى غيره) اى صارف بقلبك الى لذائذ الدّنيا وشهواتها (فتعالى) اى ارتفع سبحانه (من قوى ما اكرمه) صنيعه التعجب ، اى انه قوى كريم فى غاية الكرم بينما ان الأغنياء فى العادة لا يكرمون ، لأنهم يرون انفسهم فى غنى عن مصانعة الناس بكرم و احسان ، لأنهم اقوياء (و تواضعت) اى انت وضيع (من ضعيف ما اجرئك على معصيته) مع ان العادة تقتضى عدم جرئة الضعيف على العصيان .

(و انت فى كنف) اى طرف (ستره مقيم) فقد ستر عليك و لم يبد معايبك امام الناس (و فى سعة فضله متقلب) اى متحرك ، نهار تستضئ به ، و ليل

فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرِفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ . فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ ! وَآيْمُ ٱللهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي ٱلْقُوَّةِ ، مُتَوَازِيَيْنِ فِي ٱلْقُدْرَةِ ،

تسكن فيه و اثاث و رياش تتنعم بها وماكل ومشارب تتلذذ بها وهكذا (فلم يمنع) سبحانه (عنك فضله) بسبب عصيانه (ولم يهتك عنك ستره) بما اقترفت من الآثام .

(بل لم تخل من لطفه مطرف عين) اى مقدار طرفة عين ، وهى اللحظة التى يتحرك فيها الجفن (فى نعمة يحدثها لك) فان نعمة حركة اجهزة البدن المستمرة والتنفس ، ونقاء الهواء ، وما اشبه ذلك ، ترد على الانسان ، فى كل لحظة لحظة (او سيّئة يسترها عليك) فان الستر مستمر ، وانكانت السّيئة سابقة (او بليّة) اى بلاء (يصرفها عنك) اذ الانسان معرّض للأخطار والبلايا كل آن .

(فما ظنّك به لو اطعته) ؟ فان من يحسن على العاصى كيف يعمل مع المطيع ؟ .

نعم قد ورد فى الحديث القدسى : عبدى اطعنى تكن مثلى ، اقول للشئ كن فيكون و تقول للشئ كن فيكون (وايم اللّه) حلف باللّه سبحانه فان كلمة ((ايم)) وفيها لغات للحلف (لو انّ هذه الصفة) اى صفة عصيانك له و احسانه لك (كانت فى متفقين فى القوة) فكان هناك نفران يتفقان فى القوّة (متوازيين فى القدرة) بان كانت قدرة احدهما بقدر قدرة الآخر ، ثم كان احدهما يحسن الى الآخر ، والآخر يسئ اليه .

لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِذَمِيمِ ٱلْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِىءِ ٱلْأَعْمَالِ. وَحَقًّا أَقُولُ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلٰكِنْ بِهَا ٱغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ ٱلْعِظَاتِ، وَآذَنَتْكَ عَلَىٰ سَوَاءٍ. وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ ٱلْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفَىٰ مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ، أَوْ تَغُرَّكَ. وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ

(لكنت اوّل حاكم على نفسك بذميم الأخلاق) اذ كنت تسئ الى من احسن اليك ، و ذميم فعيل بمعنى المفعول اى بالأخلاق المذمومة (و مساوى الأعمال) اى الأعمال السيئة ، فكيف اذا كان احدهما الهعظيم و الآخر عبد ذليل ٠٠ ؟ ٠

(وحقّا اقول) اى اقول حقّا ــ و هو مفعول مطلق (ما الدّنيا غرّتك) اى ان الدنيا لم تسبب غرورك ، حتى اجترئت على المعاصى ، اذ الدنيا ارتك الاعتبار و الموعظة ٠

(ولكن) انت (بها) اى بالدنيا (اغتررت) فاللّوم عليك لا عليها ، اذ انّك غفلت عمّا ترى فى الدّنيا من مصائبها و احزانها (ولقد كاشفتك الغظات) اى اظهرت لك الموعظات التى تقع فى الدنيا حقيقة الدنيا لكنك لم تهتم بها (وآذنتك) اى اعلمتك الدنيا (على سواء) اى على عدل فى الأعلام فلم تنحىٔ شيئا (ولهى) اى الدنيا ، واللام للتاكيد (بما تعدك من نزول البلاء بجسمك) اذ الانسان معرض للبلايا و الأمراض (و النّقص فى قوّتك) بالشيب و الهرم (اصدق و اوفى من ان تكذبك) بان تعدك بالقوة الدائمة و الصحة المستمرة ، ثم لا تفئ ٠

(او تغرّك) اى تخدعك (ولربّ ناصح لها) اى للدنيا ، و المراد لأهل الدنيا ــ بعلاقة الحال و المحل ــ نحو و اسئل القرية (عندك متّهم) كما كان

وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذِّبٌ . وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ ، وَالشَّحِيحِ بِكَ ! وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً ، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلاًّ ! وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ .

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ

النّاس يتهمون الأنبياء و الأئمة فلا يقبلون اقوالهم .

(و) لرب (صادق من خبرها) لك بانّها دار زوال و بلاء عندك (مكذب) لا تصدقه ، كما هو شان الجهلة ، لا يصغون الى كلام الصلحاء و المرشدين (و لئن تعرفتها) اى طلبت معرفة الدنيا على حقيقتها (فى الديار الخاوية) اى : الساقطة ، التى فنى اهلها ، وسقطت ابنيتها .

(و الربوع الخالية) عن الأهل و الربع المنزل (لتجدنهامن حسن تذكيرك) اى تذكير الدنيا لك، بسبب بيان احوال السابقين فيها الذين فنوا ، وبقيت ديارهم خالية خاوية (و بلاغ موعظتك) اى وعظها لك وعظا بالغا (بمحلة الشفيق عليك) اى تكون الدّنيا بهذه الموعظة بمنزلة الناصح المشفق ، و الاشفاق الخوف و يقال للصديق شفيق ، لأنه يخاف ان يقع صديقه فى محذور .

(و الشحيح) اى البخيل (بك) لا يريد ان يسلمك بيد الحوادث ، ولا يريد ان يخدعك ويغرك (ولنعم) اى الدنيا (دار من لم يرض بها دارا) بان جعلها معبرا ، و انّما كانت حسنة ، لأنها مزرعة الآخرة (و محل من لم يوطنها محلا) بان لم يتخذها وطنا لنفسه (و ان السعداء بالدنيا غدا) اى الذى سعد بسبب الدنيا ، و هو فى الآخرة (هم الهاربون منها) اى من الدنيا (اليوم) لأنهم تزودوا منها ، بدون ان يتلوثوا بها .

(اذا رجفت الراجفة) الراجفة هى النفخة التى ترجف و تزلزل الأرض، حين

وَحقَّتْ بِجَلاَئِلِهَا ٱلْقِيَامَةُ ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي ٱلْهَوَاءِ، وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ ، وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ ! فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا

النشور (وحقّت) اى ثبتت وقامت (بجلائلها القيامة) اى قامت القيامة مع عظائمها و اهوالها (ولحق بكل منسك اهله) اى عباده ، قال سبحانه: ((و لكلّ جعلنا منسكا هم ناسكوه)) (و بكل معبود عبدته) فالمشركون يلحقون بالأصنام ، وعباد النار يلحقون بها ، وعباد البقر يلحقون به ، و هكذا (وبكل مطاع) من اهل الصلاح او الجور (اهل طاعته) اى اتباعه ٠

(فلم يجز فى عدله وقسطه) الضمير للّه سبحانه (يومئذ) اى يوم القيامة (خرق بصر فى الهواء) فكانّ الهواء شئ واحد ، اذا نظر الانسان الى ما فوق خرق نظره ذلك الشئ (ولا همس قدم فى الأرض) كانّ للقدم صوتا خفيّا اذا وضعت على الأرض ، حاصل ذلك من الاصطكاك و الاصطدام (الاّ بحقّه) اى كل صغير ــ فكيف بالكبير ــ يجازى فى يوم القيامة بالحق ٠

(فكم حجّة يوم ذاك داحضة) اى باطلة ، وهى الحجج و الاعذار التى يقدما اهل المعاصى (وعلائق عذر) ما يتعلق به الانسان العاصى ليجعله عذرا لنفسه (منقطعة) اذ لا تقبل تلك الأعذار (فتحر) من التحرى، بمعنى الطلب (من امرك) اى اطلب امرا (ما يقوم به عذرك) فاذا اردت ان تعمل عملا ، فاطلب وجه رضاه سبحانه فيه ، حتّى يكون لك عذر هناك ٠

(وتثبت به حجّتك) بان تكون لك حجّة و مفرّا عمّا اتيت به من الأعمال (و خذ ما يبقى لك) من الدنيا ، كالخيرات و الصدقات و الأعمال الصالحة (ممّا

لَا تَبْقَىٰ لَهُ ، وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ ، وَشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ ، وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

يتبرأ من الظلم

وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَىٰ حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً ، وَ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً ،

لا تبقى له) فانّ الانسان لا يبقى للدّنيا ، ولا يبقى لعمره و صحّته و ماله و نشاطه و ما اشبه ·

(و تيسر) اى تاهّب (لسفرك) الى الآخرة (و شم) اى المح و انظر (برق النجاة) اى انتظره لتستغله فتسير فى ضوئه (و ارحل مطايا التشمير) مطايا جمع مطية ، و هى المركوب ، يقال رحل المطية اذا وضع عليها الرحل ، والتشمير الحسر عن اليد والرجل استعداد للعمل ، والمرد به السّفر الى الآخرة ·

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

فى ابتعاده عن الظّلم ، وقصّة عقيل عليه السّلام ، و قصّة اخرى

(و اللّه لئن ابيت) اى اكون ليلا الى الصّباح (على حسك السعدان) الحسك : الشوك ، و السّعدان : نبت ترعاه الابل له شوك شديد تشبه حلمة الثدى ، (مسهدا) اى مسهرا ، لا انام من سهده اذا اسهره (و اجرّ فى الأغلال) جمع غل ، ما يوضع فى عنق المجرم و يده و رجله (مصفدا)اى مقيّدا

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَىٰ ٱللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ ٱلْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَىٰ ٱلْبِلَىٰ قُفُولُهَا، وَيَطُولُ فِي ٱلثَّرَىٰ حُلُولُهَا ؟!

وَٱللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ،

(احبّ اليّ من ان القى اللّه و رسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد) ملاقات اللّه كناية عن ملاقات جزائه و حسابه .

(وغاصبا لشئ من الحطام) حطام الدنيا متاعها تشبيه بما يحطّم ـ اى يكسر ـ من النبت اليابس الذى لاقيمة له (وكيف اظلم احدا لنفس يسرع الى البلى قفولها) ؟ القفول الرجوع ، و البلى الفناء ، فانّ نفس الانسان يرجع الى الفناء كما كان فانيا قبل وجوده ، و المراد من ((نفس)) نفسه الزاكية ، و المعنى : لماذا يظلم الانسان احدا ، لمنفعة نفسه الفانية ، فانها سواء انتفعت ام لا ، تفنى ولا تبقى للدّنيا ، حتّى يقول الشخص انّ فائدة الظلم تبقى له .

(و يطول فى الثرى) اى التراب (حلولها) وبقائها (و اللّه لقد رايت عقيلا) يريد عليه السّلام اخاه عقيل بن ابى طالب عليه السّلام (وقد املق) اى افتقر ، و ذلك لأنه عليه السّلام كان كريما ، فبذل اموالا كثيرة حتّى ركبته مائة الف من الدّيون ، و ذلك سبب سوء حاله وحال عائلته ، و هذا هو السّبب فى عدم اعطاء الامام دينه ـ مع ان بيت المال لابد وان يقوم بديون المديونين ـ فانّ ذلك الدّين لشئونه لا الدّين لبذله الذى لا يعرف الوسط .

و منه ظهر كيف وجد هذا الفقر فى الدّولة الاسلامية مع انه لا يوجد فقير واحد فى بلاد الاسلام ، لما قرّر الاسلام من المناهج لرفع الفقر ، و لذا قال الامام عليه السّلام فى كلام له : ((لعلّ هناك بالحجاز او اليمامة من لا عهد بالشبع ولا طمع له فى القرص)) و تعجّب الامام من وجود فقير فى الكوفة حتّى وقف سائلا :

حَتَّى ٱسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً ، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ ، غُبْرَ ٱلْأَلْوَانِ ، مِنْ فَقْرِهِمْ ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِٱلْعِظْلِمِ وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً ، وَكَرَّرَ عَلَيَّ ٱلْقَوْلَ مُرَدِّداً ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي ، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي ، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا ، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا ، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ

((ما هذا)) ؟ كما فى كتاب الوسائل ·

(حتّى استماحنى) اى استعطانى (من بركم) اى حنطتكم ، و المراد حنطة بيت المال (صاعا) الصاع ثلاثة امداد ، و هو اقلّ من ثلاث كيلوات (و رايت صبيانه شعث الشعور) شعث جمع اشعث و هو الشعر المتلبد بالوسخ (غبر الألوان) جمع اغبر ، و هو متغبر اللون بسبب غبار او شحوب (من فقرهم) فانّ الفقير يشحب لونه ، و يغبّر لعدم اعتنائه بنظافة جسمه ، من شدّة الفقر (كانّما سودت وجوههم بالعظلم) هو سواد يصبغ به ·

(وعاودنى) عقيل عليه السّلام فى طلبه (مؤكدا) استعطائه (وكرّر علىّ القول) فى طلب العطاء الزّائد (مردّدا) يردّد و يكرّر الطّلب (فاصغيت اليه سمعى) اى استمعت الى كلامه (فظنّ انّى ابيعه دينى) بانجاز رغبته خلافا لأمر الدّين (و اتبع قياده) ما يقاد به كالزمام ، اى اتبعه فيما يقول (مفارقا طريقى) الدّينية (فاحميت له حديدة) اى جعلتها فى النّار حتّى صارت حارّة ·

(ثم ادنيتها من جسمه) اى قربت الحديدة الحارّة من جسم عقيل عليه السّلام (ليعتبر بها) اى يتّعظ و يعرف الم العذاب (فضجّ) عقيل (ضجيج ذى دنف) اى ذى مرض (من المها) تالم جسمه بالحديدة (وكاد ان يحترق

مِنْ مِيسَمِهَا ، فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ ، يَا عَقِيلُ ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ ، وَتَجُرُّنِي إِلَىٰ نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ ! أَتَئِنُّ مِنَ الْأَذَىٰ وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظًى ؟! وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ

من ميسمها) الميسم المكوات ، التى تكوى بها اجسام الحيوانات او ما اشبه وانما قال عليه السلام كاد ، لأن الحديدة لم تتصل بجسم عقيل ، وانّما اقتربت منه فحس بلفحها .

(فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل) الثكل فقدان الحبيب ، والأكثر ان يستعمل فى فقدان الولد ، وهذه الجملة دعاء على الانسان بالموت ، حتّى تفقده امه ونساء اقاربه ، فان الثواكل جمع ثاكلة (اتئن) من الانين ، بمعنى : الصوت الذى يخرجه المريض من فمه من شدّة المرض (من حديدة احماها انسانها للعبه) فان العمل لم يكن جدا ، اذ لم يرد الامام عليه السّلام ان يكويه ، بل اراد ان يقرب من جسمه واضافة الانسان الى الحديدة ، لأدنى مناسبة .

(وتجرّنى الى نار سجرها) اى اوقدها (جبّارها) اى اللّه سبحانه الجابر القاهر للأشياء حسب ارادته (لغضبه) فان من لا يتحمل الم قرب حديدة محمات ينبغى له ان لا يريد بغيره الوصول الى النّار (اتئن من الأذى) الأذية القليلة (ولا ائن من لظى) اى نار جهنّم ، والاستفهام للانكار فى الوضعين .

ثم انتقل الامام الى قصّة اخرى تفيد ما افادتها القصّة الأولى ، من انّه عليه السّلام يتحرج عن الظلم ولو كان قليلا ، وهى انّ اشعث بن قيس كان من المنافقين ، واراد ان يصانع الامام بشئ حتّى يستميل قلبه عليه السّلام ، ويكون بذلك محفوظا لديه فينال بذلك مالا اوجاها كما هى عادة الأشراف مع الحكّام .

(واعجب من ذلك) اى من استعطاف عقيل عليه السّلام ، وانّما كان اعجب لأنّ عقيل كان فى مطلبه شفعاء فقره وقرابته وحقّه فى بيت المال ، دون هذا

طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا ، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ ، أَمْ زَكَاةٌ ، أَمْ صَدَقَةٌ ؟ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ !

الانسان الّذى اهدى الهدية التى ارادبها التوصل الى نيل جاه او مال حرام ٠

(طارق) الطارق هو الآتى ليلا ، ويستعمل فى كل من يطرق باب الانسان بمكروه (طرقنا بملفوفة) اى مع ملفوفة ، وهى نوع من الحلاوى ، كانّهاتلفّ بعد الطّبخ (فى وعائها) اى فى ظرفها (و) بـ (معجونة) عجنت من السكر و الدقيق وما اشبه (شنئتها) اى كرهتها (كانّما عجنت بريق حية) اى : بلعابها المسموم (اوقيئها) الذى اشد كراهة للانسان ٠

(فقلت : اصلة) للرحم هذه (ام زكاة ٠) فان ثمن الزكاة يجوز ان يشترى به الحاجة للفقير (ام صدقة) مستحبة (فذلك محرم علينا اهل البيت) فقد حرّم اللّه سبحانه على الرّسول وآله الأئمّة والصديقة الطاهرة عليهم الصلاة والسلام الزكاة والصدقة المستحبة والواجبة ٠

اما غيرهم من السادة فالمحرم عليهم الصدقة الواجبة ، اما المستحبة فلا تحرم عليهم ، واحتمل جماعة من الفقهاء ان حرمة الصدقة المستحبة جارية حتى بالنسبة الى اقرباء الرسول الأقربين ، غير الأئمة عليهم السلام ، ولذا كانت ام كلثوم تاخذ الجوز والتمر من افواه ايتام الامام الحسين عليه السلام وتقذفها ، [illegible]خة اهل الكوفة بانّ الصدقة محرمة عليهم ٠

ثم ان الامام عليه السلام لم يذكر حكم الصلة لوضوح ان الطارق لم يقصدها اذ لم تكن قرابة بين الامام وبين الأشعث ، ولفظة ((ذلك)) تعود الى كل من ((الزكاة)) و ((الصدقة)) ٠

ولم يذكر الامام الهدية ، لأنّ الهدية انكانت لاجرائه الحق فلا يجوز ان

فَقَالَ : لَا ذَا وَلَا ذَاكَ ، وَلٰكِنَّهَا هَدِيَّةٌ . فَقُلْتُ : هَبِلَتْكَ ٱلْهَبُولُ! أَعَنْ دِينِ ٱللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي ؟ أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ ، أَمْ تَهْجُرُ؟ وَٱللهِ لَوْ أُعْطِيتُ ٱلْأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ

ياخذ الانسان ثمن اجراء الحق ، وانكانت لأن يعمل بالباطل فحرمة ذلك اكثر، ولذا استغرب الامام عليه السلام لما قال الشخص انه هدية (فقال) الطارق (لا ذا) اى الصدقة (ولا ذاك) اى الزكاة (ولكنّها هدية) اهديت اليك (فقلت هبلتك الهبول) هى المرئة لا تعيش لها ولد ، وهبلتك بمعنى : ثكلتك ، وهذا دعاء عليه بالموت ، حتّى تثكل عليه امّه (اعن دين الله اتيتنى لتخدعنى) ؟ بان الين لك بواسطة هذه الهديّة ، فاميل عليك سواء وافق الحق ام الباطل .

(امختبط انت) هو الذى خلط عقله ، فهو نصف مجنون (ام ذو جنة) هو المجنون الصرف ، الذى ستر على عقله (ام تهجر) اى تهذوا بما لا معنى له ، فانّ الانسان العاقل الشاعر لا يقصد خداع الامام ، بعد معرفته له بمثل الهدية ونحوها ، وقد رفض الامام عليه السّلام فى قضيّة الشّورى الخلافة الطويلة العريضة ، لمجرد ان لا يقول ((وسيرة الشيخين)) .

لا يقال فكيف كان الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يقبل الهدية ؟ اذ الجواب واضح ، فانّه فرق بين المهدين للهدايا ، اذ قد يكون المهدى يريد بذلك رضاه سبحانه ومحبّته للمهدى له ، ومن هذا القبيل كانت الهدايا الّتى يقبلها الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، وقد يكون يريد بذلك استمالة الحاكم ليحكم له بالباطل ، وهذا هو الّذى قصده الامام عليه السّلام .

(واللّه لو اعطيت الأقاليم السّبعة) جمع اقليم ، وهو القطعة المعيّنة من قبل علماء الفلك فى الأرض ، فانّهم قسموا الربع الشمال من خطّ الاستواء الى

بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا ، عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَىٰ ، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَىٰ ! نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ . وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

وَمِن دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يلتجىء إلى الله أن يغنيه

سبعة اقسام معظم المعمورة فيها ، ومراد الامام عليه السّلام اعطيت المعمورة كلّها (بما تحت افلاكها) اى اعطيتها من السّماء الى الأرض (على ان اعصى الله فى نملة اسلبها جلب شعيرة) اى قشرتها (ما فعلته) ذلك الظّلم على قلّته ولو كان الثمن بتلك الكثرة والعظمة فكيف اظلم ــ كما يريد الأشعث ــ فى مقابل ملفوفة حلواء ... ؟ .

(وان دنياكم عندى لأهون من ورقة) من اوراق الشّجرة (فى فم جرادة تقضمها) تكسرها باسنانها ، فكيف اظلم احدا لهذه الدّنيا ؟ (ما لعلى ولنعيم يفنى) ؟ اى لا حاجة لى بنعيم الدّنيا الفانية (ولذّة لا تبقى) من لذائذ الدّنيا (نعوذ بالله) اى نستجير به ان يحفظنا (من سبات العقل) اى نومه الموجب لأن يرجح الانسان شهواته على مقتضيات عقله (وقبح الزّلل) اى السقوط فى الخطاء الّذى هو قبيح (وبه نستعين) حتّى يعيننا على انفسنا كى لا نظلم و لا نعصى .

وَمِن دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يلتجئ الى الله أن يغنيه

اَللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِيَ بِالْإِقْتَار ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ ، وَأَبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ، «إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» .

(اللّهمّ صن وجهى باليسار) صيانة الوجه حفظه من التّعرض للسؤال ، و نسبة الصّيانة الى الوجه لأنه الموضوع الّذى يواجه الانسان به الباذل فيوجب خجله ونحوه ، واليسار الغنى (ولا تبذل جاهى بالاقتار) الاقتار : الفقر، وبذل الجاه اسقاط المنزلة من القلوب ، فانّ الفقير تسقط منزلته ، لأنّ النّاس يفرّون منه ولا يحترمونه (فاسترزق) اى اطلب الرزق من (طالبى رزقك) اى الّذين يطلبون الرّزق منك ، فلا داعى الى تطويل الطريق ، واعطاء غيرك لى ما انت قادر عليه .

(واستعطف شرار خلقك) اى اطلب عطفهم ومنحهم (وابتلى بحمد من اعطانى) دون حمدك (وافتتن) اى ابتلى وامتحن (بذم من منعنى) وذلك ليس ممّا ينبغى ان يذمّ الانسان شخصا منعه لمجرّد انّه منعه (وانت من وراء ذلك كلّه) اعطاء المعطى ولمنع المانع (ولى الاعطاء والمنع) فانّه سبحانه لم يقدر لى ولذا منعت او تفضّل علىّ بعطف المعطى ، فاعطيت ، فاذا كان الأمر بيدك يا رب ، فاسئلك ان توصل الرزق الى مستقيما بدون واسطة (انك على كلّ شئ قدير) فتقدر على الايصال وصون وجهى باليسار .

وَمِنْ خُطبة لهُ عَليهِ السَّلام

في التنفير من الدنيا

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا
أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ ، اَلْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُوم ، وَالْأَمَانُ فِيها مَعْدُومٌ ،

وَمِنْ خُطبة لهُ عَليهِ السَّلام

فى التّنفير من الدّنيا ، و التّزهيد فيها

(دار بالبلاء محفوفة) ففى جوانبها كلها بلايا و اسقام (وبالغدر) اى : الخدعة (معروفة) يغدر بذى الجاه و ذى المال ، و ذى السلطان فينزلهم عن رتبهم ، و يجعل غيرهم مكانهم (لا تدوم احوالها) على حالة واحدة ، بل تتقلب من حال الى حال (ولا يسلم نزالها) جمع نازل ، اى النازلون فيها ، بل ترميهم بمختلف اصناف البلاء والمحن ، فللانسان فيها (احوال مختلفة) من غنى و فقر و صحّة و مرض و شباب و هرم و هكذا .

(و تارات) جمع تارة ، بمعنى مرة ، (متصرفة) اى مختلفة فمرّة هكذا ، و مرّة هكذا (العيش فيها مذموم) اذ عيشها منغّص بالكدورات ،واذا يذمّه كل انسان (و الأمان فيها معدوم) اذ لا امان لأحد ، بل كل انسان

وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا ، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا عَلَىٰ سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَىٰ قَبْلَكُمْ ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً ، وَأَعْمَرَ دِيَاراً ، وَأَبْعَدَ آثَاراً ، أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً ، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً . فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ ،

فيها معرض للفناء و صنوف البلاء (و انّما اهلها فيها اغراض مستهدفة) اى كالغرض الذى يرمى ويجعل هدفا للنبال ، ياتيهم مختلف سهام البلاء (ترميهم) الدّنيا (بسهامها) المراد بها الأمراض و المحن و الشّدائد (و تفنيهم بحمامها) الحمام : الموت .

(و اعلموا عباد اللّه ، انكم و ما انتم فيه من هذه الدّنيا) اى شملكم فى حال كونكم فى الدّنيا (على سبيل من قد مضى قبلكم) من اهل الدّنيا الذين تمتّعوا بالدّنيا ثمّ فنوا (ممّن كان اطول منكم اعمارا) فانّ الأعمار فى بعض الأمم كانت اطول من اعمارنا ، لشدّة بنيتهم و صلابة عظامهم (و اعمر ديارا) اى انّ ديارهم كانت اكثر عمارة كالسباء و نحوها .

(و ابعد آثارا) فانّ آثارهم كانت تبقى بعدهم كثيرا ، بخلاف آثاركم التى لا تبقى الاّ قليلا ، و لذا بقيت بقايا طاق كسرى ، و قلعة بعلبك ، و ما اشبههما (اصبحت اصواتهم هامدة) اى ساكنة ، فلا يتكلمون (و رياحهم راكدة) اى ساكنة ، و ركود الريح كناية عن انقطاع العمل و بطلان الحركة (و اجسادهم بالية) اى فانية مندرسة من البلى بمعنى الاندراس .

(و ديارهم خالية) عن اهلها فقد فنى اهلها و بقيت الدّيار (و آثارهم عافية) اى ذاهبة مندرسة (فاستبدلوا بالقصور المشيّدة) اى المبنيّة بناء ا

وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ ، الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فِنَاؤُهَا ، وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا ؛ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ ، عَلَىٰ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ ، وَدُنُوِّ الدَّارِ . وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ ،

محكما (والنمارق) جمع نمرقة ، وهى الوسادة (الممهدة) الّتى صفطت لاتكائهم عليها (الصخور و الأحجار المسندة) التى يستندون فى القبور اليها (و القبور اللاطئة) اى اللاصقة بالأرض ، من لطاء بالأرض بمعنى لصق (الملحدة) من الحد القبر اذا جعل له لحدا ، وهو الشق فى جانبه (الّتى قد بنى بالخراب فنائها) الفناء الساحة للدار وما اشبه ، كان تلك القبور منازل لها فناء ، وفنائها خراب وعدم .

(وشيد بالتراب بنائها) اذ تملاء القبور بالتراب (فمحلها) اى محل تلك القبور (مقترب) قريب من النّاس ، فانّ المقابر فى قرب المدن (وساكنها مغترب) غريب اذ لا انس له باهل الدنيا (بين اهل محلة موحشين) فانّ الأموات لا تزاور بينهم ولا انس ، ولذا فهم اهل محلة واحدة ، ولكنّهم تغمرهم الوحشة والانفراد .

(واهل فراغ) اذ لا عمل لهم (متشاغلين) اى مشغولين بثواب اعمالهم اوعقابها (لا يستانسون بالأوطان) الّتى تركوها فى دار الدّنيا (ولا يتواصلون) يصل بعضهم بعضا (تواصل الجيران) اذ همدت اجسامهم وخوت اجسادهم (على ما بينهم من قرب الجوار) اى مع انّ بعضهم قريب من البعض (ودنوا الدّار) اى قربها ، فانّ قبورهم متقاربة ، (وكيف يكون بينهم تزاور) زيارة بعضهم لبعض .

وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَى، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ ، وَارْتَهَنَكُمْ ذٰلِكَ الْمَضْجَعُ وَضَمَّكُمْ ذٰلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ . فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ :

« هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ، وَرُدُّوا إِلَىٰ اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كَانُوا يفْتَرُون » .

(وقد طحنهم بكلكله البلى) البلى : الفناء ، وكلكل : الصدر ، كان الفناء القى عليهم صدره ، فصار سببا لتحطّمهم ، كما تحطم الحنطة و نحوها بالرحى (واكلتهم الجنادل) جمع جندل ، بمعنى : الحجارة (و الثرى) اى التّراب ، فانّ الانسان يتحوّل الى التّراب فكان التّراب اكله .

(وكانّ قد صرتم) ايّها السّامعون (الى ما صاروا اليه) من الفناء (و ارتهنكم ذلك المضجع) كما يحبس الرّهن فى يد المرتهن و المضجع محل الاضطجاع و النّوم ، يعنى القبر (وضمكم ذلك المستودع) اى حواكم القبر الّذى هو محل وديعة اجسادكم (فكيف بكم لو تناهت بكم الأمور) تناهى به الأمر ، اى وصل الى غايته ، و المراد انتهاء الأمور الّتى فى البرزخ و القبر ، لتاتى نوبة القيامة و اهوالها .

(و بعثرت القبور) اى قبلت ثراها و اخرجت الأموات منها (((هناك تبلو))) اى تخبر من قبله سبحانه (((كل نفس ما اسلفت))) فى دار الدنيا و المراد الاخبار للجزاء ، كما يقرء جرم المجرم ليعاقب ، و احسان المحسن لتعطى الجائزة (((و ردوا الى الله))) اى الى جزائه و حسابه (((مولاهم الحق))) فانّه سبحانه ربّهم لا غيره (((وضلّ عنهم))) اى عن عبدة الأصنام (((ما كانوا يفترون))) اذ يجعلونها شركاء له سبحانه .

وَمن دُعَاء لهُ عَليه السَّلام

يلجأ فيه إلى الله ليهديه إلى الرشاد

اَللّٰهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ ٱلْآنِسِينَ لِأَوْلِيائِكَ، وأَحْضَرُهُمْ بِٱلْكِفايَةِ لِلْمُتَوكِّلِينَ عَلَيْكَ . تُشاهِدُهُمْ فِي سَرائِرِهِمْ ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصائِرِهِمْ . فَأَسْرارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ . إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ ٱلْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ ،

وَمن دُعَاء لهُ عَليه السَّلام

(اللّهم انّك انس الآنسين لأوليائك) فاولياء اللّه سبحانه اشد انسا باللّه من انسهم بكل احد ، و الأنس باللّه عبارة عن ارادة العزلة و المناجات ، مما يجد الصّالحون فيه لذّة و اطمينان (و احضرهم) اى احضر النّاس (بالكفاية للمتوكلين عليك) فانّك تكفيهم باحسن انواع الكفايه ممّا لا يقدر مثلها غيرك ، و المتوكل على اللّه هو الّذى يعمل بامره سبحانه ، و يكل امره اليه (تشاهد هم فى سرائرهم) جمع سريرة ، اى تنظر الى ضمائر النّاس الأولياء و المتوكلين .

(وتطّلع عليهم فى ضمائرهم) الاطّلاع اعم من المشاهدة ، اذ المشاهدة الروية و الاطّلاع شامل للاستماع و نحوه (و تعلم مبلغ بصائرهم) جمع بصيرة ، بمعنى : المعرفة ، اى تعلم مقدار معرفة كل واحد منهم (فاسرارهم لك) يا الهى (مكشوفة) اذ انت مطّلع على باطنهم (وقلوبهم اليك ملهوفة) اى : مضطربة من شدّة الحب و الاشتياق (ان اوحشتهم الغربة) بان كانوا فى محل غريبا ، يوجب وحشتهم (انسهم ذكرك) فانّ بالذكر يحصل اطمينان و سكون للنّفس يوجب ذهاب الوحشة .

وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَصَائِبُ لَجَؤُوا إِلَىٰ ٱلِاسْتِجَارَةِ بِكَ ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ ٱلْأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ . ٱللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي فَدُلَّنِي عَلَىٰ مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَىٰ مَرَاشِدِي ، فَلَيْسَ ذٰلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ ، وَلَا بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ . ٱللَّهُمَّ ٱحْمِلْنِي عَلَىٰ عَفْوِكَ ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَىٰ عَدْلِكَ .

(وان صبت عليهم المصائب لجاوا الى الاستجارة بك) اى يلجئون اليك فى دفع المصائب و المكاره عنهم (علماً) منهم (بان ازمة الأمور) جمع زمام وهى الأسباب الّتى تاتى بالنّتائج الحسنة او السّيئة (بيدك) المراد تحت ارادتك ، ولفظة اليد من باب التشبيه (و) ان (مصادرها) اى صدور تلك الأمور (عن قضائك) فانك تقضى ما تشاء .

(اللّهم ان فههت) اى عييت ، فان الفهاهة ضد النصاحة (عن مسئلتى) اى عن كيفيّة السئوال (اوعميت عن طلبتى) فلم اتمكن من الوصول اليها (فدلّنى على مصالحى) فى كيفيّة الطّلب وطريق الوصول (وخذ بقلبى الى مراشدى) مواضع الرّشد والصّلاح (فليس ذلك بنكر) اى منكر – غير معروف – (من هداياتك) فكم هديت النّاس الى مصالحهم ، وارشدتهم الى مواضع رشدهم .

(ولا ببدع) اى مبتدع جديد (من كفاياتك) التى تكفى بها من تشاءمن خلقك (اللّهم احملنى على عفوك) كان العفو مركب يركب الانسان عليه فينجومن خطاياه وآثامه (ولا تحملنى على عدلك) اذ العدل موجب لعدم اعطاء الأجر، فان الانسان ملك له سبحانه ، فكل عمل يعمله يكون باستحقاقه تعالى ، و مثله لا يوجب الأجر ، وقد سبق وجه استغفار المعصومين عليهم السلام وطلبهم العفو

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

لِلّٰهِ بَلَاءُ فُلَانٍ، فَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ، وَدَاوَى الْعَمَدَ، خَلَّفَ الْفِتْنَةَ! وَأَقَامَ السُّنَّةَ. ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ. أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا. أَدَّى إِلَى اللّٰهِ طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ. رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ،

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

في مالك الأشتر ((ره)) بعد موته

(لله بلاء فلان) اى لله ما فعل مالك من الخير، وهذا مدح بان عمله كان لله سبحانه (فقد قوم الأود) اى عدّل الاعوجاج فقد كان ((ره)) للامام بمنزلة الامام عليه السلام للرّسول صلّى الله عليه وآله وسلم ـ كما نصر بذلك الامام عليه السلام ـ (وداوى العمد) اى العلة، ومداواتها ازالتها (خلف الفتنة) بان تركها بعده، وهذا تضجر من بقاء الفتنة، وموت مالك الّذى كان يعالج الفتن وينفذ امر الامام عليه السّلام فيها، بلا زيادة اونقصان.

(واقام السّنة) اى عمل بسنّة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، بدون ابتداع فيها (ذهب نقى الثوب) نقاء الثوب كناية عن عدم تلوثه بالمعاصى والآثام (قليل العيب) وانّما قال قليل العيب لا كل احد غير المعصوم لا بد وان يكون فيه عيب (اصاب خيرها) لعل الضمير يعود الى احوال النّاس الظّاهر من السياق، واصابة الخير كناية عن نجاحه فى الامتحان، اذ ثبت واستقام.

(وسبق شرها) كناية عن انّ شرها لم يلحقه، فكانّه فرّعنها، كالذى يفرّمن سبع ولص وما اشبه (ادّى الى اللّه طاعته) اى اطاعة سبحانه، فكان الطّاعة كانت امانة بيده فاداها كاملة (واتقاه بحقه) اى حق التقوى (رحل وتركهم)

فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي .

ای النّاس (فی طرق متشعبة) فان مالك كان زمام امر اهل الكوفة يثقون بـه و يجتمعون على رايه ، فلما مات صار لكل راى (لا يهتدى فيها) اى فى تلك الطرق (الظال) اذ لا يطمئن بما يرى من طرق الهداية ·

(ولا يستيقن المهتدى) بانّ طريقه هدى ، وهذه عادة النّاس ، فانّهم يتبعون رؤسائهم دون الآمر الأعلى ، فاذا فقد الرئيس انفصم حبلهم ، وقد قال بعض اهل السنة ان المراد بـ ((فلان)) فى كلام الامام ، عمر ، وهذا خطأ وكيف يجتمع هذا مع تضجّره الشديد من عمر فى خطبة الشّقشقيّة ، مع الغض عن سائر الأمور التى ثبتت فى التّواريخ و السّير ·

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في وصف بيعته بالخلافة

قال الشريف : وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة .

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا ، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا ، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ ، وَ

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

يصف كيفيّة بيعتهم له بالخلافة ، قال الشريف : (وقد تقدّم مثله بالفاظ مختلفة) .

(و بسطتم يدى) اى مددتموها للبيعة (فكففتها) اى جمعتها فرارا عن بيعتكم (و مددتموها فقبضتها) اما عبارة اخرى عن الجملة السّابقة ، او المراد ببسط اليد فتح الكف ، والمراد بكففتها جمعها ، فالجملتان لافادة معنيين (ثمّ تداككتم علىّ) التداك الازدحام (تداك الابل الهيم) اى مثل تزاحم جماعة الابل العطاش ، فانّ هيم جمع هيماء ، بمعنى : العطشى ، (على حياضها) جمع حوض : مجمع الماء (يوم ورودها) اى ورودها الماء للشرب (حتّى انقطعت النّعل) اى انقطع شسع نعل الامام عليه السّلام .

(وسقطت الرّداء) من منكب الامام عليه السّلام (ووطئ الضّعيف) اى : سحق بالأقدام من كان ضعيفا لا يقدر على المكافحة (و بلغ من سرور النّاس ببيعتهم اياى ان ابتهج بها) اى بالبيعة (الصغير) والابتهاج الفيرح (و

هَدَجَ إِلَيْهَا ٱلْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا ٱلْعَلِيلُ ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا ٱلْكِعَابُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ تَقْوَىٰ اللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ

هدج) اى مشى مشية الضعيف (اليها الكبير) ليوصل نفسه الى الامام فيبايع (وتحامل نحوها العليل) اى حمل نفسه على المشى بكلّ صعوبة ليبلغ البيعة . (وحسرت اليها الكعاب) كعاب وزن السّحاب ، الجارية حين يبدو ثديها للنهود ، وهى الكاعبة ، وحسرت اى كشفت عن وجهها لترى جماهير النّاس ، و هذه من عادة البنات ان يكشفن عن وجوههنّ فى الازدحامات والمناسبات ، وغضّ الامام عليه السلام من بيان هذه الجمل انّ البيعة تمّت بمنتهى اختيار النّـاس ، فليس لأحد ان يقول عنها بأنّها كانت باكراه واجبار ، وهذه عادة النّاس يقبلون على الشئ بكل جد واشتياق ، ثم اذا تصادم الحق مع مصالحهم تنفّروا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى فضيلة التّقوى ، و العمل ، و الجد

(فانّ تقوى الله مفتاح سداد) فانّ سداد الانسان انّما يكون بالتّقوى (و ذخيرة معاد) اى هى الباقية للانسان فى يوم القيامة (وعتق من كلّ ملكة) الملكة الصّفة الحاصلة للنّفس الثّابتة فيها ، كملكة الجبن او الشّجاعة ، والبخل ، او الكرم

وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ . بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ . فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ ، وَالْحَالُ هَادِئَةٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ . وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً ، أَوْ مَرَضاً حَابِساً ، أَوْ مَوْتاً خَالِساً .

و هكذا ، و المراد هنا الملكات السيّئة ، فانّ الانسان المتّقى يتخلّص من كلّ هذه الملكات ، حيث يتّبع اوامر الاسلام .

(و نجاة من كل هلكة) اى هلاكة فى الدّنيا و الآخرة ، فانّ التّقوى تحفظ الانسان عن المهالك ــ و بالأخص المهالك الأخروية ــ (بها) اى بالتّقوى (ينجح الطالب) لأمر من الأمور فانّ اللّه يتفضّل على اهل التّقوى بانجاز امورهم (و ينجو الهارب) من خوف المعاصى و الآثام ، فالّذى يهرب من اللّه من خوف معاصيه اذا اتّقى ينجو و لا يلحقه الضّرر الّذى هرب منه (و تنال الرّغائب) اى : الأشياء المرغوبة للانسان .

(فاعملوا) الآن ، و انتم فى الدّنيا (و العمل يرفع) اى يقبل (و التّوبة تنفع) فتوجب محو الذّنوب (و الدّعاء يسمع) اى يقبله اللّه سبحانه و السّماع حيث هو سبب للقبول ، اقيم مقامه بعلاقة السّبب و المسبّب (و الحال هادئة) اى ساكنة يمكن العمل فيها ، فانّ فى اوقات الاضطراب لا يمكن العمل .

(و الأقلام جارية) اى تجرى بكتابة الحسنات ، و المراد اقلام الكتبة من الملائكة الحافظين للأعمال (و بادروا بالأعمال عمرا ناكسا) اى ذاهبا كانّ العمر النّاكس ــ و هو اواخر العمر الموجب لنكس الانسان الى حالة الطّفولة و الخرافة ــ يريد اخذ الانسان و العمل يريد استغلاله ، فاللّازم ان يعمل الانسان قبل ان ياخذه العمر (و مرضا حابسا) اى يحبسكم و يمنعكم من العمل (او موتا خالسا) ياخذكم على فجئة و بغتة .

فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُم. زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ. قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ ، وَأَقْصَدَتْكُم مَعَابِلُهُ، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ،

(فانّ الموت هادم لذّاتكم) يهدم لذائذكم فى الحياة (ومكدّر شهواتكم) تنغّصها بالفناء (ومباعد طياتكم) جمع ((طية)) بالكسر ، بمعنى : القصد اى يحول بينكم و بين مقاصدكم فيبعدها عنكم و الموت (زائر غير محبوب) لا يحبّه الانسان (وقرن) هو الكفوء فى الشّجاعة ، الّذى يبارز الشّخص فى ساحة الحرب (غير مغلوب) لا يتمكن الانسان من غلبته ·

(و واتر) القاتل و من اشبه من الّذين يريقون دم الانسان و يجرحونه (غير مطلوب) فانّ الانسان لا يتمكن ان يطالب الموت بدم من اماته (قد اعلقتكم حبائله) شبكة الصّيد ، جمع حبالة ، و اعلقتكم اى تعلقت بكم (و تكنفتكم) اى احاطتكم (غوائلة) جمع غائله ، و هى الشّدائد و الكوارث ·

(و اقصدتكم) اقصده اذا رماه بالسّهم (معابله) جمع معبلة ، و هى : النّصل الطّويل العريض ، اى الحديدة فى راس السّهم (وعظمت فيكم سطوته) اى اخذه فان الموت اذا اراد اخذ احد لا يمكنه الفرار منه (وتتابعت عليكم عدوته) العدوة العدوان ، و تتابع العدوان باعتبار اخذه لأقربائهم واصدقائهم واحد بعد واحد (وقلّت عنكم نبوته) النبوة : ان يخطى فى الضّربة فلا يصيب ، اى الموت لا يخطئ اذا اراد الاصابة ، ولعل لفظة ((قلت)) باعتبار الآجال المعلقة التى يفلت الانسان منها (فيوشك ان تغشاكم دواجى ظلله) دواجى جمع داجيه ، اى المظلمة وظلل جمع ظلة ، كالسحابة التى تظل اى يقرب ان يظلكم سحاب الموت المظلم ·

وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ ، وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ ، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ ، وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ ، وَدُجُوُّ أَطْبَاقِهِ ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ. فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ، وَعَفَّىٰ آثَارَكُمْ ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ ، يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ ،

(واحتدام علله) اى يوشك ان يغشاكم احتدام ــ اى اشتداد ــ علل الموت ، جمع علة ، فان الموت يورث العلة (وحنادس غمراته) حنادس جمع حندس ، بكسر الحاء ، الظلمة الشديدة وغمرات جمع غمرة ، وهى التى تغمر الانسان وتشمله من انواع الشدائد ٠

(وغواشى سكراته) غواشى جمع غاشية ، التى تغشى الانسان وتشمله ، و سكرات جمع سكرة ، الحالة الشديدة التى توجب ان لا يشعر الانسان كانّه سكران (واليم ازهاقه) الازهاق الابطال ، اى الشديد المولم من الموت الذى يوجب ابطال الانسان (ودجو اطباقه) الدجو الاظلام ، والاطباق الاشتمال فان الموت يشمل الانسان ، وله ظلمة توجب سقوط الحواس والمشاعر عن الادراك ٠

(وجشوبة) اى خشونة (مذاقه) اى ذوقه ، فانّ الانسان يذوق الموت بحواسه وادراكاته ، والتاكيد بهذه الجمل المتقاربة معنى لتركيز حال الموت فى ذهن الانسان ، فان التكرار من افضل وسائل التركيز (فكان قد اتاكم) الموت (بغتة) اى فجئة (فاسكت نجيكم) النجى القوم يتناجون ٠

(وفرق نديكم) الندى الجماعة يجتمعون للمشاورة (وعفّى اثاركم) اى محاها حتى لا اثر لكم بعد (وعطل ديارکم)عن ساكنيها فبقيت خالية (وبعث) اى اثار (وراثكم) جمع وارث (يقتسمون تراثكم) اى ميراثكم (بين حميم خاص) اى حال انتم فى حال الموت بين صديق يخصكم (لم ينفع) بكم نفعا فى درء الموت عنكم ٠

وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ ، وَآخرَ شَامِتٍ وَلَمْ يَجْزَعْ .

فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ ، وَالتَّأَهُّبِ وَالاسْتِعْدَادِ ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ . وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا ، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا ، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا ، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا . أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً

(وقريب محزون لم يمنع) الموت عنكم (وآخر شامت) يفرح بموتكم (ولم يجزع) اى لم يحزن حزنا شديدا (فعليكم بالجد) فى العمل (والاجتهاد) فى الطاعة (والتاهب) اى التهيّ لملاقات الموت (والاستعداد) بتحصيل التّقوى التى تنفع فى الآخرة (والتزود) اى اخذ الزاد اللائق بالآخرة وهوالعمل الصالح (فى منزل الزاد) اى الدنيا .

(ولا تغرّنكم الدنيا) اى لا تخدعنكم بزخارفها حتى تركنون اليها (كما غرّت من كان قبلكم) من البشر (من الأمم الماضية) الذين انحرفوا عن سنن الأنبياء (والقرون الخالية) الخالية اى الماضية ، وقرون جمع قرن مائة سنة اوما اشبه ، والظاهر انه سمى قرنا ، لتقارن اعمار كل جيل فى تلك المدة (الذين احتلبوا) اى حلبوا (درتها) اى لبن الدنيا ، والمراد لذائذها تشبيها لها بالناقة الحلوبة .

(واصابوا غرتها) اى غفلتها ، فكأنهم اصابوا ان الدنيا غافلة عنهم ، لا تريد بهم شرّا ، ولذا تمتعوا بلذائذها غافلين من انها فاطنة وستنتقم منهم (وافنوا عدتها) اى ايامها العديدة ، كناية عن بقائهم فيها مدّة مديدة (واخلقوا جدتها) اى جعلوا جديدها ــ من الشّباب والرياش والأموال وماشبه ــ قديما حيث عمروا فيها وتمتعوا بزخارفها (اصبحت مساكنهم اجداثا) جمع جدث ، بمعنى : القبر .

وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً . لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ ، وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ. فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا.

منها في صفة الزهاد : كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا ، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا ،

(و اموالهم ميراثا) ارثا لأقربائهم (لا يعرفون من اتاهم) الى مقابرهم ، و المراد عدم المعرفة بالأبدان ، كما كانت العادة ان يعرفوا بحواسها (ولا يحلفون) اى لا يبالون (من بكاهم) لأنهم فى شغل عنهم (ولا يجيبون) اجابة باللّسان (من دعاهم) كما كانوا فى الدّنيا يجيبون ، امّا المعرفة بالنّفس لمن اتى و الاهتمام بالنّفس لمن بكا و اجابة النّفس لمن دعا فذلك شئ مسلّم بالنّسبة الى من يؤذن لهم هناك .

(فاحذروا الدّنيا فانها غدارة) تغدر بالانسان تظهر شيئا حتّى اذا اطمئنّ اليه اخذه منه على حين غرّة (غرارة) كثيرة التغرير و الخداع (خدوع) كثيرة الخديعة و المكر (معطية) لبعض الأشياء للانسان (منوع) كثيرة المنع لحوائج الانسان ، ولا تعطى يوما شيئا الا منعته بعد ذلك (ملبسة) تلبس الانسان اللباس و الرياش (نزوع) ثم تنزعها منه .

(لا يدوم رخائها) الرخاء السعة فى العيش (ولا ينقضى عنائها) اى تعبها (ولا يركد) اى لا يهدء (بلائها) و مصائبها .

(منها :).(فى صفة الزهّاد) :

(كانوا قوما من اهل الدنيا) بابدانهم و تعارفهم مع اهلها (وليسوا من اهلها) بالقلوب والأعمال (فكانوا فيها كمن ليس منها) اذ لا يعاشرون اهل الدنيا معاشرة تامة ، وانّما ياخذون بطرف من الدنيا لا تضر دينهم و آخرتهم

عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ ، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

(عملوا فيها بما يبصرون) فيه الخير و السّعادة ، لا كاهل الدنيا الذين يعملون كالأعمى لا يهتمّون انجوا ام هلكوا ؟ .

(و بادروا فيها ما يحذرون) اى سبقوا المحذور حتى لم يلحقهم كمن يسبق لصّا اوسبعا حتّى لا يلحقه (تقلّب) اى تتقلب ، حذفت احدى تائيه على قاعدة باب التّفعل (ابدانهم بين ظهرانى اهل الآخرة) اى كانهم ـ وهم فى الدنيا ـ يعيشون بين اظهر اهل الآخرة ، لأنسهم باولئك ، و وحشتهم من اهل الدنيا (يرون اهل الدنيا يعظمون موت اجسادهم) فاذا مات من اهل الدنيا احد عظموا موته ، مع العلم ان ليس المهم موت الأجساد و انما المهم موت القلوب .

(و) لذلك (هم) اى الزّهاد (اشد اعظاما لموت قلوب احيائهم) فاذا راوحيّا مات قلبه ـ بان ترك الطاعة و اقترف المعصية ـ عظموا ذلك ، لما يعلمون من ان عاقبة مثل هذا الانسان الى الخسارة الأبدية .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خطبها بذي قار ، وهو متوجه إلى البصرة ، ذكرها الواقدي في كتاب « الجمل » :

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ ، وَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ ، فَلَمَّ ٱللهُ بِهِ الصَّدْعَ وَرَتَقَ بِهِ ٱلْفَتْقَ ، وَأَلَّفَ بِهِ ذَوِي ٱلْأَرْحَامِ ، بَعْدَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ ، وَالضَّغَائِنِ ٱلْقَادِحَةِ فِي ٱلْقُلُوبِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(خطبها بذى قار) اسم موضع (وهو متوجّه الى البصرة ، ذكرها الواقدى فى كتاب الجمل) .

(فصدع) اى الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلم ، والصدع اصله الكسر ، فكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كسر عادات الجاهلية وعقائدها (بما امر به) من اوامر اللّه سبحانه (وبلغ رسالات ربّه) والاتيان بالجمع باعتبار كلّ رسالة رسالة ، وحكم وحكم (فلم اللّه به الصدع) اى جمع سبحانه بسبب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انشقاق الناس .

(ورتق) اى خاط (به الفتق) وهو شق الثوب ، ومفاد هذه الجملة كمفاد الجملة الأولى (وألّف به ذوى الأرحام بعد العداوة الواغرة فى الصّدور) الواغرة ، بمعنى : الداخلة ، فان الجاهليين كانوا يقطعون الأرحام لعداوات بينهم فالّف اللّه بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين اولئك حتى صاروا ارحاما واخوة (والضغائن) جمع ضغينة ، بمعنى الحقد (القادحة فى القلوب) كانت تتطاير شررها فى قلوب اهل الجاهلية .

وَمِن كَلَامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَام

كلم به عبدالله بن زمعة ، وهو من شيعته ، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً ، فقال عليه السلام :

إِنَّ هٰذَا ٱلْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ ، كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ ، وَإِلَّا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ .

وَمِن كَلَامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَام

(كلم به عبد الله بن زمعة وكان من شيعته ، وذلك انه قدم عليه فى خلافته يطلب منه مالا ، فقال عليه السلام) :

(انّ هذا المال) الّذى تراه فى بيت المال تحت سلطتى ، واردت بعضه (ليس لى ، ولا لك ، وانّما هو فئ للمسلمين) اى اخراج وغنيمة (و جلب اسيافهم) اى ما جلبه اسيافهم فى الجهاد (فانّ شركتهم فى حربهم) بان حاربت معهم (كان لك مثل حظّهم) يقسّم المال على الكل بالسوية فيعطى لك تسم منه (ولا فجناة ايديهم) اى ما جناه (لا تكون لغير افواههم) ولا نصيب لك فيه.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ ، وَلَا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ . وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

امر الامام ابن اخته (جعدة بن هبيرة) يوما ان يخطب الناس فصعد المنبر فحصر ، ولم يستطع الكلام فخطب الامام بهذا الكلام .

(الا انّ اللّسان بضعة) اى قطعة (من الانسان فلا يسعده القول) اى لا يتاتى من اللسان التكلم (اذا امتنع) الانسان عن الكلام بان لم يستعد ذهنه لتخريج الكلام (ولا يمهله النطق اذا اتّسع) اذ تنحدر الألفاظ من اللّسان انحدار السيل حتى لا يجد لافراغ ما فى ذهنه ، مجالا (وانا لأمراء الكلام) يعنى ان عىّ ابن اختى ليس لعدم تمكنه ، فانا فى الكلام كالأمير ، وسائر الناس كالرعية ، بل عيّه لعدم مساعدة ذهنه ، لأنّ اللّسان بضعة من الانسان لايسعده القول اذا امتنع .

(وفينا تنشبت) اى ثبتت (عروقه) كالشجرة التى تثبت اصولها (وعلينا تهدلت) اى تدلت (غصونه) فالمعانى السامية فى انفسنا ، والألفاظ الفصيحة البليغة متدلية علينا ، اى انّها تتفجّر من جوانبنا .

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ ٱلْقَائِلُ فِيهِ بِٱلْحَقِّ قَلِيلٌ ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ ، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ . أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى ٱلْعِصْيَانِ ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى ٱلْإِدْهَانِ ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ . لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ ، وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ .

(و اعلموا رحمكم الله) دعاء بلفظ الخبر ، وكانّ الأصل فيه بيان الشوق الى المطلوب حتّى كانّه وقع او سيقع فى مثل : يرحمكم الله (انكم فى زمان القائل فيه بالحق قليل) هذا بالنسبة الى زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم او مطلقا ، لأنّ زمان الامام كان زمان فوضى و اضطراب ، و فى مثله يقل القائل بالحق (واللّسان عن الصدق كليل) اى تعب للخوف او الطمع المستولى على النّفس ممّا يوجب ثقل الصّدق .

(و اللاّزم للحق ذليل) و هكذا يكون الزّمان اذا اضطراب و اختل حبل الوحدة (اهله معتكفون على العصيان) اى ملازمون له من عكف بمعنى لزم (مصطلحون على الأدهان) اى اصطلح بعضهم بعضا على المجاملة فى الدّين (فتاهم) اى شابهم (عارم) شرس سئ الخلق (و شائبهم) اى كبيرهم فى السن (اثم) يعصى الله سبحانه ولا يمنعه شيبه عن الكف عن الاثم .

(وعالمهم منافق) يبطن شيئا و يظهر غيره طلبا للدنيا (و قارئهم) للقرآن (مماذق) هو من يخرج ودّه بالغش ، بينما اللازم ان يكون القارى محبّاللنّاس، حتى يؤثر القرآن فيهم بسبب محبوبية شخصه (لا يعظم صغيرهم كبيرهم) و ذلك لفساد الصغار و الكبار (ولا يعول) اى لا يعين (غنيّهم فقيرهم) لاستيلاء حبّ المال على قلوب الأغنياء ، فلا يقومون بامور الفقراء .

وَمِن كَلام لَهُ عَلَيهِ السَّلام

روى ثعلب اليامي عن أحمد بن قتيبة ، عن عبد الله بن يزيد ، عن مالك بن دحية ، قال : كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال :

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِىءُ طِينِهِمْ ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا ، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا ، فَهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ ، وَعَلَىٰ قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ ،

وَمِن كَلام لَهُ عَلَيهِ السَّلام

(روى ابو محمد يمانى ، عن احمد بن قتيبة ، عن عبد اللّه بن يزيد ، عن مالك بن دحية قال : كنّا عند امير المؤمنين عليه السلام ، وقد ذكر عنده اختلاف النّاس) اى فى الأخلاق و الصّفات و الطّاعة و العصيان ، فقال عليه السلام :

(انّما فرق بينهم مبادئ طينهم) اى عناصر تركيبهم التى هى الأصل فيهم (و ذلك) اى بيان ذلك (انهم كانوا) فى الأصل (فلقة) اى قطعة (من سبخ ارض وعذبها) اى مالح الأرض الناشة بالملح ، وعذبها التى لا ملوحة فيها (و حزن تربة) اى الخشن من الأرض (وسهلها) الّتى لا خشونة فيها ، بل لين و نعومة (فهم على حسب قرب ارضهم) اى قرب اصل بعضهم لبعض فى اللين و الخشونة و ما اشبه (يتقاربون) فنفران كانا من طين عذب تتقارب اخلاقهما و هكذا .

(وعلى قدر اختلافها) اى اختلاف ارضهم فى الحزونة و السهولة و ما اشبه (يتفاوتون) فى الأخلاق ، وتوضيح ذلك انه لا شك فى اختلاف طبائع الانسان ، فمن جواد ذاتا الى بخيل ذاتا ، وشجاع طبعا الى جبان طبعا، و

فَتَامُّ الرُّوَاء نَاقِصُ الْعَقْلِ ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ ، وَتَائِهُ الْقَلْبِ

هكذا .. كما لا شك فى ان اصل الانسان التراب ، اذ يتحول التراب نباتا فياكله الانسان ـ او ياكله الحيوان و ياكل ذلك الحيوان الانسان ـ فيصير الماكول دما ثم منيا منشأً للولد ، فذلك الطبع الذى كان فى الأرض يؤثر فى اخلاق الانسان و نفسياته ، مع اختلاف الأثر فى كونه ترابا او انسانا ، فالأرض السهلة تكوّن الانسان اللين الاخلاق و بالعكس ، الحزنة و الأرض المالحة تكوّن الانسان الصعب النفس بخلاف العذبة .

و لكن لا يخفى انه مع ذلك زمام الاختيار بيد الانسان ، و ليس مجبورا على العمل بمقتضى طبعه و ذاته ، و لهذا الكلام تفصيل طويل ، و احتمالات اكتفينا منه بهذا القدر من الاحتمال .

ثم بيّن الامام عليه السّلام اقسام النّاس بالنّسبة الى الجهة الجسميّة و العقليّة معا ، اذ اختلاف التّربة يؤثر فى اختلاف الجسم ايضا (فتام الرّواء) اى المنظر و المعنى ذو النظر الحسن التام (ناقص العقل) خلاف منظره (و ماد القامة) بان كانت قامته طويلة (قصير الهمة) لا يهتم لأمور العالية المحتاجة الى طول زمان (و زاكى العمل) اى الذى عمله حسن (قبيح المنظر) فبين منظره و عمله خلاف .

(وقريب القعر) اى قصير الجسم ، خفيفه فى مقابل الانسان السمين الشبيه بالاناء البعيد قعره،(بعيد السبر) اى بعيد النظرة و الفكرة، و الهمة و المسبار آلة يقدر بها عمق الشئ (و معروف الضريبة) اى الطبيعة (ومنكر الحليبة) ما يتصفه الانسان على خلاف طبعه كانه يحلبه و يجلبه (و تائه القلب) لا يستقرّ

مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله وهو يلي غسل رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، وتجهيزه :

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ! لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْإِنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ .

قلبه على شئ ، ولا ارتكاز فيه (متفرق اللب) اى العقل فتفكيره مشوش ، و ميوله متناقضة (وطليق اللسان) اى فصيحه (حديد الجنان) اى ثاقب الفكر، قوى الفهم ، والجنان القلب سمّى به لتستّره .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله و هو يلى غسل رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلم ، و تجهيزه

(بابى انت و امّى) الباء للتفدية ، اى افديك ابى و امّى ، لأنك اعزّ منهما عندى ، و هذه الجملة لاظهار مقدار الحب بالنسبة الى المحبوب ، حتى انّ الحب اذا دار الأمر بينه و بين ابويه قدمه عليهما و فداه بهما (لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك) من الأنبياء (من النّبوّة و الأنباء و اخبار السّماء) اذ كل نبى توفى كان بعده نبى متصل بماوراء الغيب ، فهو نبى و ياتى باخبار السماء ، و انباء غيبية ، ولو من غير جهة السّماء ، لقوّة نفس النبى و اتصاله بماوراء الطبيعة .

خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً . وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً ، وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً ، وَقَلَّا لَكَ وَلٰكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّهُ ،

اما بعد الرّسول صلى الله عليه و اله و سلّم حيث لم يكن نبى آخر، فقد انقطعت هذه السلسلة من الموجودات الشريفة و الأخبار الغيبيّة (خصصت) يا رسول‌الله بالفضل اهلك و اقاربك (حتّى صرت مسليا عمن سواك) فلم يكن فقدهم لشئ محزنا لهم ، بعد ان كان لهم مثلك (وعممت) بالفضل جميع النّاس (حتّى صار النّاس فيك سواء) فكلّهم مغترف من فضلك مستفيد من رسالتك ، و بعض الشّراح جعل التّخصيص و التّعميم فى جهة مصيبته صلى الله عليه و آله و سلم ، و الاطلاق اجمل .

(و لولا انّك امرت بالصّبر) فى المصائب (و نهيت عن الجزع)وهوانسياق الانسان وراءعاطفته فى المصيبة ، فان الانسان اذا انساق وراء العاطفة ظهر منه حزن كثير ، وضرب للنفس و اعمال بشعة اخرى يفعلها الجهلاء (لأنفدنا عليك ماء الشئون) الشئون منابع الدمع من الراس ، اى افنينا فى فراقك ماء عيوننا حتى لا يبقى دمع فى مخازنه (و لكان الداء مماطلا) فلا يذهب بل يبقى كالمماطل الذى لا يؤدّى دينه ، و المراد بالداء هنا الحزن .

(و الكمد) الحزن الكامن فى النفس الشديد التاثير (محالفا) لنا ، لا يفارقنا كالذين تحالفا ان يكون احدهما عونا للآخر حيث لا يفترقان (وقلا) تثنية ((قل)) فعل ماضى ، اى ان الداء المماطل و الكمد المحالف قليلان (لك) فى مصابك (و لكنه) اى الموت (ما يملك رده) فان الانسان لا يقدر على ارجاع الموت .

وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ ،

(ولا يستطاع دفعه) فاىّ فائدة فى الحزن بعد آن اختطفك المنون فان المطلب المهم وهو دفع الموت ليس مقدورا ، والمقدور وهو الحزن لا ينفع ـ و بهذا الاعتبار جئ بالاستثناء بلفظة ((لكنه)) ـ (بابى انت وامى) يارسول الله (اذكرنا عند ربّك) بالدّعاء لنا ، وطلب الرحمة منه سبحانه علينا (واجعلنا من بالك) فى خاطرك ولفظة ((من)) نشوية .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(اقتص) اى قص وحكى (فيه) اى فى هذا الكلام (ما كان منه عليه السلام بعد هجرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة الى المدينة ثم لحاقه عليه السلام به صلى الله عليه وآله وسلم) .

(فجعلت اتبع ماخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) اى محل اخذه اى كنت اتسائل عن كيفية عمل الرسول صلى الله عليه وآله ، من يوم فارق مكة بقصد الهجرة (فاطاء ذكره) كانّه عليه السلام يمشى فى ذكر الرسول صلى الله

حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ .

قال السيد الشريف رحمه الله فى كلا طويل : قوله عليه السلام ((فاطـــــاء ذكره)) من الكلام الذى رمى به الى غايتى الايجاز و الفصاحة ، اراد عليه السلام انى كنت اعطى خبره صلى الله عليه وآله وسلم ، من بدء خروجى الى ان انتهيت الى هذا الموضع ((اى عرج)) فكنى عن ذلك بهذا الكناية العجيبة ((اى وطئ الذكر)) كأنه عليه السلام يضع قدمه فى مواضع يذكر فيه الرسول صلى الله عليـه و آله وسلم) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في المسارعة إلى العمل

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ،

عليه وآله وسلم اذ يتتبع اخباره (حتى انتهيت الى العرج) عند خروجى مـن مكة بعد الرسول بقصد الهجرة وعرج موضع بين مكة و المدينة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى الحثّ على المسارعة على العمـل

(فاعلموا و انتم) الواو للحال (فى نفس البقاء) اى سعة البقاء ، وسميت السعة نفسا كان البقاء يتنفس و له حيات بعد ، بخلاف ما اذ ذهب البقاء ــ بان مات الانسان ــ فقد انقطع نفس البقاء (و الصحف) التى تكتب فيهـــا اعمالكم جمع صحيفة (منشورة) لم تطو فان الانسان مادام حيّا تبقى صحفه منشورة ليدرج فيها عمله (و التوبة مبسوطة) اى لها مجال فتقبل و البسط ضد القبض

وَالْمُدْبِرُ يُدْعَىٰ ، وَالْمُسِيءُ يُرْجَىٰ ، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ ، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ ، وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ.

فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ . امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَىٰ أَجَلِهِ ، وَمَنْظُورٌ إِلَىٰ عَمَلِهِ .

(والمدبر) اى الذى ادبر عن الله سبحانه بالكفر و العصيان (يدعى) يدعوه سبحانه الى الايمان و الاطاعة .

(والمسئ يرجى) ان يقلع عن اسائته حيث ينفعه الانقلاع (قبل ان يخمد العمل) اى يبطل فلا عمل بعد الموت (وينقطع المهل) اى المهلة(و ينقضى الأجل) اى تفنى مدّة بقاء الانسان فى الدنيا (ويسدّ باب التوبة) كما قال سبحانه : ((وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا جاء احدهم الموت قال انى تبت الان ، ولا الذين يموتون و هم كفّار)) (وتصعد الملائكة) الحافظون لعمل الانسان فانه اذا مات لم تبق حفظته فى الأرض لانتهاء مهمتهم .

(فاخذ امرء من نفسه لنفسه) ((اخذ)) ماض بمعنى الأمر ، اى فلياخذ كل امرء من نفسه ـ بصرفها فى الأعمال الصالحة ـ لنفسه اى لنجاتها ، و فوزها غدا ، فان الانسان اذا صرف نفسه فى العمل الصالح راى نتيجته فى الدنيا و الآخرة (واخذ من حى) اى من نفسه و هو حى (لميت) اى لحالة موته(و من فان) و هو جسمه (لباق) و هو الانسان فى عالم الآخرة .

(ومن ذاهب) و هو الانسان فى الدنيا ، اذ يذهب ويسافر منها (الدائم) باق ، و هو الانسان فى الآخرة ، او المراد بالذاهب الدنيا ، وبالدائم الآخرة . فالنّاجى هو (امرؤ خاف اللّه) فعمل باوامره (و هو معمّر) اى يعمر و يبقى فى الدنيا (الى اجله) الذى هو وقت موته .

(ومنظور) اى أعطى المهلة و النظرة (الى عمله) الذى يعمله و هو فى

امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا ، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا ، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللهِ ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللهِ .

وَمِن كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في شأن الحكمين وذم أهل الشام

جُفَاةٌ طَغَامٌ ، وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ .

الدنيا (امرؤ الجم نفسه بلجامها) ولجام النفس التقوى التى تحول بين الانسان وبين المحرمات (وزمّها) اى قادها (بزمامها) اى بالحبل الذى يقاد به النفس وهو حبل الشريعة (فامسكها بلجامها عن معاصى الله) هذا بيان لقوله عليه السلام ((بلجامها)) (وقادها بزمامها الى طاعة الله) هذا بيان لقوله بزمامها .

وَمِن كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(فى شان الحكمين) فى قصة معاوية وحرب صفّين (وذمّ اهل الشّام)

اهل الشام اصحاب معاوية (جفات) جمع جاف ، بمعنى غليظ القلب (طغام) اوغاد الناس واراذلهم (وعبيد) جمع عبد ، وانما شبههم بالعبيد لعدم استقلالهم فى الارادة وتفهم الأشياء ، وانما هم اتباع يمتثلون امر معاوية فى ما يضرهم (اقزام) جمع قزم ، وهو الرذل الذى لا يعرف له كيان (جمعوا من كل اوب) اى من كل ناحية وهذا عادة الأشرار دائما ، فان ذوى البيوتات والشرف لا يتبعهم ، فيضطرون الى جمع الأشرار والتقوية بهم .

وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ ، وَيُوَلَّىٰ عَلَيْهِ ، وَيُؤْخَذَ عَلَىٰ يَدَيْهِ . لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ .

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا

(و تلقطوا) الالتقاط الجمع و الأخذ من الأرض (من كلّ شوب) اى : كل خلط ، فهم ليسوا بصراح النسب ، بل شائبه (ممن ينبغى ان يفقّه و يؤدّب) اى انهم جهلاء اصحاب رذيلة ، فاللازم ان يعلّموا و يؤدّبوا بالآداب (و يعلّم) العلم (و يدرّب) اى يمرنوا على العمل فلا اصل لهم و لا شرف ، و لا حسب لهم ولا ادب (و يولّى عليه) اى يكون له ولىّ يلى شئونه ، فانهم سفهاء لا رشد فيهم (و يؤخذ على يديه) حتى لا يتصرف تصرّفا سيّئا .

(ليسوا من المهاجرين و الأنصار) ذوى السوابق و العلم و الآداب (و لا من الذين تبوا و الدار) اى نزلوا المدينة المنورة ممن اجتمع حول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من غير مكة ، لا يقال وقد كان كذلك اصحاب الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلم ، حيث اجتمعوا من كل ناحية ، و لم يكن لهم فى اول الدّعوة سوابق ؟ اذ الفرق واضح فان الرسول اجتمع حوله الأخيار ، اذ لم يكن له اول الدعوة مال و قوة بخلاف معاوية فانه جمع الأشرار بالمال و القوة ، و الأشرار تابعون لهما ، بخلاف الأخيار الذين هم تابعون للحق .

ثم ان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لم يكن فى قباله من له انصار ذووا سوابق ، فعدم السابقة فى اصحابه لا يضر بخلاف معاوية ، فانه جمع من لا سابقة له ليقابل بهم من له سوابق و فضائل .

(الا و ان القوم) اى معاوية و ربعه (اختاروا لأنفسهم اقرب القوم ممّا

تَكْرَهُون . وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ ٱللهِ ابْنِ قَيْسٍ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُ : «إِنَّهَا فِتْنَةٌ ، فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ » . فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ ٱلتُّهَمَةُ . فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ بِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ ، وَخُذُوا مَهَلَ ٱلْأَيَّامِ ،

تكرهون) اى اختاروا فى التحكيم ابا موسى الأشعرى ، واسمه عبد الله بن قيس ، وهذا الرجل كان قريبا الى ما يكره اصحاب الامام ، لأنه كان ضدّ الامام ، وضدّ قيامه بالحرب امام الطغام .

(وانّما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول) ما يدلّ على كراهته لكم و لنهضتكم : (انها فتنة) اى هذا الحرب بين الامام و بين الناقضين لبيعته (فقطعوا اوتاركم) اى اوتار القسيّ ، وهو ما يرمى منه (وشيموا) اى اغمدوا (سيوفكم) ، وذلك كناية عن عدم الحرب ، فكان ابوموسى يخذل عن الامام و يثبط عزائم المؤمنين فى محاربة مناوئ الامام عليه السلام .

(فانكان صادقا) فى ان هذه الحرب فتنة وينبغى للانسان ان لا يشارك فيها (فقد اخطاء بمسيره) الى الفتنة بنفسه (غير مستكره) اذ لم يكره احد ابا موسى ليسير الى الحرب ويدخل فيها ويكون حكما فى الأمر فعمله خلاف عقيدته ، ومثل هذا الشخص لا يعتمد عليه .

(وان كان كاذبا) فى قوله : انها فتنة (فقد لزمته التهمة) اذ كان عارفا بالحق ، ومع ذلك تكلم بالباطل (فادفعوا فى صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس) فقد رشح الامام عليه السلام للمحاجة من جانبه ابن العباس ، لأنه كفوء لعمرو ويعلم مكائده ، اما ابوموسى فكان ابلها ، لكن عدة من اصحاب الامام المغفّلين اصرّوا على ابوموسى ، جهلا منهم بواقع الحال (وخذوا مهل الأيام) اى اجعلوا ايام المهلة بين الجانبين حيث عطلت الحرب مدة مديدة ،

وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ . أَلَا تَرَوْنَ إِلَىٰ بِلَادِكُمْ تُغْزَىٰ ، وَإِلَىٰ صَفَاتِكُمْ تُرْمَىٰ ؟

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يذكر فيها آل محمد – صلى الله عليه وآله –

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ . يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ .

لحكم الحكمين ، لتجديد قواكم و استعدادكم للحرب من جديد .

(و حوطوا قواصى الاسلام) جمع قاصية ، و هى : الأطراف البعيدة ، و معنى احاطتها حفظها من غارة اهل الفتنة عليها ، و قد كان الأمر كما قال الامام عليه السلام ، فانّ معاوية اغار على اطراف بلاد الامام حيث راى تفرق جيش الامام (الا ترون الى بلادكم تغزى) و تهاجم بسبب معاوية ؟ (و الى صفاتكم) الصفات الحجر الصلب ، و المراد منها هنا القوة (ترمى) اى ان قواكم صارت مطمعا للأعداء .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يذكر فيها آل محمد ، صلّى اللّه عليه و آله

(هم عيش العلم و موت الجهل) اذ العلم لا يعيش الّا بسبب العلماء ، و الجهل لا يموت الّا بعقدار حياة العلم (يخبركم حلمهم عن علمهم) فانّ العالم يكون حليما ، اما الجاهل فانه يكون عجولا حادّا (و صمتهم عن حكم منطقهم) فان

لَا يُخَالِفُونَ ٱلْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ. هُمْ دَعَائِمُ ٱلْإِسْلَامِ، وَوَلَائِجُ ٱلْاعْتِصَامِ. بِهِمْ عَادَ ٱلْحَقُّ فِي نِصَابِهِ، وَٱنْزَاحَ ٱلْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ. عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتُهُ قَلِيلٌ.

الصمت دليل العقل الذى هو بدوره دليل على المنطق الحكيم، وهو عبارة عن الارشاد، والقول فى موضع الكلام، والكلام بقدر الحقيقة.

(لا يخالفون الحق) الى الباطل (ولا يختلفون فيه) بان يخالف احدهم الآخر (هم دعائم الاسلام) جمع دعامة، بمعنى العمود، اذ هم المبيّنون لأحكامه (وولائج الاعتصام) ولائج جمع وليجة، وهى: ما يدخل فيها الانسان فرارا من مطر اوعد او سبع او ما اشبه، اي ان باتباع طريقهم يعتصم الانسان من الانحراف والزلل.

(بهم عاد الحق فى نصابه) اى اصله المقدّر له (وانزاح) اى زال (الباطل عن مقامه) الذى اقام فيه، فكان الحق والباطل يتراوحان فى مجالات الحياة فاذا وجد الحق اعوانا يبينونه ويهتمون بشانه ـ كالأئمة عليهم السلام واوليائهم ـ يأخذ الحق مكان الباطل، والا اخذ الباطل مكان الحق (وانقطع لسانه) اى لسان الباطل (عن منبته) اى المحل الذى نبت فيه، اى اصله، وهذا كناية عن انقطاع حجة الباطل امام حجة الحق.

(عقلوا) اى فهم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (الدين عقل وعاية) بان وعوه واشتملوا عليه (ورعاية) بان رعوه ولاحظوه لئلا يتعدى عليه متعد ولا يحرّفه محرّف (لا عقل سماع ورواية) فلم يكونوا مجرد سامع لأحكام الدين، ورووا من النّبى صلى الله عليه وآله الى الغير، بدون تفهّم وتدبّر (فانّ رواة العلم كثير) اى الذين يروونه (ورعاته قليل) اى الذين يراعونه.

ومن كلام له عليه السلام

قاله لعبد الله بن العباس ؛ وقد جاءه برسالة من عثمان ، وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبُع ، ليقلّ هتف الناس باسمه للخلافة ، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل ، فقال عليه السلام :

ومن كلام له عليه السلام

(قاله لعبد الله بن عباس ، وقد جائه برسالة من عثمان ، وهو محصور ، يسئله فيها الخروج الى ماله بينبع ، ليقل هتف الناس باسمه للخلافة ، بعد ان كان سئله مثل ذلك من قبل) لقد كان الثوار المجتمعون فى المدينة من البلاد ، لأجل اعطاء عثمان مطاليبهم ، وامره بعدل الولات فى المسلمين ، يئسوا من عثمان ، ولذا حاصروه فى داره ، واعلموا انهم لم يفكوا الحصار حتى يخرج من مظالمهم ، وكان جماعة منهم فى ذلك الأثناء ينادى باسم الامام خليفة مكان عثمان ، وهذا مما ساء عثمان ، فارسل الى الامام عليه السلام ، يامره بالخروج – مسفّرا – الى خارج المدينة ، حيث كان للامام هناك مال يسمى ((ينبع)) المعروف بهذا الاسم الى يومنا هذا ، فخرج الامام ، ثم بعد ان راى عثمان ان لا يمكن لشخص غير الامام حل المشكلة ، طلبه وجعله سفيرا بينه وبين الثّوار .

فجاء الامام عليه السلام ، واراد الاصلاح ، لكن عثمان ابى العمل بنصح الامام ومطاليب المسلمين ، وعاد المسلمون الى حصارهم ، فطلب عثمان ابن عباس ، وقال له ابلغ الامام لزوم خروجه من المدينة ثانيا ، حيث سمع الهتاف

يَا بْنَ عَبَّاسٍ ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَـلًا نَاضِحاً بِالْغَرْبِ : أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ ! بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ! وَاللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً .

باسم الامام خليفة ، من الثائرين ، فلما ابلغ ابن عباس الامام مقالة عثمان ، قال عليه السلام :

(يابن عباس ما يريد عثمان الا ان يجعلنى جملا ناضحا بالغرب) الغرب : الدلو العظيمة ، والجمل الناضح ، هو الذى يستقى الماء من البئر و نحوها ، فانه اذا ذهب نحو البئر تدلت الدلو الى الماء ، واذا رجع صعدت الدلو ، فياخذها الزارع ، ونحوه ليكبّها (اقبل وادبر) كيف ما شاء عثمان ، والكلام تضجر واستهزاء (بعث) عثمان (الى ان اخرج) من المدينة ، فخرجت (ثم بعث الى ان اقدم) وارجع الى المدينة ، فرجعت (ثم هو الآن يبعث الى ان اخرج) من المدينة (والله لقد دفعت عنه) ورددت الثوار (حتى خشيت ان اكون اثما) حيث كان الحق مع الثوار ، والمراد ليست الخشية حقيقة ، بل هذا كناية لكثرة المدافعة .

٤١ وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

يحث فيه أصحابه على الجهاد

وَٱللهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ ، لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ ، فَشُدُّوا عُقَدَ ٱلْمَآزِرِ ، وَٱطْوُوا فُضُولَ ٱلْخَوَاصِرِ ،

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

يحثّ فيه اصحابه على الجهاد

(و اللّه) سبحانه (مستاديكم شكره) اى طالب منكم اداء شكره (و مورثكم امره) اى يورث امر الدين اياكم ، حيث قمتم بامره و اطاعته (و ممهلكم فى مضمار محدود) اى معطيكم المهلة فى مضمار الحياة المحدود بالأجل ، و المضمار هو محل تربية الخيل و اضماره ، ليتمكن من السبق يوم المسابقة ، و شبه بها الدنيا حيث انها محل العمل للسبق يوم القيامة ، و الفوز بالجنّة .

(لتتنازعوا سبقه) السبق هو الشئ الثمين الذى يكون عليه التسابق ،فياخذه السابق ، من المتسابقين ، و معنى التنازع التنافس فى احتواء اكبر قدر من الثواب و الجنة (فشدوا عقد المآزر) العقد جمع عقدة ، و المآزر جمع مئزر، هو ((الفوطة)) و شد عقدها كناية عن الجدّ و العمل ، فانّ العقدة اذا لم تشد شدا محكما ، لم يتمكن الانسان من العمل الدائب السريع ، خوف ان يقع مئزره و تبد و عورته .

(واطووا فضول الخواصر) فانّ الانسان اذا اراد العمل ، جمع فاضل ثوبه

وَلَا تَجْتَمِـعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ. مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِـمِ الْيَوْمِ ، وَأَمْحَىٰ الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ !

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله مصابيح الدجى والعروة الوثقى ، وسلم تسليماً كثيراً .

لئلا يلتف بقدمه ، فيمنعه من الحركة (ولا تجتمع عزيمة) اى عزم راسخ للعمل (و وليمة) اى الأطعمة الشهية ، يعنى لا يجتمع معال الأمور مع طلب اللذائذ و الشهوات (ما انقض النوم لعزائم اليوم) اى ما اشد النوم نقضا لعزيمة الانسان فاذا نام الشخص لم يتمكن من انفاذ عزمه و ارادته ·

(و امحى الظلم) اى ما اكثر ما يمحى ظلمة الليل ، فان ظلم جمع ظلمة (لتذاكير الهمم) اى تذكار الهمة التى كانت بالنهار ، فاذا جاء اللّيل ارتخى الانسان ، ولم يمض ما بناه وعزم عليه فى النّهار ، وكانّ الجملتين لبيان وجوب الجدّ حتى لا يبطل العمل النوم ، وظلمة الليل ·

(وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد النّبى الأمى) المنسوب الى امّ القرى ـ وهى مكة ، لأن البلاد مدت من تحتها ، كما فى الأحاديث ـ (وعلى آله مصابيح الدجى) اى الظلمات ، فانّهم ينيرون سبيل الحق .(و العروة الوثقى)اى المحكمة التى اذا اخذ بها الانسان لم يخف انفصامها ، حتى يبقى بلا ماء (و سلم) خبر فى معنى الانشاء اى اللّهم سلّم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (تسليما كثيرا) و الصلاة منه سبحانه العطف بالرحمة ، و السلام جعلهم سالمين من كلّ مكروه ·

باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السلام

الى اعدائه ، و امراء بلاده .

و يدخل فى ذلك ما اختير من عهوده الى عمّاله ، و وصاياه لأهله ، و اصحابه

وَمن كتاب له عليه السّلام

إلى أهل الكوفة ، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ ، جَبْهَةِ ٱلْأَنْصَارِ وَ سَنَامِ ٱلْعَرَبِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّىٰ يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ ٱسْتِعْتَابَهُ وَأُقِلُّ عِتَابَهُ ،

وَمن كتاب له عليه السّلام

لأهل الكوفة ، عند مسيره من المدينة الى البصرة ، يبيّن فيه حاله و حال مناوئيه

(من عبد اللّه علىّ امير المؤمنين الى اهل الكوفة جبهة الأنصار) المراد : انصاره عليه السّلام ، لا انصار الرّسول صلّى اللّه عليه وآله و سلّم ، و تشبيههم بالجبهة تشريف لهم ، كانّهم فى اعلى مرتبة من مراتب انصاره (و سنام العرب) السنام المحل المرتفع فى ظهر الابل ، و انما شبّههم بالسنام ، ترفيعا لهم ، ثمّ لا يخفى انّ هذا لا ينافى تضجّره عليه السّلام فيما بعد عنهم ، لأنه اختلف حالهم قبلا و بعدا .

(اما بعد فانّى اخبركم عن امر عثمان) و ما جرى عليه ،لتعلموا عدم اشتراكى فى قتله ، كما يدّعيه العصاة كطلحة و الزبير ، (حتى يكون سمعه كعيانه) اى سماعكم كالرؤية لا تخفى عليكم من الأمر خافية (انّ النّاس طعنوا عليه) اى عابوا اعماله (فكنت رجلا من المهاجرين اكثر استعتابه) اى استرضائه ، حتّى يرضى عن النّاس فيعطيهم مطاليبهم المشروعة (و اقل عتابه) و العيب عليه .

وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ. وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ.

(وكان طلحة و الزبير اهون سيرهما فيه) اى فى امر عثمان و النقمة عليه (الوجيف) اى السّريع ، و هذا كناية عن مسارعتهما فى اثارة الفتنة عليه وكثرة الطعن فيه (و ارفق حدائهما العنيف) الحداء زجل الابل لسيره ، و العنيف التسير بكل شدّة وعنف (وكان من عايشة فيه) اى فى عثمان (فلتة غضب) الفلتة ما يصدر من الانسان من قول اوعمل فجئة و بلا روية ، فقد كانت عائشة تقول : ((اقتلوا نعثلا قتله اللّه)) تشبه عثمان بنعثل اليهودى وكانت تحرص النّاس عليه اشدّ تحريض .

(فاتيح له قوم) اى هيّئ لعثمان جماعة (فقتلوه) بسبب تلك التحريضات (و بايعنى النّاس غير مستكرهين) لم يكرههم احد على البيعة (و لا مجبرين) و الجبر خروج الأمر من يد الانسان ، و الاكراه ان يعمله بذاته ، لكنّه لخوف من يكره ، فاذا صب الماء فى حلق انسان بالقوة سمى اجبارا ، و اذا قيل له ان لم تشرب قتلناك ، فاخذ بيده و شربه ، سمّى اكراها (بل طائعين) فى بيعتهم (مخيرين) بكلّ اختيارهم و ارادتهم .

(و اعلموا انّ دار الهجرة) اى المدينة الّتى كانت هجرة الرّسول صلّى اللّه عليه وآله و سلم و اصحابه اليها (قد قلعت باهلها) اذ انتقل اهلها ، الامام و اصحابه المهاجرون و الأنصار – من بقى منهم – الى صوب العراق (و قلعوا بها) اى فارقوها ، يقال قلع المكان باهله ، اذا انتقلوا عنه و لم يصلح لاستيطانهم (و جاشت) اى غلت (جيش المرجل) اى مثل غليان القدر ، لتدفع

وَقَامَتِ ٱلْفِتْنَةُ عَلَىٰ ٱلْقُطْبِ ، فَأَسْرِعُوا إِلَىٰ أَمِيرِكُمْ ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ ، إِنْ شَاءَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ .

فتنة عائشة و طلحة و ابن الزبير ، اى فعليكم ان تقتدوا بهم فى الخروج من الكوفة لنصرة الاسلام ضد العصات ٠

(وقامت الفتنة على القطب) اى قطب الخلافة ، وهو الامام ، و اخماد مثل هذه الفتنة اولى ، من الفتنة الّتى تقوم على الأطراف و الجوانب (فاسرعوا) يا اهل الكوفة (الى اميركم) يعنى نفسه الشّريفة (و بادروا) الى (جهاد عدوّكم) فانّ العصات اعداء المسلمين اذ يريدون الفوضى و الاضطراب (ان شاء الله عزّ و جل) كلمة كانت للشرط ، ثم استعملت للتبرك ٠

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَامُ

إليهم ، بعد فتح البصرة

وَجَزَاكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ .

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَامُ

اليهم ، بعد فتح البصرة

(و جزاكم الله من اهل مصر) ((من)) لبيان ((كم)) (من اهل بيت نبيكم) اى جزاكم من جهة نصرتكم ، لاولئكم (احسن ما يجزى العاملين بطاعته) اذ اطعتم يا اهل الكوفة فى نصرة خليفة الرسول و سائر اهل بيته (و الشاكرين لنعمته) اذ شكرتم نعمة الخليفة بنصركم له (فقد سمعتم) الكلام (و اطعتم) الأمر (و دعيتم) الى الجهاد (فاجبتم) و نصرتم .

وَمِن كتاب له عليه السّلام

لشريح بن الحارث قاضيه

بَلَغَنِي أَنَّكَ ٱبْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً ، وَكَتَبْتَ كِتَاباً ، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً .

فقال له شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين . قال : فنظر إليه نظر المغضب ثم قال له :

يَا شُرَيْحُ ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ ،

وَمِن كتاب له عليه السّلام

(كتبه لشريح بن الحارث ، قاضيه) فى الكوفة ، وقد كان قاضيا من زمن عمر الى زمن يزيد ، حيث افتى بقتل الحسين عليه السلام ، ثم بقى بعد ذلك الى زمان الحجاج ، وكانت مدّة قضاوته خمسا وسبعين سنة ، باستثناء عامين فى فتنة ابن الزبير وسبب هذا الكتاب ما (روى ان شريح بن الحارث قاضى امير المؤمنين عليه السلام ، اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا ، فبلغه عليه السلام ذلك ، فاستدعاه ، وقال له) :

(بلغنى انّك ابتعت) اى اشتريت (دارا بثمانين دينارا وكتبت كتابا) ادرجت فيه البيع (واشهدت فيه شهودا) بان اخذت امضاءاتهم ؟ ((فقال شريح : قد كان ذلك يا امير المؤمنين)) كما بلغك ، قال الراوى ((فنظرعليه السلام اليه نظر مغضب)) ثم قال له : (يا شريح اما انه سياتيك من لا ينظرفى كتابك) اى الموت ، اوعزرائيل عليه السّلام (ولا يسئلك عن بيّنتك) وشهودك

حَتّىٰ يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً،وَيُسْلِمَكَ إِلَىٰ قَبْرِكَ خَالِصاً . فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ٱبْتَعْتَ هٰذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَ دَارَ ٱلْآخِرَةِ ! أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَىٰ هٰذِهِ النُّسْخَةِ ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هٰذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ .

والنسخة هذه : «هٰذَا مَا ٱشْتَرَىٰ عَبْدٌ ذَلِيلٌ ، مِنْ عَبْدٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ ، ٱشْتَرَىٰ مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ ٱلْغُرُورِ ، مِنْ جَانِبِ ٱلْفَانِينَ ، وَخِطَّةِ ٱلْهَالِكِينَ . وَتَجْمَعُ هٰذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ : الْحَدُّ

(حتّى يخرجك منها) اى من هذه الدار (شاخصا) اى ذاهبا بك الى قبرك .

(ويسلمك الى قبرك خالصا) اى مجردا عن تلك الراد (فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك) كمال الرشوة و الأيتام و الأمانات و ما اشبه (او نقدت الثمن) اى اعطيته (من غير حلالك) بان كان من مالك المشتبه (فاذا انت) فعلت احد هذين (قد خسرت دار الدّنيا) لانتقالك عنها (و دار الآخرة) لتعاطيك المحرم الموجب لدخول النّار .

(اما انك لو كنت اتيتنى عند شرائك ما اشتريت) من تلك الدار (لكتبت لك كتابا على هذه النسخة) الآتية (فلم ترغب فى شراء هذه الدّار بدرهم فما فوق) حيث توجب هذه النسخة التنبيه و الايقاظ (و النسخة) هذه (هذا ما اشترى عبد ذليل) شريح (من عبد) هو البائع (قد ازعج للرحيل) اى : حرّك تحريكا موجبا لأذاه (اشترى منه دارا من دار الغرور) اى الدّنيا (من جانب الفانيين) اى من طرف اناس قد فنوا .

(وخطة الهالكين) اى صوبهم (و تجمع هذه الدار حدود اربعة) كالشّمال و الجنوب و الغرب و الشرق ، فى الدور المشتراه ، لكنها حدود معنوية (الحد

الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَىٰ دَوَاعِي الْآفَاتِ ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَىٰ دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَىٰ الْمُرْدِي ، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَىٰ الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هٰذِهِ الدَّارِ. اشْتَرَىٰ هٰـذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ ، مِنْ هٰذَا الْمُزْعَـجِ بِالْأَجَلِ ، هٰذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ، فَمَا أَدْرَكَ هٰذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَىٰ مِنْ دَرَكٍ ، فَعَلَىٰ مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ ،

الأول ينتهى الى دواعى الآفات) جمع آفة ، وهى : البلاء فى المال ، كأنّه من هذا الحد ينتهى البلاء فى مال ساكن الدار (والحد الثانى ينتهى الى دواعى المصيبات) اى ما يصيب الانسان فى اهله وبدنه (والحد الثالث ينتهى الى الهوى المردى) اى هوى النّفس الموجب لهلاك الانسان (والحدّ الرابع ينتهى الى الشيطان المغوى) الذى يغوى الانسان ليهلكه ،والمراد بهذه الحدود ان الانسان معرض لهذه الأخطار الأربعة .

(وفيه) اى فى الحدّ الرابع (يشرع باب هذه الدّار) اى يفتح باب الدّار ، وذلك كناية عن اختلاف الشيطان ذهابا وايابا الى الانسان (اشترى هذا المغتر بالأمل) اى شرع الذى غره وخدعه البقاء فى الدنيا (من هذا) البائع (المزعج بالأجل) اى المضطرب بسبب الأجل والموت (هذه الدّار) مفعول ((اشترى)) وانما اشتراها (بـ) سبب (الخروج من عز القناعة) التى كان فيها حيث لا دارله .

(والدخول فى ذل الطلب) فان الطالب للشئ اسيرله (والضراعة) اى الاستكانة والتضرع (فما ادرك هذا المشتري) اى لحقه (فيما اشترى) اى : الدار (من درك) اى تبعة ونقص (فعلى مبلبل اجسام الملوك) خبر مقدم ،و مبتدئه ((اشخاصهم)) اى لوظهر نقص ، فعلى الله سبحانه ان يجمع بين البائع والمشترى فى يوم الحساب ، ليرى هناك ، لمن الحق ، ومبلبل الجسم

وَسَالِبِ نُفُوسِ ٱلْجَبَابِرَةِ ، وَمُزِيلِ مُلْكِ ٱلْفَرَاعِنَةِ ، مِثْلِ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ ، وَمَنْ جَمَعَ ٱلْمَالَ عَلَىٰ ٱلْمَالِ فَأَكْثَرَ ، وَ بَنَىٰ وَشَيَّدَ وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَٱدَّخَرَ وَٱعْتَقَدَ ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ ، إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَىٰ مَوْقِفِ ٱلْعَرْضِ وَٱلْحِسَابِ ، وَمَوْضِعِ ٱلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ : إِذَا وَقَعَ ٱلْأَمْرُ بِفَصْلِ ٱلْقَضَاءِ «وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ» شَهِدَ عَلَىٰ ذٰلِكَ ٱلْعَقْلُ

مهيج دائه ٠

(وسالب نفوس الجبابرة) اى مهلكهم ــ وهو اللّه ــ جمع جبّار ، وهو الّذى يجبر النّاس على حسب ارادته ، بما يكرهون (ومزيل ملك الفراعنة) جمع فرعون ، والمراد به هنا الملوك الطغات (مثل كسرى) ملك فرس (وقيصر) ملك الروم (وتبع وحمير) ملوك اليمن ٠

(ومن جمع المال على المال فاكثر) من المال والادّخار (وبنى) الأبنية (وشيد) اى رفع البناء (وزخرف) اى نقش البناء بالزينة (ونجّد) اى زين (واعتقد) المال اى اقتناه (ونظر ــ بزعمه ــ للولد) اى فكّر فى ان يدّخر المال لأولاده من بعده ٠

(اشخاصهم) مبتدء : تقدم خبره ، وهو قوله ((فعلى مبلبل))(جميعا) اى اذا ظهر نقص فى الدار ، فعلى اللّه سبحانه ارسال البائع والمشترى (الى موقف العرض والحساب) اى القيامة ، وهذه الجملة على غرار ما يكتب فى اوراق الأملاك ، من انه اذا ظهر نقص ، فعلى البائع ، او فعل المشترى ٠

(وموضع الثواب والعقاب) اذ فى القيامة يبين من المثاب ، ومن المعاقب ؟ (اذا وقع الأمر بفصل القضاء) اى اشخاصهم فى هذا الزّمان ، والجمله السابقة لبيان المكان (وخسرهنالك) فى القيامة فى ذلك اليوم (المبطلون) اى : العاملون بالباطل ، ثم يكتب مكان الشهود (شهد على ذلك) البيع (العقل

إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ ٱلْهَوَىٰ، وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا.»

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى بعض أمراء جيشه

فَإِنْ عَادُوا إِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذاكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ ٱلْأُمُورُ بِٱلْقَوْمِ إِلَىٰ الشِّقَاقِ وَٱلْعِصْيَانِ فَٱنْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَىٰ مَنْ عَصَاكَ، وَٱسْتَغْنِ بِمَنِ ٱنْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ ٱلْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ

اذا خرج من اسر الهوى) اى هو النّفس (وسلم من علائق الدنيا) فانه يميز حينئذ انّ الأمر كما كتب فى هذه النّسخة ٠

ومن كتاب له عليه السلام

الى بعض امراء جيشه

وذلك حين انتهى اصحاب الجمل الى البصرة ، فكتب الى واليه عثمان بن حنيف ، يامره باخضاعهم (فان عادوا الى ظل الطاعة) الطاعة باعتبارها موجبا للرفاه ، جعل لها ظل (فذاك الذى نحب) الموجب لجمع شمل المسلمين (و ان توافت الأمور بالقوم) توافى القوم اى وافى بعضهم بعضا ، حتى تم اجتماعهم والأمور يراد بها ما يسبب وينتهى بهم (الى الشقاق والعصيان) عن طاعة الدولة ٠

(فانهد) اى انهض (بمن اطاعك الى من عصاك) من اهل الجمل و مواليهم من البصريين (و استغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك) اى تخلف و تثاقل (فان المتكاره) المتثاقل الذى يكره الحرب (مغيبه) اى غيابه (خير

مِنْ شُهُودِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَىٰ مِنْ نُهُوضِهِ .

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أشعث بن قيس عامل أذربيجان

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلٰكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ . لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْتَ

من شهوده) اذ غيابه يوجب قلة نفر واحد ، اما شهوده فانه موجب لأن يخذل غيره فيلزم فقدان عدة اشخاص (وقعوده اغنى عن نهوضه) اى اكثر فائدة عن ان ينهض للحرب ، وهذه قاعدة كلية فى اهل الاستثقال و الكراهة ٠

ومن كتاب له عليه السلام

الى اشعث بن قيس ، عامل اذربيجان

(وان عملك ليس لك بطعمة) فلا تجعل ولايتك لاستدرار المادة و المال

(ولكنه فى عنقك امانة) يجب ان تتحفظ عليه كما تتحفظ على امانتك (و انت مسترعى لمن فوقك) اى يرعاك و يواظب على تصرفاتك الخليفة الذى هو فوقك

(ليس لك ان تفتات فى رعية) اى تستبد فيهم (ولا تخاطر) المخاطرة القاء النفس فى الخطر ، و المراد به الدنيوى و الأخروى (الا بوثيقة) اى دليل شرعى ، و اجازة من الخليفة ٠

(و فى يديك مال من مال الله عزّوجل) و هو ما يجتمع فى بيت المال (و انت

مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّىٰ تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَنْ لَا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ ، وَالسَّلَامُ .

وَمن كتاب له عليه السّلام

إلى معاوية

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَىٰ مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِد أَنْ يَخْتَارَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ ، وَإِنَّمَا الشُّورَىٰ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ،

من خزّانه) جمع خازن ، وهو الحافظ (حتى تسلّمه اليّ) بارساله ، كـي يصرف في مصالح المسلمين (ولعلى ان لا اكون شر ولاتك) اى الذين تسلطوا عليك من الخلفاء (لك والسلام) وكلمة ((لعلّ)) من الامام عليه السلام على سبيل التواضع .

وَمن كتاب له عليه السّلام

الى معاويـــــة

(انه بايعنى القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان) مراد الامام اهـل الحل والعقد ، لا الأفراد باعيانهم (على ما بايعوهم عليه) من العمل بالكتاب والسنة (فلم يكن) بعد بيعتهم (للشاهد) الحاضر الذى لم يبايع بعد (ان يختار) لنفسه خليفة آخر (ولا للغائب) عن المدينة (ان يرد) لأنّ الميزان لو كان بيعة اهل الحل والعقد فى عاصمة الاسلام ، فقد بايعنى اولئك ، وانكان الميزان غير ذلك فكيف رضيت انت ببيعة اولئك .

(وانما الشورى للمهاجرين والأنصار) لأنهم اهل الحلّ والعقد الذيـن

فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذٰلِكَ لِلّٰهِ رِضى ، فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَىٰ مَا خَرَجَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَبَىٰ قَاتَلُوهُ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلَّاهُ اللّٰهُ مَا تَوَلَّىٰ .

وَلَعَمْرِي ، يَا مُعَاوِيَةُ ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّىٰ ؛ فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ ! وَالسَّلَامُ .

عرفوا الاسلام احسن من غيرهم (فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضى) اما على راى الشيعة فلان اجتماع جميعهم يلازم وجود راى الامام المعصوم و اما على راى السنة فلان اهل العقد و الحل كاف فى تعيين الخليفة (فان خرج من امرهم خارج بطعن) فى الخليفة (او بدعة) بان اشترط شيئا آخر فى الخليفة ، واتى بشرط جديد (ردوه الى ما خرج منه) بالنصح والارشاد ، لياخذ بما اخذ به المسلمون .

(فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين) الذى اجمع المسلمون عليه (وولاه الله ما تولى) اى جعله الله محبا لما احب ، وتابعا لما تبع ، وهذا اشارة الى قوله سبحانه ((و من يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم وسائت مصيرا)) (و لعمرى) قسم بنفسه الشريفة (يا معاوية ، لئن نظرت بعقلك دون هواك) واتباعك لميولك وشهواتك (لتجد نى ابرء الناس من دم عثمان) اى اكثر الناس برائة ، اذ لم اشرك فيه بيد ولا لسان (ولتعلمن انى كنت فى عزلة عنه) اى انعزال وانزواء (الا ان تتجنى) اى تدعى الجناية على من لم يفعلها (فتجن) اى تستر (ما بدالك) اى ما ظهر لك وانقدح فى نفسك ان تخفيه (والسّلام) ختم الكتب بالسلام ، من باب سلام الوداع .

وَمن كتاب له عليه السّلام

إليه أيضاً

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابُ امْرِىءٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَىٰ فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لَاغِطاً، وَضَلَّ خَابِطاً.

وَمن كتاب له عليه السّلام

اليه، ايضا

(اما بعد فقد اتتنى منك موعظة موصلة) اى ملفقة من كلام مختلف، وصّل بعضه ببعض، فقد كتب معاوية الى الامام كتاب وعظ وارشاد ـ حيلة وخدعة ـ فاجابه الامام بهذا الجواب (و رسالة محبّرة) اى مزيّنة بالألفاظ و العبارات (نمقتها بضلالك) اى حسنت بلاغتها، بسبب ضلالك، اذ تريد اكل الحق بالكتب و العبارات (و امضيتها بسوء رايك) امضيتها، اى بعثتها الىّ، حيث انّ رايك سئ تظن ان لامارة الدنيا قيمة وقدرا.

(وكتاب امرء ليس له بصر يهديه) اى بصيرة توجب هدايته، و هذا عطف على ((موعظة)) (ولا قائد يرشده) الى موضع صلاحه و فلاحه (قد دعاه الهوى) الى العصيان (فاجابه) اى قبل طلب الهوى (وقاده الضلال) اى جره كما تجر الدابة (فاتبعه) الضمير للضلال (فهجر) اى هذى فى كلامه (لاغطا) من اللغط بمعنى الجلبة بلا معنى (وضل) اى انحرف عن الطريق (خابطا) قد خرج الكلام بلا ميزان.

منه : لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُثَنَّىٰ فِيهَا النَّظَرُ ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ . الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ

وَمن كتاب له عليه السّلام

إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ،

(منه) : اى من ذلك الكتاب ، فى ردمعاوية الذى ادعى ان البيعة لم تتم للامام (لانها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر) اى لا ينظر فيها ثانيا بعد ما نظر اليها اولا ، بل تنفذ البيعة اذا تمّت (ولا يستانف فيها الخيار) اى لا اختيار لأحد ان يستانف البيعة بعد عقدها وقبول النّاس لها (الخارج منها طاعن) فى عمل المسلمين (والمروى فيها) اى الذى يتفكر ويتروّى هل يقبلها ام لا ؟ (مداهن) اى منافق ، يخالف الحق باطنا ، ويسميه التروى ظاهرا ·

وَمن كتاب له عليه السّلام

الى جرير بن عبد الله البجلى ، لما ارسله الى معاوية

(اما بعد) اى بعد الحمد والصلاة ، (فاذا اتاك كتابى) هذا (فاحمل) اى الزم (معاوية على الفصل) اى الحكم القطعى ، فى انه يرضخ، اويابى ، فقد بعث الامام جريرا الى معاوية بكتاب ، لكن معاوية ارجاء الجواب، وجرير فى دمشق ينتظر الجواب ، ويريد معاوية بالمماطلة ، تجهيز قواه، ليعلم انه هل يتمكن ان يقابل الامام ام لا ؟ ولذا كتب الامام بهذا الكتاب الى جرير (وخذه بالأمر الجزم) اى القطع فى احد الطرفين ·

ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ ، وَالسَّلَامُ .

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا ، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا ، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ ، وَ

(ثم خيره بين حرب مجلية) اى مخرجة له من وطنه ، ان ابى التسليم لبيعتى (او سلم مخزية) اى تخزيه و تذله عن كبريائه ، و ذلك بقبوله البيعة، و الحرب و السلم مونثان سماعا ، ولذا جئ بوصفهما مؤنثا (فان اختار الجرب) و العصيان (فانبذ اليه) اى اعلمه من قبلى بالحرب ، و انى اعامله معاملة المحارب (و ان اختار السلم) و الرضوخ (فخذ بيعته) لى (و السلام) .

ومن كتاب له عليه السلام

يحكى عليه السلام معاملة قريش للرسول صلى الله عليه و آله فى اول الدعوة

(فاراد قومنا) اى العرب ، او قريش (قتل نبيّنا) كما فعلوا في ليلة المبيت (و اجتياح) اى استئصال (قطع اصلنا) فان الرسول صلى الله عليه وآله اصل اهل بيته (و هموا بنا الهموم) اى قصدوا انزالها بنا (و فعلوا بنا الأفاعيل) جمع افعولة : و هى الفعلة الرديئة ، من الالجاء الى الشعب ، و التعذيب ، و الاهانة ، و ما اشبه (و منعونا العذب) اى هنئ العيش ، او الماء العذب .

(و احلسونا الخوف) اى الزمونا الخوف ، بافعالهم و تهديداتهم (و

اَضْطَرُّونَا إِلَىٰ جَبَلٍ وَعْرٍ ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ ٱلْحَرْبِ ، فَعَزَمَ ٱللهُ لَنَا عَلَىٰ ٱلذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ. مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذٰلِكَ ٱلْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ ٱلْأَصْلِ . وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ ، فَهُوَ مِنَ ٱلْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ إِذَا ٱحْمَرَّ ٱلْبَأْسُ،

اضطرونا الى جبل وعر) كناية عن الجاء الكفار لهم الى الشدائد ،كالذى يضطر الى ان يصعد جبلا وعرا شديدا حيث يلاقى الشدائد و المصائب (و اوقدوا لنا نار الحرب) اى حاربونا ، و انما قيل نار الحرب ، تشبيها لها بالنار التى تاكل الحطب و ما اشبه ، والحرب تاكل الناس و تحطمهم .

(فعزم الله لنا) اى اراد لنا (الذب عن حوزته) اى نذب و ندفع عن شريعته (و الرمى من وراء حرمته) حرمة الله احكامه ، و الرمى من ورائها كناية عن الدفاع عنها ، كالذى له حرمة فيرمى الأعداء من ورائها لئلا يصلوا اليها (مؤمننا) الذى آمن بالرسول (يبغى بذلك) الدفاع (الأجر) و الثواب (و كافرنا) اذا دافع عن الرسول ، كما دافع ابولهب عنه صلى الله عليه و آله و سلم فى بعض الأوقات (يحامى عن الأصل) و العشيرة ، فلم يكن لنا مدافع ، لأجل مال او منصب اوما اشبه .

(و من اسلم من قريش) غير قبيلة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و اهله الادنين (خلو مما نحن فيه) اى خال عن الهموم و الشدائد التى كنا نقاسيها بسبب اسلامنا (بحلف يمنعه) فله حلف مع عشيرة يمنعه ذلك الحلف من ان يؤذيه الكفار (او عشيرة تقوم دونه) فان عشائرهم كانوا يحامون عنهم ، فلايتعرض احد لهم بسوء (فهو من القتل بمكان امن) لا يتجرء احد من قتله ، فاهل البيت و اقارب الرسول صلى الله عليه و آله هم ـ فقط ـ قاسوا الشدائد .

(وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا احمرالبائس) اى اشتد القتال ، فان

وَأَحْجَمَ النَّاسُ ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ . وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ ، وَلٰكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ ، وَمَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ . فَيَاعَجَباً

القتال اذا اشتد جرت الدماء فيه كثيرا وذلك احمراره (واحجم الناس) اى فروا وتقهقروا (قدم اهل بيته) للمبارزة ، لأنهم يفدونه الى اخر انفاسهم ، ولذا كان حوله صلى الله عليه وآله يوم حنين عباس واولاده والامام عليه السلام ، الى غير هذا الموقف ، من سائر المواقف (فوقى بهم اصحابه حرّ السيوف والأسنة) جمع سنان ، بمعنى : الرمح ، اى جعل اهل بيته وقاية لأصحابه ، فيلاقون حرارة السيف والرمح ، دون اصحابه .

(فقتل عبيدة بن الحارث) ابن عم الامام عليه السلام (يوم بدر) وهو اول حرب بين الرسول صلى الله عليه وآله وبين الكفار (وقتل حمزة) بن عبد المطلب عم الامام عليه السلام (يوم احد) ومثّل بجسمه الشريف (وقتل جعفر) بن ابى طالب ، اخ الامام عليه السلام (يوم مؤتة) وهى بلد على حدود الشام ، فى حرب بين الرسول صلى الله عليه وآله والروم .

(واراد من لوشئت ذكرت اسمه) ((من)) فاعل ((اراد)) ومصداقه ((الامام عليه السلام)) لم يسمّ نفسه تواضعا ، اى انى اردت (مثل الذى ارادوا من الشهادة) والقتل فى سبيل الله تعالى (ولكن آجالهم عجلت) اى آجال من ذكرت اسمائهم من اقاربى (ومنيته) اى موته ، والضمير عائد الى الامام عليه السلام (اجلت) وتاخّرت (فيا) قوم (عجبا) اصله عجبى ، ويجوز فى مثله خمسة اوجه ، قال ابن مالك :

واجعل منادى صح ، ان يضف ليا كعبد عبدى عبد عبدا عبديا

لِلدَّهْرِ ! إذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَالَا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللّٰهَ يَعْرِفُهُ . وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هٰذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَىٰ غَيْرِكَ ،

(للدهر) والزمان (اذ صرت يقرن بى من لم يسع بقدمى) اى بمثل وقوفى على قدمى لأجل الدين ، والمراد بـ ((من)) معاوية .

(ولم تكن له كسابقتى) اذ لا سابقة لمعاوية الا الكفر والقيام ضد الاسلام ، لمحاربة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (التى لا يد لى احد بمثلها) اى لا يقول احد بان لى مثل سابقة الامام ، لعدم وجود مثل تلك السابقة فى احد من المسلمين (الا ان يدعى مدّع ما لا اعرفه) بان يكذب ، فيقول عن نفسه سوابق مكذوبة .

(ولا اظن الله يعرفه) اذ لا وجود لها ، وهذا من باب السالبة بانتفاء الموضوع ، كقوله سبحانه : ((اتعلمونه ، بما لا يعلم فى السماوات)) و لفظة ((الظن)) من باب التواضع (والحمد لله على كل حال) حتى حال انى ((صرت قرن بمثل معاوية)) وانما يحمده سبحانه ، لأن البلايا موجب للأجر، ولذا ورد ((الحمد لله الذي لا يحمد على المكروه سواه)) .

(واما ما سئلت من دفع قتلة عثمان اليك) لقد وجد معاوية فى المطالبة بدم عثمان حين خدعة يخدع بها جماهير اهل الشام البلّة ، وبذلك يتمكن ان يشق عصر الطاعة ، ويدعى الخلافة ، فيجعل ذلك ذريعة الى ما دار فى نفسه المشوبة من حب السلطة ، ولذا طالب فى كتابه الامام عليه السلام بان يدفع اليه قتلة عثمان ليقتلهم عوضه .

(فانّى نظرت فى هذا الأمر فلم اره يسعنى دفعهم اليك ولا الى غيرك) و

وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ ، وَزَوْرٌ لَا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

ذلك لأنّ عثمان بسبب بدعه كان مهدور الدم ، كما افتى بذلك طلحة و الزبير و عائشة و من اليهم ، ولا يقتصى من قتل مهدور الدّم ، ولا اقل من ان يكون الأمر شبهة ، و الحدود تدرء بالشبهات ، وعلى فرض وجوب القصاص ، فليس معاوية حق الاقتصاص ، و هل يصح لافراد الرعية ان يطالبوا تنفيذ الحكم بايديهم ٠ ؟ بالاضافة الى ان القتلة كانوا مجتهدين ، و فتواهم ان للمجتهد المخطى اجرا واحدا ٠

(و لعمرى) قسم بنفسه الشريفة (لئن لم تنزع عن غيك و شقاقك) اى : لم تنته عن ضلالك و مشاقتك اى مخالفتك (لتعرفنهم) اى قتلة عثمان (عن قليل) اى بعد قليل من الزمان (يطلبونك) عوض ما كنت انت تطلبهم ، يريدون قتلك كما قتلوا عثمان (لا يكلفونك طلبهم) اى هم بانفسهم ياتون اليك ،حتى لا تحتاج انت الى ان تتكلف فى طلبهم (فى بر ولا بحر و لا جبل و لا سهل) اى لا تحتاج الى طلبهم فى هذه الأماكن و انما هم الطالبون لك (الا انه) اى : لطلبهم لك (طلب يسوئك وجدانه) اى وجدان هذا الطلب ، بمعنى : ان تجده ٠

(و زور) جمع زائر ، اى انهم زائرون لك (لا يسرك لقيانه) اى لقائهم ، و افراد الضمير باعتبار كل واحد واحد كقوله سبحانه : ((الى طعامك و شرابك لم يتسنّه)) (و السلام لأهله) اى اهل السلام المستحقين له ٠

وَمن كتاب لهُ عَليه السّلام

إليه أيضاً

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا. دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا. وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ، فَاقْعَسْ عَنْ هٰذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ

وَمن كتاب لهُ عَليه السّلام

اليه ايضا

(وكيف انت) يا معاوية (صانع اذا تكشفت عنك جلابيب ما انت فيه) جلابيب جمع جلباب ، الثوب الذى فوق الثياب و تكشف الجلابيب كناية عن موته مخلفا ورائه امور الدنيا و زخارفها (من دنيا قد تبهجت) اى تحسنت (بزينتها) لك (وخدعت بلذتها) اى غرت الناس بسبب لذائذها ، فارتكبوا معاصى الله سبحانه لأجلها (دعتك) الدنيا (فاجبتها) بالتناول من محرماتها (و قادتك) الى الضلالة (فاتبعتها) فضللت (و امرتك فاطعتها) خلافا لأمر الله سبحانه .

(و انه يوشك) اى يقرب (ان يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجنّ) المجن الترس ، و المراد ايقافه سبحانه له فى معرض الحساب و الهوان ، حيث لا ترس ينجيه (فاقعس) اى تاخّر (عن هذا الأمر) اى امر الخلافة (وخذ

أَهْبَةَ الْحِسَابِ ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ، وَلَا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ ، وَجَرَىٰ مِنْكَ مَجْرَىٰ الرُّوحِ وَالدَّمِ .

وَمَتَىٰ كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ ، وَوُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ ، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ .

اهبة الحساب) اى استعداد حساب الآخرة وعدّته (و شمر لما قد نزل بك) اى استعد للمحاربة و البلاء الّذى نزل بك (و لا تمكن الغواة) جمع غاوى ، بمعنى قرناء السوء (من سمعك) بان يقولوا لك ما شائوا فتسمع كلامهم .

(والاتفعل) ما امرتك (اعلمك ما اغفلت من نفسك) من الضعف، فانك اذا اصطدمت بالقوة تعرف ضعف قواك ، و هكذا الانسان لا يعرف جهاته الآ عند الامتحان (فانك مترف) المترف الذى اطغته النعمة (قد اخذ الشيطان منك ماخذه) اى ما اراد اخذه ، و تسلط الشيطان على المترفين اكثر من تسلطه على غيرهم (و بلغ فيك امله) اذ امل الشيطان ان يضل الناس (وجرى) الشيطان (منك مجرى الروح و الدم) كناية عن تسلطه التام عليه .

(و متى كنتم يا معاوية ساسة الرعية) ؟ جمع سائس ، بمعنى المدير لشئونها (و ولاة امر الأمة) اى انكم لا تصلحون لذلك (بغير قدم سابق) اى لا سابقة لكم حتى تستحقون ذلك (و لا شرف باسق) اى عال رفيع ، فقد كان ابو معاوية ابو سفيان رجلا جاهلا بخيلا احمق زانيا ـ كما هو مشهور فى قصة ابى سلول ـ و امه هند ، حمقاء حقودا زانية ـ كما هو مشهور فى قصة تلاوة النبى صلى الله عليه وآله و سلم آية : ((اذا جائك المؤمنات)) عليها ، الى قوله : ((و لا يزنين)) وضحك الحاضرين ـ .

(و نعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء) اى ان يلزم الانسان ما سبق له من

وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي غِرَّةِ ٱلْأُمْنِيَّةِ ، مُخْتَلِفَ ٱلْعَلَانِيَةِ وَٱلسَّرِيرَةِ .

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَىٰ ٱلْحَرْبِ ، فَدَعِ ٱلنَّاسَ جَانِباً وَٱخْرُجْ إِلَيَّ ، وَأَعْفِ ٱلْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْقِتَـالِ ، لِيَعْلَمَ أَيُّنَا ٱلْمَرِينُ عَلَىٰ قَلْبِهِ ، وَٱلْمُغَطَّىٰ عَلَى بَصَرِهِ ! فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذٰلِكَ ٱلسَّيْفُ مَعِي ، وَبِذٰلِكَ ٱلْقَلْبِ أَلْقَىٰ عَدُوِّي ، مَا ٱسْتَبْدَلْتُ دِيناً ، وَلَا

الشقوة ، فيشقى بسبب ذلك (واحذّرك) يا معاوية (ان تكون متماديا فى غرّة الأمنية) اى مستمرّا فى غرور الأمل ، اذ امله بالخلافه هو الذى اوجب له ذلك التمادى فى الغى و الضّلال (مختلف العلانية و السريرة) فعلانيته طلب دم عثمان ، و سريرته الطمع فى الخلافة (وقد دعوت الى الحرب) قد كان معاوية اراد اظهار الشجاعة ، فدعى الامام للمحاربة ، فاجابه الامان بهذا الجواب (فدع الناس جانبا و اخرج الىّ) لنحارب انا و انت ، حتّى يظهر الشجاع .

(واعف الفريقين من القتال ليعلم أيّنا المرين على قلبه) يقال : ران على قلبه : اذا صدء قلبه ـ كما يصدء الحديد ـ من الآثام و المعاصى (و المغطّى على بصره) فلا يرى الحق ، وهذا الكلام من الامام كالمباهلة ، فى غلبة الصادق على الكاذب ، ولذا جاء بلام التعليل فى قوله عليه السلام ((ليعلم)) فلا يقال : اى ربط بين ((اخرج)) و بين ((ليعلم)) ؟ .

(فانا ابو حسن) اى المعروف عندك ، وعند النّاس بالشّجاعة (قاتل جدّك) لأمك عتبة بن ابى ربيعة (وخالك) الوليد بن عتبة (و اخيك) حنظلة بن ابى سفيان (شدخا) اى كسرا لهم (يوم بدر و ذلك السيف) الذى قتلتهم (معى) المراد اما الحقيقة ، اوكناية عن القوة (و بذلك القلب) القوى (القى عدوى ما استبدلت دينا) بان اعرض عن دينى السابق بدين جديد (ولا

اَسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً. وَإِنِّي لَعَلَىٰ اَلْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ .

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِعُثْمَانَ . وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً ، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ اَلْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ اَلْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ ، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ اَلْمُتَتَابِعِ ، وَالْقَضَاءِ اَلْوَاقِعِ ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ ، إِلَىٰ كِتَابِ اَللهِ ،

استحدثت نبيّا) بان اتّخذ نبيّا جديدا .

(و انّى لعلى المنهاج الّذى تركتموه طائعين) فانّ معاوية و اباه وقومه الكفّار لعنهم اللّه لم يدخلوا فى الاسلام بالطوعة و الرغبة (و دخلتم فيه مكرهين) بعد فتح مكة حين راو ان عدم اسلامهم يوجب قتلهم لما اقترفوه من الآثام و الأجرام مع الرسول ، قبل الفتح .

(و زعمت انك جئت ثائرا بعثمان) يقال ثار به اذا طلب بدمه (ولقدعلمت حيث وقع دم عثمان) اى على من لزم و من الذى اراقه (فاطلبه من هناك ان كنت طالبا) فانّ من اراق دم عثمان بالتحريض و الحث هم عائشة و طلحة و الزبير .

(فكانّى قد رايتك تضجّ من الحرب) اى تصيح و تولول خوفا و هلعا (اذا عضتك) اى الحرب ، تشبيه لها بالسبع الذى يعض الشخص باسنانه (ضجيج الجمال بالأثقال) اى مثل ما يضج الجمل بحمله الثقيل ، لأنه لا يطيقه ، وقد كان كما قال الامام عليه السلام (وكانّى بجماعتك تدعونى ـ جزعا من الضرب المتتابع) ياتى متعلق تدعونى فى قوله ((الى)) ومعنى جزعا ، انهم جزعا من ضربنا الذى يتبع بعضه بعضا ، بهم .

(و القضاء الواقع) عليهم بالقتل و الابادة (و مصارع بعد مصارع) اذ يقتل منهم جماعة بعد جماعة (الى كتاب اللّه) كما فعل معاوية باشارة عمرو بن العاص

وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ .

وَمِن وَصيّةٍ لهُ عَليهِ السّلام

وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ ، فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً ، وَدُونَكُمْ مَرَدّاً . وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ ،

حيث امر برفع المصاحف خدعة ومكيدة (وهى كافرة جاحدة) بالكتاب ، اذ لا تعمل باحكامه (او مبايعة حائدة) اى غادرة حيث بايعت معى ثم حادت ومالت عن البيعة ، و المراد انهم يرفعون المصاحف و هم بين كافر و بين غادر كالذين بايعوا الامام ثم التحقوا بمعاوية .

وَمِن وَصيّةٍ لهُ عَليهِ السّلام

وصّى بها جيشا بعثه الى العدو

(فان نزلتم بعدو) بان ذهبتم اليهم (او نزل بكم) العدو ، بان جاء اليكم (فليكن معسكركم فى قبيل الأشراف) جمع شرف ــ محركة ــ العلو ، اى قدام الجبال (او سفاح الجبال) سفح الجبل اسفله (او اثناء الأنهار) اى : منعطفات النهر (كيما يكون لكم ردءا) اى عونا ، فانّ العدو لا يتمكن ان يعبر الشّرف او الجبل او النّهر ليحيط بكم (و دونكم مردّا) اى مكان الرد و الدفع ، ترجعون اليه فتتحصنون .

(و لتكن مقاتلتكم من وجه واحد) اى طرف واحد (او اثنين) لا اكثر ، لئلاّ

وَٱجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي ٱلْجِبَالِ وَمَنَاكِبِ ٱلْهِضَابِ ، لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ . وَٱعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ ٱلْقَوْمِ عُيُونُهُمْ ، وَعُيُونَ ٱلْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ . وَإِيَّاكُمْ وَٱلتَّفَرُّقَ : فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَٱنْزِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا ٱرْتَحَلْتُمْ فَٱرْتَحِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا غَشِيَكُمُ ٱللَّيْلُ فَٱجْعَلُوا ٱلرِّمَاحَ كِفَّةً ، وَلَا تَذُوقُوا ٱلنَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً .

يتفرق العسكر ، فان تفرّق القوى موجب لضعفها (و اجعلوا لكم رقباء) جمع رقيب ، و هو المراقب لحال العدو (فى صياصى الجبال) اى اعاليها (ومناكب الهضاب) اى مرتفعات الآكام ، فان مناكب جمع منكب ، بمعنى المرتفع ، و هضاب جمع هضبة ، بمعنى : الجبل القليل الارتفاع .

(لئلاّ ياتيكم العدو من مكان مخافة) اى مكان تخافون منه (او امن) اى : تامنون من جهته (و اعلموا ان مقدمة القوم) الذين يذهبون مقدما عليهم ليختاروا لهم المكان المناسب (عيونهم) التى بها يرون المكان الصالح للقتال (وعيون المقدمة طلائعهم) فان من المقدمة يخرج بعضهم الأجرء الأعلم بالأمور ليختار المكان ، فاللازم ان تكون المقدمة و الطليعة فى كمال الالتفات و الوعى ،او المراد انهم اذا راو طلائع العدو فليتهيئوا ، ولا يستسهلوا الأمر .

(و اياكم و التفرق) و التشتت بينكم فان ذلك موجب لضعف قواكم (فاذا نزلتم) فى مكان (فانزلوا جميعا ، و اذا ارتحلتم) و اردتم السير (فارتحلوا جميعا) لا ان ينزل بعض و يرتحل بعض حتى تختلف كلمتهم (و اذا غشيكم اللّيل فاجعلوا الرماح كفّة) اى مثل كفّة الميزان مستديرة حولكم حتى اذا هجم العدو يكونوا مستعدين للدفاع ، ليس حمل السلاح الذى يحيط بهم (و لا تذوقوا النوم الا غرارا) هو النوم الخفيف (او مضمضة) بان يتراوح بين النوم و اليقظة ، كالذى يتمضمض الماء ، و ياخذه ثم يمجه ، و هكذا .

وَمن وَصيّة لهُ عَليه السّلام

وصى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له :

اتَّقِ اللهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ ، وَلَا مُنْتَهَىٰ لَكَ دُونَهُ . وَلَا تُقَاتِلَنَّ إلَّا مَنْ قَاتَلَكَ . وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ، وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ ،وَرَفِّهْ فِي السَّيْرِ، وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكَناً ، وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لَا ظَعْناً ، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ .

ومن وَصيّة لهُ عَليه السّلام

لمعقل بن قيس الرياحى ، حين انفذه الى الشام فى ثلاثة آلاف مقدمة له

(اتق الله الذى لا بدّ لك من لقائه) اى لقاء حسابه وجزائه (ولا منتهى لك دونه) فان نهاية كل انسان الى حسابه تعالى وثوابه اوعقابه (ولا تقاتلنّ الآ من قاتلك) فاترك الامنين فى القرى و الأرياف و الاخبية ، ومن لا يتعرض لك (وسر البردين) اى فى الغداة و العشى حيث الهواء و الأرض باردتان ، حتى لا يتاذى العسكر بالحرّ (وغوّر بالناس) اى انزل بهم فى الغائرة ،اى نصف النهار وقت شدّة الحرّ .

(ورفّه بالسير) اى سر سيرا عادلا ، لا سريعا حتّى يتاذّى الناس (ولا تسر اوّل الليل) وقت منام الناس (فان الله جعله سكنا) اى وقتا للسكون ، لتخفيف اتعاب النهار (وقدرة مقاما) اى للاقامة (لا ضعنا) اى لا لأجل السفر (فارح فيه) اى فى اول الليل (بدنك وروّح ظهرك) اى ارح دابتك .

فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ ، فَسِرْ عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ . فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً ، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ . وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ أَمْرِي ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ ، قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ .

(فاذا وقفت) اى قمت (حين ينبطح السحر) اى ينبسط (او حين ينفجر الفجر) اى يظهر ، والفجر هو الصبح (فسر على بركة الله) بان يجعل الله سبحانه سيرك مباركا ، ذا ثبات واستمرار ، وهذا هو الأصل فى البركة (فاذا لقيت العدو فقف من اصحابك وسطا) وذلك ليستوى اصحابه بالنسبة اليه فيكون اسهل فى الأمر والنهى ، ولئلا يقتل فيتشتت نظام الجيش (ولا تدن من القوم) اى لا تقترب من العدو (دنوّ من يريد ان ينشب الحرب) اى يهيّجها (ولا تباعد عنهم) اى عن العدو (تباعد من يهاب الباس) اى يخاف الحرب حتى يوجب ذلك جرئة العدو وخوف جيشك ، اذ يروك كالخائف (حتى ياتيك امرى) بماذا ينبغى ان تفعل (ولا يحملنّكم شنآنهم) اى بغضكم للعدو (على قتالهم قبل دعائهم) اى قبل ان تدعوهم الى المسالمة و نبذ الخلاف (والأعذار اليهم) اى تقديم ما يبين عذركم فى قتالهم ، فاللازم الاعذار والدعاء ثم القتال .

وَمِن كِتابٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

إلى أميرين من أمراء جيشه

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَىٰ مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَىٰ مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ

وَمِن كِتابٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

(الى اميرين من امراء جيشه) هما زياد بن النضر وشريح بن هانى بعثهما على مقدمة له فى اثنى عشر الفا ، فالتقيا بجند الشام ، وكتبا الى الامام بذلك ، فارسل اليهما الاشتر لنجدتهما .

(وقد امرت عليكما) اى جعلت اميرا (وعلى من فى حيزكما) اى فى جانبكما من الجيش (مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا له واطيعا) ما يامر (واجعلاه درعا ومجنّا) اى ترسا تتحفظان به عن الأعداء (فانّه ممن لا يخاف وهنه) اى لا يخاف ان يهن ويضعف (ولا سقطته) اى ان يسقط ويغلط فى المحاربة (ولا بطوئه عما الاسراع عليه احزم) اى اقرب الى الحزم، وهو تدبير الأمر والالتفات الى جهات العمل (ولا اسراعه الى ما البطوء عنه امثل) اى اولى واحسن .

وَمِن وَصِيَّة لهُ عَلَيه السَّلام

لعسكره قبل لقاء العدو بصفّين

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ يَبْدَؤُوكُمْ ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ ٱللهِ عَلَىٰ حُجَّةٍ ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّىٰ يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ . فَإِذَا كَانَتِ ٱلْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ ٱللهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً ، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِراً ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَىٰ جَرِيحٍ ، وَلَا تَهِيجُوا ٱلنِّسَاءَ بِأَذًى ، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ ،

وَمِن وَصِيَّة لهُ عَلَيه السَّلام

لعسكره قبل لقاء العدو بصفّين

(لا تقاتلوهم حتى يبداوكم) فتكون الحجة لكم عليهم ، اذ تكونوا بذلك مدافعين ، لا مهاجمين (فانكم بحمد الله على حجّة) ومن هو كذلك لا يحتاج الى الاسراع والسبق فى المحاربة ، انما ذلك لمن يعلم انه ليس محقّا فيريد السبق لئلا يسبقه المحق (وتركّكم اياهم حتى يبداوكم حجّة اخرى لكم عليهم) اذ لا يتمكنوا ان يقولوا بعد ذلك ان الطرف اعتدى علينا ونحن دافعنا (فاذا كانت الهزيمة) والانكسار للأعداء (باذن الله) ولطفه (فلا تقتلوا مدبرا) اى من فرّ وادبر .

(ولا تصيبوا) بالقتل والجرح (معورا) الذى امكن من نفسه وعجز عن حمايتها (ولا تجهزوا على جريح) الاجهاز على الجريح تتميم اسباب موته وقتله (ولا تهيجوا النساء باذى) اى لا تؤذوا امرة (وان شتمن اعراضكم) العرض كل شئ يحترمه الانسان من نفسه او اهله او اقربائه (وسببن امرائكم) وحكامكم .

فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ ٱلْقُوَىٰ وَٱلْأَنْفُسِ وَٱلْعُقُولِ ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِٱلْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ ، وَإِنْ كَانَ ٱلرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ ٱلْمَرْأَةَ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ بِٱلْفَهْرِ أَوِ ٱلْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ .

(فانّهنّ ضعيفات القوى) فان الرجل اقوى من المرئة (و الأنفس) فانّ روح الرجل اكثر من روح المرئة ، اذ ضعف جسدها يوجب ضعف نفسها (و العقول) فان المرئة اميل الى العاطفة ، من العقل (ان) مخففة من الثقيلة ، و حذف اسمها ، اى انّا (كنا لنؤمر بالكفّ عنهنّ) اى عن النّساء (و انّهن لمشركات) و ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم .

(و ان كان الرجل ليتناول المرئة فى الجاهلية) اى يؤذيها ويضربها (بالفهر) الحجر الصغير بقدر املاء الكف او ما اشبه (او الهراوة) العصى (فيعير بها) اى بهذه الفعلة يلومه قومه ، لم فعلت هذا مع المرئة ؟ .

(و) يعير (عقبه) اى نسله بفعل ابيه (من بعده) فاذا كان هـــذا حال الجاهلية ، و ذلك حال الاسلام مع المشركات ، فما اجدر بالعفو عن مثل المسلمة التى انحرفت فى الفتن .

وَمِن دُعَاءٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

كان عليه السلام يقول إذا لقي العدو محارباً :

اَللّٰهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ ٱلْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ ٱلْأَعْنَاقُ ، وَشَخَصَتِ ٱلْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ ٱلْأَقْدَامُ ، وَأُنْضِيَتِ ٱلْأَبْدَانُ . اَللّٰهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْتُومُ الشَّنَآنِ ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ ٱلْأَضْغَانِ . اَللّٰهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا ، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا ، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا «رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ» .

وَمِن دُعَاءٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

كان عليه السلام يقول اذا لقى العدو محاربا :

(اللّهمّ اليك افضت القلوب) اى انتهت بالتوجه و الاستكانة (و مدت الأعناق) لتنظر هل ياتى الفرج و النصر (و شخصت الأبصار) اى توجّهت نحو السماء . الذى هو جهة العلو ، ومنه ياتى النصر و الرزق (و نقلت الأقدام) اذ الذهاب الى الحرب ذهاب الى امره سبحانه (و انضيت) اى ابليت بالضعف و الهزال (الأبدان) فى طاعتك (اللّهم قد صرح) اى ظهر (مكتوم الشنآن) اى ان العداوة المكتوبة فى صدور الأعداء قد ظهرت .

(وجاشت) اى غلت كما يغلى القدر (مراجل) جمع مرجل ، بمعنى : القدر (الاضغان) جمع ضغن ، بمعنى الحقد (اللهمّ انّا نشكو اليك غيبة نبيّنا) . هذا اظهار للضعف امام اللّه سبحانه ليتفضل بالقوة و الغلبة (و كثرة عدوّنا ، وتشتت) اى تفرق (اهوائنا) اي آرائنا ، و المراد آراء انصاره عليه السلام (((ربّنا افتح بيننا و بين قومنا))) المحاربين لنا ، فتحا (((بالحق)))

وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ » .

وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لأصحابه عند الحرب :

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا ، وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا ، وَاذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ ، وَالضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ .

و القيد توضيحى ، و اظهار لما فى نفس الداعى من طلب الحق ، اذ من المعلوم انّ فتحه سبحانه بالحق (((و انت خير الفاتحين))) الذى تفتح الطريق امام اهل الحق .

وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لأصحابه عند الحرب

(لا تشتدن عليكم) اى لا تشق عليكم (فرة) اى فرار (بعدها كـرة) و رجوع ، فلا تعتبروها انهزاما لتخلق فى نفوسكم الضعف وآثار الانكسار (و لا جولة) اى دوران من هنا الى هناك (بعدها حملة) و هجوم على الأعداء (و اعطوا السيوف حقوقها) فى الضرب بها على الأعداء (و وطئوا للجنوب) جمع جنب (مصارعها) اى هيئوا لجنوب الأعداء محل وقوعها ، كناية عن لزوم احكام الضرب حتى يسقط العدو بسببه الى مصرعه (و اذ مروا) اى حرضوا (انفسكم على الطعن) فى الأعداء (الدعسى) اى الشديد اسم من الدعس اى الطعن الشديد (و الضرب الطلحفى) اشد الضرب ـ و الياء فى اللفظين للمبالغة ـ (و اميتوا الأصوات) فلا تتكلموا عند الحرب (فانه) اى السكوت (اطرد للفشل) ،

فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنِ اسْتَسْلَمُوا ، وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ .

وَمن كتاب له عليه السّلام

إلى معاوية ، جواباً عن كتابٍ منه إليه

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ .

اذ المتكلم يتوجه بعض نفسه الى الكلام و الى المخاطب ، فلا تتجه نفسه جميعا الى المحاربة ،فيتسرب اليه الفشل بخلاف الساكت (فو الذى فلق الحبّة) اى شقّها حتى اخرج من وسطها النبات (وبرا) اى خلق (النسمة) اى البشر (ما اسلموا) اى معاوية و من على شاكلته (و لكن استسلموا) اى اظهروا الاسلام حقنا لدمائهم ، و انتهازا للفرصة (و اسروا الكفر) اى اضمروه فى انفسهم (فلما وجدوا اعوانا عليه) اى على الكفر (اظهروه) و ذلك بنقض احكام الاسلام ، و هدم شريعة الدين .

وَمن كتاب له عليه السّلام

(الى معاوية ، جوابا عن كتاب منه ، اليه عليه السلام) و ذلك بعد ما طالت الحرب ، وخاف معاوية الفشل ، فطلب من الامام الشام ــ بحجة ان الحرب اكلت العرب ، و انه و الامام سيان ، فمن الجدير ان ياخذ الامام بعضا و يدع لمعاوية بعضا .

(فامّا طلبك الى الشام) بان ادعها لك (فانى لم اكن لأعطيك اليوم ما منعتك امس) فان الامام لم يقرّ معاوية فى منصبه : امارة الشام ، فكيف يعطيه

وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّ ٱلْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ ٱلْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ ، أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْحَقُّ فَإِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْبَاطِلُ فَإِلَىٰ ٱلنَّارِ . وَأَمَّا ٱسْتِوَاؤُنَا فِي ٱلْحَرْبِ وَٱلرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَىٰ عَلَىٰ الشَّكِّ مِنِّي عَلَىٰ ٱلْيَقِينِ ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَىٰ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ عَلَىٰ ٱلْآخِرَةِ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ، فَكَذٰلِكَ نَحْنُ ، وَلٰكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ ،

اليوم ، وقد ظهر خبث سريرته ، وما عرفه الامام منه ، من عدم الدين ، وتصرفه السيء فى المسلمين (واما قولك ان الحرب قد اكلت العرب) اى افنتهم (الاحشاشات انفس بقيت) جمع حشاشه بمعنى بقية الروح (الا ومن اكله الحق) بان قتل عن امر الدين وفى سبيله (فالى الجنة) وذلك لا يضر (ومن اكله الباطل) بان حارب ضد الدين (فالى النار) وهذا جزائه .

(واما استواؤنا فى الحرب والرجال) اذ تريد بذلك تهديدى ، بانّه لا غلبة لى عليك ، اذ الجيشان متساويان (فلست بامضى على الشك منى على اليقين) فلسنا متساويين اذ الشاك لايتمكن ان يخلص لعبدئه كما يتمكن المتيقن ، والمعنى : لست على الشك الذى انت فيه ، باكثر مضيا واقداما فى الأمر منى وانا على يقين من عقيدتى وامرى ، هذا حالنا .

(و) اما جنودنا فـ (ليس اهل الشام) وهم جنودك (باحرص على الدنيا من اهل العراق) جنودى (على الآخرة) لأنّ اهل الآخرة احرص على الآخرة ، من اهل الدنيا على الدنيا .

(واما قولك انا بنوعبد مناف) اراد معاوية ان يبين استوائه مع الامام فى النسب (فكذلك نحن) من بنى عبد مناف ، لا انتم (ولكن ليس امية) جدك (كهاشم) جدى (ولا حرب) جدك الثانى (كعبد المطلب) جدنا الثانى (ولا ابوسفيان) ابوك (كابى طالب) ابى ، فقد كان آبائى سادة اشرافا ،

وَلَا ٱلْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ ، وَلَا ٱلْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ ، وَلَا ٱلْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ . وَلَبِئْسَ ٱلْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا ٱلْعَزِيزَ ، وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ .

وآباؤك اراذل اوباشا .

(ولا المهاجر) يعنى نفسه الكريمة (كالطليق) اى الذى اطلق ، حيث ان معاوية اسلم عام الفتح ، واطلقهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منّا عليهم حيث قال لهم اذهبوا فانتم الطلقاء (ولا الصريح) يعنى نفسه الزكية حيث ان نسبه صحيح لا مغمز فيه (كاللصيق) اى كالذى الصق بالقبيلة وليس منهم ، فانّ امية كما يذكرا هل التواريخ كان عبدا روميّا تبناه عبد الشمس ويقال ان بينهما كان اتصال محرّم ، وهذا ليس بعيدا من سيرة آل امية فان اخلاقهم لا تشبه اخلاق العرب ، فضلا عن قريش والهاشميين .

(ولا المحق) يعنى نفسه الكريمة (كالمبطل) وهو معاوية (ولا المؤمن كالمدغل) اى المفسد ، وهو معاوية (ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى فى نار جهنّم) فان معاوية كان يتبع آبائه فى معارضة الاسلام وقد هوى آبائه فى نار جهنم (وفى ايدينا بعد فضل النبوة) اى بقايا تعاليم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وما فضل الله سبحانه هذا البطن من هاشم الذى فيه النبى صلى الله عليه وآله وسلم (التى اذللنا بها العزيز) من الكفّار .

(ونعشنا) اى رفعنا (بها الذليل) اذ الاسلام الغى الميزات الا التقوى ، كما قال سبحانه : ((انّ اكرمكم عند الله اتقاكم)) فلا ذلة بسبب الانتماء الى العشيرة الفلانية او ما اشبه كما كان رائجا فى الجاهلية ، وبنو امية ليسوا كذلك لعدم كونهم من هذا البطن ، ولا لديهم تعاليم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التى علمها لأهل

وَلَمَّا أَدْخَلَ ٱللهُ ٱلْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً ، وَأَسْلَمَتْ لَـهُ هٰذِهِ ٱلأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً ، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ : إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَىٰ حِينَ فَازَ أَهْـلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَذَهَبَ ٱلْمُهَاجِرُونَ ٱلأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ . فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً ، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا ، وَالسَّلَامُ .

بيته .

(ولما ادخل الله العرب فى دينهافواجا) اى جماعة ،جماعة حيث قوى الاسلام (واسلمت له هذه الأمة طوعا وكرها) اى بعضهم عن رغبة نفس ، وبعضهم عن خوف ورهبة (كنتم ممن دخل فى الدين اما رغبة) فى مال وجاه (او رهبة) عن قتل واهانة (على حين فاز اهل السبق بسبقهم) اى بسبب سبقهم الى الاسلام ، وكانّ المراد بذلك نفسه الكريمة الذى كان اول من اسلم .

(وذهب المهاجرون الأولون) الذين هاجروا مكة الى المدينة (بفضلهم) اذ فضلهم الله سبحانه على من سواهم ، بما لقوا من الأتعاب وثبتوا فى مقابل الشدائد (فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا) كانّ جزءاً منه للشيطان (ولا على نفسك سبيلا) بان يكون متبعا له ، ولعلّ الأول لنهيه عن اتباع الهوى ، و الثانى لنهيه عن اتباع الشيطان ، والله العالم .

وَمن كتاب له عليه السّلام

إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة

اَعْلَمْ أَنَّ اَلْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ ، وَمَغْرِسُ اَلْفِتَنِ ، فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَاَحْلُلْ عُقْدَةَ اَلْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ .

وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ ، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ ،

وَمن كتاب له عليه السّلام

(الى عبد الله بن عباس ، وهو عامله على البصرة)

(اعلم انّ البصرة مهبط ابليس) ولعلّ ذلك باعتبار القائه الفتن هناك ،يوم الجمل ، كانّه هبط هناك للاضلال و الاغواء (ومغرس الفتن) كان الفتن تخرج منها ، وهذه العادة جارية فيما اذا وقعت الثورة فى مدينة كثرت الفتن فيها الى مدّة مديدة ، لهيجان النفوس المقتضى للفتن (فحارث اهلها بالاحسان اليهم) ليكون الكلام كلاما حسنا (واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم) كانّ الخوف عقد فى قلوبهم ، ولذا هم دائموا الخوف ، والترفق و اللين يوجب حل تلك العقدة .

(وقد بلغنى تنمرك لبنى تميم) اى تنكر اخلاقك لهم ، فان بنى تميم كانوا ضدّ الامام فى قصة الجمل ، ولذا كان ابن عبّاس يسئ اليهم انتقاما ، فكتب بعض الشيعة الى الامام يخبره بذلك ، فكتب الامام الى ابن عباس بهذا الكتاب (و غلظتك عليهم) اى تغلظ وتخشن فى معاملتهم .

(و انّ بنى تميم لم يغب لهم نجم الاّ طلع لهم) نجم (آخر) كناية عن انّ

وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ ،وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً ، وَقَرَابَةً خَاصَّةً ، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا ، وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا. فَأَرْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ ، رَحِمَكَ اللهُ ، فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذٰلِكَ ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ ،وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ ، وَالسَّلَامُ .

بعضهم و انكانوا معادين الا ان بعضهم الآخر موالون (و انهم لم يسبقوا بوغم)اى حرب (فى جاهلية ولا اسلام) فكانوا هم شجعان فى الجاهلية و الاسلام ،حتى ان قبيلة لم تسبقهم فى الشجاعة ، ومثل هذه فضيلة تستحق التقدير (و انّ لهم بنا رحما ماسة) اذ كان بين تميم و هاشم مصاهرة ، و هى تستلزم القرابةوالرحمية (وقرابة خاصة) لا قرابة مطلق القبائل بعضهم مع بعض فى اجداد هم الأعالى (نحن ماجورون على صلتها) اى صلة تلك الرحم .

(و مازورون) من الوزر ، اى مذنبون (على قطيعتها) و هذه جهة اخرى توجب مراعاتهم (فاربع) اى ارفق (ابا العبّاس) لقب عبدالله بن عباس (رحمك الله) دعاء بلفظ الخبر (فيما جرى على لسانك و يدك) بالنسبة الى بنى تميم (من خير و شر) يعنى فى الاثابة و المعاقبة ، فلا تحرمهم من الثواب ، ولا تكثر عليهم من العقاب ـ فوق الّذى يستحق المستحق منهم ـ (فانّا شريكان فى ذلك) اى فيما جرى على لسانك و يدك ، على الخليفة احسان الوالى و اسائته ، لنصبه ايّاه .

(وكن عند صالح ظنّى بك) اى صدق ظنّى الحسن فيك بانّك تطيع امرى (ولا يفيلن) اى لا يخطئن (راى فيك) بسوء صنيعك (و السّلام) عليك .

وَمن كتاب له عَليه السَّلام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً ،وَٱحْتِقَاراً وَجَفْوَةً ، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ ، فَٱلْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ ، وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ ٱلْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ ، وَٱمْزُجْ

وَمن كتاب له عَليه السَّلام

الى بعض عمّاله

(امّا بعد) الحمد و الصّلاة (فانّ دهاقين اهل بلدك) جمع دهقان ـ معرب ده بان ـ اى اصحاب الرّيف ، فان ((ده)) بمعنى الريف، و((بان)) بمعنى الحافظ له (شكوا منك غلظة وقسوة) فى اخلاقك و اعمالك معهم (و احتقارا) لهم (و جفوة) اى جفاءا (و نظرت) اى فكرت فى امرهم (فلم ارهم اهلا لأن يذلّوا) اى يقرّبوا اليك (لشركهم) و المروى انهم كانوا مجوسا (ولا ان يقصوا) اى يبعّدوا و يهانوا (و يجفوا) اى يقطع الوال صلاته معهم (لعهدهم) اى لأنهم معاهدون (فالبس لهم جلبابا) هو الثوب الواسع الذى يلبس فوق الثياب ، و المراد هنا ((الأخلاق)) لأنها تحيط بالانسان ، كالجلباب (من اللين تشوبه بطرف من الشّدة) اى تخلطه ببعض الشدة . (و داول لهم) اى تراوح (بين القسوة) مرة (و الرافة) مرة (و امزج

لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ . إِنْ شَاءَ اللهُ

لهم) اى ليكن لك اخلاقا مختلفة ممزوجة (بين التقريب والادناء) لهم منك (والابعاد والاقصاء ان شاء اللّه) وذلك لأنّ كونهم معاهدين يوجب اللين ، واذا اخذوا باللين طمعوا فى الأمر وقويت شوكتهم مما يضرّ الاسلام فاللازم ان يمزج اللين ببعض الشدة ، حتى لا يفسدهم اللّين .

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة ، وعبد الله عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان وغيرها :

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً ، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً ،

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(الى زياد بن ابيه ، وهو خليفة عامله عبد الله بن عبّاس على البصرة ، وعبد الله عامل امير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كور الأهواز و فارس و كرمان) كور : جمع كورة ، بمعنى : الناحية ، لا يقال : كيف ولى الامام زيادا ، و هو ولد الزّنا ، و ذلك لا يصلح لمجرد الامامة فكيف بالولاية ؟ وقد اجيب عن ذلك بجوابات ذكرناها فى شرح العروة فى مسالة التقليد ، لعلّ اقربها : انّ الأحكام كانت تدريجية ، بعضها لم يظهر الاّ بعد الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، اوفى زمان امام متاخّر ، كما ان بعضها لم يظهر الى الآن ، فيظهر فى زمان الامام المهدى عليه السّلام ، ولعلّ عدم الصلاحية من هذا القبيل ، وهذا لا ينافى ظهور الأحكام فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، اذ انّ ظهور بعضها بمعنى ايداعها الى الامام عليه السّلام ، لا انّ جميعها ظهرت الى النّاس كما لا يخفى .

(و انّى اقسم بالله قسما صادقا) اى عاملا بمقتضى القسم (لئن بلغنى انّك خنت من فئ المسلمين) اى غنائمهم (شيئا صغيرا او كبيرا) اى قليلا كانت

لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ ٱلْوَفْرِ ، ثَقِيلَ ٱلظَّهْرِ ، ضَئِيلَ ٱلْأَمْرِ ، وَٱلسَّلَامُ .

وَمن كتاب لهُ عَليهِ السَّلام

إلى زياد أيضاً

فَدَعِ ٱلْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً ، وَٱذْكُرْ فِي ٱلْيَوْمِ غَداً ، وَأَمْسِكْ مِنَ ٱلْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ ، وَقَدِّمِ ٱلْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ .
أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللهُ أَجْرَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ

الخيانة اوكثيرة (لأشدنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر) اى قليل المال ، بسبب ما جمعته منك (ثقيل الظّهر) من العقاب ، وهذا من باب التّشبيه ، فانّ العقاب يحمل على الجسم كلّه ، لكن الظهر حيث انه محل الحمل ، جعل موضعا للعقاب الّذى يتحمّله الانسان (ضئيل الأمر) اى ضعيفه ، فانّ العزل عن المقام يوجب ضئالة امر الانسان ، وعدم جاه له (و السّلام) .

وَمن كتاب لهُ عَليهِ السَّلام

اليه ايضا

(فدع الاسراف) وكن (مقتصدا) اى متوسّطا فى الانفاق ، لا بالافراط ولا بالتّفريط (واذكر فى اليوم) اى الدّنيا (غدا) اى الآخرة الذى فيه تحاسب عمّا عملت (وامسك) اى احفظ (من المال بقدر ضرورتك) الّتى تحتاج اليها (وقدم الفضل) اى الزّائد على الضّرورة (ليوم حاجتك) فى الآخرة (اترجو ان يعطيك اللّه اجر المتواضعين) الّذين عملوا باوامره تواضعا و

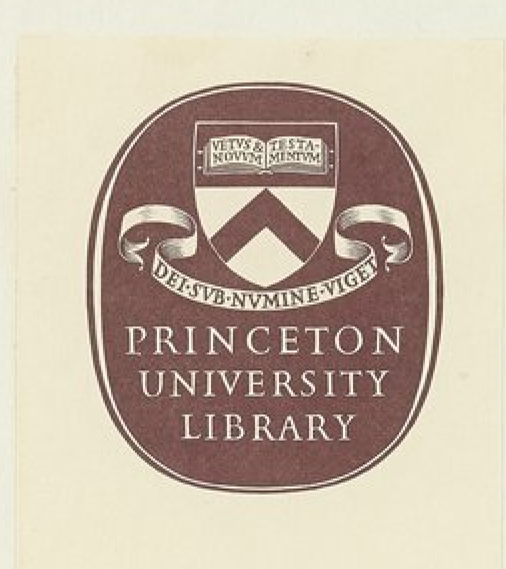
وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ ـ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي ٱلنَّعِيمِ ، تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَٱلْأَرْمَلَةَ ـ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ؟ وَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَىٰ مَا قَدَّمَ ، وَالسَّلَامُ .

تخضّعا (وانت عنده من المتكبرين) الذين لا يعملون بامره ، فان من يتصرّف المال بخلاف امره سبحانه متكبر عليه اذ عمل عملا يدل على عدم الانقياد ، بل الكبر واللّجاج .

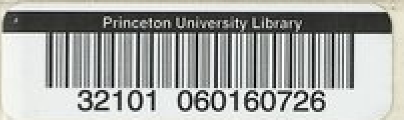
(وتطمع ـ وانت متمرّغ) اى متقلّب (فى النّعيم) اللّذائذ والمشتهيات (تمنعه) اى النّعيم (الضّعيف) اى الفقير (والأرملة) الّتى مات زوجها وبقيت فقيرة بلا والى (ان يوجب) اللّه (لك ثواب المتصدّقين) الّذين تصدّقوا باموالهم فى سبيله سبحانه .

(وانّما المرء مجزّى بما اسلف) اى يجزى فى الآخرة ، بما قدّم فى الدّنيا (وقادم) اى يرد فى القيامة (على ما قدّم) وارسل من الدّنيا الى هناك (والسّلام) .

الفهرست


VETUS & TESTAMENTUM NOVUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
MIDDLETOWN, PA.
FEB. 84
We're Quality Bound



نهــج البلاغـة

ليس « نهج البلاغة » قمة أدبية سامقة فحسب، بل انه ــ أيضاً ــ نهج للحياة . .

الحياة بكل مافيها من صور وجوانب وأبعاد . .

انه يرى الانسان الطريق الافضل فى الحقول الفكرية، والروحية والنفسية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعيـة ، والجهادية . . ويهدى للتى هى أقوم .

لقد حركت كلمات « نهج البلاغة » ــ وهى تخرج من بين شفتى الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ــ الجيل الذى عاصر الامـام عليه السلام ، ودفعته الى ميادين الجهاد المقدس ، وصنعت امة ، وأقامت حضارة . .

وظلت كلمات « نهج البلاغة » مصدر الهام عظيم للاجيـال فى مسيرتها الحضارية على امتداد أربعة عشر قرناً من الزمن .

. . والكتاب الذى بين يديك ــ أيها القارىء الكريم ــ هو شرح لـ« نهج البلاغة » . .

وهو شرح تحرّى المؤلف فيه تقريب « نهج البلاغة » الى أذهان الجماهير . . ومن هنا : فقد جاء واضحاً ومبسطاً . .

انه كتاب للجماهير . . كل الجماهير . .

الناشرون

الثمن : ٤٠٠ ريال